حول

الحركة العربية الحديثة

الجزء الثالث

ويحتوي الكلام عن ادوار القضية الفلسطينية
ومواقف الانكليز منها الى بدء الحرب العالمية الثانية

تأليف
محمد عزة دروزة

obeikandl.com

obeikandl.com

اجمال لمباحث الكتاب الرئيسية

تمهيد اول — فيه استعراض وجيز لصلات الانكليز بالبلاد العربية ومطامعهم فيها .

تمهيد ثان — سبب الاسهاب في تاريخ القضية الفلسطينية وملابساتها في عهد الانتداب الانكليزي وادوار هذه القضية .

الدور الاول لقضية فلسطين ١٩١٧—١٩٣١ — فيه شرح لنيات الانكليز واليهود ومراميهم في فلسطين وادوار الحركة الوطنية الاولى ومكائد الانكليز لها الى سنة ١٩٣١ حيث نكثوا بالكتاب الابيض الذي اصدروه في هذه السنة . وفيه بحوث حول ثورة البراق ولجنة شو ولجنة البراق والمجلس الاسلامي الاعلى والمؤتمر الاسلامي العام والمؤتمر العربي .

الدور الثاني ١٩٣٢ - ١٩٣٧ — فيه شرح لحالة فلسطين في اواخر سنة ١٩٣١ وتفاقم الخطر اليهودي ونشوء الاحزاب والاضراب الطويل وثورته . وفيه بحوث حول اللجنة الملكية وتقريرها .

الدور الثالث ١٩٣٧ — ١٩٣٩ — فيه شرح لهياج العرب من التقسيم وعنف الانكليز في مكافحة الوطنيين وانفجار الثورة وادوارها ووقائعها وقياداتها وآثارها وخسائرها وتحقق غاياتها بالعدول عن التقسيم ومؤتمر لندن والكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ .

ملاحق الكتاب — وهي صك الانتداب ، والكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢ والكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ وثلاثة بيانات صدرت من حزب الاستقلال والبيان الذي اذاعته اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي محتوياً الميثاق القومي الجديد واسماء موقعيه والكتاب الابيض مع توصيات التقسيم لسنة ١٩٣٧ والكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ والمذكرات المتبادلة بين ملز الانكليزي وفريق من الوطنيين .

تمهيد

استعراض وجيز لصلات ومطامع الانكليز في البلاد العربية

— ١ —

بدء صلتهم قديماً

شغل الانكليز في تاريخ الحركة العربية الحديثة وما يزالون يشغلون حيزاً واسعاً شديد الاثر بعيد المدى .

وصلتهم بالعرب وبـــلادهم ليست حديثة . فقد كان لهم هم الآخرون دور في الحروب الصليبية ، حيث قاد أميرهم ريكاردوس المعروف عند العرب بقلب الأسد إحدى حملات هذه الحروب ، ونجح في حمل صلاح الدين الأيوبي على توقيع معاهدة تخلى فيها عن القسم الساحلي من فلسطين لسيطرة الصليبيين ، وظل الامر كذلك ردحاً من الزمن ثم انتهت هـذه الصلة بانتهاء تلك الحروب وعودة فلسطين وسائر البلاد الشامية الى السلطان الاسلامي .

بدء صلتهم الحديثة ومداها

على انها عادت ثانية في القرن السادس عشر بعد ان استولى العثمانيون على البلاد العربية وأدخلوها في نطاق مملكتهم العظمى ، حيث استطاع الانكليز أن ينالوا بعض الامتيازات التجارية والملاحية في سواحل البـلاد العربية الواقعة عـلى البحر الأبيض ، وحيث استطاعوا ارتياد البحر الأحمر والخليج العربي والشواطىء العربية الواقعة على بحر الهند وإنشاء بعض المراكز التجارية والملاحية عليها .

وقد كانت هذه الصلة ضيقة المدى في بدء أمرها ولكنها ظلت مستمرة وتطورت واتسعت بمرور الزمن والاحداث حتى شغلت ذلك الحيز الواسع . وكان من أهم أسباب ذلك ما يسمى في سياسة انكلترة بطرق المواصلات الامبراطورية ، حيث

غدت هذه السياسة بعد ان تمكنت انكلترة في الهند جوهرية وتقليدية وجعلتها تشتد في إهتمامها للبحر الابيض والبحر الاحمر والخليج العربي وبحر الهنـــد وسواحلها ومعابرها وطرقها ومراكزها ، وجميع البلاد العربية واقعة في هذه الساحة فكانت موضع ذلك الاهتمام الشديد هي الاخرى بطبيعة الحال .

ومن العجيب أن بريطانيا انسحبت من الهند أخيراً وهي التي كانت دعامة تلك السياسة التقليدية ولكن شدة اهتمامها لهذه البلاد الواقعة في طريقها وشدة حرصها على الهيمنة عليها لم تخفا ، حيث انقلبت الوسيلة بتطور الزمن والاحداث إلى غاية !

- ٢ -

التنافس بين بريطانيه وفرنسه وغزوة نابوليون

ولقد كان تشاد وتنافس مديدان بين بريطانيه وفرنسه في هذه الساحة نتيجة للعداء الذي طال بين الدولتين في القرون الاخيرة ، حيث كان كل منها يطمع في أن يكون له المركز الممتاز فيها ويحاول أن يدحر عدوه ومنافسه عنها .

الاحتلال الانكليزي الاول لمصر

وكانت مصر خاصة مما اشتد حولها التنافس والمطامع لمركزها الجغرافي الممتاز المتصل بتجارة الشرق ومواصلاته وسياسته ، ولما رأت بريطانية نابوليون يسبقها ويسارع إلى غزو مصر في عام ١٧٩٨ ثارت ثائرتها ومخاوفها سواء من استقرار فرنسا في مصر وتمكنها من الشرق العربي الذي تعد مصر أكبر أقطاره أو من محاولات نابوليون وخططه البعيدة ضد مواصلاتها وامبراطوريتها الهندية ، فأرسلت اسطولها يتعقب اسطول الحملة حتى حطمه في ابو قير قرب الاسكندرية ، ثم تحالفت مع الدولة العثمانية على نابوليون وحاربته معهـــا في فلسطين حتى ارتد خائباً إلى مصر ، ثم انزلت جيوشها إلى مصر بسبيل محاربة حملته وإجلائها عن مصر بالاشتراك مع الجيوش العثمانية التي جاءت إلى مصر كذلك من البر والبحر ، وظلت الدولتان تضيقان الخناق على الحملة حتى تم لهما إجلاؤها عن مصر . ولقد حاولت بريطانية أن تستسنح الفرصة وتمكن قدمها في مصر في هـذا الوقت تحقيقاً لمطامعها في الشرق العربي وضماناً لطرق مواصلاتها وتجارتها وتفادياً من احداث مماثلة لاحداث الحملة

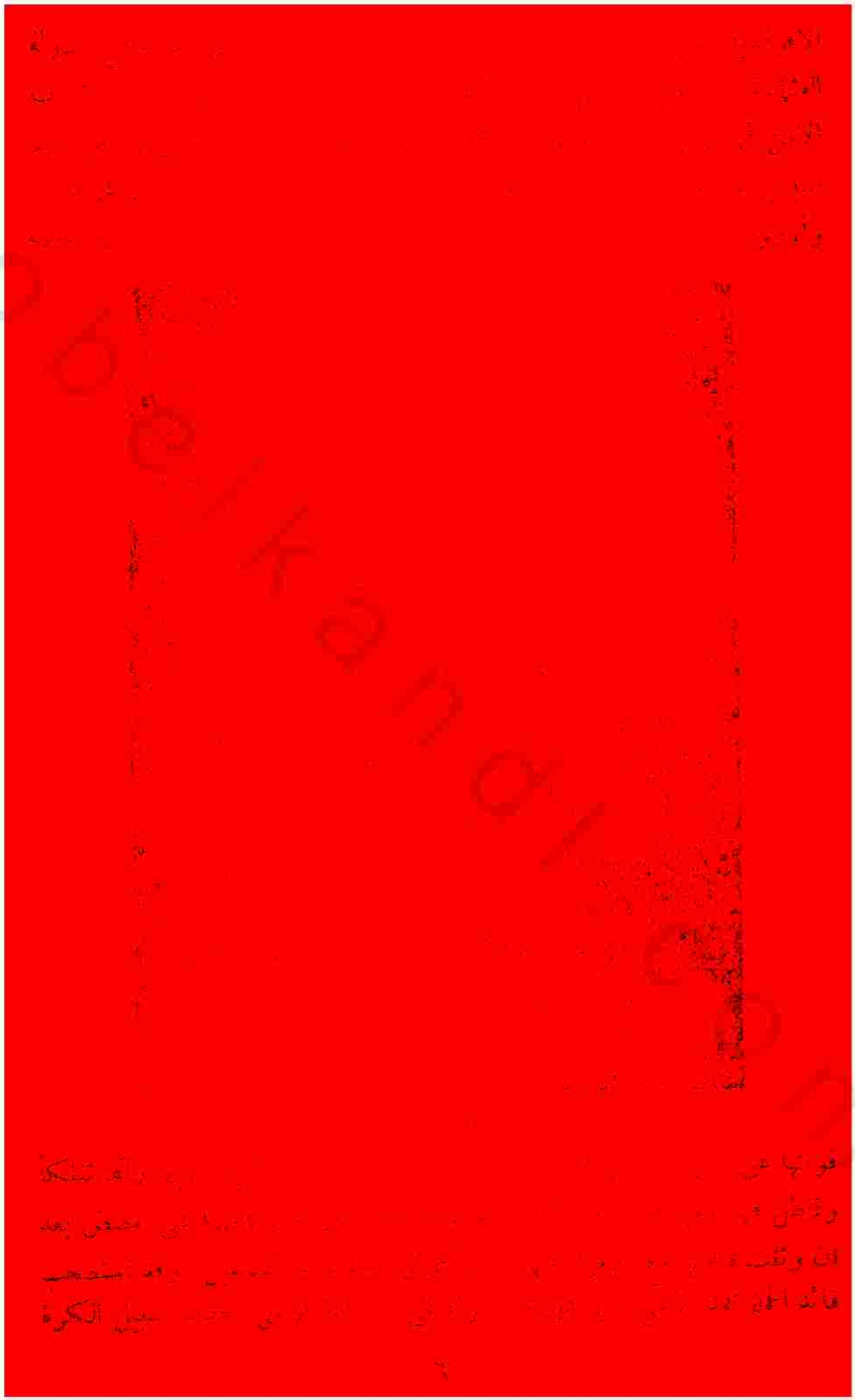

على مصر مرة أخرى :

وفي سنة ١٨٠٤ تقلد محمد علي الكبير ولاية مصر بالتضامن مع زعماء الشعب الذين رأوا من دهائه وحسن إدارته ما جعلهم يقفون في جانبه ، وأخـــذ يضيق الخناق على الأمراء المماليك ويوطد أقدامه في مصر ، فسارع الانكليز لتلافي خطره فأعادوا الألفي إلى مصر من جهة وضغطوا على الدولة العثمانية وجعلوها تصدر أمراً بعزل محمد علي وإعادة الحكم ثانية إلى المماليك بزعامة الألفي من جهة أخرى على أمل أن يكون لهم في عهدهم الفرصة المنشودة للسيطرة على مصر . غير أن محمد علي أبدى حزماً ودهاءً وتضامن مع زعمـــاء الشعب فتمكن من إحباط المكيدة ، وثبت أقدامه في الولاية، واستطاع أن يوجه الضربات العديدة إلى المماليك ويخضد شوكتهم

الاحتلال الانكليزي الثاني لمصر

وقد ازداد بذلك حنق الانكليز عـــلى محمد علي وتوجسهم على خططهم منه فأخذوا يتربصون به ، ولم يطل الأمد لخلق الفرصة المنشودة ، فقد تحسنت الصلات بين الدولة العثمانية وفرنسة بعد قليل وأخذت فرنسة تستغل الموقف الجديد للكيد لانكلترا ومصالحها : فغضب الأنكليز وجاهروا الدولة العثمانيـة بالعداء وتحالفوا ضدها مع روسية ثم سارعوا إلى إرسال أسطولهم إلى الميـاه المصرية واحتلوا الاسكندرية ورشيد وكان ذلـك عام ١٨٠٧ ، وكانوا يعولون تعويلا كبيراً على الالفي ورفاقه . غير أن الحظ خانهم حيث مات الالفي قبل وصول حملتهم ببضعة أسابيع كما مات أحد كبراء المماليك الذي كانوا يعتمدون عليه أيضاً وهو البرديس قبله بأسابيع قليلة ، واستطاع محمد علي أن يشل بدهائه وحزمه قوى بقية الامراء المماليك وأن يواجه القوى الانكليزية بالتضامن مع الزعماء والقوى الوطنية المصرية وأن يهزمها في رشيد والاسكندرية وأن يكبدها الخسائر الفادحة وأن يستولي على مقادير كبيرة من معداتها وسلاحها. فلم ير قوادها بداً من مفاوضته على الجلاء، وانتهت المفاوضات إلى ذلك على أن يعاد اليهم اسراهم وجرحاهم وتم التنفيذ في أواخر عام ١٨٠٧ بعـد ستة أشهر من الاحتـلال . وهكذا باءت المحاولة الثانيـة بالاخفاق . على ان الانكليز ظلوا يتربصون بمحمد علي ويترقبون الفرص للثأر منه ، واشتد حنقهم عليه وتخوفهم منه خاصة بعد أن رأوا سلطانه يشتد ويتسع وقدمه

ترسخ ، وجيشه وأسطوله يقويان ، وحروبه في السودان وفي جزيرة العرب تكلل بالنجاح مما يحمل في طياته حيوية عظيمة ومطامع بعيدة تقف دون مطامعهم وتعرقل أغراضهم ومآربهم ، وبنوع اخص بعد أن رأوا فرنسا توطد صلاتها به ، وتعقد معه أواصر الصداقة وتعاونه في خططه ورغباته وتمده بالخبراء العسكريين وغير العسكريين وتفتح أبواب معاهدها لبعثاته ، وبالتالي تهيء لنفسها في مصر المركز الممتاز الذي تطمح اليه سلمياً بعد أن أخفقت في إحرازه حربياً .

نهضة محمد علي وضربة الانكليز الشديدة الاولى للحركة العربية

وفي سنة ١٨٣١ نشب الخلاف بين محمد علي والدولة العثمانية كانت من نتيجته أن سيّر محمد علي جيوشه بقيادة إبنه إبراهيم فاستولى على بلاد الشام وهزم الجيوش العثمانية واحداً بعد اخر ، واخذ يتوغل في الاناضول حتى وصل إلى كوتاهيه وكاد يدق ابواب الأستانة ، وبدا من خلال هذه الحركة الخطيرة إحتمال قيام دولة عربية إسلامية كبرى على انقاض الدولة العثمانية التي أنهكتها الشيخوخة والغفلة والضعف ، وسارعت الدولة المذكورة الى الارتماء في أحضان روسية بسبيل حمايتها مما يهددها من الانهيار بسبب هذه الحركة . وقـــد اهتمت بريطانية للأمر وقلق بالها . فنجاح حركة محمد علي قد يشوش عليها سياستها ويعرقل خططها التي يمكن تحقيقها بيسر اكثر في حالة بقاء الدولة العثمانية ، كما انه يكون بمثابة إندحارها أمام منافستها فرنسا التي كان ضلعها بارزاً فيها ، فضلاً عما كان من خطر روسية من جرّاء أرتماء الدولة العثمانية في احضانها فنشطت لتلافي خطر هذا الكابوس الجديد الذي يجر معه هذه المضاعفات ، وعادت إلى الوقوف ثانية إلى جانب الدولة العثمانية لتحول دون مطامع محمدعلي وغيره من الدول التي كانت تتعجل إنحلال هذه الدولة ووضع اليد على تركتها وتتهدد بذلك مصالحها القريبة والبعيدة وطرق مواصلاتها في سواحل البحار العربية ومعابر البلاد العربية ، وكان من جراء ذلك تلك الحركة الدولية التي وقفت في وجه محمد علي بحجة المحافظة على إستقلال الدولة العثمانية وتمام ملكها والتي اضطرته إلى سحب جيوشه والتراجع إلى مصر ، وهكذا حالت إنكلتره دون قيام دولة عربية كبرى ربما كان لها شأن كبير في تاريخ العرب الحديث . وكان ذلك أولى الضربات الشديدة التي وجهتها هذه الدولة إلى العرب في تاريخهم المذكور .

قناة السويس

ومع ان فرنسا قـــد اندمجت في حركة التأليب الانكليزية ضد محمد علي ولم تستطع أن تنصر صديقها وكان ذلك من أسباب خذلان حركته وإخفاقهـــا فقد استطاعت أن تحتفظ بمركز الصديق المعـــين عند محمد علي وأبنائه بسبب الموقف العدائي الذي وقفته إنكلتره ، وكان من نتائج ذلك أن نال دى ليسبس امتياز حفر قناة السويس ، فأثار هذا مخاوف إنكلتره إثارة كبيرة لما ينطوي عليـه من الأخطار الحربية وغير الحربية على مصالحها وطرق مواصلاتها ، فحاولت إحباط المشروع بمختلف الوسائل فلم تستطع ، وفكرت في مشاريع عديدة في بلاد العرب لتلافي الخطر مثل مد خط حديدي بين خليج البصره واسكندرونه وحفر قناة من خليج العقبة ألى البحر الابيض بطريق فلسطين فلم تساعدها الظروف ، وتم حفر القناة عام ١٨٦٩ فأشتد همها لأنها رأت طريق مواصلاتها وعصب حياتها مهدداً من قبل منافستها فرنسة ، ولم يهدأ بالها من ناحية المشروع إلا حينما اشترت في غفلة من فرنسا وبعد ست سنين أي عام ١٨٧٥ من الخديوي إسماعيل نصف أسهم الشركة الذي كان حصته ، وغدت قسيمتها فيه ، ثم اجتهدت فحصلت عـلى أسهم اخرى بحيث أصبحت صاحبة الاكثرية والكلمة النافذة في إدارته . على ان هذا لم يكن في نظرها كافياً لزوال هواجسها ، فظلت تترقب الفرص للسيطرة على مصر فعلاً حتى تطمئن طمأنينة كاملة من جهة طرق مواصلاتها ومن جهة اندحار منافستها من هذه الساحة الحيوية . وقد واتتهـــا الفرصة السريعة ايضاً وبعد سبع سنين اخرى حيث قامت ثورة عرابي الوطنية فاتخذتها وسيلة إلى إحتلال مصر عام ١٨٨٢ بحجة حماية مصالحها وحماية دماء ومصالح رعاياها ورعايا الاجانب وحماية العرش المصري معاً . وقـد عرضت عـلى فرنسا الاشتراك معهـا فتبالدت فكان ذلـك من تمام فرصتها السعيدة .

- ٥ -

الاحتلال الانكليزي الثالث لمصر واثره في الحركة العربية

واحتلال مصر من قبل الانكليز كان الضربة الشديدة الثانية التي ضربوا بهـا

العرب في تاريخهم الحديث ، لان مصر اقوى واغنى بلاد العرب، وقد كانت دخلت في نطاق الاستقلال الذي كان يمكن أن يصل إلى نهاية محمودة تكون ختمة للعهد العربي الاسلامي الجديد الذي بدأ بمحمد علي ، وأن يتسع ذلك النطاق حتى يشمل بلاد الشام وغيرها من بلاد العرب كما كان شأن مصر في أدوار تاريخية عديدة بعد الاسلام .

سير الانكليز في عهد الاحتلال

ولقد سار الانكليز في مصر على نهج استعماري خبيث شل قواهـــا ونشاطها ، وضيق في وجهها أبواب الامل والحياة والطموح ، وكان من نتائجه التي لا تزال آثارها قائمة إلى الان ان انشغلت بنفسها وانحصرت في نطاق ضيق من الاقليمية وان لم تتأثر بما جرى من تيارات قومية عامة وعربية مع شدة صفاء روحها وعناصرها العربيـة وشمولها ، وان بقي السواد الاعظم من اهلهـا في لجج الامية والفقر والامراض المخلية الوبيئة ، وأن تأرث العداء والاحقاد بين طبقاتها ، وان امتلأ الأقباط والطوائف المسيحية الاخرى والجوالي الاجنبية بالخوف من المسلمين الذي جعلهم يرون في الانكليز الحماة المنقذين ويتمسكون بهم ، وان اكتظت دوائر الحكومة بالمستشارين والخبراء والموظفين الانكليز الذين كانوا اصحاب الامر والنهي في كل شأن ، وان انحصرت المناصب والوظائف بالمستسلمين المائعين والغرباء الطفيليين الذين يكونون آلات صماء في ايديهم ، وان ضعفت قوة مصر الحربية كمية وكيفية الى ان كادت تكون في حكم العدم ، وان كان منهج التعليم الضيق النطاق جداً ليس من شأنه الا تخريج طبقة الموظفين والمستخدمين الآليين الذين فقدوا الروح والحيويـــة . وظل الامر على هذا المنهج الفظيع نحو اربعين عاماً بالرغم عما كان من تململ ومحاولات وطنيـــة وإصلاحية ، ولم يتزلزل تزلزلاً جدياً الا بعد الحرب العالمية الاولى التي هزت العالم هزاً عنيفاً كان من أثره اليقظة الوطنية الحاضرة في مصر التي ما تزال تتعثر بما يضعه الانكليز في سبيلها من عراقيل .

وقد انتبهت فرنسا الى غفلتها وحماقتها اللتين تكررتا اكثر من مرة في حقبة قصيرة وكانتا سبباً لتغلب السياسة الانكليزية عليها في هذه الساحة ، حيث أخذت تستنجز الانكليز وعودهم التي اعلنوها بالجلاء عن مصر حالما يعود الأمن والطمأنينة

الى نصابها وتحرض الاستانه ومصر على ذلك ، غير ان الانكليز لم يبالوا وظلوا يكررون الوعود ويستمهلون الوفاء بها ، ثم رأوا أن يسكتوا فرنسا فعقدوا معها عام ١٩٠٤ اتفاقاً اطلقوا فيه يدها في مراكش مقابل سكوتها عنهم واطلاق يدهم في مصر ، فكانت هذه المؤامرة كاشفة لحقيقـــة نوايا الافرنسيين وزيف صداقتهم ومظاهرتهم لمصر ، ومظهراً من مظاهر الكيد الاستعماري الانكليزي الافرنسي ضد بلاد العرب واستقلالها ويقظتها ، كما كانت عاملاً من عوامل استقرار الاحتلال الانكليزي الذي ما يزال جاثماً على صدر مصر الى الآن ، حيث كانت فرنسا اقوى منافس لبريطانيا في هذه الساحة والدولة التي يمكن ان يحسب الانكليز لهـــا حساب الخطر فيها .

٦

الانكليز والجزيرة العربية

وقد رأينا أن التنافس بـــين فرنسة وانكلترة شمل جميع السواحل العربية منذ القديم ؛ ولقد عمل الانكليز ببراعة ودأب في هذه الساحة للتغلب على منافستهم من جهة ولتنسيق سياسة المواصلات الامبراطورية التقليدية من جهة أخرى ، فطفقوا يلفون حول عدن وسواحل جزيرة العرب الجنوبية والشرقية وخليج البصره منذ القرن السابع عشر ، ثم خطوا خلال القرن التاسع عشر خطوات حاسمة فتمكنوا من بسط سيطرتهم ، احتلالاً أو حماية وعهداً على عدن ومساحات واسعة ملحقة بها وعلى بريم وحضرموت والامارات العربية الاخرى الواقعة في جنوب الجزيرة ، ثم على مسقط وعمان والبحرين والكويت فضلاً عن احتلالهم نقاطاً عديدة على الجانب الفارسي من الخليج ، وكانت بوادر المزاحمة الالمانية التي أخذت تبدو منذ أواخر القرن التاسع عشر من عوامل بعض هذه الخطوات ، كما كانت هذه البوادر حافزة لهم على إعلان مقاومتهم لكل مزاحمة لهم في منطقة الخليج واعتبار ذلك عملا عدائياً موجهاً ضد مصالحهم فيها على لسان وزير خارجيتهم عام ١٩٠٣ . وهكذا طوقوا جزيرة العرب من الجنوب والشرق حتى أصبح لهم في طرفيها هـــذين سلسلة مراكز ومستعمرات ومحميات مهمة واصبحوا بالتالي ذوي شأن خطير في جزيرة العرب له آثار سلبية وايجابية في سير الحركة العربية الحديثة يمكن أن يذكر منها انعزال هذه

المناطق انعزالا تاماً عن هذه الحركة رغماً عما يبدو أحيانا من بعض سكانها ومشايخها وأمرائها من الرغبة في المشاركة فيها والالتحاق بقافلتها . وقد حفزتهم سياستهم هذه الى توطيد الصلات مع آل السعود أمراء نجد في قلب الجزيرة أيضاً منـــذ أواسط القرن التاسع عشر ، حيث عقدوا معاهدة معهم عام ١٨٦٥ ووثقوهـــا بثانية مع الامير (الملك) عبد العزيز عام ١٩١٥ ثم بثالثة مع الملك عبد العزيز عام ١٩٢٧ وقد انطوى في نصوص معاهدة ١٩١٥ ما يعد مثلا لمـــا كانوا وظلوا يتوخونه في صلاتهم مع أمراء وشيوخ الجزيرة العربية من حماية وهيمنة وإحتكار وتبعية حيث جاء في المادة الثانية ان الحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد أي حكومة تعتدي على أراضيه ولها أن تتخذ التدابير الشديدة في مثل هـــذه الظروف لاجل حفظ وحماية منافعه ، وفي الثالثة أن ابن سعود يتعهد بالامتناع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أي حكومة أو دولة أجنبية ، وفي الرابعة انه يتعهد بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة من الاراضي التي في حيازته ولا يمنح امتيازاً فيها لدولة أجنبية أو لرعايا دولة أجنبية دون رضاء الحكومة البريطانية وانه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه وفي السادسة يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتدخّل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعُمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترا والذين لهم معاهدات معها ...

- ٧ -

اصبع الانكليز في بلاد الشام

على ان حرصهم على السيطرة والنفوذ في الاقطار العربية الاخرى كبلاد الشام والعراق لم يكن أقل من حرصهم على السيطرة والنفوذ في الانحاء المذكورة آنفاً لانها هي الاخرى واقعة على طرق مواصلاتهم وداخلة بالتبعية في نطاق سياستهم التقليدية . غير أن سيطرة الدولة العثمانية عـــلى هذه البلاد كانت أشد وأفعل من سيطرتها على تلك الانحاء ، فسلكوا في سبيل ذلك مسلكا مختلفاً يهدف الى التمهيد والتوطئة للفرص المواتية كما فعلت فرنسا على مـا ذكرناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب ؛ حيث أخذوا يسيرون في سياسة البعثات الطبية والثقافية والدينية التي

أنشأت بعض المستشفيات والعيادات والمدارس والكنائس في فلسطين وبعض أنحاء الشام الاخرى . ولقد كانت فرنسا تزعم لنفسها الاولوية والامتياز في بلاد الشام وترسم الخطط التي تتسق مع هذا الزعم ، فرأت في أصابع الانكليز ومحاولاتهم منافسة وفضولية ، فكان تشاد خفي بين الانكليز والافرنسيين في بلاد الشام ظهرت آثاره بنوع خاص في الفتن الاهلية التي نشبت بين الدروز والموارنة في أواسط القرن التاسع عشر ، حيث أثبتت مدونات المعاصرين ومحاضر التحقيق تحريكات وصلات الانكليز بالدروز وتحريكات وصلات الافرنسيين بالموارنة كما ظهرت آثاره في ما كان من تسابق في نيل امتيازات السكك الحديدية والموانيء وغيرها في هذه البلاد

— ٨ —

تفكير الالمان على الانكليز

ولقد كانوا ظنوا أن اتفاقهم مع فرنسا عام ١٩٠٤ قد يهدىء من شدة هذا التنافس وقد يسمح لهم بالسير في ما يترصدونه من خطط بشيء من اليسر ؛ ولكنهم لم يلبثوا أن اصطدموا بمنافس جديد خطر هو الامبراطور غليوم الذي اخذ يوطد الصلات الحسنة مع السلطان عبد الحميد الثاني وينال منه الامتيازات الاقتصادية ويحرضه على الانكليز والافرنسيين معاً . وقد دفعه بسبيل ذلك الى احتلال موقع طابا على خليج العقبة حتى لا يبقى لمصر مركز على هذا الخليج يستفيد منه الانكليز الذين سيطروا على مصر في مشروعاتهم كما دفعه إلى احتلال الكويت وتقوية ابن الرشيد حتى يحرم الانكليز من بعض مراكزهم على خليج البصرة ويعكر عليهم صفوهم في هذه المنطقة ويعطل مشروعاتهم فيها ايضاً . ولكن الانكليز وقفوا موقفاً حاسماً من السلطان ، ولم يكن الألمان قد بلغوا من القوة الى حد البروز في الميدان جهرة فتراجع السلطان واعترف بشمول حدود مصر لطابا وسحب فصائله من منطقة الكويت ؛ ولم يعتم الانكليز أن أعلنوا حمايتهم رسمياً على الكويت .

مطامع الانكليز في فلسطين و شرق الاردن

ولم يكن إحتلالهم لمصر ليخفف من حرصهم على السيطرة على فلسطين وشرق الاردن وجميع خليج العقبة وكان حادث طابا منبهاً شديداً وحافزاً قوياً

لهم ، فأخذوا يترسمون الخطط ويترقبون الفرص ؛ وقد حاولوا تحقيق مآربهم قبل الحرب العالمية الأولى في سياق ما جرى من مساومات بينهم وبين روسيا وفرنسا عام ١٩١٢ حول تركة الدولة العثمانية فلم يصلوا إلى نتيجة ؛ فلما نشبت هذه الحرب عادت المساومات في الخفاء بين الدول الثلاث وتم الاتفاق في اوائل سنة ١٩١٦ على تقسيم الحصص فنال الانكليز فيما نالوه الاعتراف بأن تكون السواحل الممتدة من الحدود المصرية الى حيفا فعكا منطقة نفوذ إنكليزية ؛ أما بقية فلسطين فقد اتفق على جعلها دولية وكان هـــذا نصراً للانكليز لأنهم لم يكن لهم في فلسطين صلات ومزاعم تقليدية حتى ولا في أماكنها المسيحية المقدسة في حين كان الروس يدعون حماية الارثوذكس وحقوقهم والفرنسيون يدعون حماية الكاثوليك وحقوقهم. ثم عقد الانكليز والافرنسيون في نفس السنة وبعد الاتفاق الثلاثي بقليل معاهدة سايكس بيكو حيث ثُبت فيها خليج عكا الذي يضم ثغري عـــكا وحيفا كمنطقة إنكليزية وجعل للانكليز الحق بتمديد واستغلال خط حديدي يصل ثغر حيفا بالعراق ولم يمكن الاتفاق على فلسطين فجعلت ادارتها دولية كما كان الأمر في الاتفاق الثلاثي

على ان الانكليز لم ينوا في صدد فلسطين لأن حرصهم على السيطرة عليها كان شديداً كما قلنا (١) فاتخذوا أولا اليهود وحركتهم تكأة في سبيل تحقيق مآربهم ، حيث كانت فكرة استعمار واستيطان فلسطين قد أخذت تقوى في هؤلاء نتيجة لما كانوا يلقونه من اضطهاد وخاصة في وسط اوروبا وشرقها ولانتشار الفكرة القومية في العالم . وقد سعى اليهود بوسائط مختلفة من جملتها وساطة بريطانية نفسها لدى الدولة العثمانية لتحقيق فكرتهم هذه فلم يستطيعوا أن ينالوا إلاّ نتائج ضيقة المدى كانت مع ذلك نواة مشروعهم العظيم حيث تمكنوا مـن استملاك بعض الاراضي وانشاء بعض المستعمرات قرب يافا وحيفا ؛ حتى اذا كانت الحرب العالمية المذكورة تضامن اليهود مع الحلفاء وخاصة مع بريطانيا بسبيل مآربهم ؛ وسارع الانكليز

(١) نقل صاحب كتاب « من المشنعم في فلسطين » وهو انكليزي خطاباً للمستر ايمري احد اقطاب الاستعمار البريطاني وممن تولوا وزارة المستعمرات القاه في مجلس العموم في سياق الحديث عن الثورة الفلسطينية ووجوب قمعها في شهر حزيران ٩٣٦ جاء فيه « ان فلسطين تشغل مركزاً عسكريا على جانب عظيم من الاهمية من وجهة الدفاع عن الامبراطورية فهي ملتقى جميع الطرق الجوية بين هذه المملكة وبين افريقيا واسيا هذا الى أنها من اهم المراكز البحريه في البحر الابيض المتوسط في الظروف الحاضرة مما فيه ايضاح وجيز لهذا الحرص الشديد من وجهة النظر الاستعمارية الانكليزية .

إلى تبني قضيتهم حينما لاح لهم النصر واحتل قائدهم العام اللنبي المناطق الجنوبية في فلسطين وصار احتمال احتلالهم سائر فلسطين قوياً فأصدروا تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ؛ وقد جاء مصداق ظنهم وشيكا بعض الشيء حيث احتلوا القدس في ٩ كانون الاول من السنة نفسها ؛ ثم اخذوا ثانياً يضغطون على فرنسا بعد الهدنة وفي اثناء العهد الفيصلي ويقيمون في وجهها العراقيل ويثيرون عليها الافكار والعواطف ويستعينون باليهود أيضاً حتى اضطروها الى التسليم بسيطرتهم على فلسطين بدلا من الادارة الدولية وسلخ منطقة شرق الأردن التي كانت جزءاً من سوريا إدارياً في ذلك العهد وقبله والتي كانت بالتالي مما يقع في نفوذ فرنسا والموافقة على دخول المنطقتين تحت إنتدابها وسيطرتها نهائياً .

- ٩ -

العرب والانكليز في مجال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ العالمية

على أن اكثر ما مر من الاحداث - باستثناء ما جرى أثناء الحرب العالمية الاولى - قد لا يكون منطوياً على المناوأة للفكرة العربية والحركة العربية الحديثة مباشرة . لأن هذه الفكرة والحركة بسبيلها لم تكن قد برزت وانتشرت بعد ، ولأن الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على اكثر بلاد العرب كانت ما تزال قائمة تتمثل فيها الخلافة الاسلامية ويعد العرب فيها جزءاً غير منفصل عنها لم يكونوا من ناحية الحركة والنشاط في صدد دعوة قومية وكيان خاص منفصل ، وإن كان له اثر خطير في الادوار التالية التي ظهرت فيها الفكرة وجرى تيارها وقامت حركاتها ، ويمكن أن يعد البذرة الاولى للسياسة الانكليزية واساليبها ومكائدها في بلاد العرب ، حيث تمثل فيها حرص الانكليز على السيطرة على بلاد العرب بأي شكل واسلوب ، وعرقلة اي نشاط قوي قد يؤدي الى خروج هذه البلاد من هذه السيطرة أولا ، وعدم الرضاء عن منافس سياسي لهم فيها ثانياً ، وغدو ذلك سياسة تقليدية لهم .

أما الأدوار التالية التي ما زالت مستمرة والتي كانت مجال نضال وأخذ ورد والمتصلة بالحركة العربية الحديثة فانها قد تهيأت بمناسبة الحرب العالمية الأولى التي نشبت عام ١٩١٤ .

وقد أشرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب إلى ما كان من استغلال الانكليز لعواطف العرب وطموحهم وحركتهم القومية الحديثة ، ولما نال رجالهم القوميين من قسوة واضطهاد بسبيل ذلك ، وإلى ما كان من استغلالهم كذلك لمركز الحجاز المعنوي والمادي ؛ فكان ذلك الاتصال المعروف بينهم وبين الملك حسين رحمه الله الذي انتهى باعلان الثورة العربية الكبرى وانحياز العرب الى جانب المعسكر الانكليزي ضد الدولة العثمانية فكان ذلك بـــدء صلتهم بالحركة العربية الحديثة بصورة عملية وجدية على ما ذكرناه كذلك في الجزء المذكور .

— ١٠ —

نية الغدر المبيتة من الانكليز للعرب ومظاهرها

والناظر في الأدوار الأولى لهذه الصلة يرى ان الانكليز قـــد بيتوا النكث والغدر والكيد للحركة العربية وأهدافها منذ خطواتهم الاولى ، وترسموا أن لا تخرج هذه الحركة عن النطاق الذي تكون فيه البلاد العربية والسياسية العربية الحديثة دائرة في فلكهم وسيطرتهم ونفوذهم واستغلالهم ، وان تكون قصارى الصداقة العربية الانكليزية صداقة العبيد مع الاسياد إن صح هـذا التعبير مع الاحتفاظ بحرية خيانتها ايضاً ؛ وما يتسق مع هذا من اساليب وخطط متنوعة ؛ بالرغم مما بدا من إخلاص وتوجه صادق من العرب نحوهم ورغبة اكيدة في التضامن والتعاون معهم على اساس الصداقة النزيهة الدائمة التي تضمن في نطاقها مصالح الطرفين .

ويبدو كل هذا واضحاً (١) في رسائلهم للملك حسين بالرغم مما احتوته من القاب التفخيم والتعظيم والعبارات الطنانة الرنانة بالاستقلال العربي والحرية العربية والامجاد العربية وخاصة في رسالة مكماهون المؤرخة في ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ التي تقيد العرب باستشارة ومعونة وادارة بريطانيا وحدها والتي تصر على سلخ ولايتي بغداد والبصرة عن جسم الدولة العربية وجعلها تابعة لادارة وتنظيم بريطانيا وفي رسالة مكماهون المؤرخة في ١٣ دسمبر ١٩١٥ التي ظلت تصر على مسألة بيروت والسواحل الشامية بالرغم عن اعتراضات الملك وملاحظاته . (٢) في ما كان من اتفاقهم مع الروس والافرنسيين اولا ثم مع الافرنسيين ثانياً على تقطيع اوصال البلاد الشامية والعراقية تقطيعاً فظيعاً . وجعلها مناطق نفوذ واستعمار واستغلال قبل ان يجف مداد تلك

الرسائل العهدية، وفي حين كانوا يدفعون فيه العرب الى الثورة ويستغلون عاطفتهم وامانيهم ودماءهم إلى ابعد حدود الاستغلال. (٣) في المؤامرة الانكليزية اليهودية وتصريح بلفور الذي كان عنواناً لها والذي صدر والدماء العربيـة تراق والجهود العربية تبذل والمتطوعون العرب من فلسطين وغير فلسطين يزحفون الى جبهة الثورة بقيادة فيصل بن الحسين .

ولقد كانت مواقفهم عقب الهدنة من العرب والحركة العربيـة في هذا النطاق الذي ترسموه ؛ حيث استغلوا ثقة العرب بهم واركانهم اليهم الى ابعد حدود الاستغلال في ما كان بينهم وبين الافرنسيين من تنافس ونشاد اضطروهم به الى التنازل عن مطامعهم في الموصل وفلسطين وادخالها في منطقة نفوذهم وسيطرتهم، وحيث استغلوا ارتباك فيصل بسبب موقف فرنسا منه لدى مجلس الصلح فجعلوه يغضي عن الكلام عن العراق وفلسطين والوحدة العربية بل ويساير اليهود في آمالهم ومطامعهم في انشاء الوطن القومي في فلسطين في الكتاب الذي وقعه لوايزمان بالحاح لورانس والذي ضمنه بعض التحفظات ؛ حتى إذا ظفروا بكل ما ارادوا نبذوهم في سوريـــا التي كانت تتمثل فيها الثورة العربية والحركة العربية والاهداف العربية نبذ النواة ، ونفضوا ايديهم منهم ، ولم يبالوا بالصدمة الحاطمة التي صدمت العرب من حقيقة موقفهم الباغي معهم ، وخلوا بينهم وبين فرنسا فكان ما كان من غزوة غورو وهدم العهد الفيصلي ، وما ترتب على هذا من كوارث وفواجع مثلتها فرنسا على مسرح سوريا ولبنان مما المعنا به في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

اما ادوارهم التطبيقية في البلاد العربيـة الاخرى التي نكبت بهم قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها مما يتصل بالحركة العربية واهدافها فقد كانت في نطاق تلك النية المبيتة والخطة المترسمة وصادرة عنها .

وتفصيل ذلك هو ما سوف تدور عليه ابواب وفصول هذا الجزء والاجزاء التي تليه ان شاء الله .

الباب الاول

الانكليز وفلسطين

تمهيد

ادوار القضية الفلسطينية والاسهاب فيها بعض الشيء

ان الكلام على هذا الباب قد استغرق حيزاً كبيراً حيث اسهبنا بعض الاسهاب في كثير من احداث فلسطين ومشاهد قضيتها وادوارها على خلاف ما ترسمناه في الجزئين الاول والثانى من الكتاب .

وقد جاء ذلك نتيجة لاعتبارين . الاول : اننا كنا شهود عيان من جهة ، وفي بهرة العمل في هذه الاحداث والمشاهد والادوار من جهة ، وكنا ندون مذكرات في صددها من جهة ، فرأينا ان هناك أشياء كثيرة يحسن نشرها والتعليق عليها بشيء من الاسهاب خدمة للتاريخ السياسي والنضالي لهذا القطر العربي وقضيته . اما الاعتبار الثاني فهو ان قضية فلسطين غدت بعد سنة ١٩٣٠ خاصة ثم بعد سنة ١٩٣٦ قضية عربية عامة عمليا ، ثم تطورت الى ان غدت قضية العرب الكبرى ، شغلت من جمهورهم وحكوماتهم الاذهان والقلوب والاوقات والجهود ، واثارت فيهم الحسرات والهموم والاشجان ، وصارت مجـــالا لأعظم حادث تاريخي عربي بدخول جيوش الدول العربية في حرب اجماعية في سبيلها ، فاقتضى الأمر كذلك الكلام عن الصور والمشاهد والظروف التي اشترك العرب وحكوماتهم فيها في هذه القضية والتعليق عليها بشيء من الاسهاب .

ومع ذلك فمن الحق ان نذكر اننا لم ندون كل شيء وانه قد فاتنا اشياء كثيرة ذهبت عن الذاكرة أو لم نشهدها ولم يتيسر لنا الاطلاع عليها من جهود ومشاهد.

ولقد مرت القضية الفلسطينية ومكائد الانكليز للعرب وحركتهم القوميـــة بطريقها في ستة أدوار بارزة كان ينتهي كل دور منها بكيد أو مكر او نكث ، ويمتد أولها الى سنة ١٩٣٠ حيث نكث الانكليز بعهدهم الذي قطعوه في الكتاب الابيض

الصادر نتيجة لثورة البراق وتقارير لجنة شوو سبمسون . ويمتد ثانيها الى سنة ١٩٣٧ حيث حاولوا ان يحققوا غايتهم فتبنوا حل التقسيم وانشاء دولة يهودية في أفضل وأحسن بقاع فلسطين ، ويمتد ثالثهـــا الى سنة ١٩٣٩ حيث أخفق المؤتمر العربي الانكليزي الذي انعقد في لنـــدن نتيجة لثورة فلسطين الكبرى بسبب عناد الانكليز ومواربتهم ورفضهم للانصياع للحق والمنطق وحيث اصدروا الكتاب الابيض الذي احتوى من التعقيد والغموض والتضليل ما فيه الدليل على سوء نيتهم عند اصداره ، ويمتد رابعها الى سنة ١٩٤٥ حيث يتناول تطورات القضية بالنسبة لليهود والعرب أثناء الحرب العالمية الثانية وحيث اخفقت جهود العرب في سبيل حلها حلاً عادلا ، ويمتد خامسها الى خريف سنة ١٩٤٧ حيث نقض الانكليز فيه سياسة الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ الموافق عليها من برلمانهم وفتحوا باب الهجرة الذي تعهدوا بسده سداً تاماً ، واشركوا اميركا في القضية واعادوها عوداً على بدء وحيث اخفق مؤتمر لندن نتيجة لذلك فانتقلت القضية الى هيأة الامم التي قررت تقسيم فلسطين . اما سادسها فقد دار الكلام فيه عن ما كان من احداث بعد قرار التقسيم كان للانكليز فيها انكى المكائد وأشدها خطورة كانت العامل الاقوى في قيام الدولة اليهودية وتوطدها واخفاق الكفاح العربي الاجماعي ..

وبسبب الاسهاب الذي شرحنا باعثه في ادوار القضية الفلسطينية اضطررنا ان نوزع احداث ووقائع هذه الادوار على جزئين ، هذا الجزء ويدور الكلام فيه على الادوار الثلاثة التي امتدت الى بدء الحرب العالمية الثانية ، والجزء الرابع حيث يحتوي الكلام عن بقية الادوار .

الدور الاول

١٩١٧ — ١٩٣١

— ١ —

مدى نكبة فلسطين بوعد بلفور

لقد كانت الضربة التي وجهها الانكليز للعرب وحركتهم القومية الحديثة بوعد بلفور والنكبة اليهودية اشد الضربات واوجعها وابعدها نكاية وأثرا في كيان العرب واهدافهم .

ففلسطين عقدة الصلة بين الاقطار العربية الشمالية والجنوبية أو الاسيوية والافريقية ، واتصال هذه الاقطار ببعضها اتصالا لا تقاطع فيه من اهم مميزات القضية العربية وعناصرها. وهي بعد قطر اصيل من هذه الاقطار لا تشوب عروبته شائبة ما تضعف من شأنها فيه ، حيث كان مهجراً من مهاجر الموجات العربية قبل الاسلام، ثم خلدت عروبته بالموجة الاسلامية الكبرى التي جرت بينها وبين الرومان فيه معارك طاحنة استشهد فيها الالوف من مجاهدي الفتح الاول ودفن في تربته فيمن دفن ابو عبيدة القائد العام لجيوش الفتح وشرحبيل وعكرمة وغيرهما من كبار القواد والصحابة ، وخلدت صلة قدسيته بالاسلام في القرآن وبما كان من الاسراء النبوي اليه ، وكان له بعد بضعة قرون دور عظيم في سجل تاريخ النزاع بين الشرق والغرب استمر مئتي عام ودفن في تربته كذلك عشرات الوف الشهداء من العرب والمستعربين المسلمين ، وانتهى بدحر الغرب عنه وتخليد صفته العربية الاسلامية ومدنه القبائل العربية بعد ذلك بموجاتها التي خلدت اسماءها في مختلف بقاعه مثل ديار بني حسن وبني مره وغسانه والحوارث والحارثية وبني عامر وغيرها وغيرها فضلاً عن الموجات التي ما زالت تحتفظ بصفتها وطابعها القبيلي البدوي والمتوطنة في انحاء عديدة منه في الجنوب والشرق والشمال ، وكان رجال فلسطين وشبابها في ابّان انبثاق الحركة العربية الحديثة العملي في طليعة الصفوف ، وكانوا من الاركان التي قامت عليها هذه الحركة في مختلف مظاهرها وادوارها على ما ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب .

والقضية الصهيونية كانت تنطوي منذ البدء كما شرحه باعثوها وايده مؤتمراتها ونادى به رجالها على اختلاف صفاتهم منذ نشأتها في القرن التاسع عشر على حشر الملايين من اليهود من مختلف أنحاء الارض ، واقامة كيان قومي يهودي بلغة قومية وأمجاد قومية في ما سموه «الدولة اليهودية» التي اعتبروا فلسطين قاعدتها والتي حدودها من الفرات شمالا الى النيل جنوباً بزعم انها مواطن اسرائيل التاريخية الاولى ، والتي رأوا أنها الوسيلة الوحيدة الى انتظام اليهود في سلك الامم الاخرى ذات الكيان الخاص والحياة المستقلة ، والعلاج الوحيد للحالة التي ارتكس فيها اليهود من جراء تبرم سائر الامم بهم بسبب طبيعة جبلتهم بقطع النظر عما في هذا من مناقضة لطبيعة الاشياء ومغايرة للحقائق ، وعدم اتساقٍ مع المنطق والعلم .

وواضح أن هذه القضية بهذه الاسس التي تقوم عليها والاهداف التي تهدف اليها ترمي الى قلع جذور العرب وهدم كيانهم في فلسطين العربية اولا وفي امتدادات تلك الحدود المجاورة لها بعد ذلك ، وقطع عقدة الصلة التي تربط المواطن العربية في آسيا وأفريقيا ببعضها ثانية ، وتؤدي ثالثا الى نشوب صراع شديد ومديد بين العرب واليهود وحفز هؤلاء الى الحيلولة دون قيام كيان عربي قوي وموحد ودون أي تقدم عربي في ميادين السياسة والاقتصاد والصناعة والتجارة لان كل هذا مما يكون عثرة في سبيل أهدافهم ، وحفزهم كذلك الى التضامن التام الوثيق والمستمر مع كل عدو للعرب ضد كل حركة ونشاط وحيوية عربية في أي مجال من مجالات الحركة والنشاط والحيوية ، وصيرورتهم عونا له في سبيل إبقاء العرب متفرقين ضعافا فاقدي الحيوية والنشاط ، مستغلين منهم ومن يتضامنون معه من الاعداء إستغلالا سياسيا واقتصاديا .

ولقد قلنا آنفا ان الانكليز قد تبنوا منذ الأصل سياسة إيجاد كيان يهودي سياسي في قسم من فلسطين على الاقل . ويؤيد هذا أن كبار ساستهم الذين أصدروا

تصريح بلفور واشتركوا في تطبيقه فقد قرروا في مناسبات عديدة أنهم كانوا يدركون أن هذا التصريح ينطوي على قيام دولة يهودية في المستقبل على ما جاء بصراحة في مذكرات هربرت صموئيل التي نشرت في سنة ١٩٤٦ ، وحتى شرشل الذي أصدر في سنة ١٩٢٢ حينما كان وزيراً للمستعمرات كتاباً أبيض أكد فيه « إن هدف التصريح هو إنشاء وطن روحي لليهود وأنه لا ينطوي على أي حال على أي مدى من شأنه فرض رعوية يهودية على أهل فلسطين أو قيام دولة يهودية فيها ، وان الآمال التي يعلقها اليهود عليه غير قابلة للتحقيق ، وان مخاوف العرب لا مبرر لها » لم يتورع عن تقرير ذلك في الحقبة الأخيرة - عام ١٩٤٦ - ومطالبة حكومة العمال بتنفيذه .

التوافق بين اغراض الانكليز الاستعمارية وبين الصهيونية

وبصرف النظر عما اذا كان الانكليز رأوا في سعة آمال اليهود خيالاً غير قابل التحقيق أم لا فإن إيجاد كيان يهودي سياسي حتى في قسم من فلسطين وهو ما تبنوه منذ البدء على الاقل كان متسقا مع السياسة التي ترسموها بالنسبة للعرب والتي ذكرناها قبل ؛ حيث كانوا يقدرون أن هذا الكيان سيظل خاضعا لنفوذهم وداثراً في فلكهم وفي حاجة دائمة الى حمايتهم ورعايتهم (١) وسيكون في الوقت نفسه مشغلة للعرب يشغل قواهم ويورثهم الهم الدائم ، وإسفينا في بلادهم يعرقل كل محاولة للوحدة أو الاتحاد فيما بينها، وسيكون كذلك وسيلة دعاية وتخويف للعرب وذريعة الى حفظ التوازن بينهم وبين اليهود وإثارة الشعور في العرب أيضا بالحاجة الدائمة اليهم وضمان البقاء في فلكهم أبداً . مما يدل فضلاً عن النية الانكليزية المبيتة لضمان تحقيق السياسة المرسومة على قصد تضليل العرب وتخديرهم في الخطوات الاولى التي كانوا فيها أقوى من اليهود في فلسطين وقد أدركوا مدى ما ينطوي في التصريح من شر رهيب وهبوا للنضال بعده .

---

(١) يقول كاتب انكليزي كان ذا منصب في البلاد العربية في كتاب له سماه «من المتنعم في فلسطين» وترجمه عبد الستار فوزي الى اللغة العربية وطبعه سنة ١٩٣٧ : « ان رجال الاستعمار الانكليزي كانوا يرون ان اليهود بناء على وضعهم السيء في مختلف البلاد وما لديهم من رؤوس الاموال الهائلة هم خير من يمكن ان يكون آلة للاستعمار البريطاني في فلسطين» وهذا ما جعلهم يتبنون قضيتهم فضلا عن اتخاذهم تكأة لنيل الانتداب على فلسطين.

تحفظات الانكليز في صدد فلسطين

وهذه الدلالة قائمة في انكار الانكليز شمول عهود الملك حسين لفلسطين كلما ادعى العرب ذلك وادعائهم بأنهم قد استثنوها حينما تحفظوا بالمناطق الواقعة غرب الشام وحمص وحماه وحلب بينما كان تحفظهم منصباً بصراحة تامة على لبنان وسواحله على اعتبار أن لفرانسة مزاعم فيها ، وبينما لم تكن فلسطين واقعة غرب تلك المدن ولم يكن لفرنسا فيها تلك المزاعم التي كانت تزعمها في لبنان وسواحله، حيث كانوا بهذا الانكار والادعاء يكشفون عن نيانهم التي بيتوها منذ البدء باقتطاع فلسطين من جسم البلاد العربية واختصاصها لتطبيق هذه السياسة التي ترسموها للكيد للحركة العربية والامة العربية فضلا الى ما فيها من محاولة للتخلص من دمغة الغدر والنكث التي دمغتهم (١)

مطامع اليهود الرهيبة منذ البدء

على أن اليهود أنفسهم قد ادركوا انطواءه على هذا المدى منذ صدوره . فقد زار وايزمن القدس عقب دخول الانكليز اليها في ٩ كانون الاول ١٩١٧ وجمع له الحاكم الانكليزي العسكري بعض زعماء العرب في دار الحكومة فخطب فيهم معلناً ابتهاجه بتيسير عودة اليهود إلى وطنهم وحسن نواياهم نحو مختلف طوائف السكان بما أثار هؤلاء الزعماء وحملهم على ترك الاجتماع ساخطين ، وأخذوا ينذرون بني قومهم بما يبيت لهم . وقد صدرت تصريحات عديدة في اوقات مختلفة ومنذ اوائل الاحتلال من زعماء يهود مسئولين وبارزين تدل على ذلك الادراك أيضاً حيث جاء في كتاب « الجار » الذي الفه الفردموند (اللورد ملنشت) : « إني أتطلع الى ذلك اليوم الذي تصبح فيه فلسطين وشرق الاردن وحدة تحكم نفسها ضمن حدود الامبراطورية البريطانية وتشغل مركزاً على جانب عظيم من الاهمية في مشروع تلك الامبراطورية الواسع في الوجهات العسكرية والتجارية والثقافية وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود المخلصين الذين تربطهم بالامبراطورية رابطة الوطن والمدنية » وحيث صرح النان من زعماء الجمعية الصهيونية التي كانت هي الهيئة الرسمية المعترف بها امام لجنة تحقيق بريطانية في سياق حوادث ثورة عام

(١) سنعود الى بحث هذا الادعاء في مناسبات اخرى .

١٩٢٠ التي نشبت في يافا وامتدت الى انحاء كثيرة من المناطق المجاورة لها :

« إن فلسطين يجب أن تكون يهودية كما أن انكلترا انكليزية و كندا كندية ، وإن الخدمة العسكرية وحمل السلاح يجب ان يكونا محصورين باليهود دون العرب وانه لا يمكن أن يكون في فلسطين الا وطن قومي واحـــد هو الوطن القومي اليهودي بدون مساواة في الاشتراك بين اليهود والعرب بل سيادة اليهود وتفوقهم حالما يكون عددهم قد زاد لدرجة كافية » . وقد أعلن اليهود نياتهم بصراحة نحو الحرم الشريف منذ البدء مما ينطوي على نفس الادراك والمدى حيث جاء في تقرير لمدير فلسطين العـام الانكليزي العسكري بتاريخ ٧ حزيران ١٩٢٠ : « ان نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفاقه قدموا طلباً مؤيداً من إبراهيم اسحاق كوك رئيس الحاخامين ومجلس الربانيين بوضع يد اليهود على حائط المبكى وجميع مكان الهيكل الذي هو الحرم القـــائم في وسطه مسجدا الصخرة والأقصى . » ، وحيث نشر الفردموند الذى نقلنا بعض امانيه قبل قليل مقالا قال فيه « إن اليوم الذي سيعاد فيه الهيكل أضحى قريباً وإني سأكرس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الاقصى (١) » . وقد قدمت تقارير عن تحقيقات عام ١٩٢٠ وعـن طلبات زعماء اليهود بالهيكل الى الحكومة الانكليزية وعلمت بها ثم قدمت احتجاجات عربيـة اليها . ولكن هذه الحكومة استمرت في سياستها مـع محاولة التسكين والتخدير وهي على علم بما فيها من تضليل وزيف ، وبما يعنيه اليهود فيما قالوا وطلبوا مـن جد وعزيمة .

وإذا كان زعماء اليهود البارزون والمسئولون كفوا عن مثل هذه التصريحات حينما أخذت تثير العرب في وقت كانوا فيه أقلية ضئيلة وضعيفة بل واعلنوا موافقتهم على ما جاء في كتاب تشرشل الأبيض بسبيل تسكين هياج العرب فإن زعماء آخرين ظلوا يرددون ذلك في كل فرصة حتى انهم الفوا حزباً بين سمع الانكليز وبصرهم سموه « حزب الدولة اليهودية » وجعلوا مـن أهدافه شمول الدولة المذكورة شرق الاردن وغربه معاً ، وكان يشترك في انتخابات المجالس اليهودية ويبعث بمندوبيه

(١) مما كان ينشره اليهود في هـذه الآونة بسبيل الدعاية وبسبيل التعبير عـن نياتهم نحو الحرم الشريف صور للحرم ومساجده وعليها الرموز الصهيونية والكتابات العبرانية كما ترى في الصورة التي أثبتناها امام هذه الصحيفة .

اليها . وهذا فضلاً عن تصريحات يهودية عديدة بمطامع اليهود في جميع الساحة التي تقع بين الفرات والاردن وبهتافهم للعرب بأن يقوضوا خيامهم من فلسطين ويرحلوا إلى الصحراء وبطبعهم خريطة الدولة اليهودية الكبرى ونشرها في كتبهم وتعليقها في بيوتهم ومؤسساتهم منذ ذلك الوقت .

- ٢ -

سوء نية الانكليز منذ البدء

وسوء نية الانكليز نحو العرب كان منذ البدء أيضاً ، حيث كان تصريح بلفور منصباً على اعتبار اليهود هم الأصل، وحيث سموا العرب باسم الطوائف غير اليهودية بما يمت إلى ذلك الادراك (١) وفعلوا مثل هذا في صك الانتداب حيث لم يذكروا العرب وعبروا عنهم بالطوائف الاخرى .

وقصة صك الانتداب (٢) نفسه تدل على ان الانكليز كانوا منسجمين كل الانسجام في القضية الصهيونية وأهدافها على المدى الواسع الرهيب الذي كان اليهود يترسمونه ويهدفون اليه . فالصك قد كان في أصله المنهج الذي وضعه وقدمه زعماء اليهود بعد صدور تصريح بلفور والذي تفاهموا مع الحكومة الانكليزية على السير عليه ، فلما تقرر إنتداب انكلترا رسمياً على فلسطين في نيسان عام ١٩٢٢ كان هذا المنهج هو الذي قدمته الحكومة الانكليزية ليكون صك الانتداب كما ورد ذلك بصراحة في تقرير لجنة التحقيق الملكية سنة ١٩٣٧ . (٣)

---

(١) هذا نص التصريح وهو موجه الى اللورد روتشلد : « يسرني جداً أن ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح الى المشروع الذي يراد به انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل خير مساعيها لتحقيق هذا الغرض . وليكن معلوماً أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي .

(٢) جعلنا الصك من ملاحق الكتاب رقم (١)

(٣) هذا نص ما جاء في التقرير :

« وفي الثالث من شباط سنة ١٩١٩ عرضت الجمعية الصهيونية صورة قرار يتضمن المشروع الذي وضعته لتنفيذ مشروع بلفور وحضر زعماء هذه الجمعية أمام المجلس الاعلى في جلسته المنعقدة في ٢٧ شباط وشرحوا الموضوع . ثم وضع المستر فيلكس فرانكفورتر وهو من الصهيونيين الاميركيين البارزين مشروعاً أكثر تفصلاً من السابق في ٢٨ آذار . ومما يتضح من هذه الوثائق ومن الوثائق الاخرى أن المشروع الصهيوني قد اتخذ شكل صك الانتداب الذي نعرفه » .

والمادة الثانية منه تنص على مسئولية الحكومة المنتدبة عـــن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية وإقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي .

والمادة الرابعة تخول الجمعية الصهيونية التي تحولت فيما بعد الى الوكالة اليهودية حق الشورى والمعاونة في إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي ومصالح اليهود ومشاركة الحكومة في ترقية مرافق البلاد كما تخولها الحصول على معونة جميع اليهود في انشاء الوطن القومي . والمادة السادسة أوجبت على الحكومة المنتدبة تسهيل هجرة اليهود وتنشيطها بالاتفاق مـع الجمعية الصهيونية وتيسير استقرار اليهود في اراضي الدولة وفي الاراضي البور وهـــذه الأراضي وتلك مما كان يزرعه وينتفع به العرب . والمادة السابعة أوجبت عـــلى الحكومة سنّ قانون يسهل على اليهود الحصول على الجنسية الفلسطينية . والمادة الحادية عشرة نصت على اتفاق الحكومة مع الجمعية الصهيونية عـلى استثمار الاعمال والمصالح والمنافع العامة وترقية مرافق البلاد الطبيعية ، وأوجبت كذلك وضع نظام للاراضي يتفق مع نتائج تشجيع وإكثار المهاجرين وإستغلال الأراضي أعظم ما يستطاع من استغلال .

وهكذا جعل المنهج الذي وضعه اليهود وقبلت به الحكومة الانكليزية كصك للانتداب واخذت موافقة عصبة الامم عليه وسارت في تطبيقه بكل حماس ونشاط وغيرة اليهود كل شيء في فلسطين ، وجعل الانتداب تابعاً للقضية اليهودية ومسئولاً عن تحقيق اهدافها وعن اشراك اليهود في جميع الاعمـال والمشاريع بسبيل ذلك . وليس من المعقول ان يكون الانكليز قد سمعوا كل تلك التفسيرات وقبلوا المنهج بحذافيره إلا وهم على بينة من الأمر وبالتالي إلا وقد صمموا على اتخاذ القضية الصهيونية وسيلة من وسائل السياسة التي ترسموها نحو العرب منذ البدء .

عدم الجدوى في الاستدراكات الموجودة في صك الانتداب

نقول هذا ونحن نعرف ان تصريح بلفور وبعض مواد صك الانتداب قد احتوت نصاً بأن لا تضار حقوق ومركز الطوائف غير اليهودية . ولكن هـذا إنما كان تحذيراً وتعمية زائفة ومكشوفة على ما كان اليهود والانكليز منسجمين فيه ؛ لانه كان واضح الاستحالة منذ البـدء حيث لم يكن اغبى الناس ليجهل ان في ذلك

تعارضاً وتناقضاً ، وان تكاثر عدد اليهود بالهجرة سيخل بمركز العرب السياسي ، وان اختصاص الجمعية الصهيونية فالوكالة اليهودية بمشاركة الحكومة في اعمالها وتخويلها حق القيام بالمشاريع والمصالح والمرافق العامة المتنوعة بسبيل تقوية الوطن القومي، وتسهيل استقرار اليهود في اراضي الحكومة التي ينتفع ويرتفق بها العرب والتي هي مجالهم الحيوي عاجلاً وآجلاً ، وتسهيل انتقال الاراضي لليهود الذي سيضيق مجال الرزق والارتفاق على العرب وانسالهم ، كل ذلك من شأنه ايقاع الاضرار بمركز العرب وحقوقهم من جميع النواحي . يضاف الى هذا ان صك الانتداب الذي بني على المادة (٢٢) من عهد جمعية الامم المعترفة مبدئياً باستقلال البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية والقائلة بالانتداب للارشاد فحسب قد صيغ بقالب شاذ مناقض لهذه المادة ولصكوك انتداب سوريا ولبنان والعراق حيث لم يوجب على الحكومة الانكليزية إقامة حكم وطني تكون مرشدة فيه وانما جعل حكومة فلسطين جزءاً من الانتداب او الحكومة المنتدبة ، ولم يكن منتدب ومنتدب عليه في فلسطين . وطبيعي انه قصد بهذا ان لا يكون حكم وطني لان العرب سيكونون فيه الاكثرية فلا يتحقق معه المنهج اليهودي الذي قبله الانكليز بحذافيره لاتساقه مع السياسة التي ترسموها كما ورد ذلك بصراحة في الكتاب الابيض الذي اصدره شرشل عام ١٩٢٢ .

التضليل والنفاق في صدد تعارض الالتزامات

ولهذا كان من السخرية البالغة بالحقائق المعروفة منذ الاصل ومن التضليل والنفاق اللذين هما طابع السياسة الانكليزية ان يعترف الانكليز في سنة ١٩٣٧ بأن السياسة التي التزموها في فلسطين متعارضة لا يمكن التوفيق بينها وذلك حينما قرروا تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في افضل اقسامها، وان يكرروا اعترافهم بذلك في سنة ١٩٤٦ حينما ارادوا العودة الى التقسيم الاتحادي وقرروا نسف الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ ثم في سنة ١٩٤٧ حينما رفعوا الامر الى هيأة الامم المتحدة وهم متيقنون ان التقسيم هو الحل المحتوم ؛ ولاسيما ان هذه الاعترافات قد جاءت بعد ان نفذوا المنهج اليهودي بكل حماس واهملوا قيد مراعاة حقوق غير اليهود ومركزهم اهمالا لئيما ضاربين بصراخ العرب وشكاويهم واحتجاجاتهم وثوراتهم وبراهينهم عرض الحائط . .

الخطوات الاولى في فلسطين وصداها

واقد قلنا ان الانكليز اخذوا في تنفيذ المنهج اليهودي بكل حماس وقوة منذ البدء . فقد فتحوا ابواب فلسطين للهجرة اليهودية منذ ان احتلوا موانئها ومدينة القدس وقبل ان يحتلوا سائرها ، واستقبلوا وايزمن وزعماء اليهود الآخرين بالحفاوة وسمحوا لهم باعلان آمالهم واهدافهم منذ وقت مبكر . ثم عينوا في سنة ١٩٢٠ هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً كبرهان على انهم متفقون مع اليهود على دمغ فلسطين بدمغة الحكم اليهودي منذ اول الحكم المدني فبرز هذا في صورة اول ملوك اليهود في فلسطين ، وكان وسيلة من وسائل اثارة عاطفة اليهود وحماسهم في مختلف انحاء الارض ولفت انظارهم وافكارهم الى فلسطين ، وجعلهم يقتنعون بأنها اصبحت تحت الحكم اليهودي ومطبوعة بالطابع اليهودي ليقبلوا على الهجرة اليها ومد يد المساعدة على تحقيق الاهداف الصهيونية فيها . وقد جاء الى فلسطين وهو مقتنع بأن مهمته انشاء حكومة يهودية في فلسطين حيث صرح بهذا امام كبار موظفي الحكومة من الانكليز قائلاً: « ان سياسة حكومة جلالته التي جاء لتطبيقها هي تشجيع اليهود الى ان تصبح السيطرة لهم على البلاد ويمكن انشاء حكومة يهودية » على ما جاء في مقال نشره الكولونيل بوبام من كبار موظفي حكومة فلسطين في عهد مندوبيته .

ومع أن المعروف أن صاحب هذا المنصب هو بمثابة وكيل الدولة المنتدبة أو الوصية أو الحامية لدى الدولة المنتدب عليها او المحمية فان هذا المعنى قد شذ في فلسطين حيث كان المندوب السامي بمثابة الحاكم العام ورئيس السلطات التشريعية والتنفيذية واحياناً كان يجمع الى ذلك منصب القائد العام ، ولم يكن هناك دولة محمية او منتدب عليها .

الجهاز الاستعماري الصهيوني

ولقد أخذ هذا المندوب منذ وطئت قدماه فلسطين يسير في السياسة المرسومة، ويقيم جهازاً حكومياً على أساس انه جهاز مستعمرة انكليزية تتهيأ ليستلم اليهود مقاليدها وتكون لهم المشاركة التامة في هذه التهيئة ايضاً .

وقد أقيم على رأس كل دائرة من دوائر هذا الجهاز موظف انكليزي مسيحي او يهودي وعلى رأس كل مقاطعة حاكم انكليزي كما عين في كثير من الوظائف المهمة والقانونية في الدوائر المركزية ودوائر المقاطعات موظفون انكليز مسيحيون ويهود وموظفون يهود وغير يهود من غـــير الانكليز منهم الفلسطيني ومنهم غير الفلسطيني بحيث كان الجهاز وظل دائماً يبدو كالمرقعة من كثرة الالوان والبلدان والجنسيات ، وكان لليهود خاصة فيه نصيب الاسد حيث كان عددهم وظل يفوق نسبتهم أضعافاً مضاعفة ، وكان نصيب أكثر العرب وخاصة مسلميهم فيه الوظائف الثانوية والصغيرة، وقد عين كثير من المسيحيين وخاصة البروتستانت في هذا الجهاز على غير سابق خدمة وخبرة كموظفين وتراجمة على اعتبار أنهم يتوائقون مع السلطة الانكليزية والاهداف الانكليزية اكثر من غيرهم .

واعتبرت اللغات الانكليزية والعربية والعبرانية رسمية فأدى هذا الى تعيين عدد كبير من التراجمة والمساعدين والمستشارين الذين تضخم بهم الجهاز بما لا نسبة بينه وبين رقعة فلسطين وعدد سكانها . وكان هذا شأن قوى البوليس ايضاً التي كانت تتألف من انكليز ويهود وعرب والتي كان عليها مهام لم تكن لولا سياسة الوطن القومي التي كانت تحمل في طياتها مخاوف واحتمالات الاحتكاك والاصطدام دائمـــاً .

ومع أن اليهود استقلوا منذ البدء بمدارسهم ومعارفهم فقد أبى هذا الجهاز ذلك على العرب فجعل أمر مدارس هؤلاء ومعارفهم الى رئيس ومساعدين انكليز مع بعض العرب المسلمين والمسيحيين ايضاً .

وقد شكل ذراً للرماد في العيون مجلس سمي المجلس الاستشاري اعضاؤه خليط من انكليز وعرب ويهود وموظفين وغير موظفين ، وكانت اكثريته انكليزية يهودية ، واختير أعضاؤه العرب من الاسر البارزة التقليدية المضمون ولاؤهم او مسايرتهم فضلاً عن تفاهة ما كان يعرض عـــلى هذا المجلس من شؤون وعن رأيه الاستشاري البحت فيها ، فكان في الحقيقة تكأة للجهاز اكثر منه ذا جدوى في مصالح البلد ومرافقها ، ولم يعمر مع هـــذا كله إلا مدة قصيرة حيث صار المجلس الاستشاري حكومياً وانكليزياً بحتاً يتألف من رؤساء الدوائر الانكليز .

صموئيل وبنتويش وأثرهما في بناء الوطن القومي اليهودي

وأقيم على رأس هذا الجهاز مجلس تنفيذي كان يتألف في البدء من المندوب وثلاثة سكرتيرين هم السكرتير العام والسكرتير المالي والسكرتير القضائي، وكان الاول يضطلع بشؤون الادارة والمقاطعات والثاني بالشؤون المالية والاقتصادية والثالث بالشؤون العدلية والقضائية التي كان من جملتها لمدة من الزمن الاشراف على المحاكم الشرعية . وقد وسد هذا المنصب الذي كان صاحبه المشرع لقوانين الدولة وفتاويها أيضاً الى بنتويش اليهودي الصهيوني الانكليزي الرعوية، فتمكن يهوديان صهيونيان من رقبة فلسطين اداريا وسياسيا وتشريعيا واقتصاديا وهما هربرت صموئيل وبنتويش هذا بالاضافة الى هذا الجهاز الاستعماري الذي كان أوغل في الصبغة اليهودية منه بالصبغة الانكليزية والذي لم يكن للعرب فيه على أي حال شأن مؤثر .

وتبدو خطورة هذين اليهوديين في هذا الجهاز حينما يلاحظ ان المجلس التنفيذي قد ظل في عهديهما يتألف من أصحاب المناصب الاربعة المذكورة آنفا وان اكثريته تكون آليا في جانب اليهود حتى اذا حدثت نفس الموظفين الانكليزيين الآخرين بالاعتراض والمخالفة في امر ما لان صوت المندوب يرجح عند التساوي بصفته رئيسا .

ودارت هذه الادارة الاستعمارية اليهودية في طريقها المرسوم فكان من نتائج ذلك ان اتيحت الفرصة لليهود لتهيئة فلسطين اداريا وسياسيا وتشريعيا واقتصاديا لانجاح انشاء الوطن القومي اكبر نجاح يمكن . وضمان النمو والقوة والرسوخ والوثوق للحركة الصهيونية . وفي عهد هذين اليهوديين وضعت الاسس الادارية والتشريعية والاجتماعية والاقتصادية التي ضمنت حياة واستمرار الحركة المذكورة التي كانت تترجح في الفضاء في سنواتها الاولى لو لم يتاحا لها حيث لم تكن قد نالت بعد من تعضيد العالم اليهودي ما فيه الضمان الكافي ، وفي عهديهما اشترى اليهود أكبر صفقات الاراضي التي اشتروها بالاسعار الزهيدة وزالت معالم عشرات القرى العربية فيها وتشرد آلاف المزارعين عنها تحت سمع الانكليز وبصرهم . وفي عهديهما منح اليهود امتياز كهرباء عموم فلسطين وامتياز إستثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة وعشرين ملياراً من الجنيهات ، وأقطع اليهود اكثر اراضي الدولة ،

ووضعت القوانين الحامية للصناعات اليهودية والمانحة لها الامتيازات والاعفاآت المتنوعة ، فنشأت صناعة يهودية قوية محمية لم تلبث ان تحكمت في اسواق فلسطين ، ثم ملأت اسواق البلاد العربية الاخرى وزاحمت صناعاتها المحلية او خنقتها .

ولقد ثارت مخاوف العرب من السياسة الصهيونية - الانكليزية من البدء لما لمحوه في ثناياها من الاخطار الفادحة على حركتهم وأهدافهم القومية ، فكان الانكليز كلما احتج العرب عليهم او اشتد غليانهم وانفجر مرجلهم داخل فلسطين وخارجها يعمدون الى التخدير والتضليل او الدس والتخذيل او القسوة والتنكيل واستغلال الفرص حسب ما تقتضيه الظروف ، ثم يظلون سائرين في تلك السياسة بنفس الحماس والقوة مما ينطوي على التصميم الحاسم ، ويحاولون التغلب بسبيل ذلك على كل صعب غير مبالين بمعنى من معاني الحق والحقيقة والوفاء والرأفة والشرف والعهد والعدل ، حتى تم للانكليز واليهود معاً ما أرادوه وقفز عدد اليهود من اقل من ستين ألفاً في عام ١٩١٨ الى اكثر من اربعماية في عام ١٩٣٦ و٧٥٠ ألفاً في عام ١٩٤٧ ، وتملكوا المساحات الواسعة من أجود أراضي فلسطين وانشأوا مئات المصانع والمعامل وسيطروا على مرافق البلاد ونثروا مئات المستعمرات في مختلف انحاء فلسطين وفق خطة مرسومة ، واستمر العرب المزارعون يتشردون وحرم العمال العرب من كثير من موارد الرزق ، بل وكانوا يطردون بالقوة من ساحات العمل والرزق ، وامتلأت فلسطين بموظفي الانكليز وبوليسهم لانجاح الحركة وحمايتها الى ان تقف على رجليها ، وبلغ ما يجبى من النفس في فلسطين من الضرائب المتنوعة ثلاثة أضعاف ما يجبى من النفس في الشام والعراق ومصر بها واكثر ليمكن سد النفقات الباهظة التي اقتضتها تشكيلات فلسطين وبوليسها ، وجاءت فرصة الحرب العالمية الثانية فأتم اليهود بمساعدة الانكليز إستعدادهم بالتحصين والتدريب والتسلح الواسع الذي أذهل العرب وأدهش العالم بمظاهره وآثاره .

ولقد احتج الملك حسين على تصريح بلفور حال ما علم به فهوّن الانكليز عليه شأنه وفسّروه له تفسيراً مطمئنا ، فلما وضعت الحرب اوزارها وظهرت حقيقة التصريح استأنف احتجاجه وإنكاره فأنكروا أن فلسطين داخلة في الحدود التي اتفقوا عليها معه وفي العهود التي قطعوها له رغم ما في هذا الانكار من مكابرة وكذب على ما ذكرناه قبل . ثم اخذوا يلاحقونه ملاحقة مضنية وحاولوا إستغلال

ظروف ضعفه وحاجته ولوّحوا له بالفوائد المتنوعة بسبيل إقناعه بالاعتراف انتدابهم على فلسطين الذي ينطوي فيه التصريح ، وكفه عن الالحاح والمطالبة بالوفاء ، فلما لم يضعف ويستجب اليهم خلوا بينه وبين ابن السعود ولم يتورعوا عن نبذه بلؤم ، وعن نسيان ما أسداه اليهم من مساعدات مادية ومعنوية وقطعوه له من عهود ووعود فكان في ذلك ضياع عرشه ومملكته .

— ٤ —

الحركة الكفاحية الفلسطينية منذ البدء

ولم ين عرب فلسطين عن الاستنكار والاحتجاج والنضال وتحمل التضحيات الجسيمة في الاموال والارواح منذ ان عرفوا بتصريح بلفور ، لانهم أدركوا ما ينطوي فيه من أخطار رهيبة : وقد سارعوا الى تشكيل جمعياتهم الوطنية المعروفة بالجمعيات الاسلامية المسيحية حيث أخذت على عاتقها رفع صوت العرب والاحتجاج والمطالبة بحقوقهم المشروعة في وطنهم والدفاع عنها . وكان عنوانها يطوى فيه تضامن العرب على اختلاف طوائفهم على الوقوف في وجه السياسة الانكليزية — الصهيونية والدفاع عن عروبة فلسطين ، وعدم عزلها عن قافلة العروبة العامة وحركتها القومية والنضال في هذا السبيل ، وظل هذا التضامن متجليا في جميع ظروف النضال في فلسطين فكان مضرب المثل وموضع الاجلال . ولكن كل ما قام به عرب فلسطين وبذلوه تحطم على صخرة المؤامرة الانكليزية — اليهودية ضد الامة العربية وحركتها القومية .

المؤتمر الاول وميثاقه

ولقد عقد العرب مؤتمرهم الأول سنة ١٩١٩ فقرروا فيه ميثاقهم القومي وهو رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب الانكليزي والمطالبة بوحدة فلسطين مع سوريا والاستقلال التام ضمن الوحدة العربية ، وقرروا كذلك تسمية فلسطين بسوريا الجنوبية ، وارسال وفد الى الشام ليشترك في نشاط العهد الفيصلي بسبيل تحقيق الميثاق . وقدحاول الانكليز صرف المؤتمرين عن هذا الميثاق خشية ان يكون له تأثير ما في مصير فلسطين الذي لم يكن بعد قد تقرر رسميا والذي كان موضع تشاد وتجاذب وغموض حتى إنهم استعانوا عليهم بجداد باشا — الذي كان يمارس

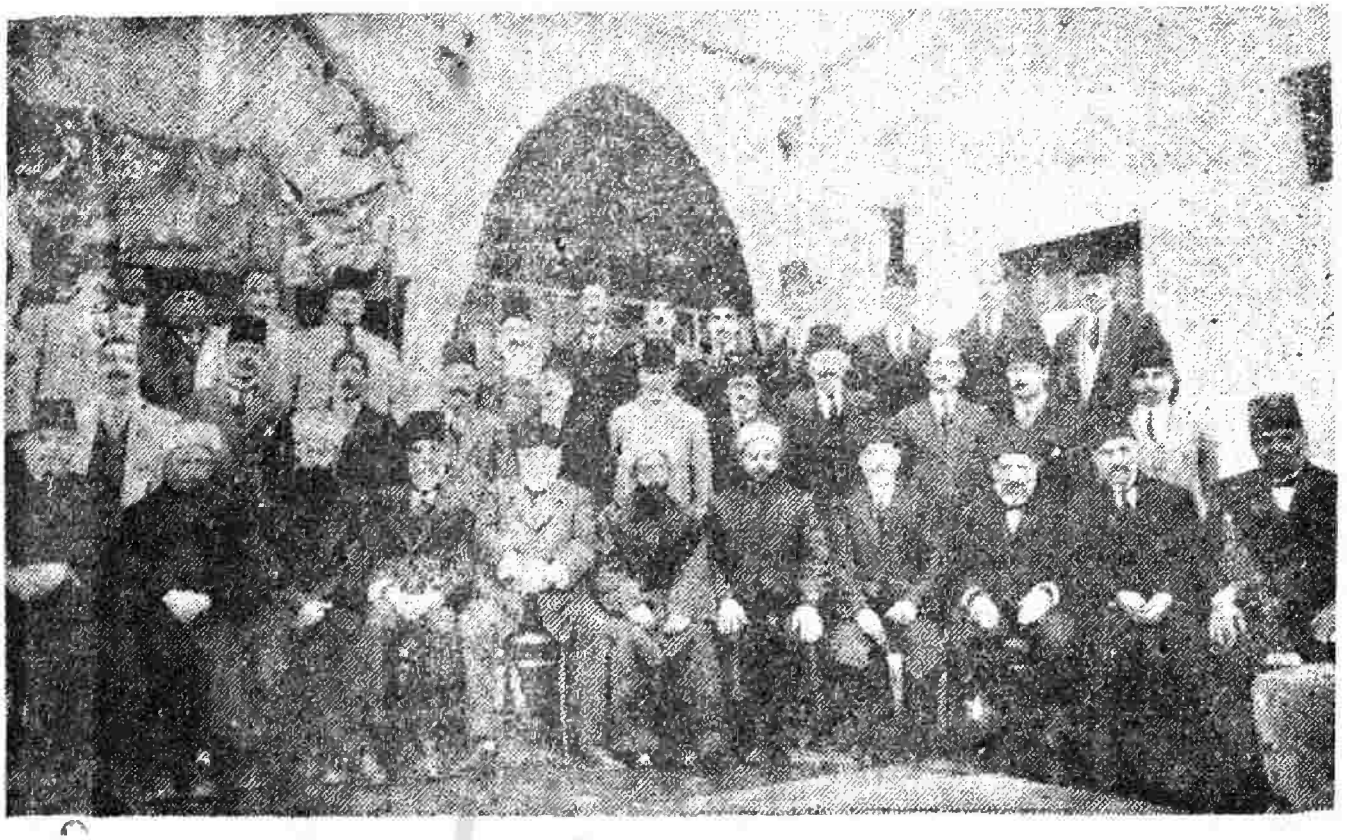

المؤتمر الثالث في حيفا عام ١٩٢٠

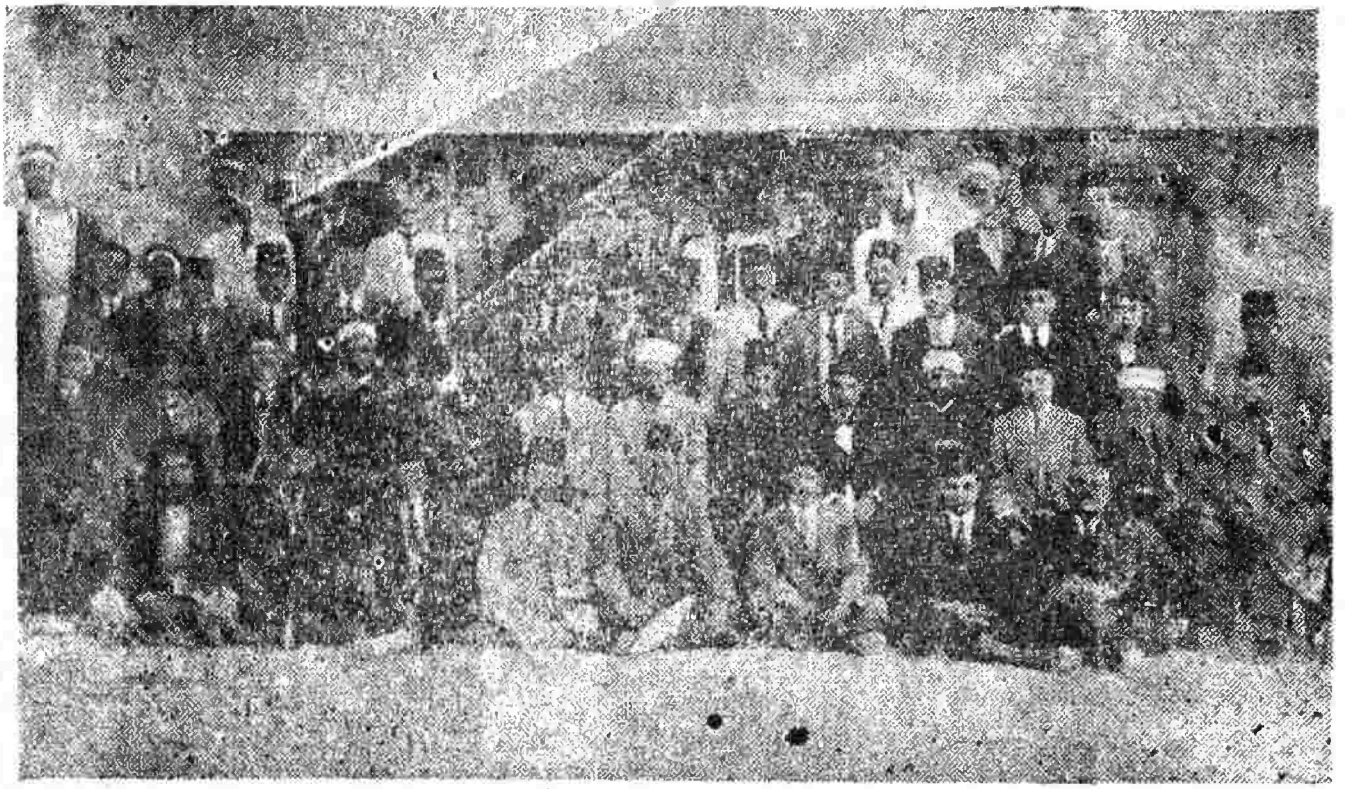

المؤتمر الرابع في القدس عام ١٩٢١

المؤتمر الخامس في نابلس عام ١٩٢٣

obeikandl.com

وظيفة مدير الأمن العام في العهد الفيصلي وكان من بطانة فيصل، وكان في الوقت نفسه من أوليائهم ، ولما أبوا منعوا وفدهم من السفر إلى دمشق .

امام لجنة الاستفتاء

وجاءت لجنة الاستفتاء الاميركية في نفس السنة فأجمع العرب تقريباً على هذا الميثاق رغم المحاولات الانكليزية المتنوعة ؛ ثم ذهب ممثلوهم إلى دمشق حيث اندمجوا في المؤتمر السوري وعملوا على دمج الميثاق في قراره الذي قدم إلى اللجنة وعلى دمجه بعد ذلك في قرار اعلان الاستقلال وملكية فيصل في ٨ مارس ١٩٢٠ ؛ وحيث ظلوا مندمجين في نشاط العهد الفيصلي بسبيل توثيق الصلة بينه وبين هيئات فلسطين واندديتها وحركة مقاومتها مما كان له أثر عظيم في إستمرار نشاط أهل فلسطين وقوة أملهم وروحهم وحيويتهم ؛ حيث كانت انديتهم تعج بالنشاط القومي وحفلاتهم ومواسمهم تبدو قوية صاخبة ومظاهراتهم تتوالى ، وحيث كان الانكليز واليهود معاً في قلق واضطراب من جراء ذلك .

الاصطدام الدموي الاول في القدس

وفي هذه الظروف كان أول احتكاك دموي في القدس أثناء موسم النبي موسى في ربيع عام ١٩٢٠ ، حيث انقلب الى مظاهرات وطنية تهتف ضد الانكليز واليهود ، واعتدى بعض العرب على بعض اليهود فكان اشتباك دموي بين العرب من جهة والبوليس واليهود من جهة اخرى وإن ظل محدود النطاق ضئيل النتيجة وقد كان موسى كاظم الحسيني رئيساً لبلدية القدس إذ ذاك فمرت المظاهرة بالبلدية فحياها وخطب فيها متحمساً فكان نصيبه الاقالة من الرآسة . وقد اتهم الحاج أمين الحسيني وعارف العارف وكانا من الشبان النشيطين في الحركة بالتحريض وحكم عليهما بالسجن الطويل غير انهما كانا قد غادرا فلسطين الى شرق الاردن فدمشق. وفي هذه الظروف كذلك بدت بعض حركات مسلحة في منطقة سمخ والحدود السورية الفلسطينية دبرها بعض الذين كانوا في دمشق من رجال فلسطين بسبيل الكفاح المسلح ضد المؤامرة ، غير انها لم يكتب لها نجاح واستمرار لأن ظروف دمشق السيئة التي انتهت بانهيار العهد الفيصلي كانت قد أخذت تشتد وتتلاحق دراكاً .

تجدد الحركة في مؤتمر حيفا

ومع ان انهيار هذا العهد كان صدمـــة أليمة لفلسطين لانه جعل أهلها يقفون وحدهم أمام الانكليز واليهود ويأسون من تضامن واندماج عربي عام في القريب العاجل فانهم ما لبثوا بعد قليل من الركود أن استأنفوا نشاطهم ، فعقدوا مؤتمرهم الثالث (١) في حيفا عام ١٩٢١ برآسة موسى كاظم الحسيني ، وقـــد قرروا فيه الاستمرار في السير في الميثاق المقرر مع تعديل طفيف وهو المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لمواصلة السعي . وقد اتصلت هـــذه اللجنة بشرشل الذي جاء الى القاهرة والقدس لحل مشاكل الشرق العربي فلم يكن لهذا الاتصال نتيجة حيث حاول شرشل تخديرهم بالتطمين الكاذب والمغالطة والاستهتار

ثورة يافا

وفي هذه السنة اندلعت الثورة في يافا، وكانت ثورة عنيفة وواسعة بعض الشيء بلغ عدد قتلاها وجرحاها مئتين أكثرهم من اليهود وامتدت الى بعض المستعمرات الواقعة في منطقتي يافا وطولكرم . وقد عين الانكليز لجنة للتحقيق في أسباب الثورة وظروفها وهي المعروفة بلجنة هايكرافت وكان هذا يمارس وظيفة قاضي القضاة . ومع أن تقرير اللجنة احتوى حقائق هائلة من مطالب اليهود ومزاعمهم كشفت عن النية التي يبيتونها لفلسطين وأهلها بصراحة تامة ورهيبة وقد نقلنا بعضها في مناسبة سابقة ، وكشف كذلك الغطـــاء عن سبب ثورة العرب الحقيقي وهو استيلاؤهم من وعـــد بلفور والهجرة اليهودية ومزاحمة اليهود لهم في وطنهم ومحاباة الانكليز لهم في مختلف المصالح والمرافق محاباة تامة تدل على انهم منسجمون في حركتهم كل الانسجام فانهم كابروا في صحة مخاوف العرب واستمروا في سياستهم المرسومة .

---

(١) كانت الجمعيات قررت عقد مؤتمر ثان فمنعته السلطات لأسباب تتصل بالامن العام فاعتبر هو المؤتمر الثاني في سلسلة المؤتمرات الفلسطينية الوطنية .

الوفد الفلسطيني الاول

وعقد العرب مؤتمرهم الرابع في السنة نفسها وأرسلوا وفـــداً الى لندن ليرفع شكوى بني قومه ويطالب بحقهم الشرعي في وطنهم العربي وكان برآسة موسى كاظم الحسيني ومعه كل من الحاج توفيق حماد وأمين التميمي ومعين الماضي وشبلي الجمل وابراهيم شماس ؛ ومكث يقوم بمهمته نحو سنة . ومع ما ظهر من قوة قضية الوفد وحججها وحقائقها بحيث أثارت عطف بعض الاوساط الانكليزية وحملت مجلس اللوردات على اتخاذ قرار يوصي الحكومة بإعادة النظر في سياستها فان هذه الحكومة لم ترد أن ترعوي ، وحملت مجلس العموم على إقرار هـذه السياسة الباغية . وقال شرشل وزير المستعمرات للوفد بصراحة إن إنشاء حكم وطني باكثرية عربية سيحول دون تنفيذ العهد المعطى لليهود وإنه ليس هناك بسبب هذا شيء يقال له حكومة وطنية في برنامج الحكومة الانكليزية ، فسجل بذلك أن واجب الانكليز هو تنفيذ السياسة اليهودية وأن هذه السياسة ستكون مانعاً أبداً لنيل العرب حقوقهم واستقلالهم ، وقـد كابر شرشل في شمول عهود الملك حسين التي كانت من أقـوى حجج الوفد وزعم عدم شمولها ، فرجع الوفد خائباً يحمل في ذهنه انطباعات التصميم على السياسة المرسومة لفلسطين ضـــد الحركة العربية وأهدافها .

الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢ ومداه وعدم جدواه

وكل ما فعلته الحكومة أن أصدر شرشل كتابه الأبيض لسنة ١٩٢٢ (١) حاول فيه أن يفسر الوطن القومي ومداه بسبيـــل التخفيف من مخاوف العرب فكان مما جاء فيه بصدد ذلك « ان حكومة جلالته تلفت النظر الى الواقع بأن أحكام تصريح بلفور لا ترمي الى تحويل فلسطين برمتها الى وطن قومي لليهود وإنما انشاء وطن لهم فيها وان الهجرة اليهودية التي تمكن اليهود من زيادة عددهم لا يجوز أن تكون كبيرة الى درجة تزيد عن مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب مهاجرين جدد ، ولا أن يكون المهاجرون عبئاً على أهل فلسطين وسبباً لحرمان أي طبقة من سكانها من عملها ، وان الوطن القومي لا يعني فرض الجنسية اليهودية على أهل

(١) جعلنا هذا الكتاب ملحقاً برقم (٢) لانه وثيقة تاريخية مهمة .

فلسطين إجمالا وكل ما يعنيه أن يصبح لليهود في فلسطين مركز يكون موضع اهتمامهم وفخرهم من الوجهتين الدينية والقومية ، وان التصريح إذا فهم على هذه الصورة لا يتضمن أمراً يوجب تخوف سكان فلسطين العرب » .

على ان شرشل لم يفعل شيئاً بكتابه ولم يزل أي غموض عن مدى التصريح كما لم يزل شيئاً من مخاوف العرب فالادارة الاستعمارية الانكليزية التي سميت حكومة فلسطين لم تخلص قط من السير وفق ما رسمه الكتاب الابيض وقد استمرت الهجرة بعد البيان فوق الاستيعاب المزعوم ، والمزارعون العرب شردوا عن أراضيهم التي كانوا يزرعونها ويعيشون فيها الاجيال العديدة لأن مالكيها من غير الفلسطينيين قد باعوها ولم تفعل السلطات شيئاً بسبيل حمايتهم ، والعمال العرب حرموا بالقوة والمزاحمة من موارد رزقهم وعملهم ، وقوانين الحكومة كانت تسن في صالح الصناعة اليهودية والهجرة اليهودية والاستثمار اليهودي ، ودوائر الحكومة امتلأت باليهود ، ومصالح اليهود ونموهم ونجاحهم كان هو المعني به في الدرجة الاولى من قبل دوائر الحكومة الرئيسية والثانوية ؛ واليهود ظلوا يدأبون في توطيد أقدامهم وترديد نواياهم الرهيبة دون خوف وتردد . وحينما قرر الانكليز تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ وانشاء دولة يهودية فيها لم يروا بأساً بأن يكون ٧٠٪ من أملاكها من املاك العرب وأن تفرض الرعوية اليهودية على العرب الذين كانوا نحو ٤٥٪ من سكانها ! ومما سجلته لجنة التحقيق الملكية في تقريرها عام ١٩٣٧ الذي اقترحت فيه هذا التقسيم يفهم أن شرشل نفسه لم يكن جاداً فيما قاله في كتابه الأبيض المذكور حيث شهد امامها أنه لم يكن القصد من تفسيره للوطن القومي الحيلولة دون إقامة دولة يهودية .. وهكذا ظل الخداع والمراوغة بسبيل تنفيذ السياسة المرسومة ضد العرب يطبع اقوال وأفعال الحكومة الانكليزية ويدل على أن هذه السياسة قد رسمت عن عمد وبنية وتصميم .

- ٦ -

دسائس اليهود بين العرب

ومما جرى مما يتصل بالوفد أن اليهود أستطاعوا أن يحملوا بعض المارقين على الابراق إلى لندن بعدم تمثيل الوفد لعرب فلسطين كافة وبوجود فريق من العرب

راض عن الوطن القومي ومقتنع بفائدته . ومن بين هؤلاء زعماء نفسوا على الاسرة الحسينية تزعمها للحركة الوطنية في شخص شيخها موسى كاظم . غير ان المندوب لم يسعه إلاّ أن يقرر الحقيقة ويقول إن الوفد يمثل اكثرية العرب الكبرى .

وعلى ذكر مساعي اليهود مع بعض المائعين والطامعين نقول إنهم اهتموا منذ الأصل للتقرب للعرب والدعاية بينهم بسبيل تخفيف مفهوم مشروعهم ومداه ونشر كونه مفيداً للعرب وللبلاد وكونهم أبناء عمهم يريدون أن يعيشوا معهم بسلام ويتعاونوا وإياهم لصالح فلسطين . وقد زار وايزمن فيصل اثناء الثورة في مقر قيادته في مشارف الشام لهذا الغرض كما ان الكتاب الذي ضغط الانكليز على فيصل لاعطائه لوايزمن بسبيل إظهار رضائه عن المشروع الصهيوني والذي لا يزال وايزمن يردده إنما كان بسبيل ذلك ؛ مع أن هذا الكتاب قد احتوى تحفظاً جعله في حكم العدم ومع أن فيصلاً قد اندمج في قرار المؤتمر السوري الذي اعلن ملكيته والذي احتوى رفض تصريح بلفور والهجرة اليهودية رفضاً باتاً واندماجاً تاماً . وبسبيل ذلك كان القرار الذي قرره المؤتمر الصهيوني المنعقد في كارلسباد في سنة ١٩٢١ والذي جاء فيه « إن الشعب اليهودي عقد النية على أن يعيش مع الشعب العربي بإتحاد واحترام متبادلين وأن يسعيا معاً لجعل هذا الوطن المشترك زاهراً بحيث يضمن تجديده الرقي القومي لكل من الشعبين بسلام » - وقد اورد هذا النص شرمّل في كتابه الأبيض لسنه ٩٢٢ - ؛ غير أن العرب كانوا يدركون منذ الاصل وبناء على ما كان يبدو من اليهود من مطامع وأمارات مريبة وأقوال مثيرة ومساع متسقة مع كل ذلك أن اليهود إنما يقولون ما يقولون لأنهم ضعفاء قليلون يعوزهم الوقت الطويل والمساعي الجبارة ، ومن واجبهم التمويه على العرب في أثناء ذلك .

ومن جملة ما فعله اليهود في هذا الباب أن الجمعية الصهيونية دفعت شخصاً اسمه كلفر يسكي من يهود الجاعونة القدماء فتزعم حركة الدعاية بين العرب والدعوة إلى التعاون العربي اليهودي ؛ وقد جاء إلى دمشق في عهد فيصل واتصل برجالات فلسطين ؛ فلما اخفق أخذ يسعى مع بعض المائعين والطامعين والنكرات من العرب في فلسطين والف الجمعية العربية - اليهودية التي عرفت بالجمعية الكلفر يسكية وغذاها بالمال ؛ وكانت عدة اليهود في إبّان قوة الحركة الوطنية ؛ يستكتبونها العرائض والشهادات التأييدية كلما دعت الحاجة إلى ذلك . على أن هذه الحركة

ظلت محصورة بنطاق ضيق ، واندفع المتورطون فيها بالخيانة ، ونبذوا وقوطعوا مقاطعة شديدة حتى لقد لبث بعضهم بضع سنين لا يلقون من يسلم عليهم أو يرد لهم السلام برغم انهم من اسر وجيهة ؛ ثم ما لبثت بعد سنتين أو ثلاث وحينما طرأ على الجبهة الوطنية ما طرأ من وهن وتفكك على ما سوف نذكره بعد ان تضاءل شأنها ونفض اليهود أيديهم منها لأنهم لم يعودوا في حاجة اليها على تفاهة ما أدته لهم من خدمة .

- ٧ -

المؤتمر الخامس ومقاطعة المجلس التشريعي

ولما عاد الوفد من لندن عقد العرب مؤتمرهم الخامس في نابلس عام ١٩٢٢ وسط مظاهرة رائعة لان الوفد جاء من رحلته رأساً الى المؤتمر ؛ فاستمعوا إلى بياناته عن جهوده ومساعيه ، وكان مما سمعوه أن دعايته ومساعيه أثرت تأثيراً قوياً حتى إن مجلس اللوردات قرر وجوب الرجوع عن السياسة الصهيونية ؛ وأنه رجع وهو مقتنع بأن العرب إذا صبروا واستمروا في نضالهم وخاصة إذا قاطعوا المجلس التشريعي انفتح أمامهم أفق جديد وأمل جديد لان السلطات ستعمد إلى هذا كتجربة من تجارب التخدير ؛ وأن هذا الذي رجع وهو مقتنع به قد سمعه من كثير من رجال السياسة والصحافة الانكليزية الذين كانوا يتظاهرون بالعطف على حركة العرب عطفاً شديداً ويشجعونهم على مناوأة الحركة اليهودية .

ونستطرد إلى القول إن هذا المشروع جزء من دستور سنته حكومة فلسطين التي يرأسها هربرت صموئيل في نطاق صك الانتداب القائم على تصريح بلفور وبأمر من الحكومة الانكليزية . وقد حمله المندوب إلى لندن ليحاول بالتعاون مع الحكومة الانكليزية حمل الوفد العربي الذي كان في لندن على قبوله كخطوة ايجابية في سبيل تطمينهم على مصالحهم في الظاهر وكتوريط بارع لهم في الاندماج بالسياسة الصهيونية — الانكليزية وصك الانتداب الذي انطوى عليها في الحقيقة . والدستور يتضمن الاشارة والاستناد الى هذا وذاك بصراحة ؛ وقد جعلت اكثرية المجلس التشريعي انكليزية يهودية . ولم يعط صلاحية إيجابية ما في الشؤون التشريعية والمالية فضلا عن حظر أي بحث يتعلق بأسس السياسة الانكليزية القائمة على ذلك الصك البغيض عليه .

ولقد كانت العواطف الوطنية والروح الوطنية قوية جارفة إذا استثنينا بعض شذاذ معروفين اتخذهم الانكليز واليهود آلات تحريك وتشويش وتوهين ؛ فقرر مؤتمر نابلس على ضوء الايضاحات التي سمعها من الوفد وبقوة هذه العواطف والروح مقاطعة المجلس التشريعي وعدم التعاون مع السلطات في تطبيق الدستور المفروض، والاستمرار في سياسة المقاومة والنضال الى النهاية ؛ وتعاهد اعضاؤه على ذلك بالأيمان القوية ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لتنظيم حركة المقاطعة وبث روح النشاط والنضال في الامة .

ولقد كتب النجاح الباهر للمقاطعة ، حيث تضامن العرب تضامناً رائعاً في تنفيذها اثار اعجاب البلاد والصحافة العربية، بالرغم من محاولة اليهود والانكليز بالترهيب والترغيب وبالرغم عن حرص المندوب اليهودي خاصة على نجاحه حيث كان يرى في ذلك خطوة مهمة الى تخفيف حدة مناوأة العرب لمشروع الوطن القومي الذي كان مايزال خيالا واشغالهم به على عدم جدواه . ولم يشذ عنها إلا افراد معدودون لم يؤثروا على النتيجة وانسحب اكثرهم اخيراً ومنهم من كان في مركز او موقف يبعث على الاعتقاد ان المندوب واليهود وبعض موظفي الانكليز هم الدافعون لهم على هذا الشذوذ وان كان واحد منهم على الأقل شذ نتيجة لاجتهاده . ولم يسع السلطات إلا ان تعلن اخفاق الانتخابات وتعطل مواد الدستور التي تنص على وجود المجلس التشريعي .

ومما جرى ان الرأي العام قد سخط سخطاً شديداً على الشخص الذي شذ في قضاء نابلس وغدت حياته في خطر ، وانهم رئيس الجمعية الحاج توفيق حماد وسكرتيرها عزة دروزه بتهمة التحريض الجنائي . ولكن الحاكم لم يجد ما يبرر المحاكمة . كذلك مما جرى وفيه دلالة على ما كان من موقف بعض موظفي الانكليز ان حاكم نابلس الانكليزي امر باعتقال فريق من الوطنيين واعضاء الجمعية ومحاكمتهم لأنهم دعوا الى مقاطعة عملية الاحصاء التي جرت تمهيداً لانتخابات المجلس. وقد اهاج الاعتقال الشعب حتى قام بمظاهرة وانقذ المعتقلين من يد البوليس . ولم تخف الأزمة إلا بعد اعلان السلطات انه لا صلة بين الاحصاء والانتخابات ..

ولقد انتقد فيما بعد قرار المقاطعة ورأى المنتقدون ان العرب اضاعوا فرصة

حسنة وغلوا في السلبية . ولكن هـــذا الانتقاد ككل انتقاد مماثل في الحركات النضالية . وقد كان للدعاية اليهودية الانكليزية التي هدفت الى توهين مقاومة العرب وتفريق شملهم على ما نذكره بعد اثر في هذا الانتقاد كما ان بعض مرضى القلوب والأعصاب والوصوليين الذين اندمجوا في تلك الدعاية قاموا بدور غير يسير بسبيل ذلك . واذا كان اندمج في الانتقاد بعض حسني النية فقد كان ذلك بتأثير التبدل الذي طرأ على الحركة الوطنية بعد اخفاق الانتخابات . ولقد كانت الروح الوطنية قوية جارفة كما كانت الحركة الصهيونية ضعيفة تافهة فكان هذا وذلك مما يجعل قبول المجلس مستحيلاً كما هو ظاهر . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان بعض المنتقدين والشاذين في المقاطعة ومنهم من شذ عن اجتهاد عدم صواب المقاطعة كانوا ممن شهدوا المؤتمر واشتركوا في اقرار المقاطعة واقسموا اليمين عليها ؛ ولم يبد منهم اي اعتراض عليها .

المجلس الاستشاري وفشله

وقد عمدت السلطات الى طريقة اخرى بسبيل توريط العرب في التعاون معها ضمن نطاق صك الانتداب والسياسة المنطوية فيه ، فألفت مجلساً استشارياً اعضاؤه معينون واكثريته انكليزية يهودية كذلك وليس له من الامر شيء . وعينت لعضويته عشرة من وجهاء العرب وابناء بيوتاتهم (١) . غير ان الحركة الوطنية القوية حملت اكثريتهم على الاستقالة فكان نصيب هـــذه المحاولة الاخفاق ايضاً ؛ حيث اعلنت السلطات عدولها عن هذه التجربة بسبب تلك الاستقالة ؛ وقد شذ عن الاستقالة اثنان من زعماء القدس فلم يكن لشذوذهما اثر ما في اعلان السلطات عدولها وكان هـذا مما اثار السخرية والرثاء !

— ٨ —

جهد الانكليز ودسائسهم في محاربة الحركة الوطنية

ولم يقف العرب عند هذا الحد في الموقف السلبي ؛ فأخذوا يتحدثون في وجوب الامتناع عن دفع الضرائب ، بل كان هذا من المواضيع التي اقرت مبدئياً في المؤتمر

(١) وهم إسماعيل الحسيني وعارف الدجاني وراغب النشاشيبي ومحمود أبو خضره وسليمان طوقان وعبد الفتاح السعدي وسليمان تاصيف والدكتور حبيب سالم والشيخ فريح أبو مدين على ما بقي في الذاكرة .

السادس الذي انعقد بعد قليل في يافا - عام ١٩٢٣ فكان من الطبيعي ان يثير حماس العرب وموقف التحدي الذي وقفوه بتعطيل مشاريع السلطات وما يمكن ان يكون لما تحدثوا فيه من امر الامتناع عن الضرائب من اثر في شل حركة السلطات ، هذه السلطات التي كان يرأسها يهودي جاء لتنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية ، وان يجعل الانكليز انفسهم حتى من كان يشجع العرب على مصاولة اليهود يرون فيه احتمالات بعيدة المدى ضد السياسة الانكليزية والمصالح الانكليزية مباشرة ، ولم يكونوا ليهضموا ذلك مهما هضموا ان يناوىء العـــرب اليهود بعض المناوأة ، ولاسيما انهم انما يهضمون ذلك ويشجعون عليه كاسلوب من اساليبهم الاستعمارية البارعة من تخويف العرب باليهود وتخويف اليهود بالعرب وقيامهم مقام الحامي العادل الذي لابد منه في مثل هذه المصاولة بين الشعبين المتصاولين على وطن واحد، فلم يلبثوا ان اخذوا يدسون اصابعهم في صفوف العرب بقصد التوهين والتفريق .

الحزب الزراعي والحزب الوطني

ولم يلبث ان ظهر للميدان تشكيلتان عربيتان اولاهما الحزب الزراعي وثانيهما الحزب الوطني كان لهما اثر قوي في تفريق الصفوف وتوهين العزائم واضعاف الحركة الوطنية وبلبلتها واشغال الناس بتوافـــه الامور واغراق جهودهم وقواهم في الخصومات والمنازعات والخلافات الشخصية والمحلية امداً طويلا .

وقد كانت التشكيلة الاولى تحمل في باطنها فكرة التفريق بين المدينة والقرية والمدني والفلاح، وتغذى بدعاية خبيثة تستهدف ايقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح نحو المدني ، وكون هـذا يضطهد ذاك ويحتقره ويستغله ، وتحمل في ظاهرها الرغبة في الدفاع عن حقوق الفلاح وتحسين حالته والعناية بالقرية بما له وقع دعائي جميل في اوساط القرى بطبيعة الحال .

وقد لمست ايدي موظفي الحكومة من انكليز وعرب في هذه الحركة وشوهدت مشاهد واتصالات متنوعة بينهم وبين القائمين بهذا الحزب من متنوري القرويين وبارزيهم ومتحركيهم وطماعيهم كشفت الستار عن بواعث هذه الحركة ومقاصدها والموجه الأصلي لها .

وكانت هذه الحركة اقوى ما تكون في لواء نابلس لان هذا اللواء كان يبدو

الأشد والاعنف في الحركة الوطنية وفي حركة المقاطعة حينئذ .

وجاء وقت اخذت تنتشر فيه نعمة الفلاح والمدني والافندي فتثير جواً سامأ وتحدث توتراً وانفراجاً بين كتلتي العرب ، وبالتالي اخذت تبدو تباشير الغرض الاصلي الذي توخاه الانكليز من هذه التشكيلة . ولم يترك اليهود التشكيلة وشأنها، فقد رأوا فيها مجالاً للدس واللعب والنفوذ الى ضمائر الطامعين من المشتغلين فيها ، فنشطوا هم ايضاً في مجالها ، وشاهد النبهاء من القرويين مشاهد اتصال بين بعض رجال الحزب واليهود كما لمسوا آثار الهدايا والرشاوى التي كان يقدمها هؤلاء لأولئك فلم يلبثوا أن تبينوا الخطر الذي يكمن في هذه الحركة والذي لم يكن بادياً للسواد في اتصالات اولئك الرجال بموظفي الحكومة ، على اعتبار أن الحكومة مرجع الناس في شؤونهم ولا سيما ان الحكومة غـــذت الحركة ببعض تحسينات عمرانية وثقافية وان رأوا ما أخذت الحركة تسير فيه من اتجاهات خبيثة فتعاونوا مع الجمعيات الاسلامية المسيحية تعاوناً وثيقاً انتهى بتضاؤل شأن هـــذه التشكيلة (كتشكيلة رسمية ، غير أنها ظلت تعمل عملها كفكرة في القاء الوهم وسوء الظن بين القروي والمدني كما ظل اثرها يظهر حيناً بعد حين وظل موظفو الحكومة يتعاهدونها بالتحريض والتوجيه مدة غير يسيرة اخرى .

كلا نبوه واصبه

اما الحزب الوطني فقد ظهر على المسرح حزباً سياسياً خالصاً ليشتغل في القضية السياسية ، وظهر كحزب معارض للسياسة السلبية التي سارت عليها المؤتمـــرات والجمعيات الوطنية . ولقد لمست يد الانكليز في هذا الحزب قوية حيث لعب كلايتن دوراً هاماً في ظهوره على ما اعترف به بعض اعضائه . وقد كان لهذا الانكليزي خبرة بالعرب وكان قضى زمناً في مصر ألمّ فيه باللغة العربية ، فأتي به الى فلسطين ليشغل منصب السكرتير العام الذي كان بمثابة رئيس وزراء ووزير داخليـــة ، وليعالج نشاط الحركة العربية فيها بحكمته وخبرته . فكانت اتصالات بينه وبين الوصوليين البارزين من العرب وشجعهم على البروز على المسرح بخطة ايجابية تقوم على اساس « خذ وطالب » ومناهم بما يمكن ان يصلوا اليه من هـــذا الطريق من

المركز والمكانة من جهة وأغراضهم من جهة اخرى بأن هذا انفع للقضية العربية حيث ييسر للعرب أن ينالوا شيئاً ويتدرجوا منه الى ما هو اوسع . وقد كان الذين اتصل بهم ممن لم يرضوا في قرارة نفوسهم عن مقاطعة المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري ولكنهم لم يجرأوا على معارضة التيار الجارف ، وممن كانوا من ناحية أخرى ناقمين من بروز منافسيهم المحليين في الحركة الوطنية وممن كانت مصالحهم العائلية تدفعهم الى الوقوف في موقف يضمن لهم هذه المصالح ، ورأوا أن هذا يتحقق في جانب الحكومة من ناحية اخرى فتشجعوا واقدموا على تشكيل الحزب ، ولقد اشترك فيه رؤساء بلديات واعضاء لجان حكومية واعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض وجهاء ومتحركين يتون اليهم من جهة ويطمعون في البروز والنفوذ عن طريق الحزب من جهة اخرى . واشترك فيه كذلك بعض اشخاص كانوا مندمجين في الحركة الوطنية بل وبارزين في مؤتمراتها ولجانها التنفيذية ثم نقموا وشذوا استجابة لداعي الانانية والهوى والاغراء . وقد اشترك في الحزب بعض ذوي النيات الحسنة من ضعاف الاعصاب الذين ظنوا في الخطة الجديدة نفعاً وأملوا في الانكليز صدقاً وبراً . وقد ظهر الحزب على اثر مؤتمر اجتمع فيه هذه الفئات برآسة الشيخ سليمان التاجي الذي كان قسم مقاطعة الدستور والمجلس التشريعي والنضال الذي أقسمه مؤتمر نابلس من وضعه ، وسمي بالمؤتمر الوطني .

صدى ظهور الحزب الوطني

ولقد كان ظهور هذا الحزب خرقاً رسمياً لصفوف الحركة الوطنية لم يكن متوقعاً ولا سيما ان هذه الحركة كانت قوية جارفة بسبب ما أصابته من نجاح في موقف التحدي الذي تحدت به السلطات . فكان لظهوره في هذه الآونة رد فعل شديد ساعد كثيراً على نجاح الدعاية ضده وحصره في نطاق ضيق من ضعاف الاعصاب او الصلابة الوطنية .

ومما ساعد على غمز الحزب ونجاح الدعاية ضده ما كان لكثير من رجاله من صلات بالحكومة اولاً ولبعضهم من صلات باليهود ثانياً . وقد كان لهؤلاء الرجال مواقف عديدة في مساوقة الحكومة والسير في توجيهاتها ومناوأة الحركة الوطنية

كما كان لبعضهم يد بارزة في السمسرة وبيوع الاراضي لليهود تسمح بالقول ان تلك الدعاية لم تكن جزافاً . ولقد ذهب وفد منه للسلام على الملك حسين في عمان فلقي اهانة شديدة من الناس حتى انه رشق بالبيض والبندورة في اسواق عمان بتأثير ما كان من دعاية ضده وكدليل على ما كان من رد فعل سيء لظهوره منشقاً على الجبهة الوطنية .

وظهور الحزب كحزب معارض ينطوي على صورة شاذة . فالمعارضة المعتادة هي التي تقوم لتعارض خطط الحكومة ولونها ومنهجها او لتعارض حزباً متساهلا في حقوق الوطن ومسايراً للاجنبي فيها .

وقد كان هذا مما حمل عبئه المؤتمرات والجمعيات الوطنية واللجان التنفيذية فجاء هذا الحزب ليكون معارضاً لهذه المعارضة !

على أن الحزب لم يعمر طويلاً كتشكيلة رسمية . فالانكليز لم يبرروا بما منوا رجاله به من سياسة جديدة لأنهم لم يكونوا يقصدون فيما شجعوا عليه الا التوهين والاضعاف ، ولم يلبث كلايتون ان غادر فلسطين بعد قليل من ظهوره . فكان هذا مما جعل كثيراً من الذين املوا الخير والنفع من وراء الحزب يتريثون او يحجمون او يحجمون ، وبقي الحزب في نطاقه الضيق المغموز الذي حصرته فيه الدعاية الوطنية ، بل وانسحب كثير ممن دخل فيه نتيجة للحملات والتجهم ، فلم يلبث ان أخذ بنيانه الرسمي يتداعى وشأنه يتضاءل إلى ان توارى عن المسرح بعد أمد غير طويل . ولكن الغاية التي توخاها الانكليز منه لم تحقق وفكرة المعارضة للجبهة الوطنية المعارضة للسلطات والتي قام عليها الحزب لم تزل . فرجال الحكومة ظلوا متصلين برؤساء هذه التشكيلة كما ظلوا متصلين برؤساء تشكيلة الحزب الزراعي ، يبسمون لهم ويحققون لهم بعض المطالب والمنافع الخاصة والعائلية ، ويتمسكون بهم في المراكز الرسمية وشبه الرسمية التي كان كثير منهم فيها ، فظلوا بقوة هذا الاتصال وما يضمنه لهم من المنافع كتلاً منفصلة عن الجبهة الوطنية دائبة على التجريح والتوهين والنقد ومع أن هؤلاء قد ظلوا مطبوعين بطابع الوصولية ومغموزين بوطنيتهم وإخلاصهم في الجملة ، ومع ان السواد ظل في جانب الجبهة الوطنية فان ما كان من دسائس ودعايات ، وما لعبته الاوشاج والانساب والعصبيات والمنافسات

المحلية من أدوار قد ساعد كثيراً على تحقيق شيء غير قليل من تلك الغاية وعلى طروء شيء غير يسير من الفتور والوهن على الحركة الوطنية ونشاطها .

- ٩ -

حول المجلس الاسلامي

وقد كان وجود مؤسسة المجلس الاسلامي عاملاً قوياً في هذه النتيجة المؤسفة . فقد وجد المعارضون فيها ميدان نشاط لم يتسنّ لهم في مجال القضية السياسية بسبب عدم بر الانكليز بما وعدوا به من سياسة جديدة أولا وبسبب ما كان ينطوي عليه موقفهم ضد الحركة الوطنية مباشرة من بشاعة ظاهرة ثانياً . ولا سيما انهم كانوا يدعون الاخلاص للوطن وقضيته ، وكانوا يتظاهرون ضد الحركة الصهيونية والسياسة الصهيونية ، وكان كثير منهم مخلصاً في تظاهره هذا .

فرئيس المجلس وذووه وأنصاره كانوا من البارزين في الجبهة الوطنية وقد ساعدتهم هذه المؤسسة كثيراً على توطيد مكانتهم واعتبارهم . فرأى منافسوهم وهم أركان المعارضة في العمل على نقد المجلس وتجريح أعماله متسعاً للتشفي ووسيلة للاحراج والازعاج وكانوا يقولون إنهم إنما يعارضون استغلال رئيس المجلس وذويه وأسرته للحركة الوطنية . ومما يجب قيده هنا أن رئيس المجلس وذويه لم يندمجوا في الجبهة الوطنية بعد إنشاء المجلس بل كانوا من العاملين النشيطين فيها قبله أيضاً، وأن منافسيهم ومعارضيهم وخاصة العائليين كانوا ضالعين مع السلطات وكانوا يقفون مواقف لا تتسق مع الاهداف الوطنية وقرارات المؤتمرات ولا مع الرأي العام قبل ذلك أيضاً . وحينما تظاهر موسى كاظم الحسيني بشعوره الوطني وأقالته الحكومة عينت مكانه قطباً من أقطابهم وهو راغب النشاشيبي زعيم الاسرة النشاشيبية المنافسة للاسرة الحسينية ، فكان هذا التعيين إيذاناً بحرب التنافس بين الاسرتين وأعوانها أثارت نارها أو زادت سعيرها اليد الانكليزية عن قصد وبينة من دون ريب بسبيل ما كانت تتوخاه وتهيء له الفرص من توهين في صفوف العرب ومقاومتهم الوطنية . ولقد ظلت هذه اليد تحرص على بقاء هذه الحرب قائمة وكان رئيس الاسرة النشاشيبية خاصة مندمجاً في هذا الحرص لمصلحة ذاته ومركزه وأسرته حتى إن الحاج أمين الحسيني ليروي عنه قوله له في معرض المزاح إن من

العبث انتظار الانسجام والتوافق بينهما حتى ولو أرادهـــا هو لأن الانكليز لا يريدونها . وكان هذا المزاج ينطوي على نصيب كبير من الحقيقة . ولقد حاول زعماء عديدون فلسطينيون وغـــير فلسطينيين إزالة هذا التنافس وحمل الفريقين وأنصارهما على الانسجام فكانت المحاولات تذهب عبثاً بما فيه مصداق لهذه الحقيقة ولقد كان من مجالات هذا التنافس منصبا إفتاء القدس ورآسة المجلس الاسلامي حيث رشح الحسينيون الحاج أمين أخا المفتي السابق ورشح النشاشيبيون الشيخ حسام الدين جار الله لكلا المنصبين. وقد جرى انتخاب الافتاء قبل فكانت درجة الحاج أمين أقـــل من درجة الشيخ حسام ومع ذلك فقد اختار المندوب السامي هربرت صموئيل الاول دون الثاني للمنصب، وكان ذلك بعد تعيين راغب النشاشيبي للبلدية وقبل نشوء المجلس الاسلامي فكان هذا الاختيار من عوامل نجاح الحاج أمين في انتخابات المجلس وفوزه بالرآسة كما كـان موضع انتقاد ومثـار غبظ في نفوس خصومه .

ولقد نشبت ثورة يافا عام ١٩٢١ قبيل هذا الاختيار فهاجت الأفكار وكان الوطن القومي ما يزال خيالا ، وكان المندوب السامي حريصاً على تهدئة الوطنيين الذين كان يرأسهم موسى كاظم الحسيني ، وكان ذروه من الناشطين في الحركة الوطنية ، فكان مما قيل إن المندوب جنح الى هذا الاختيار بالرغم من درجة الحاج أمين المتأخرة نتيجة لمساعي الحسينيين الذين طعنوا في الانتخابات وترضية للحركة الوطنية التي كان هؤلاء يتزعمونها . ولم يستبعد الملاحظون أن يكون فيما قيل شيء من الحقيقة ، فالتقاليد العائلية الدينية كانت تدفع الاسر التي لها مناصب دينية إلى الحرص الشديد على الاحتفاظ بهذه المناصب جيلا بعد جيل بالرغم عن تفاهة المرتب في أغلب الاحيان لانها ترى فيها شرفاً للاسرة حتى ان هناك أسراً تحتفظ بمناصبها منذ قرون عديدة ، وحتى كان ابن صاحب المنصب المتوفى يتلقب بلقب المنصب ويستوفي مرتبه ولو كان طفلا وينصب عنه وكيل الى أن يرشد ويتأهل للمنصب او يتخلى عنه . وكان منصب الافتاء في الاسرة الحسينية خلال مدة غير قصيرة ، ولم يكن الحاج أمين من رجال الدين وكان متطربشاً فلم يكد أخوه المفتي الشيخ كامل ينتقل الى رحمة الله حتى لبس العمامة وأطلق اللحية إستعداداً للاحتفاظ بهذا

المنصب التقليدي المهم في أسرته. ولعل المندوب قصد كذلك بهذا الاختيار إستبقاء التنافس بين اسرتي الحسينية والنشاشيبية حيث كان زعيم الاسرة الثانية رئيساً للبلدية، وإشغالا للعرب كما وقع فعلا حيث لم يلبث أن صارت الحسينية والنشاشيبية علما حزبياً لانصار كل من الاسرتين ومظهراً من مظاهر التنافس بينهم ومشغلة من مشاغلهم . ولعل المندوب أراد فيما أراد تقييد الحاج أمين بقيود المنصب الذي كانت خزينة الدولة تدفع نصف مرتبه على حساب ما يدخلها من رسوم المحاكم الشرعية ، ولا سيما إنه كان قبل هذا المنصب جم النشاط حتى إنه كان من قواد المظاهرات التي وقع فيها صدام دموي عام ١٩٢٠ في القدس والتي عرفت بثورة القدس الاولى والتي أقيل بسببها موسى كاظم فطورد وحكم عليه غيابياً بالسجن خمس عشرة سنة وظـــل متغيباً عن فلسطين الى أن التمس له العفو من المندوب فاستجاب هذا وعفا عنه وعن عارف العارف رفيقه في قيادة الثورة والحكم. ومع أن المندوب هو الذي عين الحاج أمين كذلك رئيساً للمجلس الاسلامي في سنة ١٩٢٢ فقد كان في هذه المرة صاحب الاصوات جميعها تقريباً . ومهما يكن من أمر فقد تحقق بعض الشيء مما أراده المندوب من تقييد الحاج أمين بقيـــود المنصبين حيث جعله يداري بعض المداراة وإن لم يتخلّ عن الحركة الوطنية وأهدافها مناضرة وتحريكا وظل الأمر كذلك الى عام ١٩٣٦ حيث قاد هذه الحركة جهاراً فكان من نتيجة ذلك أن أقالته الحكومة من رآسة المجلس عام ١٩٣٧ لانها لم تعد ترى بقاءه فيها متسقاً مع ما كانت تتوخاه غير مبالية بكونه إنما جاء الى هذا المنصب بانتخاب المسلمين

ولقد وجدت السلطات التي تمثل السياسة الانكليزية اليهودية معاً في الاتجاه الذي اتجه اليه المعارضون متنفساً لتحقيق أغراضها مـــن التوهين وصرف وجهة العرب واندفاعاتهم المحتملة إلى غير وجهتها الطبيعية على اعتبار أن اكثرية العرب العظمى مسلمون وان حركة المقاومـــة والنضال تقوم بهم فشجعت المعارضين والمنافسين في خطتهم واتجاههم ، فأخذ التيار يقوى ويعمل عمله ، وأخذت الانظار تتجه إلى المجلس الاسلامي واعماله وتشكيلاته وموازنته الخ ؛ ولقد كان في كيان المجلس ما ساعد المعارضين والسلطات على ما انتهجوه من خطة وعملوا على تحريكه من أنظار وتيار ؛ ولقد كانت فكرة المجلس حينما طرأت على أفكار بعض رجال

المسلمين بسيطة تهدف إلى ان يتولى المسلمون شؤون أوقافهم ومؤسساتهم الدينية ورأي المندوب انه قد يكون في هذا تهدئة لنفوس المسلمين الذين هم اكثرية العرب الساحقة وأمارة غير ذات خطر من أمارات المساواة والعدل بين الطوائف التي كانت تتولى تلك الشؤون في زمن الدولة العثمانية ، ونزولاً في الحقيقة بالمسلمين إلى مستوى الطائفة التي كانت طابع الاقليات فشجع عليها وترك لرجال المسلمين أن يضعوا القانون الذي يريدونه لها ، وكان ذلك في حيـــاة المفتي السابق ، فوضع قانون فيه انتفاخ يكاد يجعل المجلس بمثابة حكومة إسلامية يستطيع المسلمون ان يطمئنوا به رغباتهم وعاداتهم الخاصة والعامة والنفسية والدينية في ما منحه للمسلمين من حق الاشراف والتدقيق والتشريع والانتخاب العـــام الواسع والاجتماعات والمداولات البرلمانية مـــن جهة وفي ما كان له من ميزانية ومؤسسات ومحاكم ومدارس ورسوم وضرائب من جهة ثانية. وقد انبثقت في نفس رئيس المجلس رغبة في التوسع في المظاهر والدعاية والاتصالات والمراسم الداخلية والخارجية توسعاً يتساوق مع المفهوم الأنف الذكر ، وكان حرمان العرب من الحكم دافعاً لهم إلى الاتجاه نحو المجلس والتلهي به وتعليق أوسع الآمال عليه كاستجابه إيحائية إلى تلك الرغبة ، فكان في كل هـــذا مثار غيرة وحسد ومنافسه وسخط ورضاء وحرمان ونوال ومنع ومنع استغل أقوى إستغلال من جانب السلطات والمعارضين معاً ، حتى جاء وقت كاد المسلمون ينسون فيه الحكومة وملايينها ودوائرها وآلاف موظفيها وقوانينها ومدارسها وضرائبها وما في ذلك من مدى واسع وحقوق ضائعة وتصرفات شاذة بجحفة ، لتنحصر أنظارهم في المجلس يدققون في أعماله وتصرفاته ومشاريعه وينبشون عـــن كل صغيرة وكبيرة فيه وتحدق عيونهم في العشرات المحدودة من آلاف جنيهاته والعشرات المحدودة من موظفيه والساحة الضيقة التافهة من اعماله الانشائية والمادية ، ويقومون بالأسفار والرحلات ويعقدون الاجتماعات ويؤلفون الجبهات في صدد ذلك كله ، ويجدون في هذا تطميناً لرغبة الحكم وفشاً لشهوة النقد اللذين حرموهما .

المجلس والمعارضة

ومنهم مـن كان يظن أن المجلس يجب أن يتسع لكل راغب في عمل ولكل

مشروع ، وما دام المجلس بمثابة حكومة إسلامية فليكن لهـذه الحكومة جبهة مؤيدة تدعى « المجلسية » وجبهة معارضة تشتغل بالنقد والتجريح وتعداد العيوب وتطالب بالاصلاح تدعى « المعارضة » ، وقد كان الأمر كذلك ، وكانت اكثرية الجبهة الاولى من الجبهة الوطنية واكثرية الجبهة الثانية من الجبهة المعارضة الاولى، وانقلبت مفهومات الامور مرة اخرى حتى صارت هذه المعارضة عنواناً لمعارضة المجلس بدلا مـن أن تبقى عنواناً لمعارضة الحركة الوطنية كما كانت في الأصل والهدف وظلت كذلك في الحقيقة والواقع ، وصارت تسمية « المجلسية » أو كادت تصير عنواناً للحركة الوطنية ..

انتخابات المجلس الاسلامي واثرها في ضعف الحركة الوطنية

ولقد كان من نتائج ذلك أن قويت المهاترات والمشادات وانقسم المسلمون إلى معسكرين معاديين مجلسي ومعارضي واندمج فيها الناس بتأثير مـا اعتادته فلسطين وما لم تنقطع صلتها به مـن حزبية القيسية واليمنية ، ونسوا أو كادوا ينسون القضية الوطنية . وقد نتج عن هذا حركة انتخابات لأعضاء المجلس فاتسع الانقسام بين المسلمين اتساعاً شديداً شأن الانتخابات في الشرق العربي ، وقد كانت الانتخابات عامة شملت كل مسلم راشد في كل مدينة وقرية وقبيلة وفقاً لقانون انتخاب المجلس النيابي العثماني . وهذا من انتفاخات المجلس العجيبة ـ مع أنها كانت لانتخاب اربعة اعضاء مرتب الواحد منهم خمسون جنيهاً وحقيقة عملهم الاشراف على المؤسسات والتشكيلات الوقفية والاسلامية ضمن ميزانية حدودها خمسون الف جنيه ! فكانت هذه العمومية الانتخابية سبباً في اتساع مدى التنافس بين المسلمين، وسبباً في إستغراقهم فيها جميعاً وانجرافهم في تيارها دون استثناء ؛ وكان لرئيس المجلس وانصاره مرشحون وكان أمامهم مرشحون آخرون من المعارضين الأصليين وغيرهم ولعبت العصبيات المحلية دورها الطبيعي فتساندت الجبهات تبعاً لذلك دون مبالاة بالصفة الوطنية وقد أملت ظروف العصبية على فريق مـن المعارضين الأصليين فناصروا مرشحي المجلس وتساندوا مع المجلسيين كما أملت هذه الظروف على فريق من الوطنيين المخلصين البارزين في الجبهة الوطنية فناصروا غير هؤلاء المرشحين وتساندوا مع المعارضين الأصليين بالرغم مما كانوا يوجهونه إلى وطنيتهم

من غمز وتجريح .. وهكذا كان في فلسطين سنة ١٩٢٥ منظر كريه بائس ومحزن ومؤسف معاً اختلط فيه الحابل بالنابل وتساند فيه المخلص مع المغموز ، وفسدت فيه المقاييس وانحطت الاذواق والأخلاق وضاع المنطق والاذعان ، وتوطدت أكثر من أي وقت الحزبية الشخصية والمحلية العمياء حتى صارت هي الناظمة لصلات الناس ، وحقّ معنى الكلمة المأثورة في مثل هذه الفتن الاهلية وكون قاتلها ومقتولها في النار على الجميع ، ثم لم يظفر أحد بما أراد لأن محكمة العدل العليا الانكليزية حكمت ببطلان الانتخابات لأسباب خرجت عن إمكان التلافي ، فأقامت السلطات على انقاض ما حطمته هذه الحركة من اخلاق وقلوب وجهاد ومبادىء وكرامة مجلساً معنياً تعاهد المجلسيون على رفضه أولاً ثم قبلوا به حينما رأوا اكثريته في جانبهم ، وحرمته من بعض الصلاحيات التي كانت للمجلس المنتخب ،.ولم يظفر في هذه المعركة غيرها لأنها حققت غرضها في هذا التحطيم وأوهنت قوى الأمة وكادت تضمن عدم قيام أي حركة ضدها، وخرج المعارضون من هذه المعركة أكثر بروزاً وشمولا لأن طبيعة الانتخاب يسرت ان يكون لها مناصرون في كل مكان بقطع النظر عن التفاوت في الكثرة والقلة والفتوة والضعف .

وقد كانت الرغبة التي قلنا انها انبثقت في نفس رئيس المجلس في التوسع والمظاهر والمراسم قائمة على اجتهاده بأن في تقوية كيان وبنيان المجلس وجعله ملاذاً للمسلمين تقوية لروح الامة مع ان الذي حصل هو عكس ذلك ؛ لانها كانت محركة للغيرة والحسد والحركات المتنوعة التي نجمت بين المسلمين واوهنت قواهم وشغلتهم عن قضية الوطن الكبرى فضلاً عن الاضطرار الى مداراة الانكليز في سبيل ذلك وهذا ما اراده الانكليز منذ الاصل في جملة ما ارادوه، وكان من نتائج هذا اتساع الحوصلة عند اكثر الناس لمداراة الانكليز مع بقاء الصفة الوطنية على المدارين بل وتصدر كثير منهم في الحركة الوطنية ما داموا ضد الحركة اليهودية ؛ حتى لقد قلت مرة لرئيس المجلس في اثناء استعراض ما طرأ على الحركة الوطنية وصفوف العرب من وهن : ليت المجلس لم يكن ، لانه كان سبباً من اسباب اتجاه المسلمين الى هذا الكيان وانشغالهم به وبذل قواهم ونشاطهم وتفكيرهم حوله ، كما كان سبباً من اسباب تستر مرضى القلوب بمعارضته بسبيل معارضة الحركة الوطنية ، وانه لو لم

يكن لكان الموالون للانكليز واليهود او النفعيون وجدوا وجهاً لوجه أمام الناس بحقائقهم ولما وجدوا ستاراً يتسترون وراءه بعض التستر او كله ولكان في الحركة وطنيون صرفاً وغير وطنيين صرفـــاً ، ولبذل النشيطون من المجلسيين المخلصين جهودهم واموالهم التي بذلوها في المشادات والمكافحات الحزبيـــة في سبيل القضية الكبرى ، ولما اضطرت المعد لهضم اشياء كثيرة لا تهضم مما ادى الى ضعف الثقة وانكسار النفوس وخفوت صوت الضمير الوطني والاخلاقي وسيادة الاعتبارات الشخصية والسياسية الحزبية المحلية وتحكمها والاصطدام بها والاندحار أمامها في كثير من المواقف .

ولقد كانت الحكومة حينما عينت أعضاء المجلس وعدت بتعديل قانونه وقالت ان حالة المجلس الراهنة هي موقتة الى أن يتم ذلك التعديل ثم عينت لجنة مـــن الحقوقيين الشرعيين والمدنيين المسلمين لذلك برآسة رئيس المجلس الذي لم يتناوله التعيين لأنه لم يتناوله الانتخاب . وقد لبثت اللجنة شهوراً طويلة في مهمتها محاولة أن تجعل القانون اكثر مرونة تطبيقية من جهة وأوسع شمولاً من حيث العمل من جهة وتخليص انتخاباته من تلك العمومية من جهة ، وكان يعتور اجتماعاتها فتور وتباعد بسبب ما بدا من رغبات واعتبارات شخصية ، وقد اضطرت اخيراً الى مسايرة بعض هذه الرغبات والاعتبارات حتى انتهت مهمتها وارسلت مشروعها الى الحكومة . غير أنه قام عند هذه نوماً عميقاً لم يستفق منه ، مما جعل الملاحظين يشعرون أنها تفضل بقاء الحالة التي انتهى اليها المجلس لأنها اكثر تمكينا لهـــا من الهيمنة عليه وعلى اعضائه الذين يدينون لها بفضل التعيين واكثر تقييداً له، ولم يشتد الالحاح على الحكومة في أمره تحاشيا من مزعجات الانتخابات ومكروهاتها .

ومن المقاييس التي تبدلت خلال هذه المنافسات والمهاترات والتفكك ونتيجة لها منذ نجومها مفهوم الصفة الوطنيه في فلسطين ، ففي غير فلسطين لا يمكن ان يتسق معنى الوطنيه الا بالوقوف من المستعمر المتسلط مـــوقف النضال والعداء الصريح ، وقد كان الأمر كذلك في فلسطين ايضا في السنوات الأربع الأولى أي قبل طروء الوهن والانشقاق على الجبهة الوطنية مع استثناء ضيق النطاق ، ثم صار يستساغ بنطاق اوسع ان تبقى تلك الصفة على من يساير الانكليز ويتصل بصلة

من الصلات ويتعاون معهم في الوظائف واللجان الرسمية وشبه الرسميه والمأجورة والفخرية ويعقد معهم اواصر الصداقة الصحيحة أو التظاهرية ويخدم اغراضهم ويروج مطالبهم ، بل وصار يستساغ ان يكون له شأن في الحركة الوطنية إذا ما كان منـاوئا لليهود والحركة اليهودية . وهكذا نشأ في فلسطـــين ونتيجة لبلواهـا المزدوجة بالانكليز واليهود من جهة ولما حل في حركتها الوطنية من ضعف من جهة اخرى ما يمكن ان يسمى بالوطنية الثنائية أو الخنثويه عادت على الحركة الوطنية وأحداثها بأضرار متنوعه .

ومع أن الحالة تبدلت نوعا ما منذ سنة ١٩٣٦ وهي سنة الاضراب الطويل والثورة الكبرى واللجنة العربية العليا فقد ظلت آثارها قائمة وكانت دائما مثار تشاد وألم بين المشتغلين في الحركة الوطنية .

وكما كان للانكليز اليد الطولى في ما حل في صفوف العرب من وهن وتفكك فقد كان لهم يد في هذه الحالة ايضاً . فقد طبقوا في قضية فلسطين سياستهم التقليدية النفاقية من حيث قيام اناس منهم يظهرون عطفاً على الحركات والمطالب الوطنية ليظل هناك اعتقاد بأن الانكليز ليسوا أردياء وان منهم من يرى الحق حقاً والباطل باطلاً ولو في سياسة حكومتـــه ويسعى في احقاق الحق واحباط الباطل ، فيظل هناك أمل في امكان التفاهم والاقناع وتبديل الخطط السياسية ولا تقف الامـــة المنكوبة بهم صفاً واحداً موقف العداء الصريح لهم او يبقى فيها من لا يجنح الى هذا الموقف على الأقل . على أن الانكليز الذين اظهروا شيئاً من العطف عـــلى قضية العرب في فلسطين أو شجعوا على الحركة بسبيلها انما استهدفوا توجيـــه الحركة في وجهة مناهضة اليهود فقط ، واذا كان منهم من فعل هذا بدافع الكره الطبيعي في البشر لليهود فلا شك في ان جمهرة الذين فعلوه من رجالاتهم وموظفيهم قد فعلوه لصالح السياسة البريطانية العليا التي كانت تهدف الى استغلال كل من اليهود والعرب وتخويف كل منهم بالآخر . ولقد نجحوا في هذا التوجيه نجاحاً غير يسير وخلال مدة غير قصيرة ، فجعلوا كثيراً من رجال العرب بل ومن زعمائهم وبارزيهم وطيبيهم يسيرون فيـــه ، منهم من فعل هذا مسايرة وطمعاً في الجاه والمنصب والمنفعة والرعاية ، ومنهم من فعله لأنه اقل تعريضاً للخطر وأقل عناء ، ومنهم من فعله ظناً بأن الأمة لا تطيق أن تحارب عدوين كل منهما قوى خبيث

وبأن الخطر اليهودي أسرع وأشد خطورة ، وبأن المصلحة تقضي بتكثيف الجهود ضده ، ومنهم من كوّن موقفه من هذه المعاني الواردة كلها ، ومنهم من انساق في التيار انسياقاً .. ولم يستبينوا الرشد والحقيقة الناصعة التي تتمثل في التلازم والتساوق التامين بين السياسة البريطانية والسياسة الصهيونية الى أبعد المدى الامتأخرين .

- ١٠ -

ولقد دام ذلك المنظر البغيض أمداً غير قصير في أفق فلسطين وكان من نتيجته أن وهنت القوى وفترت العزائم وان كاد الناس ينسون كفاحهم حتى ضد الحركة اليهودية الذي كان المسلمون والنصارى على اختلاف اهوائهم وميولهم متطابقين فيه . ولو لم يكن اليهود في هذه الفترة يقاسون ازمة اقتصادية خانقة حملت كثيراً من المهاجرين على النزوح من فلسطين واضطرت اليهود الى تعطيل كثير من مشاريعهم وترك ساحات غيرة يسيرة من اراضيهم بوراً لكانوا جنوا فيها أعظم الثمرات وخطوا خطوات سريعة وواسعة نحو هدفهم منذ ذلك الحين على انهم قد جنوا كثيراً وخاصة باستسناح مرضى القلوب والاخلاق والوطنية والمروءة من العرب فرصة الفتور والوهن واندفاعهم في تيار السمسرة وبيع الأراضي لليهود دون ما حرج ولا خوف ولا تجريح ، حتى كاد يستسيغ ذلك بعض المعروفين من الوطنيين النظاف وأن يسقطوا هم الآخرون في هوته بل ومنهم من سقط فيها بشكل من الاشكال ، وحتى لقد تحسب بعض رجال الانكليز من مغبة ما يمكن ان يحاوله اليهود من استغلال هذه الحالة بسبيل الاستعلاء والازعاج والخطوات السريعة نحو غايتهم دون تقيد بالخطة الانكليزية ، وكان المندوب اليهودي قد انتهت مدته وخلفه مندوب انكليزي هو اللورد بلومر ، فحاولوا هز العرب وايقاظهم من السبات الذي غرقوا فيه والهوة التي سقطوا فيها ذاهلين محطمين على ما ظهر من اتصالات جرت بين نفر من الوطنيين وموظف انكليزي كبير ، حيث نقل بولس شحاده صاحب جريدة مرآة الشرق وكان من المنسجمين مع الانكليز عن لسان ميلز مساعد السكرتير العام وهو من الشخصيات الانكليزية اللامعة الذين يعملون للاستعمار الانكليزي وحسب ، استفتاء الحكومة للبحث مع نفر من الوطنيين العرب في صدد تعديل السياسة القائمة ، فتكون هذا النفر منه ومن رفيق التميمي

وعزة دروزه وعمر الصالح البرغوثي ومعين الماضي ورشيد الحاج ابراهيم واجتمعوا مع ميلز أربع اجتماعات خلال اسبوع وكان ذلك في اواسط تموز من سنة ١٩٢٦ وقـــد جرى البحث حول الاسباب التي تمنع العرب من التعاون مع الحكومة وخاصة فيما اخذته على عاتقها من انشاء الوطن القومي وما ينطوي فيه من تعارض لمصالح العرب واخطار لكيانهم وقالوا فيما قالوا ان التعاون المطلوب يتوقف على تعديل الدستور على الاقل بحيث يرفع منه كل نص يتصل بتصريح وعـــد بلفور ويدخل عليه نصوص تيسر قيام حكم وطني برلماني يشترك فيه الفلسطينيون بنسبة عددهم ويمهد لقيام كيان سياسي فلسطيني لم يقم الى الآن كما قام في أمثال فلسطين من البلاد العربية وينتهي الى انهاء عهد الانتداب وابداله بمعاهدة عنى ما جرى في العراق . وكان ميلز أظهر في الجلسة الاولى استعداده للبحث الواسع وأمله في الوصول الى نتيجة ، ورأى الجماعة هذا تطوراً عجيباً لان الحكومة الانكليزية لم تكن تقبل قط البحث في هـذا الامر ، ودوّن ميلز مذكرة في ما دار جاءت غير صحيحة في التعبير فأرسل الجماعة تصحيحاً للوقائع كما ارسلوا مذكرة معدلة لمذكرته بسبيل التعديلات الدستورية وكانت مقترحاتهم متسامحة معتدلة لان الحالة الروحية وفتور الحركة الوطنية كانت تملي الرغبة في الحصول على شيء ما . وبعد قليل ارسل ميلز كتاباً اليهم يعطفه على المندوب السامي ويذكر فيه ان هذا نظر في المقترحات باهتمام كبير ولو ان بعضها لا يمكن قبوله واعتباره قابلاً للأخذ والرد ، وانه رأى على كل حال انه يحسن ان تقدم المقترحات المرغوب في تقديمها من قبل هيئة تمثيلية بينما يعرف انه ليس هناك هيئة تمثيلية (١) ، فكان الجواب وسيلة الى الدعوة الى عقد المؤتمر السابع وحافزاً عليه ، حيث اذيع مع المذكرات المتبادلة واهيب بالامة ان تتناسى احقادها وتجدد نشاطها وحركتها ، ثم اخذ الجماعة وغيرهم يعملون لتقريب وجهات النظر بسبيل ذلك .

المؤتمر السابع ولجنته التنفيذية

ولقد عقد هذا المؤتمر في حزيران سنة ١٩٢٨ بعد صعوبات ومتاعب مضنية حيث نجمت الخلافات حول الدعوة وكيف توجه وممن والى من توجه الخ . نتيجة ما كان

(١) جعلنا المذكرات وكتاب ميلز الاخير ملحقاً برقم (٣)

من تفكك واندفاع في العصبية الحزبية ، واشترك فيه ممثلون لمختلف الفئات بقطع النظر عن السابقة والاخلاص بحيث دخله مخلصون مجاهدون كما دخله منافقون بل ومجامرة وباعة اراضي وجواسيس ، وكان اضعف مؤتمرات فلسطين من ناحية الحماس وقوة القرارات وشمولها وطابع النضال ، وكاد يسفر عن المطالبة بحكومة وطنية في نظام الانتداب القائم لولا أن انتبه بعض الوطنيين الى مغبة ذلك فاقترحوا اتخاذ قرار بتأييد مقررات المؤتمرات السابقة وامكن أخذ الموافقة عليه . وقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية كثيرة العدد بلغ ثمانية واربعين لتتسع لتمثيل جميع الفئات والاقضية على اساس عضوين مسلمين عن كل قضاء واحد مجلسي وآخر معارض مع اضافة عدد معين من المسيحيين ، وكانت فعلا ممثلة لفئات جميعها مجلسيه ومعارضة ومخلصة ومنافقة ومجامرة وباعة اراضي وجواسيس ! وانتخب لها ثلاثة أمناء سر واحد مجلسي وآخر معارض وثالث مسيحي ، فكان كل هذا مظهراً لمدى الانقسام الذي حل في صفوف المسلمين ومدى ما كسبته المعارضة التي شجع عليها الانكليز في الاصل من خطورة وما أصاب الجبهة الوطنية من تضعضع وبالتالي ما أصاب الانكليز من نجاح عظيم في توجيهاتهم ودسائسهم وخططهم .

ولقد كان من نتيجة هذا ان غلب التفكك على اللجنة التنفيذية وان برز عليها طابع الشخصية والمحلية ، وان كان التنافس والمهاترات والمداورات تشتد في كثير مما تعقده من اجتماعات وتتناوله من أبحاث وتقرره من مقررات ، وخاصة إذا كان ذلك في صدد انتخابات او تعيينات او سياسات شخصية ومحلية او اتخاذ موقف حازم تجاه السلطات ، وأن كانت مقرراتها تجري في نطاق من المرونة لا تتحمله حوصلة الوطنية النضالية مع استثناء في ذلك كانت تمليه الظروف العصيبة على اللجنة إملاء وإن لم تجعلها تتفلت من الحزبية المحلية والشخصية في حال . ولقد انحلت في النهاية انحلالا آلياً بدون قرار أو خلف نتيجة لتلك الحالة التي ظلت تتمرغ فيها بضع سنين .

- ١٢ -

ثورة البراق ومبعثها وسيرها

وفي صيف عام ١٩٢٩ نشبت الثورة المعروفة بثورة البراق . والبراق يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف في القدس فيه باب جرت التقاليد الاسلامية

على كونه الباب الذي دخل منه النبي في اسرائـــه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى راكباً الدابة المعروفة في هـذه التقاليد بالبراق . وقد جرت تقاليد اليهود على اعتبار هذا الجـدار بقية من هيكل سليمان وعلى تقديسه واقامة بعض الشعائر الدينية والبكاء عنده وعرف بحائط المبكى من اجل ذلك .

ولقد اخـــذ اليهود منذ انتهت الحرب في التفكير والسعي في تثبيت حقوق واسعة لهم في هذا المكان عن طريق تغيير الحالة الراهنة التي كان عليها قبل الاحتلال او امتلاك منطقته كما صار شأنهم بالنسبة لجميع فلسطين ، وبدأوا خطوتهم الاولى منذ عام ١٩١٩ بما قدموه من عرائض رسميـة ونشروه من مقالات خطيرة على ما ذكرناه في مناسبة سابقة ؛ ووصل امر مطامعهم الى نشر الصور لهيكل يهودي جديد مكان مسجد الصخرة ونشر هذا المسجد يعلوه العلم الصهيوني والكتابات العبرانية مما اثار هواجس المسلمين وجعلهم يتبينون مدى مطامع اليهود وتفكيرهم في وطنهم ومقدساتهم .

ومع ان الانكليز لم يشجعوهم في هذا الامر لانهم يعرفون حساسية المسائل الدينية وما يمكن ان تثيره من هياج لا ينحصر في فلسطين فان اليهود استمروا في دعايتهم واستفزازهم حتى انهم اخـذوا يساومون على شراء المنطقة الوقفية الواسعة المحيطة بمحل البراق وحائط المبكى والموصلة اليه ويذكرون ارقاماً باهظة للاغراء . وقد فعلوا هذا حينما رأوا ما حل في العرب من فتور ووهن وتفكك . ولقد اغرتهم هذه الحال فأخذوا يتداعون كذلك الى المطالبة بتملك ما زعموه من مكانهم الديني وحريتهم فيه، حيث كانت هذه الحرية مقيدة بما كانت عليه قبل الاحتلال ولا تعدو اباحة وصولهم الى الجدار وبكائهم وتلاوتهم الادعية عنده وقوفاً . وانشأوا جمعية تتفرغ لهذا الامر اخذت تثير عواطف اليهود الدينية فكان من نتائج ذلك ان خطا اليهود في عيد غفران عام ١٩٢٨ خطوة جريئة حيث تجاوزوا المبـــاح لهم فنفخوا بالصور ووضعوا المقاعد والستائر وتداعوا من كل انحاء فلسطين وتدفقوا الى الزيارة آلافاً مؤلفة بين مظاهر الحماس والزهو . فأثار هذا المسلمـــين وفي مقدمتهم رئيس المجلس الاسلامي ودعاهم الى الاحتجاج والتذمر والاستعداد للدفاع عن مكان هو ملكهم الشرعي ومكانهم المقدس . وقد تدخلت السلطات ومنعت اليهود مما صنعوا وتلافت الخطر . وكان مما قام به المسلمون بسبيل الدفـــاع عن مكانهم وحقوقهم

تشكيل جمعية باسم جمعية حراسة المسجد الاقصى اخذت على عاتقها تنبيه المسلمين الى الخطر الذي يهدد اماكنهم المقدسة وبث الدعوة الى الدفاع عنها في فلسطين وسائر البلاد الاسلامية. وقد اقتبسوا الفكرة من اليهود الذين كان لهم جمعية باسم « حراس المبكى » تهدف لتحقيق آمالهم في هذا المكان وما حوله. وتشكل للجمعية فروع في مدن فلسطين وعقدت مرة مؤتمراً كبيراً اشترك فيه رجال كثيرون من فلسطين وبلاد الشام الاخرى وتقرر فيه قرارات قوية في صدد عزم المسلمين على الدفاع عن اماكنهم المقدسة.

فلما كانت سنة ١٩٢٩ عاد اليهود يتداعون الى الحماس ويتهيئون للمظاهرات والتحدي ويكتبون المقالات ويلقون الخطب المثيرة؛ واخذ المسلمون يتهيئون للوقوف بما يمكن ان يبدو من اليهود من جرأة وبغي موقف المقابلة والتأديب. وكان اليهود إذ ذاك يعقدون مؤتمرهم الصهيوني العام في زوريخ واخذ ينتشر ما كان يجري فيه من ابحاث ويلقى فيه من خطب تدل على مطامع اليهود الواسعة والرهيبة سواء في صدد حائط المبكى أو في صدد فلسطين فكان ذلك مما زاد في الغليان وتوتر الاعصاب عند المسلمين واليهود على السواء.

وقام اليهود في اسبوع عيد الغفران في اواسط شهر اغستوس ١٩٢٩ بمظاهرة صاخبة قابلها المسلمون في الاسبوع التالي بمظاهرة اشد صخباً وحماساً. واخذ الفريقان يتربصان ببعضهما وما لبثا ان اشتبكا في احياء القدس وضواحيها، ثم سرت النار الى يافا وماحولها من قرى ومستعمرات ثم الى الخليل وصفد وغيرهما، واستمر التوتر والغليان نحو اسبوعين كانت الحالة في اولها شديدة الاضطرام. وقد تجاوز عدد الضحايا المئتي قتيل والستمئة جريح اكثرهم من اليهود وكانت اكثر اصابات العرب من البوليس. وقد فتك اليهود ببعض الاطفال والنساء حيث داهموهم في محلات منعزلة قريبة الى محلاتهم.

وقد هزت الثورة العرب في خارج فلسطين فاحتج عاهلا الاردن والرياض وقامت المظاهرات الاحتجاجية والتضامنية في سوريا والعراق والاردن، واخذ عدد كبير من الاردنيين يتهيئون للزحف نحو فلسطين. وهزت عرب فلسطين كذلك هزاً شديداً فقامت المظاهرات الصاخبة وعقدت الاجتماعات في نابلس وغيرها وبدت مظاهر الحيوية والتضامن على اللجنة التنفيذية التي كان يشتمل فيها جميع

الاهواء والاحزاب حيث نسيت عصبياتها الحزبيـــة موقتة ووقفت من السلطات موقفاً صلباً قوياً واستطاعت ان تكثف الجهود والانظار حولها وان تفرض نفسها وقراراتها مدة من الزمن عاد فيها شيء من مظاهر قوة الحركة الوطنية ومجدهـــا الاول . وقد ساعدت ظروف الحادث واثره على جمع تبرعات من فلسطين وبـلاد العرب تعد كبيرة نوعـاً في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية بالنسبة للسابق خاصة حيث بلغت نحو خمسة عشر الف جنيه فساعـد ذلك على حيوية اللجنة التنفيذية وما كانت تقتضيه ظروف الحركة واحداث الثورة من شؤون ومطالب .

- ١٣ -

الكابتن كانتغ

ومما حدث ان الثورة لم تكد تهدأ وتبدو الحيوية والتضامن على اللجنة التنفيذية والحركة الوطنية حتى هبط على فلسطين شخص انكليزي اسمه الكابتن كانتغ ، ثم تقدم الى الهيئات العربية كرجل مناصر للعرب . وقد كان مثّل دوراً مثل هذا مع الامير عبد الكريم الخطابي أثناء ثورة الريف المغربي الكبرى، ورددت الانباء ذكره وصدى مناصرته لهذه الحركة . وقد تردد على المفتي وغيره من رجال فلسطين وأخذت الصحف تذكره وتثني عليه وعلى رجال الانكليز الأحرار الشرفاء بمناسبته وتذكر انه ما زال في الشعب الانكليزي رجال صادقون ذوو ضمائر حية لايقبلون الظلم يقع من حكومتهم ... وأقيمت له حفلات في القدس ، ثم أبدى رغبته في زيارة المدن العربية المهمة فهيئت له رحلة الى نابلس وحيفا ويافا كان يقابل فيها بالحفاوة والتكريم ، وقد خطب في الحفلات التي أقيمت له خطبا حماسية نعى فيها سياسة حكومته ووصى العرب بالاتحاد والثبات في سبيل قضيتهم العادلة . وقـد لازمه فخري النشاشيبي في حله وترحاله ، ممـا أوحى للأذهان أنه ارسل خصيصاً لخدمة الاسم الانكليزي عن طريق المبالغة في العطف والتظاهر لتظل قناعة الناس قائمة بوجود فريق في الانكليز مضاد للاستعمار ومناصر لقضايا الشعوب المنكوبة به ، ويظل حسن الظن في الانكليزي موطداً .. وهذا المشهد مـن المشاهد التي تظهر من الانكليز في المناسبات المهمة حتى غدت تقليداً من تقاليدهم .

فيلبي ومشروعه

كذلك مما حدث من هـــذا الباب أن جون فيلبي الذي أظهر إسلامه وصار يسمى عبد الله هبط الى فلسطين في هذه الاثناء أيضاً . وجاء متكتما بعكس ذلك أو بالاصح متظاهراً بالتكتم . وكان يحمل كتابا لأحمد حلمي عبد الباقي من فارس الخوري حيث جاء اولا إلى دمشق وتحدث مع هذا في قضية فلسطين ، وأشعره انه جاء من لندن خصيصاً للتفكير في حل مناسب لهـــا ، ووضع معه نصوصاً لتسوية القضية ، وأتى إلى فلسطين في أواخر شهر تشرين الاول ١٩٢٩ يحمل هذه النصوص التي كانت مكتوبة باللغة العربية على ورقة مطبوع عليها إكليشة فارس الخوري وربما بخطه . وقـــد عقدت بضعة إجتماعات في بيت احمد حلمي شهدها الحاج امين الحسيني وعزة دروزه وأمين التميمي وعجاج نويهض لان فيلبي ظل يلح على أن تكون الاجتماعات مكتومة ضيقة النطاق . وقد ذكر أنه من حزب العمال الذي كان يتولى الحكم ، وانه اتصل ببعض اقطاب الحزب الذين لهم صلة بباسفيلد وزير المستعمرات فرأى منهم ميلاً لحل قضية فلسطين على وجه مرض وكلفوه وهو في طريقه الى الحجاز أن يمر بفلسطين ويدرس الحالة ، وأنه قد خطر لباله أن توضع قواعد لحل القضية لتعرض على الوزارة وتبذل الجهود في تمشيتها ، وكاد يشعرنا أنه جاء خصيصاً وانه على صلة وثيقة بباسفيلد نفسه . وهذه النصوص التي جـــاء بها مكتوبة :

١ – تدار فلسطين بواسطة جمهورية دستورية .

٢ – يقوم بالتشريع مجلس نيابي منتخب باحدى طرق الانتخاب يمثل فيـــه العرب واليهود بنسبة عدد الساكنين منهم ولا يدخل الغائبون في تحديد النسبة ولا في التصويت .

٣ – القوة الاجرائية تقوم بها حكومة وطنية مسؤولة أمام المجلس النيابي . يمثل فيها العرب واليهود أيضاً .

٤ – يشرف المندوب السامي البريطاني على اعمال التشريع والتنفيذ ويكون له حق الاعتراض على كل قرار يناقض تعهدات بريطانية في انتدابها على فلسطين من جهة حقوق الاقليات وحقوق الاجانب وعمران البلاد .

٥ - يحق للمندوب السامي ان ينصب مراقبين يعاونونه في تنفيذ مهمته .

٦ - يمنع الاجانب عن الهجرة الى فلسطين خصوصاً العرب واليهود . وإنما يحق لحكومة فلسطين ان تحدد العدد المستطاع قبوله سنوياً بحسب استعداد البلاد الاقتصادي .

٧ - لا مانع من بقاء الوكالة اليهودية مرجعاً استشارياً في المصالح التي تعود لليهود ويحق للعرب ان ينشئوا وكالة مساوية لها في الحقوق لاجل مصالح العرب.

٨ - يبقى المندوب السامي مسئولا عن الامن العام الى ان تصبح الحكومة الوطنية صالحة لتحمل مسئولية ويتخلى لها عن فروعه تدريجاً .

٩ - يعاد النظر في شكل الادارة مرة كل خمس سنوات .

١٠ - اذا اصدرت حكومة بريطانية بياناً بهذه الامور فقد يكون صالحاً للتسوية .

وقد تلقينا الامر جداً واخذنا نبحث في القواعد تبديلاً وتعديلاً . وعلى ضوء الابحاث وضع فيلبي صيغة قال انها نهائية وانه سيبذل جهده لتمشيتها وهذا نصها :

١ - تدار فلسطين من الان على أساس جمهوري دستوري ديموقراطي .

٢ - الهجرة الى فلسطين حرة وخصوصاً للعرب واليهود مع اعتبار مصالح البلاد وطاقتها الاقتصادية .

٣ - تكون السلطة التشريعية بكاملها في مجلس تمثيلي ينتخبه اشخاص ذو وتابعية فلسطينيه مقيمون في فلسطين ويؤلف هذا المجلس من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود بنسبة كل منهم .

٤ - كل شخص أقام في فلسطين اقامة متصله لا تقل عن سنتين له حق التجنس .

٥ - السلطه التنفيذية تكون في مجلس وزراء فلسطيني مؤلف من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود بموجب النسبة . ومجلس الوزراء يكون مسؤولا امام المجلس التمثيلي وينص نصاً كافياً على توظيف العرب واليهود في الوظائف العالية والثانوية مع اعتبار نسبتهم وكفاءاتهم .

٦ - يبقى المندوب السامي مسؤولا عن الامن العام في البلاد الى ان تغدو حكومة فلسطين برأي عصبة الامم قادرة على القيام بهذا العبء وتكون القوات المسلحة في البلاد تحت إمرته مباشرة على أن يكون لحكومة فلسطين حق تأليف

قوات بوليسية لاغراض الادارة المحلية مؤلفة من عرب ويهود بحسب نسبتهم .

٧ – يكون للمندوب السامي بالنيابة عن عصبة الامم حق الرد « الفيتو » بشأن أي قانون او قرار يصدر من المجلس التنفيذي أو مجلس الوزراء ولا يكون متفقاً مع الالتزامات الدولية الموكول للحكومة البريطانية رعايتها ، أو يكون مجحفاً بحقوق الاقليات والأجانب أو منافياً لمصلحة البلاد وامنها وازدهارها . على أن يكون لحكومة فلسطين حق رفع الامر الى عصبة الامم للفصل فيه .

٨ – تظل الوكالة اليهودية معترفاً بها هيئة عامة لها حق المشورة والمعونة في جميع الشؤون التي تمس مصالح اليهود في فلسطين . ويكون للطوائف الاسلامية والمسيحية حق تأليف وكالة مماثلة في الصفة والصلاحية .

٩ – تأخذ حكومة فلسطين على عاتقها جميع المسؤلية من جهة الديون والمعاهدات الدولية المعقودة باسمها .

١٠ – هذه المواد خاضعة للمراجعة والتنقيح من قبل مجلس عصبة الامم في كل خمس سنين ولا يجري عليها تبديل اساسي الا بموافقة ذلك المجلس .

وقد نقلنا الصيغتين بنصيهما لانهما لم تنشرا قبل كما ان الحادث لم يعرف الا في دائرة ضيقة جداً وظل كذلك للان . والصيغتان تقومان على اساس واحد وإن كانت الصيغة الثانية أحسن من ناحية الحكم الوطني كما هو واضح . وعلى كل حال فالمواد مستلهمة من روح حالة الوهن التي طرأت على الحركة الوطنية والتي أملت على المؤتمر السابع قراره بالاكتفاء بالمطالبة بالحكم الوطني كطلب ايجابي على ما ذكرناه سابقاً ، ولا سيما ان العرب كانوا يعدون قيام حكم وطني خطوة تطورية كبيرة لان الحكومة الانكليزية كانت قد سدت هذا الباب في وجههم باعتباره معرقلاً لتنفيذ سياسة الوطن القومي على ما جاء في كتاب شرشل الابيض سنة ١٩٢٢ مما ذكرناه سابقاً . وقد كان الوطن القومي إلى هذا الوقت يجر نفسه جراً وكانت التبرعات التي ترد على الوكالة ضئيلة كما كان عدد المهاجرين بالرغم عن مختلف الحيل والاساليب يزيد سنوياً عن معدل سبعة الاف ، وكان ينزح في بعض السنين عدد اكثر من الواردين ولم يكن عدد اليهود يزيد عن مئة وخمسين الفاً ، حتى لقد قيل ان المنظمات اليهودية إنما اثارت قضية البراق بسبيل تحريك حماس يهود العالم ولفت نظرهم الى فلسطين بسبب ما كان يبدو من جمودهم . فكان قيام

حكم وطني ومجلس نيابي الاكثرية الكبرى فيـــه للعرب كفيلاً بوقف نمو الوطن القومي وابقائه في حدوده الخيالية أو الرمزية .

وبعد مغادرة فيلبي فلسطين جاء الى المفتي ليفي اليهودي مراسل جريدة نيويورك تايمس يحمل كتاباً منه يذكر فيه انه جعله صلة بينه وبين المفتي في الموضوع الذي جرت المداولة فيه ! فرفض المفتي الاجتماع به وأرسل الى فيلبي كتابا يعتب فيه عليه مع ما كان من تظاهره في الحرص على بقاء الحديث في نطاق الكتمان الشديد. ومن تمام القصة ان فيلبي ارسل كتاباً يطلب فيه مبلغاً من المال ليقوم برحلة الى انكلترة لمتابعة القضية .

وقد كان هذا الحادث الذي وقف عند هذا الحد لغزا لم نجد له تفسيراً الا الذي ذكرناه في صدد زميله الذي سبقه الكابتن كاننغ .

- ١٤ -

لجنة شو البرلمانية وتقريرها

واوصلت الحكومة الانكليزية لجنة برلمانية للتحقيق وهي المعروفة بلجنة شو ؛ فاستمعت في اول الامر الى عـدد من كبار موظفي الحكومة وطلبت كثيراً من البيانات عن الموظفين والأراضي والهجرة والقوانين والتشكيلات اليهودية والعربية ثم اخذت تعقد جلسات لاستماع العرب واليهود ، وقد اعتبرتهما طرفين متخاصمين ، واعتبرت الوكالة اليهودية ممثلة لليهود واللجنة التنفيذية ممثلة للعرب ، وطبقت تقريباً اصول المحاكمات الانكليزية في البيانات والشهادات والادعاء والدفاع ، وقبلت ان يدير الادعاء والدفاع محامون انكليز عن الطرفـــين ؛ وهكذا سارت الجلسات والتحقيقات . وقد اثار الطرف العربي القضية العربية من اساسها وبجذافيرها اصولاً وفروعاً وتمكن من رسم صور عديدة بما ادلى به من البيانات وابرزه من الوثائق وقدمه من الشهود لما كان من غـــدر الانكليز وبطلان الاساس الذي يقوم عليه الانتداب والظلم الفادح الذي ينطوي في صك الانتداب والمحـــاباة التي يعامل بها اليهود في كل مجال ، والاضرار التي حلت بالعـــرب من بيوع الأراضي والهجرة والعمل والوظائف والحرمان واهمال تطبيق القوانين التي فيها بعض الشيء من ضمان حقوق العرب وما كان من بغي اليهود ومطامعهم ودسائسهم وعنجهيتهم وتحرشهم

واستفزازهم الخ . . وقابل اليهود العرب فأثاروا قضيتهم هم الآخرون من اساسها وقرروا انهم يريدون ان تطلق لهم حرية الهجرة وشراء الاراضي دون قيد وشرط حتى تكون لهم الأكثرية في فلسطين وان هذا من واجبات الحكومة البريطانية والتزاماتها وفق صك الانتداب ، واتهموا حكومة فلسطين بتقصيرها في ذلك وبتقصيرها كذلك في حمايتهم وتسليحهم للدفاع عن انفسهم ، وذكروا كتاب فيصل لوايزمن ورضائه بمشروعهم مما حمل سكرتير اللجنة التنفيذية على الابراق لبغداد فجاء رد من رئيس الديوان يقول : « ان مولاه لا يذكر انه اعطى اليهود شيئاً مما يدعونه » . ولم يغفل اليهود عن استغلال ما كان من ضعف المؤتمر السابع الذي كان قراره الايجابي المطالبة بحكومة وطنية محاولين اعتبار ذلك تسليماً من العرب بمشروعهم ايضاً فسجل العرب ان هذا المؤتمر قرر فيما قرر تأييد المؤتمرات السابقة التي فيها الكفاية من انكار السياسة الصهيونية ورفضها وقدموا بهذه المناسبة صوراً عن قرارات المؤتمرات بما فيها قرارات المؤتمر السوري ، ولم ينس اليهود كذلك ان يزعموا ان الاضطرابات من صنع المفتي وبعض عناصر الشعب المناصرة له لتدعيم مركزه الذي تزلزل بحملات ودعايات الحزب المعارض له وان المفتي اثار هذه الاضطرابات لتحويل تيار السخط عليه واشغاله الناس عنه ، وان الشعب العربي هادىء راض لو تركه هؤلاء وشأنه بسبب ما عاد عليه من النفع العميم من الهجرة والاستعمار اليهودي !!

وبعد عودة اللجنة بمدة ما صدر تقريرها الذي احتوى حقائق كثيرة من مطامع اليهود وتصرفاتهم ومحاباة السلطات لهم ، واهمال مصالح العرب وحقوقهم مما كان سبباً مباشراً وغير مباشر للثورة ، وسجل فيما سجله ان اعلان اليهود لمطامعهم في مكان البراق وادعاآتهم فيه ومظاهراتهم وهتافاتهم وابواقهم المثيرة كانت سبباً مباشراً كما ان تظلمات العرب السياسية والاقتصادية يجب ان تعتبر اسباباً مباشرة لها ايضاً ، وان الشعور عند العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود قد نشأ عن خيبة امانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم ، وان سخط العرب المقترن بالخوف اقتراناً خطيراً قد يكون سبباً لاضطرابات مقبلة ، وان المطالب التي قدمت من جانب اليهود بشأن الهجرة الى فلسطين كان من شأنها ان تثير مخاوف العرب بأنهم سيحرمون يوماً من وسائل معيشتهم ويقعون تحت سيطرة اليهود السياسية ،

وان المهاجرين الذين قدموا الى البلاد كانوا اكثر مما تستطيع استيعابه، وان المراجع اليهودية انحرفت فيما يتعلق بالهجرة انحرافاً خطيراً عن المبدأ الذي قبلته سابقاً، وان مخاوف العرب الناشئة عن الهجرة كانت مع اسباب اخرى عاملاً في حدوث الثورة، وان اليهود لا يهتمون في الهجرة إلا للعامل السياسي مما يدعو الى اشد الانتقاد، وانه وقع بين سنتي ١٩٢١ – ١٩٢٩ بيوع كثيرة اخرج بسببها عدد كبير من العرب من اراضيهم دون ان تعدّ لهم ارض اخرى يزرعونها، وان محاولات الحكومة في حماية المزارعين لم تجد شيئاً، وان نصوص القانون الموضوع عام ١٩٢١ التي تقضي بوجوب التثبت من عدم حرمان المزارعين من ارض يزرعونها قبل الموافقة على انتقال ارض ما لم تطبق سنة ١٩٢٩ مرة واحدة، وانه نشأ بذلك طبقة من العرب بلا ارض وهي مستاءة ساخطة وتشكل خطراً كبيراً على البلاد، وان مشكلة الاراضي ستبقى مصدراً دائماً للاستياء وسبباً للاضطرابات، وان الشعب العربي متحد في مطالبته بالحكم النيابي، وان الاستياء الذي يشعر به من جراء عجزه عن الحصول على درجة من درجات الحكم الذاتي لما يزيد من مشاكل الحكومة. وقد اوصت اللجنة بتهدئة قلق العرب ومخاوفهم من مستقبلهم بمعالجة مشكلات الاراضي والهجرة خاصة معالجة تزيل اسباب المخاوف وتمنع الهجرة الزائدة وازدياد طبقة المحرومين من الارض وتساعد على حماية المزارعين والعمال العرب. ونفت ان تكون الثورة مدبرة او من صنع المفتي واكدت انها نتيجة لما قام به اليهود من حركات وتصرفات واظهروه من مطامع ونالوه من محاباة ولما رسخ في العرب من قناعة بالخطر اليهودي ولمسوه من حرمان ومزاحمة لمختلف طبقاتهم.

- ١٥ -

الوفد العربي الى لندن

وقابل العرب التقرير بشيء من الارتياح مع التحفظ، وقرروا ايفاد وفد الى لندن لعله يستطيع ان يستفيد من الجو الذي احدثه التقرير، ولا سيما ان وزارة المحافظين التي كان فيها امثال شرشل وايمري الاستعماريين المحابين لليهود قد تخلت عن الحكم وقام مقامها حكومة عمالية برآسة ماكدونالد. وتولت اللجنة التنفيذية التي برزت وقويت في هذه الفترة بقوة الموقف الذي وقفته باملاء الظرف

العصيب انتخاب الوفد فتألف من زعماء المجلسيين والمعارضين والمسجنين متطابقاً مع بنيان اللجنة نفسها ، وكان برأسة موسى كاظم الحسيني وفيه كل من الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني والفرد روك وسافر في اوائل عام ١٩٣٠ ولبث في لندن نحو شهر ونصف بسط خلالها قضيته للحكومة الانكليزية والرأي العام وطالب بوقف الهجرة وبيوع الأراضي وإنشاء حكومة وطنية .

وبعد وصول الوفد للندن وتقديم مذكرته الاولى القى ما كدونالد في مجلس العموم تصريحاً قال فيه إن الحكومة البريطانية ستستمر في إدارة شؤون فلسطين بمقتضى صك الانتداب وإنها لا يمكنها ان ترجع عن هذا الالتزام الدولي ، وكل ما عليها ان تلتزم العدل والمساواة في تنفيذ الالتزام المزدوج نحو فريقي السكان ، وإنها عازمة على اعداد القوة اللازمة من البوليس لحفظ النظام . فكان لهذه المقابلة السريعة وقع شديد على الوفد لان التصريح يعني اخفاق الامل بقبول اي طلب من طلباته الثلاثة كما يريد العرب فتوقفت المباحثات بينه وبين الحكومة واذاع بياناً على الرأي العام الانكليزي أشار فيه الى ما احتواه تقرير لجنة شو وتقارير لجان التحقيق السابقة من حقائق وما لحق بالعرب من اضرار واحدق بهم من اخطار بسبب السياسة التي تسير عليها الحكومة البريطانية ، وما كان من وقع تصريحات رئيس الحكومة عليه حيث جعلته يعتقد بعدم إحتمال حل قضيـــه العرب بالعدل والانصاف من قبل الحكومة لتغلب نفوذ الصهيونيين عليها . وقال فيما قال في بيانه « ان الاستمرار في هضم حقوق العرب اكراماً للسياسة الصهيونية يؤدي الى ابادتنا وملاشاتنا واجلائنا عن بلادنا وان المسئلة عندنا هي مسئلة حياة وموت

وان الشعب العربي سيكافح هـذه السياسة وان كل عربي يؤثر الموت دفـاعاً عن حقوقه الطبيعية وكيانه ، وان من واجبه أن ينبه أهل البلاد العربية والاسلامية بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها » . واذاعت الحكومة بلاغاً مقابلا قالت فيه « إن الوفد الفلسطيني قد بسط قضيته وإن الحكومة ستنظر فيها غير انها أفهمت الوفـــد ان التغييرات الدستورية الشاملة التي يطلبها لا يمكن قبولها كلها لأنها تعرقل عمل حكومة جلالته في القيام بالتزاماتها بمقتضى الانتداب

وانه لا سبيل للنظر في اي إقتراح لا ينطبق على ذلك ، وإن الحكومة ستدرس بواسطة الخبراء مسائل الاراضي والهجرة والعمل التي يشكو منها العرب وتقوم بواجبها على ضوء هذا الدرس ، وفي ذات الوقت اذاعت حكومة فلسطين بياناً عن مهمة الوفد وطلباته وموقف الحكومة البريطانية منها وما ادلت به من تصريحات واذاعته من بلاغات واعتزمته من خطوات ، وقالت في البيان في ما قالت « إن المخاوف التي اعربت عنها الدوائر العربية من ان سياسة حكومة جلالته قد تعرض كيان الشعب العربي في فلسطين للخطر لا مسوغ لها ، وانذرت باتخاذ العقوبات الشديدة على كل من يذيع اخباراً مضللة عن نيات حكومة جلالته ويخل بالقانون والنظام » ..

وعاد الوفد مخفقاً في ما أمل مقتنعا بأن السياسة الانكليزية المرسومة ان تتبدل بتبدل الوزارات وبأن المؤامرة الانكليزية اليهودية ضد العرب محكمة مستمرة الى ان تبلغ غايتها ..

سيمسون وتقريره

وارسلت الحكومة الانكليزية المستر سيمسون الذي يعد خبيراً عالمياً في مسائل الاسكان والاراضي فدرس احوال فلسطين ثم عاد وقدم تقريراً قوبل هو الآخر بشيء من الارتياح من الاوساط العربية بينما قوبل بالسخط الشديد من اليهود لما احتواه من الحقائق التي تدل على مدى ما يهدد العرب من أخطار وما كان من تآمر سلطات فلسطين مع اليهود عليهم . وكان مما سجله ان ثلث الشعب الزراعي العربي اصبح لا يملك اي ارض البتة ، وانه لو قسمت جميع الاراضي القابلة للزراعة بين العرب المزارعين لما أصاب كل اسرة مساحة تكفي لاعاشتها ، وان أدنى مساحة تحتاج اليها الاسرة العربية الزراعية هي مئة وثلاثون دونماً في حين ان ما في يد المزارعين العرب هو اقل بكثير من هذا المقدار وانه لا توجد في فلسطين اراضي ميسورة يمكن إسكان المزيد من اليهود فيها ، وان المزارعين العرب الذين تباع الاراضي التي يعيشون منها يغدر بهم ولا يلقون حماية وافية ، وان اكثر الاراضي التي في ملك اليهود اصبحت كالوقف ملكاً قومياً لا ينتقل ، وان الذين يشتغلون

فيها يشتغلون كمستأجرين ضمن شروط معينة تحرم عليهم تشغيل غير اليهود فيها ، خلافاً لما كان يجري في السابق وكما يفعل الملاكون الآخرون من اليهود لأفضلية العامل العربي جهداً وطـــول ساعات ، وان الوكالة اليهودية تعمد الى اساليب إحتيالية لجلب المهاجرين (١) وان كثيراً من العمال الذين يشترط ضمان معيشتهم لا يلبثون ان يفقدوا وسائلها ويصبحوا عبئاً على البلاد وسببا لبطالتهم وبطالة العرب معا وان العامل السياسي هو الاكثر اعتباراً في جلب المهاجرين، وان هناك مساحات واسعة من اراضي اليهود متروكة بوراً لعدم إمكان إستغلالها وان هناك كذلك عدداً كبيراً من عمال العرب واليهود عاطلون عن العمل ، وان عمال العرب قد حرموا من أشغال كثيرة بسبب مزاحمة العمال اليهود فزاد ذلك في بؤسهم وضيق رزقهم . . . وقد أوصى فيما أوصى به وقف انتقال الاراضي العربية لليهود الى ان يمكن تغيير اساليب الزراعة تغييراً يساعد على توفير الانتاج إذا كان ذلك مستطاعا وان لا يخرج مزارع عربي من ارض ما لم يضمن له ارض اخرى يزرعها ، وان لا يسمح بهجرة عمال ما دام يوجد في فلسطين عمال عاطلون من العرب واليهود ، وان يراقب تنظيم الهجرة فلا يترك حبلها على غاربها بيد المراجع والنقابات اليهودية ، حيث كانت السلطات تترك لها إملاء جداول العمال دون تدقيق جدي فكانت هذه المراجع والنقابات تكذب فيما تسجله من الاعمال التي تتطلب عمالاً كما كان ما تذكره من أعمال صحيحة غير دائم .

- ١٦ -

واصدرت حكومة العمال على اثر استلامها تقرير سيمسون كتاباً أبيض عطفاً على هذا التقرير وتقرير لجنة شو وتواصيها استعرضت فيه بعض مواد صك الانتداب وبعض فقرات من الكتاب الأبيض لسنة ٩٢٢ بسبيل شرح مدى الوطن القومي والاستيعاب الاقتصادي ، واعترفت بما لحق الفلاح العربي والعامل العربي مـــن أضرار بسبب سياسة الجمعية الصهيونية في شؤون العمل اليهودي والهجرة اليهودية ،

(١) كان من قوانين الهجرة أن اليهودي الذي يملك الف جنيه على الاقل يعتبر من اصحاب رؤوس الأموال ويسمح له بالدخول بدون شرط لأن معه ضمان معيشته كما أن صاحب المهنة الذي يملك خمسمئة جنيه يعامل بمثل ذلك وقد ظهر لسيمسون كما جاء في تقريره ان الوكالة كانت تعطي شكوكا لكثير من اليهود ليدخلوا بهذه الصفة ثم تستردها منهم لتعطيها لغيرهم وهلم جرا . . .

وقالت ان هذا متعارض مع ما سجله المؤتمر الصهيوني في عام ١٩٢١ على نفسه حيث قرر ان الشعب اليهودي يرغب في ان يعيش مـــع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وأن يعمل بالاشتراك معه على ترقية البلاد المشتركة بينهما بحيث يضمن رفاه كلا الشعبين وقالت ان الحكومة ملزمة بالقيام بواجباتها المزدوجة نحو العرب واليهود معاً وأن واجبها نحو اليهود ليس اقوى منه نحو العرب وانه لم يبق أرض زراعية ميسورة تنتقل الى اليهود بدون اجحاف بالعرب لان مـــا بقي في أيدي هؤلاء أقل كثيراً من حاجتهم ما لم تتبدل أساليب الزراعة في حين يوجد في يد اليهود مساحات واسعة لم تعمر بعد ، وان الفلاح العربي في حاجة شديدة الى العناية والحماية وتحسين احوال معيشته وهو محروم مما ناله المزارع اليهودي بفضل المساعدات والمؤسسات اليهودية ، وان من واجبها أن لا تسمح بانتقال اراض عربية جديدة يتعارض انتقالها مع خطط ومشاريع التحسين ومعيشة العرب ، كما أن من الواجب السير في امر الهجرة العمالية في سياسة استيعاب حقيقية يلاحظ فيها البطالة عند العرب واليهود على السواء ، وانها تنوى تشكيل مجلس تشريعي ليشترك أهل البلاد في ادارة شؤون بلادهم في نطاق الدستور القائم ومشابه للمجلس الذي رفضه العرب ، وانها تأمل هذه المرة معاونة جميع طبقات السكان وتعلن انها ستتخذ جميع التدابير المستطاعة لقمع كل محاولة قد يقوم بها أي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها الذي ترى أنه ليس من مصلحة أهل البلاد أن يؤجل ويتعطل ثانية (١).

وهكذا حاولت ان تعالج شكاوي العرب الثلاث معالجة عرجاء وتافهة في نطاق الالتزامات المزعومة المتعارضة . ومع ذلك فقد قابلت الاوساط العربية هذا الكتاب بشيء غير قليل من الارتياح لانها ظنت أنه قد يكون بادرة لعودة الانكليز الى شيء من الحق وقد يكون فيه ضمان لكيان العرب الذي أخذ تيار الهجرة وبيوع الاراضي يهدده بالخطر العاجل .

موقف اليهود ونكوص الانكليز أمامه

أما اليهود فقد كان سخطهم على الكتاب شديداً بل أشد مـــن سخطهم على تقريري لجنه شو وسيمسون لانه يرسم سياسة تنفيذية . فاستقال وايزمان من رآسة

(١) جعلنا الكتاب الابيض هذا من ملاحق الكتاب رقم (٤)

الوكالة اليهودية احتجاجاً واعلاناً لعدم تعاونه مع الحكومة البريطانية وأخذت تقوم المظاهرات ويتدفق سيل البرقيات الاحتجاجية اليهودية في كل مكان على الحكومة البريطانية وعصبة الامم حتى لقد قامت مئات المظاهرات في مئات المدن في يوم واحد كما جاءت برقيات من ثمان واربعين دولة مما أدهش لجنة الانتدابات وجعل « رايس » احد اعضائها يتساءل عما اذا كانت اللجنة أمام مؤامرة دعائية عالمية ، كما حملت مئات الصحف الانكليزية والاميركية مما يذيره أو يوجهه اليهود حملات شديدة على تلك الحكومة . ولعبت الاغراآت والأساليب اليهودية دورها فلم تلبث الاتصالات ان اخذت تجري بين مالكولم ابن رئيس الوزارة ووايزمن وغيره من زعماء اليهود استمرت نحو اسبوع وكان من نتائجها رسالة ايضاحية من رئيس الوزارة الى وايزمن فسر ما جاء في الكتاب الابيض تفسيراً كان في الحقيقة نسخاً لأكثر ما جاء فيه من وعود وخطط وتطمينات للعرب وخاصة في صدد الهجرة والاراضي والعمل بسبيل ازالة ما كان من سوء اثر الكتاب الابيض في اليهود وسوء ظنهم في نوايا الحكومة نحوهم ، حيث قيل فيه ان الحكومة لم تقصد ان تجعل ارتباطاً بين هجرة العمال اليهود وبطالة العمال العرب ، ولا ان تطلب من اليهود تعديل ما يسيرون فيه من خطط بشأن حصر العمل في مصانعهم ومزارعهم واراضيهم في اليد اليهودية ، ولا ان تحول بين اليهود وبين ما يمكن ان يتيسر لهم شراؤه من الاراضي الخ .. مما جعل العرب يسمون كتاب التفسير هذا بالكتاب الاسود . ونتيجة لذلك ظلت الامور تجري في فلسطين على ما كانت عليه من حيث الهجرة واساليبها واستمرار انتقال الاراضي العربية لليهود دون اهتمام كبير لما ينشأ عن ذلك من حرمان المزارعين وتشريدهم وبطالة عمال العرب الا بعض محاولات في صدد سن قوانين باسم حماية المزارعين كانت تحتوي من الثغرات ما تنفذ منه الأعيب اليهود وحيلهم ، والا بعض محاولات في صدد تحسين أساليب الزراعة وايجاد اراض للمحرومين مما سمي بالمشروع الانشائي ولم يكن له جدوى في تخفيف الخطر والضرر ، بل لم تلبث الحالة أن ازدادت سوءاً بما كان من توسيع باب الهجرة بعد أشهر قليلة توسيعاً تمثل فيه الخطر قوياً رهيباً على ما نذكره بعد .

وهكذا سيطرت السياسة الانكليزية العليا على الموقف في النهاية وخابت

آمال العرب في ما لمحوه من برق كان خلاباً .

أما موضوع المجلس التشريعي الذي ذكر في الكتاب الأبيض بأسلوب قوي وقطعي وإنذاري معاً فانه لم يوضع على بساط البحث الجدى الا بعد أكثر من أربع سنوات من صدور ذلك الكتاب ، وقد عارض اليهود هذه المرة في قيامه فأهمل بالرغم مما قاله الكتاب الابيض . . .

- ١٦ -

الحاميات اليهودية

ونستطرد الى القول ان اليهود قد ألفو في هذه الأثناء ما يسمى بالحاميات التي أخذت تطارد العمال العرب من كل عمل يهودي وتجبر أصحاب الأعمال اليهودية الصناعية والزراعية على إستخدام العمال اليهود فقط وقد وقعت اشتباكات عديدة بين عمال العرب والحاميات وبين هذه وأصحاب الأعمال ، وقد كانت البطالة بين اليهود متفشية والحملات على الحكومة مشتدة في صدد المطالبة بالأعمال للعاطلين منهم . وقد كانت الحكومة مع ذلك تهمل واجبها في التدقيق في أمر المهاجرين فكان هذا مما يضاعف الأزمة والبطالة حدةً . وهذا مما لمسه سمبسون وكان من أسس تقريره وتوصيه .

ملكية الاراضي التي اشتراها اليهود

كذلك نستطرد إلى القول إن اكثر المزارعين العرب الذين شردوا عن أراضيهم كانوا يعيشون في القرى التي باعها السوريون واللبنانيون خلال سني ١٩٢١ - ١٩٣٠ ؟ فقد كان هناك قرى ومزارع عديدة دخلت في ملك بعض الأسر السورية واللبنانية الثرية أو الوجيهة في زمن الدولة العثمانية بطريق الشراء بالمزاد ، حيث كانت مستغرقة بالديون التي كانت تطلب منها لخزانة الدولة ، أو حيث لم يتقدم اهلها لتسجيلها في سجلات الطابو عليهم حينما أنشئت هذه السجلات مخافة التجنيد والضرائب فاعتبرت محلولة وبيعت بالمزاد . وحينما انتقلت ملكيتها إلى هذه الأسر لم تتغير حالة مزارعيها كثيراً حيث ظلوا يعيشون في قراهم ويزرعون أراضيهم . وكل ما كان من أمر انهم صاروا يدفعون قسما من غلاتهم لأصحاب الملك عيناً او نقداً . فلما اشترى اليهود هذه القرى كان نصيب مزارعها أو بالأحرى أصحابها الاولين التشرد لان السلطات

لم تقم بواجب حمايتهم وقد سجلت لجنة شو كما ذكرنا سابقاً ان القانون الموضوع عام ١٩٢١ لحماية المزارعين وشروط انتقال الأراضي لم يطبق مرة ما خلال السنوات التسع التي مرت على سعة الاراضي التي اشتراها اليهود وكثرة المزارعين الذين حرموا منها ! ولم يكن شراء اليهود من الأسر السورية واللبنانية بعد الاحتلال فقط ، فقد اشتروا منها مساحات واسعة أيضا قبله والمستعمرات اليهودية القديمة التي كانت نواة الاستعمار اليهودي والحركة الصهيونية إنما قامت على هذه الاراضي. وإنه ليمكن ان يقال إن ثلثي الأراضي التي كان يملكها اليهود في سنة ١٩٣٠ هي في الأصل ملك هذه الأسر ، والثلث الثالث لم يبعه الفلاح الفلسطيني صاحب الملكية الصغيرة وإنما باعه الملاك الكبار الفلسطينيون وخاصة من اهل المدن ، وإن الفلاح الفلسطيني لم يبع ارضه الا نادراً وهي عزيزة عليه حتى إن من تقاليد بعض القرى أنه حينما يضطر فلاح إلى بيع أرضه لغيره من العرب يقيم اهله مناحة في الارض قبل تسليمها لصاحبها الجديد . ولقد استمر الحال على ذلك بعد سنة ١٩٣٠ ايضا حيث ان اليهود اشتروا اكثر ما اشتروه من اراض بعدها من الملاكين الفلسطينيين ومن الاسر الغنية والوجيهة السورية واللبنانية .

- ١٧ -

تصفية المستعمرات اليهودية

ولقد كان من نقائض الانكليز او بالأصح من دلائل انسجامهم مع السياسة الصهيونية انهم على اهمالهم تواصي لجنة شو وسمبسون ونكثهم بما وعدوا به واكدوه من اصلاح الاخطاء ودفع الحيف عن العرب على الوجه الذي شرحناه قد اهتموا بتوصية اتاحة اسباب الدفاع عن المستعمرات اليهودية المنعزلة ، فقد حمل اليهود أمام لجنة شو وقبل قدومها على حكومة فلسطين حملة شديدة بزعم تقصيرها في حماية ارواحهم ، فكان مما اوصت به لجنة شو الاهتمام لهذا الامر . ولم يكد الكتاب الابيض يصدر حتى اخذت السلطات في تنفيذ هذه التوصية فسلمت لخاتير عدد كبير من المستعمرات صناديق فيها بنادق وعتاد ليدافع بها سكان المستعمرات حين الحاجة عن انفسهم ، وعينت بعض المدربين لتدريب شبانهم ، وتسربت انباء ذلك الى الصحف فأحدثت قلقاً وهياجاً في العرب ، ودعت نابلس الى عقد مؤتمر للنظر

في الامر ، وشهد المؤتمر وفود كثيرة من مختلف انحـــاء فلسطين وساده الحماس والهياج ، وقرر مطالبة الحكومة سحب السلاح والمدربين ، ودعوة كل عربي الى التسلح في حالة عدم استجابة الحكومة للطلب ، واستمرت الصحف أياماً عديدة تكتب حول هذا الموضوع ، فخشيت السلطات العاقبة فأذاعت بلاغاً زعمت فيه ان الأخبار بولغ فيهـا كثيراً ثم قبضت عـلى ثلاثـة من رجال المؤتمر (١) بتهمة التهييج فيه فقامت في نابلس مظاهرات صاخبة ليـــلة الاعتقال ثم في اليوم التالي واصطدم المتظاهرون مع البوليس في معركة حامية اصيب فيها ضابط انكليزي بشج في رأسه واصيب غيره باصابات متنوعة كما اصيب كثيرون من العرب وضرب البوليس محمد علي دروزه وكان من قواد المظاهرة ضرباً مبرحاً . ثم اعتقله مع نحو ثلاثين شاباً وحوكموا وحكم عليهم بالسجن . وكذلك حوكم الثلاثة الاولون واحيطت محاكمتهم بجو من الارهاب وانتهت بالكفالة .

وقد كانت هذه الحادثة من منبهات الناس الى ما اخذ يشتد من خطر اليهود عليهم وانتقال هذا الخطر من الهجوم السلمي الى الهجوم المسلح ، وكان من نتائج ذلك تشكيل بعض الجمعيات السرية الجهادية التي ابلت بلاءً حسناً قبيل ثورة ١٩٣٦ الكبرى وفيها وفيما بعدها على ما سوف نذكره بعد .

على أن من الجدير بالتنبيه في هذا المقام أن هذا التسلح اليهودي لم يكن الاول ، وكل امره انـه كان رسمياً حكومياً ! فان اليهود منذ عهـد مبكر اهتموا للتسلح والتدريب اهتماماً كبيراً ، وانشأوا منظمات عسكرية انخرط فيها الشبان والشابات على السواء وكانوا يدأبون على التدرب ، واخذوا يبذلون جهودهم في جلب السلاح من الخارج وادخاله بأساليب احتيالية متنوعة وقد اكتشفت بعض وقائع تهريبهم صدفة حيث كشف السلاح بعض المرات في صناديق خلايا النحل وبراميل الاسمنت واذا كان هذا التسلح والتدريب قد هدف في بادىء الامر الى الدفاع فانهما كانا نواة لفكرة الغزو المسلح او مظهراً لهما على أي حال . وقد تطور الامر جهرة الى ذلك حينما تطور امر اليهود قبيل الحرب العالمية الثانية وفي اثنائها وبعد انتهائها .

(١) هم الشيخ صبري عابدين من الخليل والدكتور صدقي الحسن وجمال القاسم من نابلس

- ١٨ -

لجنة البراق وتقريرها

وفي أواخر شهر مايس ١٩٣٠ جاءت لجنة البراق الدولية لدرس الخلاف حول هذا المكان بين العرب واليهود . وكان ذلك بما وصت به لجنة شو حيث كان هذا الخلاف من أسباب الثورة المباشرة . وقد اهتم الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي للامر على اعتبار انه متصل بأماكن المسلمين المقدسة وموضع التشاد بين العرب واليهود ، وتضامن معه الوطنيون فامكن إحداث حركة قوية جاءت رافدة للحركة الوطنية التي خمدت قليلاً بعد نسخ الكتاب الابيض بالكتاب الاسود وأمكن ان تكون وسيلة دعاية للقضية الفلسطينية بين جميع المسلمين ، وقدم الى فلسطين للدفاع والشهادة رجال معروفون من مصر والعراق وسورية ولبنان وبلاد إسلامية اخرى مثل محمد علي علوبه وأحمد زكي ومزاحم الباجه جي وفائز الخوري وسليمان الجوخه دار وصلاح بيهم وعهدي رفيع مشكي الايراني وعبد القادر مدكر الجاوي ، وغدت القدس تعج بالوافدين من خارج فلسطين ومدنها .

ودارت القضية بالنسبة للمسلمين حول إثبات ملكيتهم للمكان ووقفيته وقدسيته وضيق المنحة التي منحها المسلمون لليهود فيه ومطامع اليهود ومحاولاتهم بالتوسع ، وبالنسبة لليهود حول إثبات علاقتهم الدينية والتقليدية والتقديسية بالمكان وحقهم في التردد عليه وإقامة شعائرهم فيه . وكانت حجة المسلمين هي الناهضة إذ استطاع دفاعهم أن يثبت ان جميع المنطقة التي تحيط بالجدار وقف اسلامي بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية القديمة التي اطلع عليها أعضاء اللجنة ، وأن نصوص القرآن وتقاليد الاسلام صريحة بقدسية المكان عندهم ، وأن زيارة اليهود منحة ضيقة بموجب أوامر محمد علي باشا حين إحتلال الجيش المصري فلسطين في الثلث الاول من القرن التاسع عشر وبموجب أوامر الدولة العثمانية من بعده ولم تكن إلا زيارة مجردة لا صوت فيها ولا إزعاج ولا أدوات جلوس وستائر .

وقد كان لسجلات المحكمة الشرعية القديمة تأثير في نفوس أعضاء اللجنة لانهم اطلعوا فيما اطلعوا عليه على تسجيل حجة شهادة متواترة على وقف أرض حي المغاربة وهي المحيطة بالجدار من قبل الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الايوبي على

المدرسة التي أقامها في هذا الحي وسماها الأفضلية والتي ما زالت بقاياها قائمة .

ونستطرد بهذه المناسبة الى الاشادة بالاحترام والاجلال ببعد نظر ملوك المسلمين وأمرائهم في دور الحروب الصليبية وما بعده. فقد رأوا فلسطين وما فيها من مقدسات عرضة للغزوات والمطامع فبذلوا ما استطاعوا بذله بعد إنقاذها من الغزاة في سبيل صيانتها في مستقبل الايام . وقد أحاطوا الحرم القدسي مثلاً بسلسلة من المدارس الدينية الى بعد مئة متر او أكثر من سوره وأوقفوها لتصون هذه المنطقة الواسعة من البيع والبد الغريبة . ولقد أوقفوا الاوقاف الكثيرة في القدس وغير القدس ولا سيما كثيراً من القرى على هذه المدارس وعـــلى المساجد والمنشآت الاسلامية المشهورة لتكون حبساً في ايرادها وأعيانها. ولو لا تهاون المسلمين في زمن الدولة العثمانية وتهاون حكامها وقصر نظرهم الى المستقبل لما استطاع اليهود ان ينجحوا في غزوتهم بطريق شراء الاراضي لان ثلث اراضي فلسطين تقريباً من هذه الاوقاف، ولكن الحالة تطورت بسبب قصر النظر فانقلبت وقفيتها من العينية الى العشرية وابيح انتقالها من يد الى يد بالبيع مع بقـــاء عشرها وقفاً فلم تنجها صفة الوقف المتطورة على هذا الوجه من هذه الغزوة . وقـــد كان مساحة واسعة مما اشتراه اليهود وأقاموا عليه مستعمراتهم وبياراتهم منها ، ولم ينجُ الا جزء يسير جداً بالنسبة للمجموع يقدر بنحو سبعين الف دوم ..

وبعد مدة من الزمن صدر تقرير لجنة البراق وأصدرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض عنه . وقد اعترف هذا وذاك بملكية المسلمين للمكان وتصرفهم فيه وأقراهم عليها ، وقصرا زيارة اليهود على الوجه البسيط الذي كان لهم في بـــدء الاحتلال بدون أبواق وأصوات وأدوات . وقد كان اليهود يضعون عند الاحتلال كما هو مسجل في سجل العادات والتقاليد الدينية الذي حرره المحتلون ليكون نبراساً لهم بالنسبة لجميع الطوائف مائدة صغيرة عليها إناء ماء ذي حنفية ومائدة صغيرة اخرى عليها بعض الكتب والسرج فأقر لهم ذلك ايضا . وقد عد الحكم انتصاراً لوجهة نظر المسلمين في القضية وحمل اليهود على التزام حدوده . ولم يلبث صوت اليهود ان خفت وحماستهم قد فترت بالنسبة للبراق حيث رأوا على ما يبدو انهم قد أثاروا عاطفة المسلمين الدينية ضدهم في فلسطين وخارجها ، وان الثورة وما وقع

فيما عليهم بسببه قد اضر بدعايتهم واثار مخاوف اليهود . وقد كانت حركة هتلر آخذة بالنمو والخوف منها يستولي على اليهود في المانيا ويحملهم على النزوح عنها فكان من ذلك لهم مشغلة ايجابية اجدى فائدة في صدد توطيد الوطن القومي من قضية البراق فانصرف همهم اليها على ما سوف نذكره بعد .

- ١٩ -

المؤتمر الاسلامي العام

وفي أواخر سنة ٩٣١ عقد في القدس مؤتمر اسلامي عام من اجل قضيه فلسطين وكان عظيم المظهر عظمة لم تكن متوقعة . وكان اسبوعاه من اعظم اسابيع فلسطين جيشاناً وحفاوة مما يجعل من المناسب الكلام عنه بشيء من التفصيل .

وقد انبثقت فكرته في الاصل من قضية البراق ومطامع اليهود في الاماكن الاسلامية وفي ظروف لجنة البراق وتحقيقاتها وتقريرها . وكان الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ينزل القدس فجرى الحديث بينه وبين الحاج امين الحسيني وبعض اخوانه في الموضوع ، واتسعت الفكرة بحيث تناولت قضية فلسطين برمتها على اعتبار انها قضية اسلامية من الواجب تنبيه العالم الاسلامي اليها وتبصيره بالاخطار المحدقة بها ودعوته الى القيام بواجبه نحوها . وقد استمزج بعض الشخصيات الاسلامية البارزة في انحاء مختلفة في فكرة المؤتمر فشجعوا عليها ، وحينئذ دخلت في مرحلتها التنفيذية ، وعينت ليلة المعراج ٢٧ رجب ١٣٥٠ - ١ كانون الاول ٩٣١ موعداً لانعقاد المؤتمر وارسلت اوراق الدعوة الى عـــدد كبير من رجالات المسلمين واعيانهم وعلمائهم في مختلف انحاء الارض ، وجاءت اجوبة باستعداد عدد غير قليل من المدعوين للقدوم ، وانصرف رئيس المجلس واللجنة التحضيرية لاعداد المناهج والامكنة والمنازل .

الطائفة من المؤتمر

ولما اخذت جدية المؤتمر تبدو بدأت المكائد حوله في داخل فلسطين وخارجها . فظن في مصر ان المؤتمر سيتناول موضوع الخلافة الاسلامية ويبث فيها فكان بسبب ذلك تجهم نحو المؤتمر . وكان باعث هذا الظن حركة قامت في مصر قبل هذا

الوقت بقليل وقيل ان وراءها الملك فؤاد الذي كان يرغب في لقب الخلافة لتقوية مركزه الذي كان يرى أنه مهدد لما بينه وبين الوفد المصري من نزاع . وقد عقد في مصر نتيجة لهذه الحركة مؤتمر رسمي سمي مؤتمر الخلافة ولم ينته إلى شيء . وقد جرت اتصالات بين رئيس المجلس وبعض رجالات مصر الرسميين حول المؤتمر ونفي كل النفي أن يكون من أبحاثه موضوع الخلافة ؛ ثم سافر إلى مصر بنفسه ليؤكد نفيه ويضمن مشاركة مصر ؛ وأعطى لاسماعيل صدقي الذي كان يتولى رآسة الوزارة توكيداً خطياً وأمكن بذلك إزالة ذلك التجهم بعض الشيء : غير أن الريب لم يزل تماماً ؛ وجاء بعض الشخصيات المصرية التي كان يعرف اتصالهم بالبلاط وهم على اهبة الوقوف في وجه أي بحث أو تيار يتصل بالخلافة أو يمس الملك فؤاد من قريب او بعيد . وقد فهم أن مما اثار المخاوف كتب صادرة عن جمعية سرية باطنية الى بعض رجال الاسلام في مصر والعراق تحمل على إهمال امر الخلافة وتطلب التفكير في توسيدها إلى اهلها في مؤتمر القدس ، ولم يستبعد الملاحظون ان تكون هذه الحركة دسيسة يهودية بسبيل إحباط المؤتمر وإثارة الشكوك والمخاوف حوله او انه كان للدعاية اليهودية اثرٌ إيجابيٌ فيها .

ورأى المعارضون للحاج امين الحسيني في فلسطين ان من المحتمل ان يكون المؤتمر وقد اخذت تبدو امارات خطورته واشتغال الصحافة العربية به من اقوى الوسائل للدعاية لخصمهم وتعظيم قدره ؛ فجن جنونهم واخذوا يكاتبون جماعة من المشجعين للمؤتمر في مصر ومن الضالعين مع الملك فؤاد والمندمجين في هواجسه كعبد الحميد سعيد والشيخ التفتازاني ويخبرونهم بأن الحاج امين سوف يستغل المؤتمر استغلالا شخصيا وحزبيا ، ويدللون على ذلك باهمالهم مع انه يعقد في فلسطين ولاجل قضيتها . واخذوا في بث مثل هذه الدعاية في صحفهم وبين الناس . وهكذا حاولوا أن يحولوا مجرى المؤتمر الى النزاع والتنافس الشخصي والمحلي بل واوجدوا في النفوس شيئا من التوتر . ولقد حاولت اللجنة التحضيرية التي يرأسها الحاج امين تلافي الامر فعرضت على المعارضين الاشتراك في اللجنة فلم يقبلوا ، ومع ان الدعوة الى حضور المؤتمر قد وجهت الى عدد من اركانهم فانهم لم يكفوا عن محاولاتهم واثارة التوتر والتجهم حول المؤتمر ، فنشروا مناشير متعددة موقعة من رجالاتهم

البارزين حمـــلوا فيها على الحاج امين وجماعته واستئثارهم في امر المؤتمر واستغلاله شخصياً وحزبياً. وقد بذل بعض رجال المؤتمر البارزين مثل عبدالحميد سعيد والشيخ التفتازاني وشوكة علي الهندي جهودهم في سبيل مرضاتهم فذهبت سدى. وقد خصصوا جريدة مرآة الشرق طيلة ايام المؤتمر لانتقاد الحاج امين واعمال المجلس وما قيل ويقال عنها وفرغوا بعض رجالهم للاتصال بجماعات المؤتمر والدعاية ضد الحاج امين ومقاصده، وعقدوا اثناء انعقاد المؤتمر اجتماعاً سموه مؤتمر الامة الاسلامية في فندق الملك داود حشدوا اليه عدداً كبيراً من مختلف انحاء فلسطين وشهده جميع المعارضين والمناوئين واشياعهم في المدن والقرى وقرروا فيه قرارات في انتقاد المجلس الاسلامي والحاج أمين. وقد كان عملهم هذا خاصة بشعاً جداً إذ أظهروا به بشكل بارز انقسام مسلمي فلسطين وتنازعهم على مسائل شخصية ومحلية في وقت يأتي فيه وفود ورجالات العالم الاسلامي الى فلسطين استجابة لدعوتها واظهاراً للتضامن في قضيتها وايذاناً باهتمام المسلمين لامرها. ولقد لمس كثير من الوفود الغرض الذي استهدفته المعارضة من حركتها وادركوا ما فيها من عدم مبالاة اصحابها بما تحدثه من اضرار في قضية فلسطين وما يمكن ان يكون وراءها من أصابع قذرة وعدوة فثار اشمئزازهم وأثار في نفوسهم عكس ما أراده المعارضون منها وأسبغ على المؤتمر خطورة إلى خطورته.

ولقد قيل ان اليهود قد بذلوا أموالاً طائلة في سبيل التشويش والتهويش على المؤتمر والحاج أمـــين. وليس من شك في ان اليهود كانوا حانقين أشد الحنق من حركة المؤتمر وما ينطوي فيها من دعاية واسعة ضدهم في العالم الاسلامي فلم يستبعد المراقبون قط هذا الذي قيل. ولقد كلف اجتماع فندق الملك داود مالا كثير حيث شهده اكثر من الف شخص اتي بالقسم الاعظم منهم اتياناً أي دفع لهم نفقات سفرهم كما قال ذلك كثير من الذين حشدوا إلى هذا الاجتماع ولا يبعد بل يكاد يكون من المحقق ان تكون دفعت مبالغ أكثر من نفقات السفر لبعض المتحركين للتأليب وجمع الحشود وتسفيرها. وقد قيل أن زعماء المعارضة جمعوا من بينهم بعض المبالغ لسد النفقات، غير أن النفقات كانت أكبر مما يمكن أن يجمع وإن كان من المحتمل أن يكون جمع شيء على سبيل التعمية. ولقد كان فخري النشاشيبي لولب هـــذه الحركة الذي لم يعرف مللاً ولا كللاً ولم يقف عن اللف والدوران لحظة في الليل

والنهار وكان ينفق نفقات طائلة مما يجعل الاحتمال المذكور قوياً ولا سيما ان له تصرفات ومواقف كثيرة قبل هذا الموقف وبعده متصلة بهذا الاحتمال ؛ هذا مع التنبيه على أن من المرجح أنه لم يكن لكثير من زعماء المعارضة بل ولا كثرهم علم بيد اليهود ومالهم؛ حيث كان فخري يستطيع بذكائه أن يقوم بدوره باتقان وبراعة، ومع التنبيه كذلك على أن من المرجح أن يكون كثير ممن حشدوا واحتشدوا قد فعلوا ذلك ارتجالا أو عصبية محلية . ولقد أصدرت الوكالة اليهودية بياناً مطبوعاً إبان الاستعداد للمؤتمر والدعاية لمقاصده جاء فيه فيما جاء أن المفتي عمد إلى دعوة المؤتمر لتحويل تيار المعارضة ضد سلطته وأعماله مما ينطوي فيه تأييد بشكل ما للاصبع اليهودية فيما كان .

ولم يكن ما اثير بسبيل التهويش والتشويش ليحبط الخطة المرسومة للمؤتمر والغاية المتوخاة منه أو ليقلل الخطورة التي أخذت تبدو عليه وإن كان عكر بعض التعكير . وقد حفزت هذه المحاولات الحاج أمين ورفاقه وأنصاره وأكثر رجال المؤتمر إلى مضاعفة الجهد وانجاح المؤتمر .

روعة المؤتمر وعاقبته

ولقد جعلت حفلة افتتاح المؤتمر في المسجد الاقصى ليلة المعراج وعقب تلاوة قصة المعراج التقليدية، واعدت إعداداً فخما وحشد لها الناس من جميع أنحاء فلسطين فكانت من الليالي المشهورة في تاريخ فلسطين . وخطب فيها الحاج أمين خطبة الافتتاح وذكر فلسطين وخطورتها من ناحية الاسلام والمسلمين والبواعث على عقد المؤتمر والآمال المرجوة فيه وخطب ضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران سابقاً ومن رجال الانقلاب فيها ، والسيد كاشف الغطاء من كبار مجتهدي الشيعة العراقيين ، والزعيم التونسي الثعالبي والسيد رشيد رضا والسيد عبد الرحمن عزام وكان يمثل الوفد المصري . وقد حدث حادث غريب إذ أن السيد عزام أخذ يذكر عطف مصر على فلسطين ويهدي اليها تحيات النحاس مغضياً عن ذكر الملك حيث كان التوتر مشتداً بين الوفد والحكومة والملك وحيث كان اسماعيل صدقي جاداً في ترصد حركات الوفد ، فلم نشعر إلا وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول يصرخ

هاتفـــا للملك فؤاد فكانت مقاطعة مفاجئة احدثت هرجا ومرجاً في المسجد وكاد بعض الناس يبطشون بسليمان لولا انه استجار بالحاج أمين الذي أخذه ووضعه على درجات المنبر ووقف في بابه .

وفي صباح ليلة المعراج عقد المؤتمر جلسته الاولى في بناية مدرسة روضة المعارف ثم استمر يعقد جلساته فيها حيث كانت أعدت لذلك . وقد سير بالمؤتمر على نظام قوي من حيث الجلسات والمستمعين ونشر الاخبار وتشكيل اللجان وتدوين المحاضر ، وتألف مكتب من الحاج امين رئيسا ومن كل من محمد علي علوبه المصري وضياء الدين الطبا طبائي الايراني والدكتور إقبال شاعر الهند الكبير ومحمد زباره مندوب الامام يحي وكلاء ، ومن ابراهيم الواعظ العراقي وعزة دروزه الفلسطيني ورؤف السيلاني سكرتيرين ، وأحمد حلمي عبد الباقي أميناً للمال ، وشكري القوتلي ورياض الصلح مراقبين . والأسماء تدل على نوع الشخصيات التي شهدت المؤتمر . ولقد جاء من مختلف أنحاء بلاد الشام ووفود من عيون مسلميها مثل عمر الداعوق ومحمد علي بيهم ومحمد الفاخوري وسليم علي سلام وصلاح بيهم ورياض الصلح ومحمد علي العابد وشكري القوتلي والشيخ عبد القادر الكيلاني والامير سعيد الجزائرلي وسعد الله الجابري ونبيه العظمه وعادل العظمه وخير الدين الزركلي وسامي سراج والشيخ سليمان الضاهر والشيخ أحمد رضا واكثر باشاوات الأردن ومشايخ قبائلها كما جاء وفد كبير من العراق فيه نواب وعلماء وأدباء معروفون مثل المجتهد الكبير كاشف الغطاء وسعيد ثابت والشيخ بهجة الأثري وابراهيم الواعظ وماجد القرغولي وحسن رضا ومن مصر محمد علي علوبه والسيد التفتازاني وعبد الحميد سعيد والدكتور الدرديري وعبد الرحمن عزام والاساتذة طفيش ورشيد رضا وعبد الوهاب النجار وعبد اللطيف دراز ومحمد علي الطاهر ، ووفد من مسلمي البوشناق اليوغوسلافيين فيهم وزير وفيهم المفتي الاكبر ، ومن مسلمي الهند الدكتور إقبال الشاعر والزعيم مولانا شوكة علي وستة آخرون من الزعماء والكتاب ، ومن المغرب العربي محمد الناصر المكي وبشير السعداوي ومحمد بنونه ، وشهد المؤتمر كذلك الامير سعيد شامل القفقامي واسحق عياض القازاني وموسى جار الله التركستاني وبعض رجال من جاوه الخ ومثّل فلسطين نحو ثلاثين شخصاً من العلماء والقضاة والسياسيين ممن كانوا وفوداً ونواباً ورؤساء بلديات وقضاة ومفتين وأعضاء لجنة تحضيرية، ولم يحضر أحد من مدعووي

المعارضين الذين كانوا سبعة. وقد وردت على المؤتمر برقيات وكتب تأييد ورسائل واقتراحات متنوعة من جميع انحاء العالم الاسلامي والشخصيات الاسلامية كالسيل مما جعل المؤتمر في حاضريه وما ورد عليه من التأييدات والمقترحات والرسائل يسمو ويظهر ما كان من حاجة المسلمين الى مثل هذه المؤتمرات العامة في سياق كفاحهم مع المستعمرين وما أصابهم من قطيعة ومـــا تحفزهم اليه النهضة العالمية الحديثة من أسباب التواصل والتعاون وما تلقى به هذا المؤتمر خاصة وعلق عليه من الآمال الواسعة في قضية فلسطين وغيرها من القضايا الاسلامية السياسية وغير السياسية .

وقد وضع للمؤتمر استجابة لوحي هذا المظهر دستور يشمل فكرة بقائه وانعقاده دورياً وفكرة ايجاد تشكيلات قوية له في جميع أنحاء العـــالم الاسلامي ويتضمن أهدافاً عليا تتناسب مع عظمة المبادىء الاسلامية وتاريخ الاسلام وعدد المسلمين وانتشارهم في الارض ، ووضع من جملة ذلك مبدأ إنشاء جامعة اسلامية كبرى في القدس بإسم جامعة المسجد الاقصى ، وتقرر فيما تقرر تأليف دائرة معارف اسلامية واعلان قدسية البراق واستنكار اي مطمع فيه وعزم المسلمين جميعاً على الدفاع عنه ، واعلان خطورة فلسطين في نظر العالم الاسلامي واستنكار السياسة الانكليزية الاستعمارية واليهودية فيها ، وتشكيل شركة اسلامية كـــبرى لانقاذ أراضيها والمطالبة بالسكة الحديدية الحجازية التي هي ملك المسلمين ووقفهم وتسليمها الى هيئة اسلامية واستنكار الظلم والسياسة الاستعمارية الروسية في بـلاد تركستان والتتر والطليانية في ليبيا والافرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي والانكليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب . . .

ومما حدث ان عبدالرحمن عزام خطب في صدد السياسة الاستعمارية خطبة نارية ضد الطليان وسياستهم في ليبيا ومـــا كان من وحشيتهم مع الشهيد عمر المختار وإرهاقهم العرب وتشريدهم واغتصاب أراضيهم، وطلب من المؤتمر ان يقرر اعلان المقاطعة العامة عليهم اذا لم يكفوا عن مظالمهم خلال مدة معينة ، فاحتج القنصل الطلياني لدى الانكليز وأجاب هؤلاء على الاحتجاج بإنذار عزام بمغادرة فلسطين حالاً ونفذ الامر قبل يوم واحد من ختام المؤتمر . وقد بدا الانكليز حياديين نحو

من مشاهد المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس
الوفد البشناقي اليوغوسلافي مع بعض مندوبي شرق الاردن والعراق وفلسطين

.com

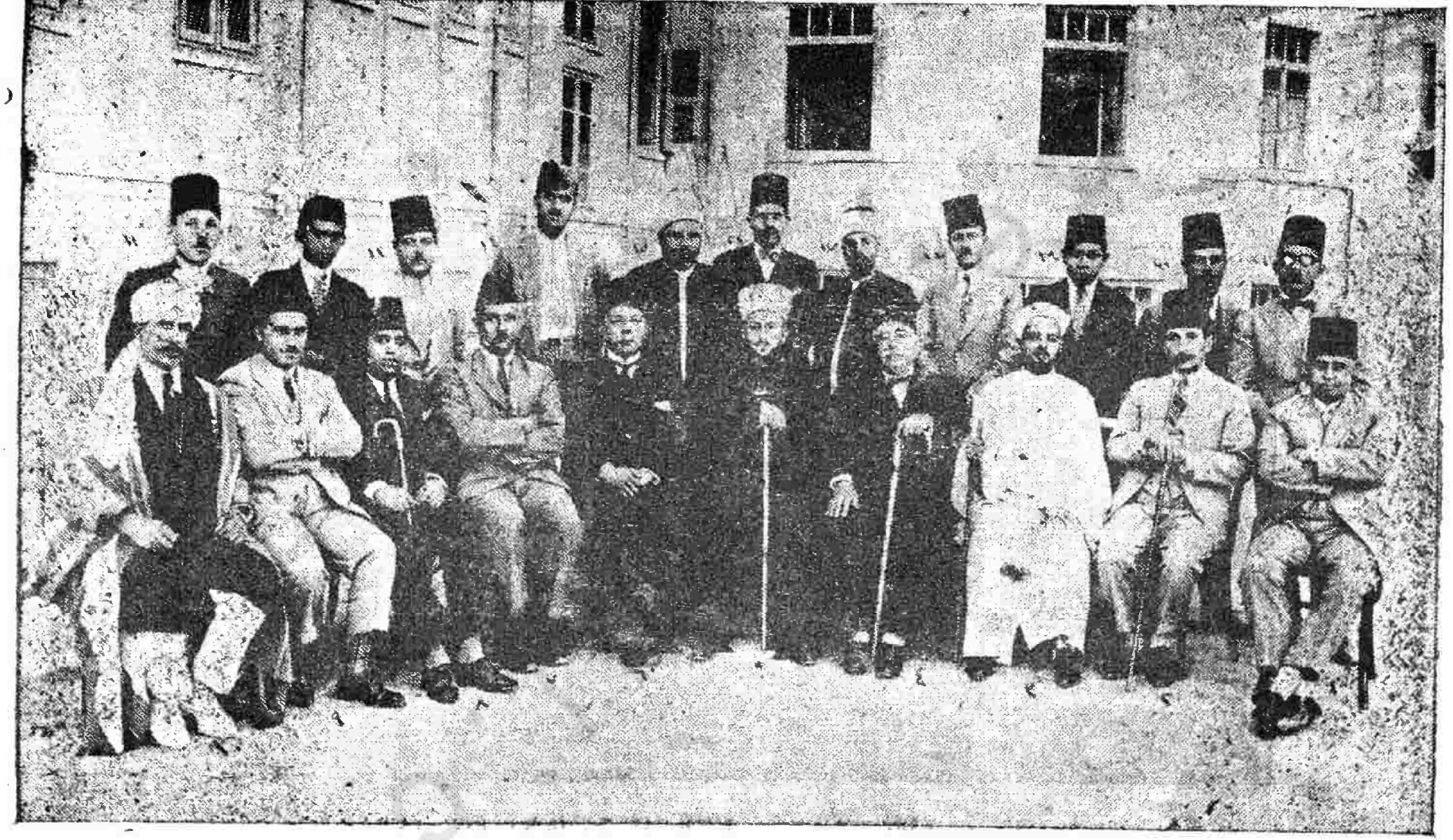

الوفود الاسلامية القادمة بمناسبة لجنة البراق مع الزعماء الفلسطينيين

الجالسون من اليمين أمين التميمي فأحمد حلمي فالشيخ التفتازاني فأحمد زكي باشا فالحاج امين الحسيني فمحمد علي علويه فمزاحم الباجه جي فمهد مشكي فصلاح بيهم فأحد رجالات الأفغان والواقفون من اليمن عبد الرؤوف رزق فزكي التميمي فشاب جاوي ففخري الحسيني فالشيخ يعقوب البحاري فجمال الحسيني فالشيخ عبد القادر المظفر فصبحي الخضرا فعزة دروزه فعبد القادر الجاوي فاسحق درويش

المؤتمر الى ان اخذ يبحث في ظلم الاستعمار والمستعمرين ويستنكره فاخذوا يتجهمون وقدقدر النبهاء من المؤتمرين ذلك فأجلوا هذا البحث الى نهاية جلسات المؤتمر

ولقد كان اسبوعا المؤتمر كما قلنا اسبوعين مشهودين في حياة فلسطين وتاريخها حيث كانت مغمورة بروح المؤتمر السامية. وقد احيط أعضاء المؤتمر الوافدين من الخارج بعناية وعطف فائقين ، فأولمت لهم الولائم الحافلة الكبرى في القدس وأريحا ووادي حنين ويافا ونابلس وادب لهم عاهل الاردن كذلك، وكانوا يستقبلون في كل مكان يأتون اليه باستقبالات شعبية رائعة .

وفي غمرة من الزهو ظن القائمون بالمؤتمر أنهم حقيقة قد أقاموا هيأة إسلامية كبرى منه ، فاهتموا للتشكيلات التي ستنتج عنه ؛ وقد انتخب له لجنة تنفيذية مؤلفة من (٢٥) عضواً واهتم لأن تضم شخصيات بارزة من مختلف البلاد الاسلامية فكان من اعضائها على ما وعته الذاكرة الحاج أمين الحسيني ومحمد علي علوبه وضياء الدين الطباطباني وعبد العزيز الثعالبي ورشيد رضا وكاشف الغطاء وشكري القوتلي ورياض الصلح وسعيد شامل وشوكة علي واسحاق عياضي ومحمد المكي الناصري وصلاح بيهم وبشير السعداوي وسعيد ثابت والحاج توفيق حماد وعوني عبد الهادي وتألف مكتب اللجنة الدائم من الحاج امين رئيساً ومحمد علي علوبه أمين مال والطباطباني سكرتيراً عاماً ونبيه العظمه مساعداً للسكرتير العام والثعالبي ورياض الصلح وسعيد شامل أعضاء .

وأخذ العمل يسير بنشاط كبير أياماً عديدة تأثراً بالروح القوية التي ظلت ترف على فلسطين ، ووضع الطباطباني ونبيه العظمة الأنظمة والتعليمات لتشكيلات اللجان الفرعية وأخذت مدن فلسطين تقوم بتشكيل لجانها وتجمع بعض الاكتتابات ، وخطا المكتب خطوة إيجابية في تنظيم وتعميم الجباية بمشروع بطاقات الخمسين ملا وأخذ في تنفيذه في فلسطين بحيث أمكن بيع ما قيمته ألفا جنيه في برهة وجيزة. على ان هذه الروح لم تدم رفافة ، وأخذت الطبيعة الشرقية تعمل عملها بالاهمال وعدم التقيد بالنظام والاستئثار والمداورات والانانية فأخذ النشاط يفتر والمعنى العظيم الذي تلألأ في المؤتمر يضؤل وأصبح تقريباً لقباً من الالقاب التي تفوق مدلولاتها ...

وفي اثناء ذلك انبثقت في ذهن الحاج امين والطباطبائي فكرة إيفاد وفود إلى البلاد الاسلامية لجمع التبرعات بسبيل تنفيذ مشروع جامعة المسجد الاقصى من جهة ومشروع إنقاذ الاراضي التي أخذ الخطر يشتد عليها باشتداد الغزوة اليهودية من جراء حركة هتلر من جهة ، ولاجل تخفيف صدمة الفتور والضآلة التي مني بها المؤتمر وما أحدثته من قيل وقال وانتقاد من جهة . ونفذت الفكرة حيث رتبت رحلة إلى بلاد العراق والهند والأفغان وإيران قام بها الحاج أمين ومحمد علي علويه ومعهما بعض المساعدين ، واستغرقت نحو ثلاثة اشهر ونصف . ولم تكن موفقة حيث لم يشجع الانكليز الامراء المسلمين على التبرع وهم أصحاب الأمر فيهم بل عرقلوها بقدر ما يسمح لهم تظاهرهم النفاقي في الحياد في المسائل الدينية كما لمست أصابع تشويشية يهودية ومعارضة على ما أخبر به الحاج أمين . وكل ما كان من أمر أن نظام حيدر أباد وعد بمئة الف ربية تنفق باشراف الحكومة على شراء أرض ووقفها ولم تصل الا بعد مدة طويلة ، وأن مبالغ أخرى جمعت ليس فيها غناء كما أن بعضها ظل في أيدي حفظته ولم يرسل ، فكان ذلك صدمة أخرى أثرت في كيان المؤتمر وعملت على ازدياد ضآلته .

وخدمت الظروف إسم المؤتمر بعض الشيء في الخلاف الذي نشب بين ابن السعود والامام يحيي على الحدود وعسير وشؤون الحج والذي تطور الى حرب ، حيث هز الحادث أفكار العالم العربي والاسلامي فاقترح على الحاج أمين تأليف وفد للصلح باسم المؤتمر ، ونفذ الاقتراح حيث تألف وفد من الحاج أمين ومحمد علي علويه وهاشم الأتاسي والأمير شكيب أرسلان فسافر الى الحجاز واليمن وكان له بعض الفضل في ماتم بين العاهلين من صلح وتحالف عهدي . على ان هذه الحادثة لم تعد الى المؤتمر حيويته حيث ظل يفتر ويضؤل في ظل تلك الطبيعة التي ذكرنا صفاتها ومظاهرها بالرغم من محاولات الحاج امين والطباطبائي والثعالبي في الأبقاء عليه واهتمامهم لبعث مشروع الجامعة ووضع مخططاتها ومناهجها والتأثير على المجلس الاسلامي لرصد ريع بعض أملاك الوقف لها الى أن غدا مع القابه نسياً منسياً ...

المؤتمر العربي القومي والميثاق الجديد للحركة العربية

وفي اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي انعقد مؤتمر عربي قومي بسبيل الحركة واهدافها. وقد كان مؤتمراً مهماً يتحمل ان يشار اليه هنا ايضا وبشيء من التفصيل أسوة بذلك

ولقد اجتمع في المؤتمر الاسلامي عدد غير يسير من اخوان الفتاة والعهد الفيصلي فكانت فرصة طيبة لهم حيث افترق بعضهم عن بعض نحو عشر سنين . وقد رأوا أن يغتنموا هذه الفرصة لمدارسة احوال بلادهم وتجديد عهد الحركة العربية واهدافها بعد ما مر من المدة الطويلة التي شغل رجالات العرب فيها بما كان من مشاغل وسياسيات محلية ، فاتفقوا على عقد مؤتمر يجتمعون فيه ويدعون اليه من كان على فكرتهم وروحهم من رجالات العرب الذين أتوا لشهود المؤتمر الاسلامي . وقد تم الاجتماع في أواسط كانون الأول من سنة ١٩٣١ في بيت عوني عبد الهادي وشهده نحو خمسين شخصا . وبعد المداولات تم الاتفاق على وضع ميثاق قومي يكون بدء مرحلة نشاط جديدة في سبيل الحركة العربية واهدافها ، وعلى الدعوة الى مؤتمر عربي عام للنظر في الخطط التي يحسن السير عليها لتحقيق الميثاق وتأليف لجنة تحضيرية لهذا المؤتمر ، وعلى نشر بيان على العالم العربي بما قرروه. وقد وقع الميثاق جميع الحاضرين فجاء وثيقة جديدة من وثائق الحركة العربية الحديثة .(١)

في سبيل المؤتمر العربي العام والاخفاق في عقده

ولقد نشطت اللجنة التحضيرية في مهمتها فأرسلت استفتاء للشخصيات العربية البارزة في الاقطار العربية في المؤتمر وموعده ومكانه ومناهجه، واخذت ترد عليها الاجوبة المشجعة والمحبذة وفي بعضها خطط ومقترحات متنوعة ، وكان العراق في ملكية فيصل قد اخذ يشغل مركزاً مرموقاً بالنسبة لاقطار العرب الاخرى، وفهمت اللجنة من ياسين الهاشمي القطب العراقي ان الملك محبذ للمؤتمر ومستعد لتعضيده وفي هذه الاثناء قدم فيصل الى عمان فأرسلت اللجنة وفداً للبحث معه في الامر مباشرة فأبدى استعداده ورحب بعقد المؤتمر في بغداد ووعد بترك مطلق الحرية له وعدم صبغه بأي صبغة شخصية او حكومية. وقد نشرت التصريحات في الصحف فكانت عاملاً في

(١) ألحقنا البيان الذي احتوى اسماء الموقعين واللجنة التحضيرية بالكتاب تحت رقم ملحق (٤) المخطورة التي انطوت فيه والذكرى .

تقوية الاتجاه وايد كثير من الشخصيات في جواباتها عقد المؤتمر في بغداد. وفيما اللجنة في هـذا بدت مشكلة ما بين السعوديين والهاشميين من نزاع خفي ، واخذت تصدر تصريحات عن الدوائر السعودية تدل على اهتمام العاهـــل للمؤتمر وحسبانه حساب استغلاله من الهاشميين ، فرأت اللجنة ان توفـــد وفداً اليه لشرح الامر وازالة ما يكون قد علق في ذهنه . وسافر الشيخ كامل القصاب لهذه المهمة ولما رجع عقد في اللجنة اجتماعـاً في حيفا وشهد الاجتماع من اعضائها شكري القوتلي ورياض الصلح ومعين الماضي ونبيه العظمه ورفيق التميمي فشرح الشيخ رحلته واخـبر بموافقة ابن السعود على عقد المؤتمر في بغداد بعد ان تأكد ان فكرة المؤتمر ليست فكرة فيصل وان القائمين به سيبتعدون به عن كل تأثير واستغلال . .

وفي هذا الاجتماع وضعت اسس الخطوات العملية لعقد المؤتمر حيث تم الاتفاق اولاً على الاشخاص الذين سيدعون مراعى فيها اخلاص الشخص ومركزه في وسطه وتاريخه في القضية وتمثيل مختلف الميول والافكار والاحزاب الرسمية والعرفية بقدر ما يمكن ، وثانياً على عقد المؤتمر في ربيع سنة ١٩٣٣ واتصلت اللجنـــة بالعراق فوافقوا على الموعـد وتألفت لجنة تحضيرية من ياسين الهاشمي ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودة وسعيد ثابت ومولود مخلص وكتبت اللجنة كذلك الى شخصيات علمية وسياسية لوضع اللوائح والتقارير في مختلف المواضيع لتكون اساساً للابحاث .

وبينما كانت اللجنة تتأهب لطبع اوراق الدعوة تلقت من ياسين الهاشمي ، وكان هو واسطة المكاتبة كتاباً يعلن فيه انسحابه ويعلله بعلل فيها شيء من المفارقـــة ومكتوب على ثلاث نسخ واحدة الى لجنة القدس واخرى الى لجنة بغداد وثالثة الى البلاط . وقـد استغربت اللجنة هذه المفاجأة وارسلت تفند العلل لان كل ما جاء فيها كان بعلمه وعلم لجنة بغداد . ومع ان بقية اعضاء لجنة بغداد لم ترتح لانسحاب ياسين وكتبت للجنة القدس بضرورة مواصلة المسعى لعقد المؤتمر فان الربيع كان قد ولى ولم يعد في الامكان عقده في الصيف فاجل الى الخريف ، وفي الخريف ، اخترمت المنية فيصل ، وذهب بعض اعضاء اللجنة وكنت بينهم الى بغداد للاشتراك في الجنازة وتباحثنا مع ياسين ورفاقه فعلمنا فيما علمنا ان المندوب السامي الانكليزي القى كلمة لفيصل عن المؤتمر واحتمال فتح مشاكل عن العراق من ورائه في حين انه يحسن بالعراق في حياته الجديدة الاستقلالية – وكان العراق قد دخل عصبة الامم حديثاً – ان لا يتصدى لحل مشاكل واعباء ينوء بها مما جعل فيصل يتراخى وياسين

ينسحب ويصطنع لانسحابه اسباباً اخرى . وقد كان من رأي ياسين تأجيل البحث الى وقت آخر لأن الحكومة العراقية مشغولة بتركيز امر العراق بعد الفراغ الذي خلفه فيصل، وكان من رأي جميل المدفعي انه من الاحراج ان يطلب من حكومة العراق ان تزج العراق في مشكلات القضايا العربية وان من الواجب تركه بضع سنين يعمل لتقوية نفسه وتحسين مرافقه . وقد حاولنا اقناع رجال العراق بأن ما يطلب منهم ليس زج العراق في مشكلات القضايا العربية واناعدم قطع العراق صلته بهذه القضايا ولا سيما ان على رأسه رجالا اشتغلوا ونشأوا وسموا بهذه القضايا . ولكن الأمر لم يعد المجاملات والاقوال .

ولقد فكرت اللجنة في عقد المؤتمر في غير بغداد ولكنها لم تجد ما يشجع على المضي في مهمتها لأن مشروع المؤتمر خطير إذ لم يتيسر له تعضيد قوي وضمانة حياة واستمرار كان انعقاده عملية مراسيمية جوفاء ، وكان مما تصورته اللجنة ان يكون للمؤتمر مكتب دائم يقوم عليه بعض البارزين وان يكون له فروع في العواصم ، وكل هذا يحتاج الى مال وغير مدرار ولم يكن امل في ذلك إلا في فيصل والعراق إذ ذاك .

وهكذا وقف الانكليز من تجديد نشاط رجال العرب بسبيل الحركة العربية موقف التعطيل ، ولا سيما ان العمل كان ينحو نحو العمل الشعبي الحر الذي لا يتقيد بقيود الرسميات والسياسة الرسمية وبالتالي لا يكون فيه منفذ لأصابعهم وايحاآتهم . وقد استجاب لهم فيصل ورجـــال العراق القوميون مع انه كان يحسن ان يقفوا موقفاً اشد صلابة وإباء

ومن عجيب الاحداث التي يحسن ان تسجل في هذا المقام ان الانكليز ورجال العراق وقفوا نفس الموقف من حركة المؤتمر القومي العربي الذي اراد القوميون المصريون وغير المصريين ان يعقدوه سنة ١٩٤٧ بسبيل تجديد نشاط الحركة العربية والدفاع عن فلسطين . فقد رأى هؤلاء القوميون ان من المفيد ان يقوم الى جانب جامعة الدول العربية الرسمية حركة او جامعة شعبية حرة تدعمها لما يقيد الحكومات من قيود ويحد نشاطها من حدود وصاروا بسبيل ذلك شوطاً غير يسير حتى اوشكوا على ارسال اوراق الدعوة الى المؤتمر فوقفت الوزارة العراقية السعيدية ورئيسها معروف بانسجامه التام مع السياسة الانكليزية موقف المتجهم المعطل وطلبت من الحكومات العربية التضامن معها فيه فاستجابت هذه الحكومات اليها وتعطل المشروع !!

الدور الثاني

١٩٣٢ – ١٩٣٩

– ١ –

عالمة الحركة في فلسطين

كانت سنة ٩٣٢ بداية دور جديد وخطير من أدوار القضية الفلسطينية والمؤامرة الانكليزية ضد الحركة العربية عن طريقها .

ولم يكن المؤتمر الاسلامي على ما كان من سموه وخطورة وفود العالم الاسلامي الذين اشتركوا فيه واعلانهم تضامن المسلمين مع أهل فلسطين ليؤثر تأثيراً عملياً ، وخاصة إنه لم يلبث ان ادركته الطبيعة الشرقية كما ذكرنا قبل .

وكان التنشاد والتهاتر اللذان وقعا بين المجلسيين والمعارضين في ظروف انعقاده عاملاً جديداً في عدم الانسجام بين اعضاء اللجنة التنفيذية وفتور الحركة الوطنية التي نشطت وقتاً ما بعد ثورة البراق ، وهو ما كان توخاه الذين أثاروها من وراء الستار .

ولقد كان من جراء هذا الفتور ان جرأ بعض كبار مرضى القلوب والوطنية على تشكيل شركة للمتاجرة في الاراضي التي اخذت حركة الطلب عليها تشتد واسعارها ترتفع بسبب هجرة اليهود الالمان على ما سوف نذكره بعد ، بل وحتى تجاوز الأمر المعروفين من مرضى القلوب والأخلاق والمروءة الى اشخاص لم يكن ليخطر بالبال انهم يتورطون في ذلك ، وحتى ان جريدة فلسطينية لم تر بأساً في كتابة بضع مقالات متسلسلة عن اراء بعض زعماء اليهود في امر اراضي فلسطين وتحديد مناطق للبيع والشراء فيها وفي الترويج لهذه الاراء ، وكانت هذه المقالات نتيجة تفاهم بين صاحب الجريدة وخانكين اليهودي الذي كان يدير حركة شراء الأراضي للشركة اليهودية القومية .

المندوب الانكليزي واكهوب وبهلوانيانه واثرها في العرب

في هذه الأثناء جاء مندوب انكليزي جديد هو ارثر واكهوب فسلك سياسة خبيثة بسبيل التمويه والتخدير واستغلال الظروف ، ونجح فيها الى حد غير يسير فازداد الموقف ميوعة بسببها .

فقد اخذ يظهر عطفه على الفلاح بتخفيض في الاعشار مرة بعد مرة ثم بالغائها واستبدالها بضريبة الأرض الموحدة، وبتشجيعه الاعمال والمختبرات الزراعيـــة ، وباقامته الولائم للأعيان والفلاحين والبدو ، وبزياراته للقرى ومحادثاته مع الفلاحين الى غير ذلك من الاعمال الثانوية الجوفاء او بالاحرى البهلوانية . وكان المجلس الاسلامي في ازمة مالية شديدة بسبب الرغبة التوسعية التي أشرنا اليها سابقاً وعدم انتظام جباية الاعشار الوقفية وعدم كفايتها فساعد على حل هـذه الازمة حيث وافق على دفع مبلغ مقطوع عن هذه الاعشار فاكتسب بذلك حمد المجلس وانصاره وهم اكثرية الجبهة الوطنيـــة وزعماؤها . وقد توسع في خطة تعيين أبناء الأسر الاسلامية المعروفة من مجلسية ومعارضة حيث عين عدداً غير قليل منهم في وظائف عالية ، وكان محسوساً ان هذه التعيينات نتيجة لالتماس زعماء هـذه الاسر الذي وافق هوى في نفس المندوب على اعتبار ان الموظفين بمثابـــة رهائن تجعل الاباء والاسر مضطرين الى الرضاء والحمد . وقد كان فيما انتهجه ونجح فيه إكذلك بتأثير سياسته الناعمة المنافقة اشراك بعض رجالات العرب في لجان استشارية مختلطة من موظفين وعرب ويهود . وكان من تظاهره بالعطف على المصالح العربية ما خدّر المكلفين بعضويات هذه اللجان وجعلهم يندمجون في خطته ويرون فيه صديقاً للعرب من الواجب مما شاته في ما يرمي اليه من مشاريع . ولقد لمس هو ذلـــك فضمن خطواته هذه في تقريره الذي قدمه لحكومته وللجنة الانتدابات حيث أشار الى ما ظهر من العرب نحو السياسة الجديدة من انسجام وارتياح ، وابدى امله في ان تكون وسيلة الى ازدياد التعاون بينهم وبين الحكومة اولا وبينهم وبين اليهود ثانياً.

ومع الاسف الشديد ان بعض العاملين في الحركة الوطنيـــة ومنهم اعضاء بارزون في اللجنة التنفيذية على اختلاف صفاتهم الحزبية استسلموا لهـــذه السياسة

ايضاً قبلوا دعوات المندوب الى ولائمه وحفلاته وجلسوا احياناً فيها مع اليهود في صعيد واحد كما قبلوا تكليفه واشتركوا في اللجان الاستشارية المختلطة كلجان العمال والطرق والتجارة والزراعة وبور حيفا الخ، بل ومنهم من كان يدافع عن اشتراكه ويعده عملاً مفيداً للعرب حتى بعد ان ادلى المندوب ببيانه امام لجنة الانتدابات واشار الى ما في هذا الاشتراك من خطوات تمهيدية للتعاون بين العرب والحكومة واليهود، بل وصل في بعضهم العناد حينما تحمست اللجنة التنفيذية في اوائل سنة ١٩٣٣ وقررت وجوب عدم التعاون مع الحكومة ووجوب انسحاب اعضائها من اللجان الحكومية بسبب فتح السلطات ابواب فلسطين لتيار دافق من الهجرة اليهودية ان اعلن انه يفضل التعاون مع الحكومة على البقاء في اللجنة التنفيذية لكل هذا بالرغم من ما كان من تفاهة الفوائد التي عادت على العرب من الانسجام في سياسة هذا المندوب، وما كان ملموساً فيها من رغبة التخدير والتنويم التي يرجح انها انبثقت عند الانكليز من جديد حينما رأوا فورة العرب في ثورة البراق ونشاطهم في سبيل الدعاية لقضيتهم بين جميع العرب والمسلمين وما كان من سرعة استجابة هؤلاء لهم في توافد عظمائهم الى القدس في ظروف تحقيقات لجنة البراق اولا والمؤتمر الاسلامي ثانيا .

- ٣ -

حظ اليهود في عهد واكروب

ومقابل هذه الابتسامات والولائم والوظائف وعضويات اللجان وحل ازمة المجلس والغاء ضريبة العشر وغير ذلك من الفوائد الثانوية التي نالها العرب في عهد هذا المندوب والتي لم تكن لتتصل بجوهر قضيتهم الكبرى كان حظ اليهود فيه عظيما ومتناسبا مع الاتساق الموطد بين المطامع والرغبات اليهودية والسياسة الانكليزية ومع الدأب والحرص الشديد اللذين اتصف بهما اليهود .

ففي عهده تدفق سيل الهجرة اليهودية تدفقا رهيبا بحيث بلغ عدد المهاجرين القانونيين أي الذين يدخلون بعلم واذن السلطات ووفقا لقانون الهجرة — في سنة ٢٩٣٢ عشرين الفا وفي سنة ١٩٢٣ ثلاثين الفا وفي سنة ١٩٣٤ اربعين الفا وفي سنة ١٩٣٥ ستين الفا عدا غير القانونيين الذين قال المندوب السامي نفسه انهم يفوقون

احيانا عدد القانونيين وان الذي يثير خشيته هو هذه الهجرة غير القانونية ! وقد ارتفع عدد اليهود بهاتين الهجرتين في عهده من مئة وسبعين الفا في آخر سنة ١٩٣١ الى نحو اربعمئة الف في اواخر سنة ١٩٣٦ ! هذا مع ان معدل الهجرة السنوي بين سنتي ١٩١٨ – ١٩٣١ لم يزد عن سبعة آلاف ، حيث كان عـــدد اليهود في سنة ١٩١٨ نحو ستين الفا فأصبح في آخر سنة ١٩٣١ مئة وسبعين الفا وبعبارة اخرى ان الهجرة اليهودية بلغت في السنوات الخمس المذكورة ٩٣٢ – ٩٣٦ ضعفا ونصف ضعف لمجموع هجرة السنين الاربع عشرة ، ومع ان العرب كانوا يصخبون كل الصخب ويشتد قلقهم كل الاشتداد من الهجرة الاولى التي كانت تنذر بالخطر انذاراً وحسب .

وقد كانت هذه الحركة كأثر من اثار اعتلاء هتلر كرسي الحكم في المانيا واخذه في وضع التشريعات والاجراآت المتنوعة التي لقي الشعب الالماني من شر اليهود واستغلالهم ، حيث كانوا متغلغلين في الحياة الالمانيـــة وكانوا متحكمين وبارزين في المهن الحرة من محاماة وطب وصحافة وصرافة وتعليم الخ . كما كان لهم يد طولى في سياستها العليا بينما لم تكن نسبتهم الا نحو واحد في المئة او اقـــل بالنسبة للشعب الالماني الجبار .

ولقد استغلت المنظمات الصهيونية حركة هتلر أشد الاستغلال وأقامت الدنيا وأقعدتها بضجتهـا حتى جعلت الدول تهتم لامر اليهود وعصبة الامم تعين مندوبا للنظر فيما سمته لاجئي اليهود الالمان ، وبادر الانكليز الى فتح ابواب فلسطين أمامهم فتدفق عليهم في السنوات الخمس خمسون الفا من ارقى يهود العالم فنا وصناعة وتجارة ونشاطا ، منهم تسعة عشر الفا من أصحاب رؤس الأموال الذين يسمح لهم القانون بالدخول بدون كفالة والذين يملك الواحد منهم الف جنيه على الاقل اذا لم يكن صاحب مهنة وخمسمئة اذا كان صاحب مهنة على ما ذكرناه قبل . واستغلت الوكالة اليهودية هذه الهجرة فأخذت تطالب السلطات بالسماح بجلب عمال يهود ليشتغلوا في الاعمال الزراعية والصناعية والانشائية التي سيمولها الممولون الالمان المذكورون فبادرت الى اجابة الطلب فتدفق سيل مهاجرين من العمال من بولونيا وغيرها بلغ عددهم في السنوات الخمس نحو اربعة اضعاف الواردين من المانيا مع أنه كان يوجد

في فلسطين بطالة عمال كبيرة بين العرب واليهود بشهادة سيمسون ، ومع انه قد وصى بعدم السماح بهجرة عمالية ما لم تزل هذه البطالة ، ومع ان الحكومة البريطانية قد وعدت في كتابها الابيض بالسير وفق هذه التوصية ، ومع أن العرب كانوا يصخبون أشد الصخب ويقلقون أشد القلق من الهجرة السابقة التي كانت تمشي عرجاء بالنسبة لهذه الهجرة المتدفقة التي اصبح الوطن القومي بها حقيقة قائمة كما قررت ذلك اللجنة الملكية في تقريرها عام ١٩٣٧ وبرزت بها قيام دولة يهودية في فلسطين ! فقد رأت هذه الحكومة الفرصة سانحة والظروف مواتية لتوسيع الخطوات في سبيل ما ترسمته من كيد فلم تبال بأي شيء ...

ولقد كان الخطر اليهودي قبل هذه الهجرة نظريا والوطن القومي يتأرجح في يد القدر لما كان يحدق به من ازمات ومصاعب . فالاغنياء الذين كان اكثرهم في أميركا وبريطانيا وفرنسا والمانيا – قبل حركة هتلر – كانوا مطمئنين حيث هم مغتبطين بما لهم من أفق استغلالي واسع ليس من المعقول أن يستبدلوا به أفقا ضيقا تبدو عليه علائم الاضطرابات وتحيط به الاخطار ، بل كان هذا شأن غير الاغنياء من اليهود في هذه البلاد أيضا حيث كانوا يجدون العمل ويحيون حياة الطمأنينة . ولذلك كان عدد المهاجرين الى فلسطين منها هو اقل المهاجرين عدداً وهذا ماثل الى اليوم بالرغم مما اصابته الصهيونية من نجاح عظيم... واكثر المهاجرين الذين كانت المنظمات الصهيونية تستطيع اقناعهم بالهجرة الى فلسطين كانوا من فقراء بلاد متجهمة لليهود كبولونيا ورومانيا ، وكان على هذه المنظمات أن تنقلهم على حسابها وان تدبر لهم المسكن والعمل . وكان يقدر لانتقال الاسرة الواحدة وكفالة معيشتها الف جنيه على الاقل ، وكانت الجباية اليهودية تسير سيراً أعرج لما كان يحيط بمشروع الوطن القومي من الازمات والمصاعب ، ولما كان من دعاية خصومه الاقوياء من اليهود أنفسهم وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية لما كانوا يرونه من خطر اشتداد السخط على اليهود الذين يفضلون البقاء حيث هم والتبرم بهم (١) ، وقصارى ما كانت تبلغه ميزانية الوكالة اليهودية في السنين

(١) ان هذه الخصومة القومية ما تزال عند كثير من هؤلاء . وكل ما في الامر أن التنظيم الصهيوني قد احكم احكاماً قوياً بحيث ضيق من مجال خصوم المشروع ، وأن ما أخذ يلقاه هذا المشروع من نجاح منذ سنة ٩٣٦ وما بعد قد ساعد على ذلك كما ساعد عليه ايضاً غرض الانكليز في نجاح المشروع .

الاولى بضعة ملايين من الجنيهات. ولم تكن هذه لتتسع لنفقات دوائر ومؤسسات هذه الوكالة في داخل فلسطين وخارجها ثم لجلب مهاجرين كثيرين وكفالة العمل الدائم لهم ومشاريع الوطن القومي المتنوعة العديدة ، ومـــن هنا كانت البطالة اليهودية وكانت مساحات الاراضي اليهودية البور التي لاحظها سيمسون .

ولقد كانت الهيئات الوطنية العربية تنذر الناس بالخطر اليهودي فلا يدركه الا الاقلون في فلسطين ، وكان الانذار به يقابل بالابتسام مـن البلاد العربية والاسلامية التي كانت ترى يهود بلادها وترى من السخرية التخويف مـن امثالهم فغـدا سواد الناس في فلسطين يلمسونه لمسا ، وكانت الاضطرابات التي تقع في فلسطين في السنين الاولى محلية وعاطفية وضئيلة النتائج وقصيرة الأمد فغدت عامة مديدة عظيمة النتائج على ماسوف نذكره بعد بسبب هذا التطور الذي تطور اليه المشروع اليهودي بهذه الهجرة الغنية الدافقة .

وفي عهد هذا المندوب وبمساعدته انتقل امتياز الحولة من العـــرب الى اليهود فتمكن هؤلاء من اكثر من خمسين الف دونم من اخصب اراضي فلسطين واعظمها وتوطدت بذلك قدمهم فيما يسمى الجليل الشرقي . وقصة هذا الامتياز قديمة ترجع الى عهد الحركة الاصلاحية البيروتية بعد اعلان الدستور، فقد تقدم في هذا الظرف الذي كانت الحكومة فيه بيد الائتلافيين الذين كانوا يجنحون الى مراضاة العرب بعض رجال هذه الحركة مثل سليم علي سليم ومختار بيهم ورفاق لهم وسعوا فنالوا امتياز تجفيف مستنقعات الحولة واستغلال الاراضي المجففة مدة معينة وتوزيعها ببدل معقول على المزارعين . وقد وضعت في صيغة الامتياز شروط بتشكيل شركة لهذا الغرض يحمل اسهمها عثمانيون ولا تنتقل لغيرهم . ومع انهم شكلوا الشركة إلا ان مداهمة الحرب العالمية الأولى حالت دون بذل الجهد المثمر في سبيل القيام بالامر . فلما وضعت الحرب اوزارها اخـذ سليم علي سلام تفويضاً من الشركاء وقام بمساع طويلة حتى تمكن من تثبيت حقوقه وحقوق شركائه في الامتياز ثم نشط في عمليات التجفيف والاستغلال . غير ان اليهود الذين كانوا يقدرون قيمة الارض اخـــذوا يسعون معه تارة لحمله على التنازل لهم عن الامتيـــاز وتارة مع الحكومة لحملها على الوقوف منه موقف المعرقل لنشاطه والمشجع على التنازل . واخيراً نجحوا فاتفق

معهم على التنازل عن الامتياز مقابل مبلغ جسيم متذرعاً بكثرة النفقات التي يتطلبها المشروع وبقرب انتهاء مدة الامتياز والخوف من فقدانه ، ووافقت الحكومة على هذا التنازل فانتقلت هـــذه الاراضي الغنية المهمة الى الايدي اليهودية ولو كان المندوب البهلوان صادقا في ما كان يتظاهر به من العطف عـــلى الفلاح العربي لما وافق على التنازل ولكان قام بالمشروع على حساب الخزينة ووزع الاراضي المستصلحة على مزارعي العرب المحرومين الذين كانت مشكلتهم مما تتظاهر السلطات الانكليزية بالاهتمام لها والنشاط بسبيل حلها ، وقد كانت إذ ذاك تقوم بناء على توصية خبيرها سيمسون بما سمته المشروع الانشائي الذي كانت تهدف به الى اصلاح الاراضي وحل مشكلة المزارعين المحرومين والذي وصدت له مبالغ غير يسيرة ..

وطبيعي ان المندوب إنما سار في هذا الامر بروح سلطاته العليا وتعليماتها المتسقة مع الغاية الكيدية المرسومة . وقد كان لهذه العملية اثر سيء في نفوس العرب ظهر على الالسنة والصحف ، وكان للسياسات المحلية والشخصية الحزبية بعض الاثر في ما جرى حول ذلك من قيل وقال . ومن عجيب ما جرى انه نشر بسبيل ذلك نشرات ذكرت فيها أسماء الاسر والاشخاص الذين باعوا وسمسروا في معرض الدفاع والاعتذار وقيل فيها ان الحملات أولى ان توجه الى هؤلاء ....

ومما كان من مساعدات واكهوب لليهود وانسجامه معهم طي مشروع المجلس التشريعي الذي وعد به الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠ الصادر نتيجة لتقارير لجنة شو وسيمسون والذي قالت الحكومة البريطانية في صدره إنها مصممة تصميما قاطعاً على تحقيق هذا المشروع وعلى قمع كل حركة تقوم ضده وتحاول عرقلته على ما جاء في ذلك الكتاب. فقد أخذ واكهوب يقوم ببعض التمهيدات لاجل تنفيذه وأجرى إحصاء بسبيله ، ثم جرت مباحثات ومراسلات حـــوله ظهر فيها جنوح من غالب الأحزاب العربية التي اشتركت فيها الى الترحيب بالمشروع المعدل والرغبة في تنفيذه ولكن اليهود الذين رأوا تباشير الازدهار وعلامات الحيوية والقوة على مشروعهم وقفوا هذه المرة موقفاً سلبياً من المشروع لئلا يقف الازدهار والنمو اليهودي عند حد لا يرضي مطامعهم فما كان من المندوب وسلطاته العليا الا مجاراتهم . .

ونقول استطراداً إن بعض ملوك وزعماء ورجالات العرب اعتادوا ان يوجهوا اللوم الى عرب فلسطين عـــلى عنادهم وتمسكهم بالسلبية المطلقة . فهذا الجنوح أولا وما

ذكرناه سابقاً من مواقف ومشاهد عديدة أظهر فيها العرب إستعداداً للاندماج في مشاريع ايجابية نصفية بل وتافهة احياناً دليل على ان هذا اللوم في غير محله وان زعم السلبية المطلقة كان اثراً من آثار الدعاية الانكليزية بسبيل الاعتذار والتوهين ، بينما كان الانكليز يصرون على حرمان العرب من اي مركز دستوري قد يؤثر في سير سياستهم المرسومة الرامية الى تمكين اليهود في فلسطين وكانت تلك الاستعدادات المتعددة التي اظهرها العرب بسبب ذلك تظل مخفقة خائبة .

وفي عهد هذا المندوب سارت عمليات تسوية الأراضي التي بدأت قبله اشواطاً كبيرة . وكان القصد من هذا المشروع في الظاهر تنظيما حيث تحـــل به مشاكل ملكيات الأراضي ونزاعاتها وتعهد لكل مالك مهما كانت حصته ان يحصل على خريطة وسند لحصته مفروزة او مشاعة ، وكان مرد ذلك الى محاكم الاراضي التي كانت القضايا تطول فيها كثيراً وقد لا تنتهي ، وكانت هذه المشاكل والنزاعات من العثرات المهمة في سبيل تحقيق مطامع اليهود في الأراضي العربية ، فمهد هـذا النشاط في عمليات التسوية الطريق الى تحقيق تلك المطامع بمقياس واسع ، حيث بـدا انها تنحصر او تكاد في منطقة معينة وهي منطقـة السهول الحصبة والأراضي المرويّة او القابلة للارواء ، وهي المنطقة التي ظهر فيما بعد ان السياسة البريطانية ترمي الى تخصيصها للدولة اليهودية ، وكانت تهدف الى استخلاص اكبر مساحة ضمن هذه المنطقة من ملاكيها العرب بحجة انها معطلة او لا تدخل ضمن كواشين الملاكين العرب ، وتسجيلها باسم املاك الدولة ومنع انتفاع العرب بها ثم تسهيل إنتقالها الى اليهود عاجلا او آجـــلا . ومما يستحق الذكر ان مأموري التسوية لم يأخذوا شبراً واحداً مما كان يملكه اليهود باسم املاك الدولة مع ان منه ما كان بكواشين عثمانية مثل كواشين العرب وفي إطلاقها واحتمالاتها ، فكان الكوشان محل اعتراض وإدعاء وتحمل في مدى شموله للأراضي التي بحدها إذا كان مالك الارض وصاحب الكوشان عربيا اما الكوشان الذي في يد اليهود فكان يقبل به كل ما يدعيه أصحابه ويعتبرونه ملاكاً لكل شبر من الارض المسماة سهلها وجبلها وصالحها ورديئها ومعمورها وبورها . وكان مأمورو التسوية الذين يمارسون صلاحيات قضائية عظيمة ينتخبون من غير السلك القضائي واغلب الذين كانوا يعينون في المناطق التي تشتبك فيها المصالح العربية واليهودية او يرمي اليهود الى إستخلاصها من العرب كانوا يعملون بانسجام تام مع المصالح

اليهودية ، ووكلاء الشركات اليهودية الذين كانوا في اثناء عمليات التسوية يعمدون الى شراء حصص من اصحاب الكواشين الميتين والوارثين الذين لا يتصرفون بالارض بأبخس الاثمان ويتقدمون الى هؤلاء المأمورين فيحكم لهم ، في حين كانوا يدققون اشد التدقيق مع العرب الذين يحاولون ما يحاوله اليهود او الذين لهم حقوق قديمة في الارض والكواشين ويضعون امامهم مختلف العراقيل .

وفي عهد هـــذا المندوب أجلى بدو وادي الحوارث عن أرضهم بالقوة إجلاء اجماعياً بحجة تنفيذ حكم قضائي . ومساحة هذا الوادي نحو اربعين الف دونم مـن الاراضي الجيدة . وكان مسجلاً على بعض أمراء القبيلة دون أفرادها فباعوه لأسرة التيان اللبنانية ورهنته هذه لبعض الافرنسيين وهؤلاء رهنوا رهنهم لبعض اليهود الافرنسيين ايضاً . وكان ذلك في زمن الدولة العثمانية . فجاء ورثة المرتهنين الأخرين تطالب بدينها فحكمت المحكمة بالدفع ووضع الرهن في المزاد فرسا على اليهود ، ونفذت السلطات الحكم فقوضت بيوت البدو المزارعين وجلتهم عن ارض عرفوا بها وعرفت بهم بالقوة فكان مشهداً أليما حيث غـدا نحو خمسمئة عربي حيارى دامعي العين لا يدرون ما يفعلون ولا يملكون ما به يقاتلون . وكان من واجب السلطات أن تتدخل باسم حماية المزارعـــين وتفعل شيئاً بل وتشتري الوادي أو تستملكه لمزارعيه من مرصودات المشروع الانشائي لو كان عندها نية حسنة وكان المندوب صادقاً في ما تظاهر به من عطف بهلواني ..

ونقول استطراداً ان الحادث ليس فذاً في تاريخ فلسطين الانتدابي ، فكثير من القرى والمزارع التي اشتراها اليهود من الاسر السورية واللبنانية قد مرت بهذا الدور حتى ان بعض مزارعيها قتـلوا في ارضهم برصاص الانكليز وهم يدافعون عنها . ولكن ظروف الحادث جعلته خطيراً حيث جاء بعد الشكايات الشديدة من عدم حماية مزارعي العرب وحرمانهم من اراضيهم وبعد وعود الحكومة الانكليزية بعمل ما يقتضي بهـذا الصدد ، وحيث جاء كذلك في وقت أخذ جو فلسطين فيه يتجهم وينذر بالشر بسبب سيل الهجرة وشعور العرب بالخطر الداهم شعوراً واسعاً .

وقد جرى حول هذا الحادث وبسبب ظروف خطورته قيل وقال تدخلت فيه السياسات المحلية والحزبية الشخصية فزادت من خطورته وشدة وقعه ..

خطوات اليهود في صدد شرق الاردن وصداها

والسياق يتحمل الاشارة الى حادث خطير وقع في عهد هذا المندوب وهو ظهور مطامع اليهود عملياً في استعمار شرق الاردن والهجرة اليها . ولقد شمل الانتداب الانكليزي لفلسطين بصورة ضمنية شرق الاردن حتى كانها اعتبرتا بلاداً واحدة ولم يوضع لشرق الاردن صك انتداب خاص ، وقد جاء في صك انتداب فلسطين مادة وهي المادة الخامسة والعشرون تنص على حق الدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الأمم ان تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من مواد الصك ما لا يكون ملائماً للأحوال المحلية الحاضرة في الاقسام الواقعة شرق نهر الاردن وان تضع لادارة هذه الاقسام ما تراه ملائماً لتلك الاحوال من تدابير . وكان اليهود منذ الاصل يضعون في برنامجهم الاستعماري القومي شرق الاردن في الدرجة الاولى . وقد قوت هذه المادة مطامعهم هذه حيث أملتهم بالنفوذ من ثغرة نص التأجيل وشمول الصك لشرق الاردن وفلسطين على السواء مع ما احتوته ديباجته من تصريح بلفور وقيام الصك والانتداب عليه .

فحينما أخذت الحركة الهتلرية تقوى ويفر من أمكنه الفرار من يهود المانيا الاثرياء ويهاجرون الى فلسطين أخذت هذه المطامع تشتد ، ولا سيما ان الاراضي الفلسطينية الصالحة التي يمكن ان تتيسر لليهود والتي تقع في مناطق استعمارهم قد قلت كثيراً وارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً ، وان الضجة العربية من جراء ذلك قد أخذت تحدث أثراً ما في الحكومة الانكليزية ، هذا بينما يرون في شرق الاردن مساحات شاسعة صالحة للاستغلال والاستعمار تكاد تكون بدون ثمن رخصاً وخالية من السكان ، من حيث ان مساحة شرق الاردن تبلغ تسعين الف كيلومتر وسكانها لم يكونوا ليبلغوا الاربعمئة الف اذ ذاك وتصفهم بدو رحل ، واكثر اراضيها مملوكة واكثر المملوك منها مسجل على الرؤساء والامراء والمشايخ ، ومن شأن هذا كله ان يسيل لعاب اليهود وان يحملهم على بذل الجهود والتوسل بكل وسيلة الى التسرب الى شرق الاردن حالما اخذوا يرون مدد المال والرجال يصل اليهم من الحركة الهتلرية فينعش آمالهم وحركتهم .

ولقد حُسن لعاهل الاردن ان تكون له مزارع؛ وكان هناك ارض واسعة تبلغ مساحتها مئة الف دونم وفيها قبر ابي عبيدة فاتح الشام العظيم ، ورضي الانكليز بأن تكون للعاهل هذه الارض ووافق المجلس التشريعي الاردني على قانون بهبتها له على ان تسجل وقفاً وسجلت وقفية الارض في المحكمة الشرعية . غير ان الناس لم يلبثوا ان رأوا خبراء اليهود يزورون الارض وان اخذوا يسمعون اخبار المفاوضات على تأجيرها لليهود لمدة تسع وتسعين سنة ، وان قيل ان عقد الاجار قد كتب فعلاً وان سلفة دفعت على حساب هذه الاجرة، فقد استغل اليهود الفرصة وطمعوا في حيازة الارض واعمارها بشكل ما فسعوا سعيهم الذي كاد ينجح وتنتقل قدمهم بنجاحه الى الضفة الشرقية من الاردن لولا الضجة التي ثارت حول هذا الحادث لما انطوى عليه من مدى خطير وبعيد ، والتي ادت الى انكفاف اليد اليهودية .

ولقد وقع اثر ذلك او في ظروفه حادثان آخران يمتان الى ما نحن في صدده من خطوات اليهود العملية بسبيل مطامعهم في شرق الاردن . فقد اخذت ترد على عاهل الاردن عرائض وبرقيات من بعض شيوخ البلاد يطلبون فيها منه تيسير دخول رؤوس الأموال الاجنبية الى شرق الاردن للقيام بالمشاريع العمرانية وتفريج ازمة البلاد ، واخذت توجه الحملات في مجالس عمان على اهل فلسطين الذين يحاولون حرمان شرق الاردن من الازدهار والعمران ويحملون على اصحاب الشأن فيه بسبب اجارة ارض معطلة بينما هم يسمنون ويغنمون من اموال اليهود ، مما كان الناس يلمسون فيه اثر الايعاز وثائرة النقمة .

اما الحادث الثاني فكان اجتماعاً انعقد بين نفر من شيوخ شرق الاردن ونفر من زعماء اليهود في القدس وقع فيه الشيوخ على عريضة يعلنون فيها موافقتهم على هجرة اليهود الى شرق الاردن واعمارهم اراضيه لما في ذلك من فوائد للسكان . وحمل اليهود العريضة مع صور البرقيات والعرائض التي رفعت للعاهل بطلب تيسير دخول الاموال الاجنبية كما حملوا عقد اجارة الارض الى لندن حيث طالبوا برفع القيود عن تطبيق تصريح بلفور على شرق الاردن ما دام اهله يطلبون ويرحبون . ولم تر الحكومة البريطانية مجاراتهم لان خطتها ان يكونوا شوكة في جنب فلسطين لا قوة مرهوبة في الشرق العربي فلجأوا الى لجنة الانتدابات ، وكان من آثار ذلك ان سأل احد اعضاء هذه اللجنة مندوب الحكومة المذكورة اثناء تقديمه التقرير

السنوي ومناقشته عن سبب امتناع حكومته عن تيسير الهجرة اليهودية الى شرق الاردن ما دام انه لم يبق أرض ميسورة في فلسطين وما دام أمير وزعماء شرق الاردن يرحبون بذلك ويرون فيه خيراً لبلادهم ، فلم ينف المندوب القول ، وكان جوابه ان الحكومة البريطانية لاترى ذلك ملائماً الآن لأسباب تتصل بالأمن العام. ونشرت الصحف العربية هذا وانتظر الناس من عمان وشرق الاردن اعتراضاً أو تفسيراً أو نفياً لما قيل فذهب انتظارهم سدى . . . على أن الخطوات والتحريكات اليهودية لم تلبث ان وقفت لأن الحالة في فلسطين قد أخذت تتحرج وتتفاقم على ما سوف نذكره بعد .

— ٦ —

صلة اللجنة التنفيذية واشتداد الحاجة الى حركة قوية

ولقد كان عدم الانسجام في اللجنة التنفيذية العربية وما زاده التهاتر والتشاد اللذان وقعا في ظروف انعقاد المؤتمر الاسلامي من توتر وتفكك فيها ومن فتور في الحركة الوطنية بالتبعية موئساً للكثير من أعضائها من امكان فائدة هذه التشكيلة المؤلفة من مختلف الاهواء والاحزاب والصفات للحركة الوطنية وحافزاً إلى التفكير في انشاء أحزاب منفردة ممتازة حيث تكون املك للحرية وأقوى على تكثيف الجهود وفي نجوة من التشاد المنغص المعطل. وقد كانت الحاجة ماسة قبل ذلك بأمد طويل في الحقيقة إلى صرخة ايمانية حينما دخلت الحركة الوطنية في دور فتورها وميوعتها وخاصة حينما غلب عليها طابع نضال الصهيونية دون الانكليز الذين هم أصل الداء ورأس البلاء حتى لقد كان هـذا مما لفت نظر لجنة شو وألمعت اليه أو بالاحرى غمزت العـرب به في تقريرها ، واشتدت هذه الحاجة بما كان من سياسة والكهوب التي ذكرنا صورها والتي جعلت جل الزعماء إن لم نقل كلهم يندمجون في مداراة الانكليز وجعلت بالتالي فكرة مكافحة الانكليز مباشرة وبصورة حازمة بعيدة ، وجعلت أكبر همّ من يستشعر الاخلاص للوطن وقضيته منهم أن يناوىء الصهيونية ويستعدي عليها ويعرقل أعمالها ومشاريعها مع أن هـذا لم يكن ليجدي الجدوى الصحيحة لأن الانكليز مستمرون في تمكين الصهيونية والانسجام التام معها ، فصار من الواجب اللازم توجيه الكفاح نحوهم لأنهم بيدهم وحدهم التعديل والتبديل والنقض والابرام ، وقد كانوا أصل البلاء وظلوا كذلك بما كان منهم من استجابة وتعضيد لكل مطلب يهودي واضاعة واهمال لكل حق عـربي ونكث بكل وعد للعرب في جزئيات الامور وكلياتها إلا ما كان تافهاً لايرضي غير الأطفال

والانانيين ، ثم جاءت الهجرة اليهودية الواسعة المنـــذرة بالخطر العاجل والمستقبل الحالك منبهاً جديداً على وجوب القيام بمثل تلك الحركة .

ولقد أخذ بعض الوطنيين المتأملين في التوجيه نحو الدعوة النضالية ضد الانكليز والتنبيه على ما غلب على الحركة الوطنية من فتور وميوعة واكتفاء بالصهيونية منذ سنة ١٩٣١ حيث انتهزوا فرصة ذكرى واقعة حطين الشهيرة التي سحق فيها صلاح الدين جيوش الصليبيين وزلزل ملكهم في فلسطين فدعوا إلى إقامة حفلات عامة ، واقيمت فعلا هـذه الحفلات في جميع مدن فلسطين تقريباً شهدها عشرات الوف الناس ، وخطبت فيها الخطب التي ذكرت الانكليز بصفتهم وأثرهم ودعت إلى النضال ضدهم مباشرة، وكانت للمرحوم اسعاف النشاشيبي خطبة قوية في هذا الباب القيت في حفلة حيفا التي كانت أعظم الحفلات وأقواها، وحيث كتب صبحي الخضراء الذي كان مديراً لمكتب اللجنة التنفيذية مقالاً سديداً في جريدة الجامعة العربيـة بعنوان « بريطانيا أصل الداء ورأس البلاء » أثارت الانكليز وحملتهم على محاكمته ونفيه من القدس ، وحيث كتبت أنا بضع مقالات في الجريدة المذكورة بعنوان « أين نحن من ايماننا الوطني وأهدافنا الاستقلالية » نعيت ماطرأ على الحركة الوطنية من فتور وميوعة واكتفاء وتضاؤل هدف كان لها تأثير في نفوس المخلصين وصدى في خارج فلسطين حتى أن صحف دمشق تناقلتها وعلقت عليها لأن حركة الشام كانت تمر إذ ذاك بمثل المحنة التي كانت تمر بها حركة فلسطين ، وأخذت الصرخات تتابع والافكار تتجه مع التوجيه الجديد .

نشوء حزب الاستقلال

وجاءت الهجرة اليهودية المتدفقة المنذرة بالخطر العاجل منبهاً جديداً على وجوب القيام بحركة قوية منظمة ومنسجمة. وكان جماعة الاستقلاليين أول من خطا الخطوة الاولى . والتسمية من اسم الحزب الذي أنشأوه من جهة ومن انتساب اكثرهم إلى حزب الفتاة والاستقلال القديم من جهة اخرى .

ولقد سبق انشاء الحزب اجتماعات عديـدة بين بعض أركانه وبينهم وبـين الحاج أمين الحسيني وبعض الزعماء المجلسيين من رفاقه جرت فيها الاحاديث في صدد تجديد شباب الحركة الوطنية وتصحيح سيرهـا ، بحيث يدخل في منهجها النضال ضد الانكليز ومصاولتهم العداء واعتبار مدارلتهم منافية الاخلاص والصبغة الوطنية. وكان من نتيجة هذه الاجتماعات أن اقتنع جماعة الاستقلاليين الذين كانوا يشتركون

فيها بانشاء حزب مستقل عن المجلسيين الذين كانت لديهم اعتبارات تحملهم على السير على اسلوب آخر يتسق معها .

وكان الرأي المفضل أن لا يكون الحزب قائماً على عمليات انتخابية حيث يكوّن الحزب وهيئته المركزية وهيئات فروعه تكويناً اختياريا وتعيينياً لأن التجارب أثبتت أن هذه العمليات كثيراً ما تكون اللغم الذي ينسف الهيئات التي تقوم عليها ووسيلة للفساد والتشاد حتى ولو كان اعضاء هذه الهيئات من ميول متقاربة ، وان لا يكون قائما كذلك على فكرة تكثير المسجلين فيه انسياقا وراء الاعتبارات الشخصية والسياسات الحزبية المحلية ، وان لا يهتم لان يكون من هذه الناحية قلة او كثرة وانما يهتم لان يمثل مبادىء وان يكون قويا فيها وان يكون اعضاؤه مختارين اختياراً من العاملين المخلصين اصحاب المبادىء والغيرة ، وان يبتعد عن اخذ من عرف عنه لوثة وطنية او أخلاقية ، وان يكون قائماً بصراحة على كفاح الاستعمار ومعالنة الانكليز بالعداء في جانب كفاح الصهيونية ، وان يبتعد اعضاؤه عن زج انفسهم وزج الحزب في تيار السياسة المحلية والشخصية .

وتطابق على هذه الاسس كل من معين الماضي وعزة دروزه وعوني عبد الهادي وصبحي الحضراء ورشيد الحاج ابراهيم واكرم زعيتر وفهمي العبوشي والدكتور سليم سلامه وعجاج نويهض واتفقوا على نصوص منهج الحزب بحيث جاءت متسقة مع مبادىء الاستقلال والفتاة والميثاق الذي وضعه المؤتمر العربي في القدس في كانون الاول ١٩٣١ من وحدة عربية وانكار للتجزئة وكون فلسطين جزءاً من سورية والعمل على الغاء الانتداب وتصريح بلفور وقيام حكم عربي مستقل ووضعوا في المنهج نص يبين بعدم استغلال الحزب لمأرب او منصب او نفوذ شخصي او عائلي والتعاون على ما فيه الخير والكرامة مع الاخلاص لغايات الحزب ، كما استغنوا عن رآسة الحزب اكتفاء بسكرتير عام ، واذاعوا بيانا بتشكيل الحزب وبواعثه في شهر تموز من سنة ١٩٣٢ ننقله في ما يلي لانه يصور الحالة التي وصلت اليها الحركة الوطنية وما كان لها من تاثير في قضية فلسطين :

« لم يبق أحد لم يشعر بما طرأ على الحركة الوطنية الاستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور وما وقعت فيه من اضطراب وانحلال وفوضى ، وما تسلط عليها

من اهواء ونزعات زعزعت اساسها وبدلت اغراضها ومراميها. فبعد ان كانت قضية استقلالية تحمل خواص القضية العربية الكبرى وتحتفظ بمزاياها الشريفة وتكافح الاستعمار وجهاً لوجه اصبحت قضية محلية تتاثر بالنزعات الشخصية والاهواء العائلية والقوى الانتخابية الى حد كبير . واذا كانت الحركة الوطنية وقفت في ادوارها الاخيرة موقف الكفاح فلم يكن ذلك منها في الاعم الاغلب موقفا صريحا لا مواربة فيه وانما كان موقف عجز ومسكنة محصوراً بمقاومة القضية المصطنعة التي نكبتنا بها الاستعمار ليلهينا عن اغراضنا المقدسة العليا ؛ بل لقد اصبحنا وليس لنا في هذه البلاد قضية استقلالية نكافح دونها ونرد الاطماع الاستعمارية عنها ، وصرنا الى حالة نستسيغ معها وطأة المستعمر ونستمرىء اساليبه وتتهافت على نيل رضاه بالتقرب والزلفى وتتبادل الاستنصار به ليغلب فريق منا فريقا سعيا وراء قضايا الاشخاص والاهواء .

ولما كان من الجريمة الوطنية ان تصبح قضيتنا الاستقلالية التي اسس بنيانها على هامات شهداء العرب في جميع الاقطار العربية ورفعت قواعدها على مناكب المجاهدين الابرار رهن القضايا الشخصية وفريسة تلك النزعات والحزبيات المحلية وان لا يكون لفريق الاستقلاليين الذي عمل مع الجماعات العربية في ميدان القضية العربية الاستقلالية الكبرى ولمن يجري على مبادئهم وينحو نحو غايتهم كيان مستقل ينضوون تحت لوائه لاستئناف الجهاد الوطني وفقاً للمبادىء التي اعتنقت وبشر بها تبشيراً خالصا لوجه الله والامة والوطن فإن موقعي هذا البيان اعتقدوا انه آن الاوان لاقامة مثل هذا الكيان والقيام بحركة وطنية خالصة على يد حزب سياسي إستقلالي يكافح الاستعمار وما جرّه من نكبات كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا مواربة ويعمل على نيل حقوق الامة الاستقلالية وانهاضها حاذياً حذو الاحزاب الوطنية التي تعتز بالمبادىء الشريفة وتستمد منها الرشد والهدى . وسيكون الأساس الذي يبنى عليه هذا الكيان الحزبي الاستقلالي التجانس في المبادىء الصحيحة والاخلاص الشريف وحب العمل النزيه والابتعاد كل الابتعاد عن الجري في طريق السياسات المحلية والشخصية والعائلية ، وجعل المصلحة العامة فوق كل مصلحة ، وعدم الاهتمام بتة لفكرة اكثرية او أقلية وما يتبعها من سياسات انتخابية لا يراد بها وجه الله

والوطن وعدم الموالاة او المعاداة لأي كان الا بما يكون له من موقف او عمل يتسق او يتعارض مع مبادىء الحزب وغاياته وخططه . وقد أجمع القائمون أمرهم ووضعوا قانون حزبهم الذي ينشرونه في الناس مع هذا البيان واثقين كل الثقة ان في البلاد فريقا كبيرا من الاحرار المخلصين يشعرون بالحاجة التي شعر بها القائمون بهذا الحزب ويألمون مثل ألمهم فيمدون اليهم يد المؤازرة والتأييد في هذه الحركة التي يرجون من ورائها الخير والخدمة الخالصة المنزهة عن كل شائبة وشين سائلين الله عز وجل ان يثبت أقدامهم ويهديهم السبيل الأقـــوم لخدمة القضية الوطنية الاستقلالية وللخروج بها من هذه الدائرة الضيقة التي حصرت فيها وتخليصها من تلك الأهواء والنزعات التي ذهبت بنضارتها وقلت من كرامتها والله ولي التوفيق ».

وقد انضم للتسعة المذكورين حمدي الحسيني وعربي الايوبي فصارت هيأة الحزب المركزية مؤلفة من الاحد عشر وأخذوا في تنظيم أنفسهم وإعداد منهج لنشاطهم . وكان مما قرروه عقد إجتماعات عامة في المناسبات الملائمة والتحدث الى الناس وتنبيه اذهانهم وايقاظ روح الكفاح ضد الانكليز الذين هم مصدر البلاء والشر لكل ما حل في بلادهم من خطر وضرر وحرمان وبيدهم وحدهم إزالة ذلك ، وقد عقدوا اجتماعات في يافا ونابلس والقدس وعكا وحيفا القوا فيها الخطب القوية الصريحة ، وكانوا ينشرون بين يدي كل اجتماع بيانا بالمناسبة فيه تنبيه وإعداد وحملات شديدة على الانكليز وسياستهم الاستعمارية والصهيونية الرهيبة ، ألحقنا بالكتاب منها بيان ٢ نوفمبر ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع عقدوه في نابلس لذكراه المشؤومة (١) وبيـان ٩ كانون الأول ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع عقدوه في القدس لذكرى فتح القدس التي اعتاد الانكليز إحياءها سنوياً (٢) كأنموذج لهذه البيانات القوية التي كانوا يذيعونها والخطة الهجومية المباشرة التي انتهجوها وللذكرى بسبيل تسجيل مـــا كانوا يدركونه هم وغيرهم من مستقبل رهيب ومصير مظلم لفلسطين من جراء المؤامرة الانكليزية اليهودية .

وكان اجتماع حيفا في اول ايلول عام ١٩٣٣ آخر اجتماعات الحزب العامة ، وكانت حركة الهجرة اليهودية قد اشتدت وزادت في قلق الناس وخوفهم فكان من اشد الاجتماعات تأثيراً وقوة في الحملة على الانكليز وسياستهم .

(١) ملحق رقم ٦ (٢) ملحق رقم ٧

ولقد كانت القاعات التي تنعقد فيها اجتماعات الحزب تكتظ بالناس من مختلف الطبقات والميول، وكانت الصحف تهتم لها اهتماماً شديداً وتنشر وصفها وجوّها وما يقال فيها. ولقد كان اهتمام السلطات الانكليزية للحزب ونشاطه وحركته التوجيهية الجديدة النضالية واجتماعاته العامة شديداً ، وكانت تحيط هـذه الاجتماعات بجو من الارهاب وتبعث بعض ضباط الامن لمراقبتها واختص المنـدوب السامي الحزب بالذكر في تقريره السنوي فوصفه بأنه يدعو الى اللاتعاون. ولقد دعت جمعية الشبان المسيحيين المارشال اللنبي الى حفلات تدشين بناياتها في القدس فاغتنم الحزب الفرصة واذاع بياناً استنكارياً لهذه الدعوة لما تحمله من معاني الاستعمار والصليبية العسكرية معاً ونشر جواً من الاستنكار لهذه الحفلات ومقاطعتها حتى وفق الى ما قصد توفيقاً كبيراً فلم يحضرها من العرب المسلمين إلا اربعة وقاطعها كثير من العرب المسيحيين ايضاً ، وحمـــل جمعيات الشبان المسلمين على إثارة حملة قوية كذلك بما هز اعصاب الانكليز هزاً عنيفاً وجعل اللنبي بنوع خاص يحاول التنصل بمـــا نسب الى حملته من المعاني الصليبية حيث كان احد وزراء بريطانيا قال يوم فتح القدس « ان هذه الحملة هي آخر الحروب الصليبية » وحيث ذكر احد المؤلفين الانكليز ذلك بصراحة في كتاب مدرسي يدرس في بلاد الانكليز اسمه نيوايج ريدر . وقد فعل شيئاً من هذا غورو في وقفته امام قبر صلاح الدين حينما غزا دمشق على ما ذكرناه في الجزء الثاني من الكتاب . ولقد اذاع الحزب فيما اذاع بتاريخ تشرين الأول ١٩٣٢ نداء وجهه الى ضمير كل عربي في فلسطين بصدد سياسة الحفلات والمجاملات التي اتخذها واكهوب وانغمر فيها جل الزعماء والوجوه على ما ذكرناه قبل ننقله هنا للذكرى ايضاً :

« ان السلطة الانكليزية قد اخذت تهتم منذ سنة لسياسة المآدب والحفلات وجمع العرب واليهود على موائد واحـدة وتبتكر المناسبات والاساليب لذلك . وحزب الاستقلال العربي يعتقد ان مسايرة هذه السياسة من جانب رجـال العرب ستحمل المستعمر على الاعتقاد بضعف روح المقاومة الوطنية فينا وتطمعه في الأستمرار على الاساليب الاستعمارية والصهيونية التي اشتدت اخطارها وهددت كيان العـــرب القومي والاقتصادي والاجتماعي كما هو مشاهد كل يوم بالفعل والواقع . ولما كان

الحزب يعتقد انه ليس هنالك عـــربي واحد يرضى حقيقة عن الأساليب الاستعمارية والصهيونية وان تكون امته معرضة للانهدام والفـــناء ولما كانت مسايرة تلك السياسة اخذت في الوقت نفسه تسجل باطلاً على العرب هـذا الرضاء والقبول فان الحزب يوجه هذا النداء الى ضمير كل عربي في فلسطين ويهيب به ان يذكر دائماً ما يقاسيه وطنه البائس من حرمان وشقاء وان لا يعرض كرامة امته وعزة قومه للمهانة والاحتقار بارتكابه اثم التهافت على هـذه المآدب والحفلات وان يثبت للملأ صدق الكفاح الذي تكافحه هذه البلاد العربية ضد الاستعمار والصهيونية وفي سبيل الاستقلال والحرية . »

كذلك اذاع الحزب فيما اذاع منشوراً وجهه الى رجال العـــرب وهيئاتهم وصحفهم في مختلف الاقطار العربية شرح فيه حالة فلسطين السيئة ومرامي المؤامرة الانكليزية الصهيونية ومظاهرها الرهيبة القائمة والآتية ، واهاب بالعرب الى ان ينظروا الى هذه القضية نظرة الجد ويعملوا على انقاذ فلسطين وحماية بلادهم معاً من تلك المؤامرة الكبرى الحقناه بالكتاب للذكرى ايضاً (١) .

ولقد امتد نشاط الحزب واجتماعاته ونداآته وتوجيهاته نحو ستة عشر شهراً (تموز ١٩٣٢ - كانون الاول ١٩٣٣) واستطاع ان ينال توجهاً وعطفاً قويين وخاصة من غير الحزبيين او الـــذين سموا ومقتوا الحزبية الشخصية من الحزبيين ، وكان يحضر اجتماعات الحزب كثير من هؤلاء فضلا عن اولئك حتى لقد شهد موسى كاظم الحسيني اجتماع القدس الكبير ، وكان الناس يتلقفون بياناته ونداآته بشوق واهتمام ، وكان لنشاطه تأثـــير كبير في الانكماش عما سميناه سياسة الولائم والمجاملات والتعاون الاجتماعي مع الانكليز حتى لم يرَ المندوب بداً من الاقتصاد فيها كثيراً لفتور الاقبال عليها ، ولم يكن يوم ذكرى فتح القدس يدخل في عداد الايام المستنكرة فكان الجو الذي نشره عنه والبيان الذي اذاعه والاجتماع الـذي عقده سنة ١٩٣٢ منبهاً قوياً حتى لقد اصدرت بعض الصحف اعداداً ممتازة بسبب هذه الذكرى وحتى ان السلطات التي اعتادت ان تقيم حفلة دينية شكرية وتدعو اليها وجوه البلاد عدلت في هذه السنة عن المراسم والدعوة .

---

(١) ملحق رقم ٨

ويعترف كثير من رجال فلسطين وشبابها حزبيين وغير حزبيين انه كان لظهور الحزب ونشاطه ومنهجه تأثير كبير في تنبيه الناس وتوجيههم ، وفي ما كان خاصة من حركات ايجابية ونضاليـــة موجهة للانكليز مباشرة منذ اواخر عام ١٩٣٣ وما بعد .

مصاعب الحزب وفتوره

على ان الحزب لم يستطع مع الاسف ان يستمر في نشاطه لما واجهه من مصاعب مالية ، حيث كانت حالة اكثر اعضائه المالية غير حسنة ولا تتحمل البذل الكثير الذي لا بـد منه لاستمرار النشاط والتوسع فيه . وكانت الصفات التي فرضها على الانتساب وفكرة عـدم الاهتمام للتكثر عن طريق المنتسبين قد ابقت الحزب من الوجهة الشكلية في نطاق ضيق كان له اثر في المصاعب المالية المذكورة . هـذا مع الاعتراف انه على رغم تلك الصفات المفروضة وعلى الرغم من عزيمة مؤسسي الحزب على عـدم الاندماج في السياسات المحلية ومهاتراتها لم يخل الحزب من اعضاء ظهرت فيهم نقائض تلك الصفات ولم يستطيعوا ان يكونوا في نجوة من تلك السياسات فكان كل ذلك من اسباب فتور نشاطه بعد ذلك اللمعان القوي الذي كان وظل بعيد المـــدى والاثر على كل حال . ولقد ظل اسم الحزب مذكوراً مع ذلك بين الاحزاب والناس واحتفظ بمركزه وطابعه في مختلف المناسبات كما ظل التواثق قائماً مستمراً بين اكثر اركانه واعضائه . وقد تمثل الحزب في الحركات النضالية التي حدثت واللجان العليا التي تألفت منذ سنة ١٩٣٣ وما بعد باستثناء لجنـة الاحزاب التي كانت تتفاوض مع المنـدوب بشأن المجلس التشريعي عامي ١٩٣٤ – ١٩٣٥ حيث انه رأى ذلك متناقضاً مع المنهج الذي انتهجه .

موقف الاحزاب الاخرى من الحزب واثره

ومن الجدير بالتسجيل ان ظهور الحزب قد قوبل من المجلسيين والمعارضين معاً بدهشة وتجهم ، ورافقها من الأولين خاصة همسات واحياناً حمـلات دعائية مضادة كانت سبباً من اسباب ما وقع فيه بعض اعضاء الحزب من مناقضة لما أخذ الحزب نفسه به من خطة البعد عن المهاترة والسياسات الشخصية كما كانت سبباً في بقاء

الحزب في نطاقه الضيق . ولقد كان بين كثير من اعضاء الحزب وبين كثير من المجلسيين تواثق كان يمكن ان يؤدي الى تعاون تحت لواء الحزب ونهجه ، ولا سيما ان هؤلاء كانوا يشعرون بما كان يشعر به اركان الحزب من الميوعة التي وصلت اليها الحركة العربية الوطنية والانحراف الذي ظلت مرتكسة فيه ومبتعدة به عن الاتجاه الصحيح ، وكانوا قلقين لما اخذ يشتد من أخطار الغزوة الصهيونية وعدم مبالاة الانكليز ، ومحبذين لظهور حركة او حزب يأخذ على عاتقه تجديد النشاط وتصحيح الاتجاه ، قد جرى بينهم وبين اركان الحزب محادثات في هذا الشأن لم تصل الى نتيجة على ماذكرناه في مناسبة سابقة ، بل ان من المجلسيين من حبذ حركة الحزب عند ظهوره واغتبط بما بدا منه من نشاط وحيويه ، ثم ما لبث ان انكمش نتيجة لتلك الهمسات والحملات .

ولقد كان سبب مقابلة المعارضين لظهور الحزب بالتجهم والارتياب انهم لمسوا فيه اتجاهاً محرجاً بالنسبة لما بين بعضهم وبين السلطات وبين بعضهم وبين اليهود من صلات وتواثق ومصالح ، وظنوا أنه لا بد من ان يكون للمفتي اصبعاً فيه ، وانه ظهر كجبهة جديدة عليها طابع الاستقلال للتمويه بينما هي في حقيقتها جبهة مجلسية ، لأنهم يعرفون ان نصف اركان الحزب على الاقل من اصدقاء المفتي والمتعاونين معه فلم يهضموا ان تكون الصداقة شيئاً والعمل الوطني شيئاً آخر .

اما سبب موقف المجلسيين فانهم رأوا ان البيان الذي اذاعه الحزب يتناولهم كما يتناول المعارضين ويسوي بينهم حيث ينسب التقصير والعائلية والحزبية الشخصية والمصالح الخاصة وفتور روح النضال القومي للجميع على السواء ، مع ان البيان لم يستثن احداً وشمل واضعيه بطبيعة الحال ، وكان استعراضاً للحالة الاليمة التي وصلت اليها القضية الوطنية والتي كان واضعو البيان من المندحين في اسبابها وتيارها والتي كان الحديث يجري عنها بأسف وحزن واعتراف بين فريق من واضعيه وبين المفتي وفريق من انصاره الخلصاء . ولقد كان بين بعض اركان الحزب وبين المفتي شيء من التشاد وعدم الانسجام ، ومن هذا البعض من كان ينتقد تصرفات المفتي فكان وجوده في الحزب سبباً آخر من اسباب ذلك التجهم والهمسات والحملات التي تبعته ، مع ان بقية اركان الحزب وهم كثرته حرصوا كل الحرص على جعل عزيمة الحزب

ونهجه هما المسيطران على اعماله وكادوا ينجحون في ذلك إلى حد كبير لولا اشتداد تلك الهمسات والحملات ورد فعلها الذي لا تستطيع الطبيعة البشرية ان لا تتأثر به . كذلك فقد كان من هذه الاسباب اعتبارهم انفراد رجال من رجال الحركة العربية المعروفين في اقطار العرب بسابقتهم القومية والمتواثقين مع العاملين في هذه الاقطار منذ العهد الفيصلي في حزب خاص ولاسيما انهم من رجال حركة فلسطين ومؤتمراتها ولجانها واكثرهم ممن كان متواثقاً ومتعاوناً مع المفتي بمثابة انشقاق عليه واعلان بانفصالهم عنه قد يكون من موهنات قوته واسمه ومثيراً للتساؤل والتفسيرات ، وخاصة ان بيانهم يحمل على ما صارت اليه الحركة من فتور وميوعة بينما المعروف انه قائد هذه الحركة او مديرها . وهذا السبب وان ظل مضمراً وكان ما يبديه المفتي وانصاره من اسباب التجهم منحصراً في السببين الأولين فإنه على ما كان ملموساً لمساً قوياً من البواعث القوية او الباعث الاقوى على تلك الدهشة والتجهم. ولقد ظل التجهم والهمسات والحملات الدعائية طيلة نشاط الحزب بحيث كان يفسر اكثر ما يصدر عن الحزب من نشاط وخطب ونداآت وبيانات ومواقف تفسيراً يتسق مع هذه الاسباب بالرغم مما حاوله اصدقاء المفتي من اعضاء الحزب من تصفية الموقف واقناع بالقصد الخالص من كل فكرة شخصية الى خدمة قضية الوطن وتوجيهها في الاتجاه الصحيح الذي انحرفت عنه ، ونفي لكل ما علق في الذهن من المعاني التي حفزته وانصاره الى الوقوف من الحزب موقفهم المذكور، كما ظلت الآثار المتقابلة لهذا الموقف مستمرة بعد فتور نشاط الحزب ايضاً .

-٧-

الفلبان من جراء اشتداد نباء الهجرة

ومما حدث في اوائل عام ١٩٣٣ ان ازدياد الهجرة اليهودية وعدم مبالاة الانكليز باحتجاجات العرب وتواصي اللجان والخبراء ، وماأخذ يسود فلسطين من جو جديد من جراء نشاط حزب الاستقلال وتوجيهاته قد أحدث أثراً ايجابيا في اللجنة التنفيذية فاجتمعت وقررت دعوة بعض الزعماء العاملين من غير اعضائها الى الحضور لبحث الموقف . وفي الاجتماع الذي انعقد بناء على ذلك وشهده الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وغيرهما ارتفعت الاصوات بعدم التعاون مع الانكليز وتقرر ارسال وفد

الى المندوب يطلب ايقاف الهجرة ومنع بيع الاراضي خلال شهر ويعلنه بعزم العرب على عدم التعاون مع الحكومة إذا لم يستجب لهذا الطلب. وكان للاستقلاليين اثر قوي في هذه النتيجة حتى انه سمي ثلاثة منهم في الوفد الذي يذهب مع موسى كاظم الحسيني الى مقابلة المندوب .

الدعوة الى اللاتعاون

ولم تجد المقابلة شيئاً وظل الانكليز على موقفهم ، فلما أوشك الشهر على الانتهاء عادت اللجنة فقررت الدعوه إلى اجتماع عام في يافا لبحث الموقف ، وعقد الاجتماع فعلا في أواخر شهر مارس لسنة ١٩٣٣ وكان حافلا ، وقد شهده عدد غير قليل من زعماء المجلسيين والمعارضين ، وأثير فيه موضوع عدم التعاون مع الحكومة تنفيذاً لما كان تقرر في اجتماع اللجنة . وتقدم حزب الاستقلال باقتراح السير في عـــدم التعاون سيراً متدرجا يبدأ بمقاطعة الحفلات والمجان ويتدرج حسب تطور الحالة الى ان يصل الى انسحاب موظفي العرب من الحكومة وعدم دفع الضرائب مستمليا اقتراحه هذا من روح الحالة التي لم تكن تتحمل خطوة ايجابية واسعة وجريئة حالاً. وقد حدث ما عكر الاجتماع وكاد يعطله . فقد اقترح احد الشباب السير بخطوة اوسع فاعلن عاصم السعيد رئيس بلدية يافا واحـــد زعماء المعارضة باسلوب حماسي استعداده واستعداد زميله راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس للاستقالة من منصبيهما، فارتفعت الاصوات تطالب الحاج امين بالاستقالة كذلك مـن المجلس الاسلامي ، فلم تلبث النعرة الحزبية المجلسية والمعارضة ان ثارت فكانت لحظة توترت فيها الاعصاب واشتد اللجاج ثم السباب وكادت الايدي تشتبك بين انصار الحزبين . وقد اعتبر المجلسيون موقف عاصم السعيد تحديا واحراجا لزعيمهم ليس الا. وقد امكن تهدئة التوتر ووافق المجتمعون على البدء بالمقاطعة الاجتماعية وترك الخطوات التالية لدرس اللجنة التنفيذية . .

ومن الجدير بالقيد ان قرار المقاطعة الاجتماعية الذي لم يكن يتطلب اي تضحية لم يستمر تنفيذه الا امدا قصيرا . وكان المعارضون الذين اظهر زعماؤهم ما اظهروه من حماس في اجتماع يافا اول واسرع من نقضه حيث انهم لم يلبثوا الا قليلا حتى

اخذوا يقيمون الحفلات في بيوتهم للانكليز ويشهدون الحفلات الرسمية وغير الرسمية التي يدعو اليها هؤلاء. واخذت جريدتهم فلسطين تعرض بالقرار وتهزأ به في مختلف المناسبات . وقد كان المجلسيون اكثر ضبطاً للنفس وتمسكاً بالقرار، ولم ينقضه من نقضه منهم إلا بعد مـــدة طويلة وبعد ان نقضه المعارضون مراراً وتكراراً ...

— ٨ —

حماس اللجنة التنفيذية ومظاهرة القدس الكبرى

وعاد سيل الهجرة اليهودية العلنية والسرية يثير القلق . وفي اجتماع اللجنـــة التنفيذية في اوائل شهر ايلول ١٩٣٣ جرى الحديث حول وجوب عمل ايجابي ما ، وخروج اللجنة مما هي فيه من فتور وميوعة او فضها . وذكر احد الاعضاء حزب الاستقلال وما يقوم به من دعاية توجيهية ويبديه من حيوية فاقترح جمـــال الحسيني الدعوة الى مظاهرات عامة فائـــلاً ان نشاط الحزب المذكور قاصراً على الكلام فعلينا ان نخطو خطوة اقوى ، وتحمس الموجودون فوافقوا على الاقتراح وعينوا يوم الجمعة الموافق لتاريخ ١٣ ايلول موعـــداً لأول مظاهرة عامة تقام في القدس ويشهدها اعضاء اللجنة وغيرهم من زعماء البلاد والعاملين على اختلاف ميولهم. وقد كان اعضاء اللجنة الاستقلاليون وهم عوني عبد الهادي وعزة دروزه ومعـــين الماضي ورشيد الحاج ابراهيم وفهمي العبوشي قد بدأوا يتغيبون عن اجتماعات اللجنة ويفكرون في نقض اليد منها لما هي عليه من تفكك ولما كان يكثر فيها من التشاد والتهاتر بسبب السياسة المحلية والشخصية ، وكانوا اثناء انعقاد هذه الجلسة خاصة في حيفا يعقدون اجتماعهم الخطابي العام على ما ذكرناه في مناسبة سابقة ، فلم يكادوا يعلمون بقرار المظاهرات حتى بادروا إلى اذاعة بيان يعلنون فيه تضامنهم مع اللجنة في تنفيذه ، حيث كان متسقاً مع النهج الـــذي انتهجوه . ولا سيما انهم كانوا يفكرون بحركة مماثلة وكانوا يتحسبون من معاكستها بسبب موقف التجهم الذي وقفه الحزبان من حزبهم .

وبُثت الدعاية القوية لانجاح المظاهرة وتوترت الاعصاب واخذت الحكومة تحسب حسابها وأرسلت وسائطها لحمل اللجنة على طلب إذن بها على الأقل فأبت

اللجنة رغبة في أن تكون المظاهرة تحدياً صريحاً للسلطات على تصرفاتها ، وحينئذ أخذت تعمل من جهة على رسم الطريق لها وحصرها في داخل السور بحيث لا تخرج من المدينة القديمة لئلا يقع اصطدام ما، وتستعد من جهة للطوارىء فتسير الدوريات وتضع المفارز البوليسية على أبواب السور . وتهيج الناس وتحمسوا للمظاهرة نتيجة للدعاية ولما اخذوا يلمسونه من تفاقم الخطر بعد ان كان نظرياً . وخرجت المظاهرة من الحرم بعد صلاة الجمعة في اليوم المعين يتقدمها عدد كبير من أعضاء اللجنة أتوا من مختلف المدن وعلى رأسهم موسى كاظم الحسيني واشترك فيها عدد كبير من شيوخ القدس وأعيانها ووفود عديدة جاءت خصيصاً فضلاً عن جمهور كبير من العرب المقيمين . وكانت في الجملة مظاهرة مهيبة قوية بروحها وبمن اشترك فيها من العناصر التي كانت بعيدة عن إساغة السير فيها وكانت أولى خطوة جدية في الصخب على الحكومة وسياستها والتحدي لها والتمرد على قوانينها بعد عشر سنين وبعد ان يئست البلاد من مثل هذا الحد في حركتها الوطنية . وقد كان لاشتراك الشيوخ والزعماء معنى قوي أكسب المظاهرة مهابة وقوة وحماساً ، إذ لم تعتد الجماهير أن تراهم في مثل هذه المواقف وإنما اعتادت أن تراهم في المفاوضات والحفلات والاجتماعات والانتخابات ، واعتادت أن تراهم منقسمين يكره بعضهم بعضاً ويدس بعضهم على بعض، فرأوهم هنا وهم في صف واحد مجلسيوهم ومعارضوهم واستقلاليوهم وحياديوهم يسيرون في مظاهرة غير قانونية فيها تحد واحتجاج موجهان الى الانكليز مباشرة ، معرضين لعنف البوليس وقسوته على غير ما تقتضيه اعتبارات الوقار والاتزان ، مما يعد بحق فتحاً جديداً مبيناً ومما أقض مضاجع الانكليز كثيراً ...

ولما وصلت المظاهرة الى باب الحديد من أبواب السور طلب ضباط البوليس من المتظاهرين أن يعودوا الى داخل المدينة او يتفرقوا ، ولكن الحماس والهياج كانا شديدين فتدفق السيل من الباب ومعه كثيرون من أعضاء اللجنة فاستعمل البوليس عندئذ القوة حتى فرق المظاهرة ، واصيب جمال الحسيني وآخرون ببعض الضربات . ثم تلاقى اعضاء اللجنة في بيت رئيسهم وتداولوا في الاستمرار في المظاهرات حيث رأوها قد عبرت عما في النفوس من تحد واحتجاج عملي وأثارت حماس الجماهير وأفكارهم وكان هذا وذاك هما المقصودان منها ، فقرروا إقامة المظاهرة الثانية يوم الجمعة الموافق لتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ في يافا . وقد

أرادت السلطات ان تقوم بعملية تخويفية فأحالت جمال الحسيني وإدموند روك والشيخ عبد القادر المظفر وكانوا في طليعة المظاهرة على المحاكمة . ولكن هذه الحركة لم تؤثر شيئاً في تنفيذ القرار .

مظاهرة يافا الكبرى ووفاتهرا العامية ومحاكماتها

وقبيل اليوم المعين للمظاهرة الثانية المقررة أخذت الحكومة تستعد إستعداداً كبيراً فأعلنت انها ستفرق المظاهرة بالقوة اذا لم يكن مأذوناً بها وحشدت قوى كبيرة في يافا ، وحاولت من جهة اخرى إقناع اللجنة المحلية بالاكتفاء باجتماع المسجد وإيفاد وفد للحاكم بالمطالب ، ولكن كل هذا لم يجد حيث ظل التصميم قائماً على المظاهرة بدون إذن .

وفي صباح يوم الجمعة كانت يافا تغلي كالرجل هياجاً وحماساً وتوتراً وكثرة وفود وجاء في من جاء وفد من الشام وآخر من شرق الاردن للتضامن مع أهل فلسطين في حيويتهم الجديدة ، وكانت ساحة السراي كأنها ساحة حرب بما كان فيها من أسلاك شائكة وعدد كبير من أفراد البوليس على رأسهم الخوذات وبأيديهم العصي ومن ورائهم صفوف من الخيالة المسلحين بالبنادق . وعقب صلاة الجمعة انتظم الموكب وسار بحماس وزحام شديدين وفي وسطه رئيس اللجنة التنفيذية وأعضاؤها والهيئات والأندية والوجوه والوفود وظل كذلك الى ساحة السراي ، فلم تلبث قوى البوليس ان تصدت للجماهير فوقع الاشتباك بين الفريقين وتدخلت الخيالة فأخذت تطلق النار وأخذ الجمهور حينئذ يكر ويفر في الأزقة ويرجم البوليس منها ومن فوق الأسطحة وتحرج الموقف واشتد البوليس في إطلاق النار وأخذ القتلى والجرحى يقعون على الأرض مضرجين بدمائهم ، وكانت ساعة رهيبة حقاً . ومع ان الجمهور تفرق الى الجوار والأزقة فالخيالة الانكليز ظلوا يطاردون الناس ويضربونهم ذات اليمين والشمال بالعصي الغليظة ، واصابنا بالذات ضربة قوية جرحتنا في يافوخنا جرحاً عميقاً ، واستطاع فريق من اعضاء اللجنة ان يخترقوا الزحام ويعودوا الى النادي ليبحثوا في الموقف ، ووقعوا قراراً بإقامة مظاهرة ثالثة في نابلس تاريخ ١٣ تشرين الثاني وبينما هم في المكتب ينتظرون بقية رفاقهم لتوقيع القرار جاء بعض ضباط البوليس الانكليز والعرب فأخرجوا من في النادي وأقفلوه

وصادروا القرار الموقع .

ولقد بلغ عدد القتلى نحو ثلاثين والجرحى الشديدي الجراح نحو ستين عدا عدد كبير خفيفي الجراح ، وقتل احد افراد البوليس وجرح عدد منهم جراحاً شديدة وخفيفة . وفي المساء قبض على جمال الحسيني وعزة دروزة وعوني عبد الهادي وسليم عبد الرحمن والشيخ عبد القادر المظفر من اعضاء اللجنة كما قبض على يعقوب الغصين وبعض رفاقه من اعضاء مؤتمر الشبان . وسُجنت انا وعوني في سجن القدس وارسل الباقون الى سجن عكا ، وضرب يعقوب ورفاقه ضرباً مبرحاً . وفي صباح السبت قامت مظاهرة صاخبة في حيفا والقدس وغزه ونابلس كرد فعل لمجزرة يافا وقع فيها بعض الاشتباكات وقتل فيها وجرح بعض المواطنين والبوليس ، واستمرت البلاد مضربة بوحي نفسها سبعة ايام كاملة والأعصاب متوترة والجو متلبد . وسعت السلطات في حل الاضراب فأبى الناس الا اذا اطلق سراح الموقوفين فتم هذا وذاك بيوم واحد بالاتفاق .

وقد غمر الناس المسرّحين بالتهاني والبرقيات وصاروا ينعتونهم بالأحرار مما دل على ان الحركة على ما كان فيها من مشقة وضحايا صادفت هوى في نفوس الجمهور وان هذا الجمهور مستعد دائماً للسير وراء كل دعوة تحد وتمرد ضد الغاصبين والمستعمرين إذا ما لباها الزعماء والبارزون ايضاً .

وقد كان إطلاق سراح الموقوفين بالكفالة حيث احيلوا إلى المحاكمة امام حاكم انكليزي في يافا . وكانت المحاكمة في جلساتها الاولى حارة حيث كان الوفود يأتون ويتردحم القاعة بهم ، وحيث تقدم عدد كبير من المحامين للدفاع . وقد عمد الحاكم الى التمطيط والمداورة ويدر من بعض المتهمين اقوال مبعثها الرغبة في تبرئة النفس فأخذت الصحف وخاصة صحيفة المعارضين تغمزهم فخف الحماس وفترت الحرارة ، ثم صدر الحكم بالسجن مدداً متنوعة مع الاشغال كان اطولها عشرة اشهر لأعضاء اللجنة التنفيذية ، واستؤنف لمحكمة القدس . وهنا مُسِطّ فيها كذلك ثم عرضت المحكمة على المتهمين توقيع تعهد بحسن السلوك مع الموافقة على حقهم في النشاط السياسي فوقعوها باستثناء الشيخ عبد القادر المظفر الذي ابى فحكم بالسجن ستة اشهر . وقد كان قبول توقيع التعهد مثار خلاف وموضوع غمز وتجريح على اعتبار ان الحركة التي نتجت عنها المحاكمة كانت حركة تمرد وتحد للسلطات وكانت

الظروف تمليها والشعب متحمسا لها وان قبول الرضوخ والتعهد لهذه السلطات بحسن السلوك مما يذهب بقيمتها ويضعف حماس الشعب ويتناقض مع باعثها ، وفي هذا من الوجاهة ما فيه ، هذا مع التنبيه على ان جريدة المعارضين كانت تحمل حملات لاذعة اكثر مما تتحمله طبيعة العمل الذي كان سائغاً ايضاً في وقائع النضال في الاقطار العربية الاخرى هادفة الى تهوين امر الاحرار مما جعل الناس يرون في هذا قصداً ويظنون ان للانكليز وأعوانهم يداً فيه .

ولقد كانت اللجنة التنفيذية عقدت اجتماعاً بعد إطلاق سراح الموقوفين للبحث في الاستمرار في منهج التحدي المقرر وكان كثير من حاضريه يتكلفون الجرأة تكلفاً . وبعد البحث والاستثارة أمكن أخذ قرار باقامة مظاهرات عامة في جميع المدن في يوم واحد هو يوم عيد الفطر الذي كان بعيداً نحو شهرين حيث لم تكن نفسية اللجنة تتحمل اكثر من ذلك . وفي يوم العيد أقامت جميع المدن فعلا مظاهراتها . وقد كان تساهل من جانبي اللجنة والحكومة معاً ، حيث سعت هذه لحمل اللجنة على طلب الاذن وأعلنت إستعدادها للاذن ولم تر اللجنة والبارزون من العاملين من غير أعضائها بأساً . وكانت مظاهرات القدس أروع المظاهرات بالرغم من أن الطقس كان بارداً جداً حيث سبق يوم المظاهرة مطر وثلج . وقد جاء المسيحيون الى الحرم واشتركوا بالموكب فيه . وقد اشترك في المظاهرة فريق من علماء الدين كما اشترك فيها فريق كبير من الوجهاء والشيوخ فضلاً عن جمهور عظيم من أهل المدينة والقرى ، وسارت المظاهرة بمواكبها الحافلة المهيبة الى مقام النبي داود حيث ألقيت الخطب وتفرق الناس .

- ٩ -

كبيرة الانتخابات البلدية وأثرها

ولم تكن حركة المظاهرات القوية التي كانت هي الحركة الوحيدة المنبثقة عن اللجنة التنفيذية لتدعم تصدع بنيان هذه اللجنة وتبث فيها روح القوة والانسجام .

وطرأ حادث جديد زاد في ذلك التصدع وعدم الانسجام ، وهو انتخابات البلديات التي قررت الحكومة تجديدها بسبيل تقوية ما كانت تسميه دون ما خجل بمؤسسات الحكم الذاتي في الظاهر ووسيلة من وسائل توهين الحركة الوطنية التي

ناجي السويدي

نبيه العظمه

بدت عليها علائم الحيوية والتضامن في حقيقة الأمر . فقد هال الانكليز ما كان من حركة التمرد والتحدي والنضال الموجه مباشرة اليهم بصراحة وقوة فعمدوا الى هذه الوسيلة كما فعلوا في موضوع المجلس الاسلامي وإنتخاباته بسبيل حزب الحركة الوطنية والتضامن فيها على ما ذكرناه قبل. وقد حققوا مأربهم هذه المرة كما حققوه في السابق حيث كانت الانتخابات فعلا مثار توتر وتهاتر بين الاحزاب المحلية . وكانت انتخابات بلدية القدس خاصة من أشدها حيث كان قواد معركتها هم زعماء المجلسية والمعارضة . وقد اعتزم المجلسيون زحزحة راغب النشاشيبي عن كرسي البلدية مهما كلف الأمر ، وتفاهموا على هذا مع الدكتور حسين الخالدي وجماعته الذين كانوا إلى ذلك الوقت من المعارضين بل من أشدهم في المعارضة لرئيس المجلس وأكثرهم إنتقاداً لتصرفاته ؛ فتألفت جبهة انتخابية قوية انتصرت على جبهة راغب وعين الدكتور رئيسا للبلدية مكانه بالنتيجة ؛ وقد بذل المفتي وأنصاره جهوداً كبيرة في هذه المعركة كان النجاح من نتائجها .

نشوء الاحزاب العربية الاخرى

وقد اشتد اليقين اكثر من ذي قبل بعدم إمكان استمرار العمل الوطني في نطاق اللجنة التنفيذية ، وانبثق عن هذا اليقين خطوات في سبيل تشكيل الاحزاب المتمازجة ونفض اليد من اللجنة . وتشكلت خلال سنة ١٩٣٤ أربعة أحزاب وهي الحزب العربي وحزب الدفاع وحزب الاصلاح وحزب الكتلة .

وكان جماعة المجلسيين هم الذين خطوا الخطوة الاولى في سبيل ذلك . وكانت قناعتهم كقناعة الاستقلاليين بوجوب العمل في نطاق حزب متمازج على ما ذكرناه قبل . وقد كان موسى كاظم قد انتقل الى رحمة الله فكان البارز الداعي الى الحزب جمال الحسيني مؤيداً تأييداً وثيقاً من المفتي ، وسموه الحزب العربي ، وجعلوا منهجه قومياً استقلالياً . وقد نحوا فيه منحى التعكير والشمول ، وعقدوا في القدس اجتماعاً عاماً شهده وفود من مختلف المدن والقرى حيث صودق على المنهج واختير جمال رئيساً وانتخبت هيأة مركزية ، ثم اخذت الجهود تبذل لانشاء فروع له على نفس المنحى في المدن وسير في سبيل ذلك أشواط غير قليلة فبرز حزبا كثير العدد والفروع على اعتبار أنه يمثل أكثرية فلسطين التي كانت تعد مجلسية ووطنية معا .

وبعد ذلك بقليل أنشأ المعارضون حزب الدفاع برئاسة راغب النشاشيبي وانتسب اليه اكثر المعارضين ومن يدخل في نطاقهم ونفوذهم . وكانت له في نابلس ويافا والرمله وغزه فروع قوية بأشخاصها دون أعدادها . وانشأ كذلك آل الخالدي والبديري وجماعتهم حزب الاصلاح برآسة الدكتور حسين الخالدي وكان له انصار أو فروع في بعض المدن ، وانشأ عبد اللطيف صلاح ومن توافق معه حزب الكتلة برآسته في نابلس وكان له كذلك أنصار او فروع في بعض المدن .

وكانت مناهج الاحزاب الثلاثة أيضا وطنية استقلالية مع بعض الفوارق في الاسلوب والفروع . وكان حزب الاصلاح متحد الميول في السياسة المحلية مع الحزب العربي نتيجة لانتخابات بلدية القدس . وكان حزب الكتلة حياديا نوعا ما في السياسة المحلية المجلسية والمعارضة ، وإن لم يخل تشكيله من باعث أو سياسة شخصية محلية ، شأن الاحزاب الأخرى بل شأن الاحزاب في البلاد العربية ..

وكان هناك تشكيلة كانت في اصلها رديفة للحركة الوطنية بطبيعة بنيتها ومختلطة الميول بطبيعة عواطف ونشأة أعضائها ثم صارت تبرز كحزب ذي كيان خاص وهي لجنة مؤتمر الشباب برآسة يعقوب الغصين ولم يخل بروزها على هذا الوجه هي الاخرى من باعث او سياسة شخصية .

وهكذا اصبح في فلسطين ستة احزاب وطنية كل منها أخذ ينشط ضمن نطاق تشكيلاته وان لم يسجل أحدها لنفسه حركة قوية جديدة . ولم يلبث أعضاء اللجنة التنفيذية الذين ينتسبون الى هذه الاحزاب ان نفضوا يدهم منها فانحلت انحلالا طبيعيا بعد ان عاشت نحو سبع سنين .

لجنة الاحزاب

على ان الناس لم يلبثوا ان شعروا بضرورة قيام كيان قومي يتضامن او يقول كلمة العرب في المواقف التي تقتضيها ظروف المصلحة والحركة القومية فتشكلت لجنة سميت لجنة الاحزاب ولم ير حزب الاستقلال ان يشترك فيها .

وكانت تعقد بعض الاجتماعات من حين لآخر لبحث الشؤون الطارئة . وكان مما قامت به هذه اللجنة الاتصال بالحكومة حينما عادت هذه الى طرح موضوع المجلس التشريعي للبحث ثانية على العرب واليهود . ولم تسر الى آخر الشوط

متضامنة في الاتصال والبحث حيث أخذ كل من الحزب العربي وحزب الدفاع ينفرد في اجتهاده في بعض نطاق المشروع الذي لم تلبث الحكومة أن سحبته لوقوف اليهود منه موقف الرافض المعطل على ما ذكرناه قبل .

- ١٠ -

استمرار الانكليز في مؤامراتهم

وظل الانكليز على عدم مبالاتهم بما كان من احتجاجات العرب ومظاهراتهم وضحاياهم فاتحين بابي الهجرة وبيوع الاراضي على مصراعيها . وكانت الهجرة تزداد سنة عن سنة حيث كانت سنة ١٩٣٤ أكثر بعشرة آلاف من هجرة سنة ١٩٣٣ وهجرة سنة ١٩٣٥ اكثر بعشرين الفا من سنة ١٩٣٤ عدا الهجرة السرية التي كانت تتدفق تدفقا والتي كان الانكليز يتظاهرون بالسخط عليها وتقوم سلطاتهم ببعض المحاولات ضدها في السواحل دون ما جد وجدوى . وقد ارادت لجنة مؤتمر الشباب أن تساعد هذه السلطات في حراسة السواحل فأبت عليها واعتبرت عملها غير قانوني وأنذرتها بالعقاب ! ... كذلك فقد كانت عمليات التسوية تسير بهمة ونشاط فيزداد بيع الارض وانتقالها لليهود سهولة وتيسيراً .

ولقد غدا خطر الغزوة وانسجام الانكليز في السياسة الصهيونية ملموسين من جميع الطبقات ، وخاصة طبقة العمال الذين يجيء المهاجرون الجديدون ليخطفوا اللقمة من افواههم ، وكانت حيفا مركزاً هاما من مراكز العمال العرب الذين كان كثير منهم من مشردي مزارعي القرى التي بيعت لليهود واجلوا عنها بمختلف الوسائل دون ان يلقوا من السلطات حماية مجدية ، وكان لهؤلاء العمال حي خاص مساكنه من التنك والخشب فأخذ يظهر من هذه الطبقة رجال جهاد منذ سنة ١٩٣٠ حيث أخذ يقع غزوات جهادية على اليهود ومستعمراتهم في قضاء حيفا فهم فيما بعد أنها من جمعيات أو حلقات جهادية متدينة وسرية ضيقة النطاق محكمة التشكيل كل فرد منها يجهز نفسه بنفسه ويقومون باعمالهم باسم الجهاد . ولم تستطع السلطات ان تكتشف أسرار هذه الجمعيات او تحول دون غزواتها بالرغم مما بذلته من جهد وبالرغم من إعتقال بعض أفرادها .

الحلقات الجهادية وحركة الشهيد القسام

فلما أخذ الخطر يتفاقم بإتساع الهجرة والبيوع دون ان يبدو من السلطات

الانكليزية أي اهتمام لتوقيفه ، وأخذ القلق يزداد في اوساط العرب ويثير سخطهم وخوفهم أخذت رغبـــة تلك الحلقات الجهادية تشتد وتوسع نطاق حركاتها فتعلن الجهاد على الانكليز واليهود معاً فكانت عصبة الشهيد الشيخ عزالدين القسام اول من خطا الخطوة الجديدة وقد كان من رجال الدين المتدينين ومن الذين انتسبوا الى فرع حزب الاستقلال في حيفا، كما كان على صلة وثيقة ببعض اركانه ؛ وكان متصلاً باوساط العمال في حيفا وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد ووجوبه وكان بارعاً في الوعظ نافـذاً به الى أعماق النفوس ، فتحلق حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة ربما بلغ عددها الخمسين . وقد اتفق هو ورهط منهم على فتح الباب فتجهزوا وخرجوا الى احراش قرية يعبد في قضاء جنين وعلى طريق حيفا وكان عددهم عشرة وهم يوسف الزبباوي مـن قرية انزيب وحنيفه المصري ونمر السعدي من غابة شفاعمرو واسعد المفلح من ام الفحم وحسن الباير من برقين وأحمد عبد الرحمن جابر من عنبتا وعربي البدوي من قبلان ومحمد يوسف مـــن سبسطيه ومحمد الحلحولي من حلحول ومعروف الحاج جابر من يعبد، وأخذوا يركزون أنفسهم ويدعون إخوانهم للانضمام اليهم ؛ وشعرت السلطات بهذه الحركة الخطيرة فسارعت الى قمعها قبل تفاقمها وأرسلت قوة مختلطة من انكليز وعرب الى الاحراش فطوقت العصبة ؛ فلم يكن لهذه بد من الدخول في المعركة ولو لم يكن أي تكافؤ في القوة واستعداد للمعركة المفاجئة ، وتبادلت القوتان النـار ، واستشهد الشيخ واثنان من رفاقه هما يوسف الزبباوي وحنيفه المصري وجرح اثنان هما نمر السعدي وأسعد المفلح ، واعتقـل الاحياء بما فيهم المجروحون ؛ وكان ذلك يوم الاربعاء المصادف لتاريخ ١٩٣٥/١٠/١١ .(١)

ولقد كان للحادث أثر بليغ في نفوس العرب أثارت عواطفهم وأهاجت أعصابهم بجدتها وما انطوى فيها من خطورة وإقدام فقابلوه بمظاهر جياشه من الاكبار حتى لقد خشيت السلطات من هذه المظاهر وانزعجت أيّما انزعاج وبعد ان وصفت العصبة بالأشقياء عادت الى التهدئة ولم تذكرها بسوء وسلمت جثث الشهداء لذويها

(١) محمد الحلحولي استشهد قبل وقعة يعبد بيومين ومعروف الحاج جابر لم يشهد المعركة ولكنه اعتقل وحوكم مع بقية افراد العصبة باعتباره أحد افرادها .

واغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم فكان مشهد مهيب اشترك فيه وفود كبيرة ، وكان الحادث نموذجا جديداً للجهاد ومثلا عاليا على التضحية والاقدام مجردين من كل غرض او شهوة او غرض دنيوي، وغدا اسم القسام وعصبته لا يذكر الا مع الفاظ التكريم والاجلال ، وهو ما أشعرنا بواجب ذكرهم ؛ وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للأحداث التي تلته بعد أشهر قليلة حيث اعلن الاضراب العام الذي امتد ستة اشهر وانفجرت في أثنائه الثورة الكبرى .

- ١٠ -

الاضراب الطويل وميثاقه

والسبب المباشر لهذا الاضراب الطويل سلسلة حوادث دموية وقعت بين العرب واليهود في الاسبوع الثالث من نيسان ١٩٣٦ . فقد وقع حادث تشليح عادي في طريق نابلس - طولكرم كان من ضحاياه بعض العرب واليهود. ولكن عصابة من اليهود المنتسبين الى المنظمات السرية جنحت الى اخذ الثأر من العرب اطلاقاً فهاجمت عربيين يعملان في بيارة في طريق يافا وقتلتهما ، ثم تتابعت الحوادث بين اليهود والعرب في يافا وتل ابيب حيث تطور الامر الى عصبية جنسية فتجمهر اليهود وهاجموا حوانيت الخضار العربية واعتدوا على بعض العرب من باعة وحوذية وعمال في تل ابيب وقاموا بمظاهرة كبيرة حاولوا ان يتجهوا فيها نحو يافا فحال البوليس دونهم بالقوة . وقام العرب في يافا بالمثل بمظاهرات واعتدوا على بعض اليهود فيها. وبلغ عدد القتلى من اليهود والعرب في هذه الحوادث تسعة والجرحى نحو اربعين وبلغ عدد البيوت التي احرقت نحو اربعين جلها عربية ؛ واشتد التوتر فأعلنت يافا الاضراب وتألفت فيها لجنة من مختلف الاحزاب لتنظيمه ، وسرى الخبر الى انحاء فلسطين فأخذ الجو يتكهرب وعقد العاملون في نابلس اجتماعاً قرروا فيه الاضراب والاستمرار فيه، وتألفت لجنة سميت باللجنة القومية من مختلف الاحزاب كذلك ، وابرقت للمدن بالامر طالبة منها ان تحذو حذوها ، وقوبلت الفكرة بالارتياح واخذت المدن تحذو حذو نابلس وتعلن الاضراب والاستمرار فيه وتؤلف اللجان القومية حتى لم يمض بضعة أيام حتى عم الاضراب جميع مدن فلسطين وقامت اللجان القومية فيها بسبيل دعم الحركة الجديدة وتنظيمها .

وهكذا دخلت قضية الكفاح القومي مرحلة جديدة منبثقة كذلك من صميم

الشعب ، وبدت حوادث الاسبوع الثالث من نيسان التي قلنا انها السبب المباشر للاضراب كالنقطة الاخيرة التي طفح بها الكأس . وقد اعلن بحارة يافا الاضراب ، وكانت ميناء يافا مشتركة بين العرب واليهود ، كما اعلنه سائقو السيارات فتعطلت حركة البحر وحركة السير والنقل فكان هذا وذاك مما زاد في خطورة الاضراب ومداه .

وفرغت السلطات لتطور الموقف واخذ اليهود يضجون بالشكوى من تعطيل الميناء وارتفاع الاسعار فاستدعى المندوب زعماء الاحزاب طالباً منهم وقف الاضراب وتهدئة الخواطر فأجابوه بما اجمعت عليه الامة من التصميم والمطلب حيث لم يعد في طاقتها الصبر وهي ترى الهجرة اليهودية تتدفق كالسيل والوطن العربي ينقلب الى وطن يهودي والسلطات الانكليزية مستمرة في موقفها المتآمر مع اليهود ضدهم في جميع الظروف والمراحل .

نشوء اللجنة العربية العليا

وفي اواخر نيسان تألفت اللجنة العربية العليا . فقد تبادر لبعض العاملين ان تأليف لجنة عليا تتمثل فيها الاحزاب جميعها ضرورة لابد منها لتكون ناظمة لجهود اللجان القومية ولانجاح الاضراب والاستمرار فيه ، وقد جاء من حيفا الى القدس وفد مؤلف من محمد علي التميمي ورشيد الحاج ابراهيم ومعين الماضي وتركز الحديث بينهم وبين العاملين في القدس حول ذلك ، وعقدت عدة اجتماعات ، ورؤي ان الغاية لا تتحقق إلا باشتراك رؤساء الاحزاب جميعهم ومعهم الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الذي كان في الحقيقة يشغل مركز الزعيم الوطني المؤيد من اكثرية المسلمين ، وجرت المساعي في هذا الشأن ، وقد تردد الحاج امين ازاء اقتراح ظهوره جهرة في قيادة الحركة وابدى تحسبه من عدم التضامن معه الى النهاية فشجعه الاستقلاليون ووعدوه بما ازال تردده ، وقابل راغب النشاشيبي الاقتراح بتردد ايضاً لأنه تضمّن ان يكون الحاج امين رئيساً للجنة فأمكن اقناعه وساعد على ذلك قوة روح الامة فتألفت اللجنة برآسة الحاج امين واشترك فيها احمد حلمي عبد الباقي الذي اخذ يبرز كزعيم للنهضة الاستقلالية وسمي امينا لمالها وعوني عبد الهادي سكرتير عام حزب الاستقلال وسمي سكرتيراً لها وكل من جمال

الحسيني رئيس الحزب العربي وراغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع والدكتور حسين الخالدي رئيس حزب الاصلاح وعبد اللطيف صلاح رئيس حزب الكتلة ويعقوب الغصين رئيس لجنة مؤتمر الشباب ووجيه فراج وجيه المسيحيين الارثوذكس والفرد روك وجيه المسيحيين الكاثوليك ، واعلن تأليفها في اجتماع حماسي حافل اذيع فيه كميثاق « استمرار الاضراب الى ان تغير الحكومة الانكليزية سياستها فتوقف الهجرة اليهودية وبيوع الاراضي لليهود وتقوم حكومة وطنية نيابية على ان يكون وقف الهجرة هو البادرة العاجلة لذلك التغيير. وقد اعتبرت اللجنة كما اريد لها مركزاً ترتبط به اللجان القومية وناطقاً باسم الامة في مرحلتها الكفاحية الجديدة.

اثر اندماج جميع الاحزاب في اللجنة

ومع ان التنافس والتشاد والتجاذب والروح الحزبية الشخصية لم تكن من جهة لتنقطع في اللجنة بين الفئات المجلسية والمعارضة، وكان كل منها يتربص بالآخر ويرصده ، ومع ان اللجنة كانت من جهة اخرى اقل اندفاعاً وحماساً من الشعب بحيث يصح ان يقال انها كانت مسوقة بحماس الشعب واندفاعه اكثر منها سائقة له فان اندماج رؤساء الاحزاب والزعماء فيها جعل لها مركزاً قوياً معتبراً في نظر الشعب والسلطات ؛ وكان ذلك من اقوى العوامل في نجاح الاضراب واستمراره بل وفي ما انبثق عنه من حركات جهادية ذلك النجاح الباهر الذي ذهب مثلاً خالداً في تاريخ حركات الشعوب الوطنية بطول الاضراب الذي استمر ستة اشهر وبشموله الذي عم جميع مظاهر العمل والنشاط التجاري والصناعي والنقلي والزراعي والمدرسي في جميع المدن والقرى ، وتأيدت بذلك نظرية القوة في الاتحاد تأييداً رائعاً ، لأن جمهور الشعب لم يكن ليشعر او ليهتم كثيراً لما كان يدور من تشاد وتجاذب خفيين فتحمل التضحية العظمى التي امتحن بها بعزيمة صادقة الى النهاية . وكان من اثر ذلك ان الشذوذ من اي نوع سواء في الاضراب او المقاطعة او التعاون مع السلطات او المماحكات الحزبية او الجاسوسية او السمسرة وبيوع الاراضي بل والفوضى العادية كان قليلاً ، وكان يقابل بالتأديب العاجل القوي المناسب دون ما تأثر بالحزبية المحلية لأنه لم يكن ينحصر في نطاقها ويؤدي إلى اثارتها، ولم يكد يقع عدوان من احد على احد بدافع هذه الحزبية وهوسها ، وتجلت قوة روح الامة على اختلاف طبقاتها

ودرجاتها وميولها ، واندماجها في حركة الكفاح ، وقدرتها على احتمال التضحيات الجسام بل واقدامها عليها بنفس مطمئنة راضية .

وقد تكون فكرة الاضراب الطويل قد الهمت لفلسطين من سوريا وعاصمتها الخالدة دمشق التي اضربت قبلها بقليل نحو شهرين مستمرين ورافق اضرابها حركات كفاحية تكللت بالنجاح على ما ذكرناه في الجزء الثاني . غير ان فلسطين رددت الدرس بنفس اطول وحركات كفاحية اشد وأعم .

الامتناع عن الضرائب

ولم يمض اسبوعان على الاضراب في فلسطين حتى اخـــذت الاصوات ترتفع بوجوب عـدم دفع الضرائب واضراب الموظفين العرب عن التعاون مع السلطات الانكليزية . وفي الاسبوع الأول من شهر مايس انعقد بناء على دعوة اللجنة العليا وبدافع الرأي العام المتحمس مؤتمر اللجان القومية حيث تقرر الميثاق المعلن المرحلة الكفاحية بقرار اجماعي شعبي ، ثم تقرر دعوة الامة الى عدم دفع الضرائب اعتباراً من منتصف الشهر اذا لم تبدر بوادر مطمئنة للعرب على اساس ان لا ضرائب بلا تمثيل .

وكان انعقاد المؤتمر وقراراته مما زاد في قوة حماس الشعب وتضامنه واندفاعه في الطريق التي سار فيها كما دل على تجاوب تام بينه في صدد حمل الحكومة البريطانية على تغيير سياستها قبل ان يبتلع اليهود فلسطين ويفوت الوقت . وقـد ازداد به تحسب الانكليز واليهود من عواقب التصميم والاندفاع .

وفي يوم ١٤ مايس أذاعت اللجنة العليا نداء على الشعب طلبت منه تنفيذ قرار المؤتمر بعدم دفع الضرائب لعدم بدو بادرة ما من الانكليز تدل على التغيير . وقد كان الاضراب وما انتجه من العطالة والبطالة وشلل الحركة الاقتصادية والحركات الثورية مما اضطر السلطات الى عـدم التحرش والاستفزاز فنفذ القرار آلياً دون سائل ولا مسؤول الى ان انتهى الاضراب والثورة معاً .

طواف اللجنة

وقامت اللجنة العليا في هذه الاثناء بتطوافات في مختلف المناطق كانت تستقبل

فيها استقبالات رائعة تدل على ما ذكرناه من قوة حماس الشعب واقدامه وتصميمه وما صار للجنة بفضل اندماج الزعماء والرؤساء من قوة واثر واعتبار . ولقد اعتقدنا منذ الاصل ونعتقد ان ايمان الزعمـــاء والرؤساء وحماسهم وتضامنهم لو كان اقوى واصدق لوقع من العجائب اضعاف ما كان . ولقد كان حادث البلديات مصداقاً آخر لما نقول ، فقد اراد رؤساء البلديات العـــرب عقد مؤتمر يقولون فيه كلمتهم فأبت السلطات السماح لهم وتوقع الناس ان يكون الجواب قوياً متناسباً مع موقف الشعب وحماسه ولكن نصف البلديات فقط قرر الاضراب وتخاذل النصف الثاني ومنهم من كان عضواً في اللجنة العليا ومنهم من كانت ميوله مع المعارضة ومنهم من كانت ميوله مع المجلسية ، ووجد هناك من يعتذر عن الذين لم يضربوا او يحاول ان يبررهم !

موقف الموظفين العرب

اما اضراب الموظفين فقد بدا صعوبات في تنفيذه واحتمال تنفيذه منذ الأصل . ولذلك لم تر اللجنة العليا احراج نفسها في الدعوة اليه . وكل ما كان من امر ان اضرب موظفوا دوائر الاوقاف وموظفو بعض البلديات .

على ان حماس الشعب وقوة روحه جعل عقلاء الموظفين الكبار الذين كثير منهم من اهل البلاد ولا يسعهم الا التأثر بالموقف يجدون حلا وسطاً فوقعوا على مذكرة قوية اللهجة بتاريخ ٣٠ حزيران ٩٣٦ اي بعد مرور شهرين ونصف تقريباً على بدء الاضراب ذكروا فيها ان من واجبهم توضيح موقف الشعب العربي الذين يتصلون به والذي هم منه ، وقالوا ان جميع طبقات هذا الشعب يشعر شعوراً عميقاً بانه مظلوم وبانه لم يلتفت الى شكاويه بالرغم من التحقيقات التي جرت واثبتت صحة هذه الشكاوي وانه قد فقد ثقته بالوعود والتوكيدات الرسمية التي قطعت له ، وانه وصل الى اليأس فكان إضرابه الشديد وثورته الجامحة التي يتحمل فيها جسيم التضحيات نتيجة لذلك ، وإن قتل الشعور بالقوة غير ممكن ، وانه بالرغم عن احتمال إخماد الحكومة لحركة تمرده بما عندها من الوسائل العظيمة فان هذا الشعور سيظل قائماً وسيظل مصدر اضطرابات وإقلاق وان السبيل الوحيد الى زواله هو ازالة العوامل التي ولدته . . . وتابعهم موظفو العرب الصغار وقضاة المحاكم الشرعية بمذكرات مماثلة . وكان هذا

العمل في حد ذاته ذا تاثير ومعنى بليغين وقد استغله اليهود في الحملة على الانكليز الذين رضوا (بخيانة) موظفيهم لحكومتهم وانتدابهم . أما سكوت الانكليزعن ما فعله الموظفون فهو يتسق مع مرونتهم النفاقية حينما تشتد العاصفة في ظرف ما . وقد قال مندوبهم امام لجنة الانتدابات حينما اثير هذا الامر نتيجة لسعي اليهود وحملتهم انه كان أهون الشرين حيث كان الموظفون بين الاضراب وتقديم المذكرة التي يرضى بها الرأي العام بعض الرضاء ، وهذا الجواب يتضمن على ما يبدو أن للانكليز تلقيناً ما في صدد الخروج من المآزق بالمذكرة !

موقف البوليس العربي

ولقد كان للبوليس العربي وبعض ضباطه وخاصة صغارهم موقف محمود حيث بدأوا يتذمرون من غطرسة البوليس الانكليزي وشراسته ، ثم انتقل تذمرهم إلى التلكؤ في تنفيذ اوامر مكافحة الحركة العربية والمظاهرات العربية حتى لقد وصل أمر بعضهم إلى التكتل تكتلاً ينذر بشر وإلى قرار بعضهم – ولو كانوا عـــدداً قليـلاً – بـلاحهم والالتحاق بالثوار ، مما جعل السلطات تداري الموقف بعض الشيء فتأمر البوليس الانكليزي بالتخفيف من غلوائه واستفزازاته وعدم الالحاح في أمر اشتراك البوليس العربي في عمليات القمع والمطاردة ضد العرب ، ثم جردت العناصر التي ظهر حماسها اكثر من غيرها من السلاح واكتفت بحملهم العصي واشغالهم بالاشغال التي ليس فيها إحراج واحتكاك .

وقد شارك المحامون في الاضراب من وقت مبكر فأضربوا عن المرافعات في القضايا العادية ، وألفوا لجنة منهم لتوزيع قضايا الاضراب والثورة التي نتجت عنه مما لم يكن بد من الدفاع فيها .

ولم يمض أيام حتى قامت إلى جانب اللجنة العليا لجنة اعانة مركزية برآسة الحاج أمين وعضوية بعض اعضاء اللجنة العليا وغيرهم على وجه تمثلت فيها كتلك مختلف الميول والاحزاب .

واخذت تجمع الاعانات من الموسرين في فلسطين وتتلقى ما ترسله الاقطار العربية والمهاجرون العرب من إعانات. وقد ساعدت هذه الاعانات بعض الشيء على تفريج

ضيق الطبقات العاملة والفقيرة التي كان للاضراب تاثير شديد في معايشهم ثم الجرحى والارامل والمتهمين والمحكومين والنفقات الادارية والدعائية الضرورية. وظلت مستمرة النشاط الى ما بعد الاضراب بل وطيلة الدورة الثانية من الثورة على ما سوف نذكره بعد.

المظاهرات والطلاب

ورافق الاضراب منذ البدء مظاهرات في المدن أخذت تتكرر طيلة مدته لاقل مناسبة، وكان اكثرها داميا حيث كان البوليس يعترضها فيقع الاشتباك بينه وبين المتظاهرين، وكثيراً ما كان النساء يقمن بمظاهرات احتجاجية في مختلف المناسبات ايضا. وقد كانت المظاهرات مما غذى حركة الاضراب والحركة الثورية معاً حيث كانت تثير في الناس غزيرة الكفاح والحماس.

وكان لطلاب المدارس المضربين ولغيرهم من الاولاد يد طولى في المظاهرات واستمرار الاضراب حيث كانوا في كثير من الاوقات نواة المظاهرات الارتجالية والاندفاعية التي تقوم على الاستفزاز، كما كانوا ينثرون المسامير في الطرق لتعطيل حركة السير وتنقلات قوى السلطات بقدر ما يمكن. وكانوا كذلك يتربصون بمن تحدثه نفسه بالشذوذ فيتسلطون عليه ويمعنون فيه رجماً وتعزيراً. وقد اندمج مراهقون في الحركات الثورية وأبلوا بلاء حسناً ومنهم من كان جريئاً جرأة عجيبة غير متناسبة مع سنه، وكانت لهم بل ولأطفال أصغر من سن المراهقة نوادر طريفة في هذا الباب.

- ١١ -

بوادر الثورة

ولم يمض على بدء الاضراب الا أيام حتى أخذت تبدر بوادر الثورة ثم تتسع وتستمر إلى ليلة إنتهائه. وقد بدأت بالقاء المفرقعات التي كان لدويها تأثير تنبيهي قوي وخاصة في سكون الليل، وبتقطيع الاسلاك وتعطيل الطرق والمعابر ورجم البوليس في المظاهرات ثم تطورت فأخذت تظهر العصابات المسلحة في الطرق والجبال

وضواحي القرى والمدن فتهاجم الدوريات والمخافر وقوى السلطات ومستعمرات اليهود وبيادرهم وبياراتهم . وكانت في بدئها ضيقة النطاق ثم اتسعت حتى غدت شاملة جميع فلسطين مدناً وقرى وبدواً ومختلف الميول والاحزاب ؛ واستمر هذا الطابع قوياً بارزاً حتى ليلة نهاية الاضراب ، بل كانت هذه الليلة من الليالي الرائعة في حوادثها كأنما كان العرب يقيمون حفلة وداعية حاشدة

اتساع الثورة

والحق إن جو فلسطين بعد ان أخذت حركات الثورة تتسع صار جواً حربياً بما كان من كثرة تنقلات القوى الانكليزية ودورياتها ودباباتها ومصفحاتها ودوي المفرقعات والقنابل وأزيز الرصاص الذي لم يكن ينقطع ليلاً ونهاراً ، والحرائق ونسف القطارات والجسور والمعابر وما كان يرافق مطاردة السلطات للعرب وتفتيشها بيوتهم وقمعها لمظاهراتهم من عنف وقسوة مما كان يزيد النار ضراماً ولهيباً. وكان مما يزيد النار لهيباً كذلك ما كان يبدو من السلطات من محاباة سافرة لليهود ضد العرب في ما كان يقع بين الفريقين من احتكاك واصطدام ، وصار الخطر محدقاً بكل عربي في أنحاء مساكن اليهود وكل يهودي في أنحاء مساكن العرب في المدن الاربع الكبرى يافا وحيفا والقدس وتل أبيب. وقد اتفق اليهود مع السلطات على تسيير سياراتهم في قوافل مخفورة لان أكثر الطرق كان تحت سيطرة العرب ، وظل ذلك جارياً إلى آخر يوم ، وقد سارت السلطات على طريقة منع التجول منذ الغروب حتى الشروق في المدن والقرى حتى أصبح هذا من الامور العادية ، وكان المنع يمتد أحياناً على أثر المظاهرات الصاخبة والحوادث الدموية الكبيرة إلى أن يكون ٢٢ ساعة في اليوم حيث يسمح للناس بالتجول ساعتين لقضاء حاجاتهم .

ولقد كانت الحوادث المتنوعة المذكورة تقع بمعدل عشر حوادث في اليوم فما زالت تتسع وتشتد حتى صار معدلها اليومي خمسين فضلاً عن تطورها من حيث الكيفية وصيرورتها حوادث ثورة مسلحة عامة شاملة المدن والقرى. ولعلنا نكون أدنى الى الاقتصاد اذا قدرنا هذه الحوادث بخمسة او ستة آلاف حادثة خلال اشهر الاضراب الستة. وإذا لوحظ صغر رقعة فلسطين وعدم تجاوز سكانها المليون والنصف

الا قليلا بدت خطورة هذا العدد واضحة كما هو المتبادر .

وقد نشر بعض الصحف اليهودية إحصاء لنتائج هذه الحوادث لغاية ١٩٣٦/٩/٢ اي لمدة اربعة اشهر ونصف حيث ذكرت ان عدد إصابات الانكليز ١٧٨ منهم ٣٤ قتيلاً وعدد قتلى العرب ٧٠٠ وعدد قتلى اليهود ٨١ وعـــدد الاشجار المقلوعة من بساتين اليهود (٢٠٠٠٠٠) وعدد الحرائق في مستعمرات اليهود واحيائهم ٢٨٠ وعدد الجسور المنسوفة ٤٨ وعدد المرات التي قطع فيها الاسلاك ٣٠٠ وعدد المرات التي عطبت فيها قطارات السكة ٢٢ وعدد المرات التي قلعت فيها خطوط السكة ١٣٠ وعدد القنابل المصادرة من العرب ٤٠٠ وزنة السلاح المصادر منهم ٣٥ طناً .
وقد نشر قلم المطبوعات بيانا عن الاصابات لغاية ٣٦/٩/٣٠ جاء فيه ان اصابات المسلمين (٩٣٦) منهم ١٨٤ قتيلا واصابات المسيحيين (٦٠) منهم ٩ قتلى واصابات اليهود ٣٦٨ منهم ٨٠ قتيلا واصابات الجيش ١٥١ منهم ٢٨ قتيلا واصابات البوليس الانكليزي ٤٨ منهم ٧ قتلى واصابات البوليس الفلسطيني ٦٠ منهم ٧ قتلى . وقدم وزير المستعمرات الى مجلس العموم قائمة بعدد الاصابات لغاية صباح ٣٦/١٠/١٥ جاء فيها ان اصابات المسلمين ٩٥٥ منهم ١٨٧ قتيلا والمسيحيين ٦٥ منهم عشرة قتلى والجيش ١٢٥ منهم ٢١ قتيلا والبوليس الانكليزي ٤٧ منهم ٧ قتلى والبوليس الفلسطيني ١٢٤ منهم (٩) قتلى .

ويلفت النظر الى ان بعض الأرقام في القائمة الرسمية الثانية اقل منها في الأولى فضلا عن ان معارك الثورة الكبرى قد وقعت بعد ٣٦/٩/٣٠ وهذا وذلك يدلان دلالة قاطعة على عـــدم صحة أرقام القائمتين بالنسبة لقوى السلطات ولا بالنسبة لاصابات العرب، لان هؤلاء كانوا أحياناً كثيرة يسحبون جرحاهم وقتلاهم ولم يكن للسلطات إمكان لاحصائهم . ولقد كانت ترى دلائل على إصابات عديدة في قوى السلطات لم تكن البلاغات تذكر عنها شيئاً . ولقد رسا في ميناء الاسكندرية ثلاث بواخر مستشفيات انكليزية قادمة من فلسطين خلال النصف الاول من تشرين الاول عليها ٤١٠ جنديا انكليزياً بين جريح وناقه . ولذلك نعتقد ان إصابات القوى الانكليزية اكثر بكثير مما جاء في القائمة الرسمية كما ان إصابات العرب تزيد كثيراً عما ذكرته هذا ؛ ومما تنبه له الثوار خط أنابيب البترول الممتدة في أراضي شرق الاردن

وفلسطين فأخذوا يعملون يد التخريب فيه ويشعلون المتدفق منه مرة بعد مرة حتى لقد كان يتوالى هذا في مكان واحد أياماً عديدة دون أن تستطيع السلطات دفعه بما أقض ولا شك مضاجع الانكليز وشركات البترول .

ولما اعيا السلطات إقناع العرب بالكف عن الاضراب أصدرت قانوناً يخول الحكام الاداريين إجبار الناس على فتح حوانيتهم فلم يعبأوا به وسارعوا فنقلوا سلعهم وتقدم كثير منهم بمفاتيحهم الى اللجان القومية دلالة على التصميم مما جعل الحكومة لا تقدم على تنفيذ القانون لما في ذلك من عبث وتحرش ؛ وكان هذا في اوائل حزيران .

قوانين الطوارئ

وحينما رأت السلطات تصميم الأمة على الاستمرار وتطور حركات الثورة أعلنت تعديلات جوهرية على قوانين الطوارئ بحيث جعلت حكم الاعدام والتأبيد على جرائم إطلاق الرصاص والقاء القنابل والمفرقعات والتخريب ولو لم ينته العمل الى نتيجة وظل في نطاق المحاولة . ثم اخذت تنذر باعلان الادارة العربية وتسليم البلاد للجيش وطال التهديد بذلك وتكرر في فلسطين ولندن ، ثم اعلنت هذه الخطوة ومنح الجنرال ديل الذي أرسل خصيصاً لقيادة الحركة والذي غدا بعد قليل رئيساً لهيئة اركان الحرب البريطانية تأليف محاكم عسكرية ومراقبة الموانيء وطرق المواصلات وفرض الغرامات المشتركة واعتقال وابعاد من يرى الخ ، وتواردت النجدات على نطاق غير ضيق ، فلم يكن لكل ذلك أثر في سير الحركة الثورية واشتدادها واتساعها وتصميم الأمة وحماسها ، واستبسال المجاهدين وصبرهم وجلدهم وأقدامهم دون أي مبالاة . وربما كان عدد قوات السلطات قد بلغ خمسين الفاً نصفهم من الجيش النظامي ونصفهم من البوليس الذي كان عدد كبير منه انكليزياً .

حماس الشعب واندماجه في الحركة

ولقد كاد يكون كل عربي في فلسطين مشتركاً في الحركة رجالا ونساء وشباناً وشيوخاً وأطفالاً بشكل من الاشكال ، فمن استطاع حمل السلاح حمله واستعمله

حيث هو أو خرج به منضما الى فئة مجاهدة ، ومن لم يستطع ساعد الثوار بمختلف المساعدات من تحضير العتاد ونقله وتقديم المؤونة والمال واحضار الماء والاسعاف والتحميس والتحريض والترصد وتأديب الشاذين الخ . وقد رويت عن كل طبقة روايات ونوادر كثيرة في هذا الباب تثير الدهشة والاعتزاز في جرأتها ودلالتها . ولقد أثر عن القاوقجي دهشته العظيمة لما كان يبدو من مجاهدي فلسطين من إقدام وبسالة وكرم وتفان حتى لقد كان ينتدب عشرة لمهمة فيتسابق اليها العشرات كانما كان يدعوهم الى وليمة أو عرس لا الى خطر الموت . وقد تحمل اهل البلاد جلّ نفقات الثورة من سلاحها الى عتادها الى مؤونتها الى وسائلها المتنوعة بما في ذلك جل نفقات من اسرع الى نجدتهم من الاقطار الشقيقة كأفراد وحملات ، وذلك فضلاً عما تحملوه من شدائد الاضراب وجهده وبطالته حتى ليمكن ان يقدر قيمة مـــا تحملته بمليونين من الجنيهات . ولم تكن المساعدات التي وردت الى فلسطين من الاقطار العربية الاّ جزءاً يسيراً جداً قيمته الرمزية اعظم بكثير من قيمته المادية.

ومن المحتمل أن يكون عدد حملة السلاح قد تراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ مع البقية على فقدان اي نسبة تكافؤ وتماثل بين سلاحهم وسلاح السلطات كيفية وكمية وسهولة حيازة. وقد كان اكثر سلاح العرب الى هذا قديماً ومختلف الطراز مع ضآلة العتاد وفساد كثيره وصعوبة الحصول عليه وغلاء ثمنه وكان هـــذا مما يثير دهشة الضباط الانكليز . وقد كان اكثر الذين حملوا السلاح يحملونه ويستعملونه لأول مرة ولم يحصلوا على اي نوع من التدريب . وكل هذا مما يساعد على فهم قوة الروح التي تجلت في الأمة وقوة الاندفاع والاقدام على التضحية . وفي هذه المرحلة برز قواد محليون أكثرهم من أهل القرى تولوا أمر الثورة في مرحلتها الثانية التي كانت بعد بضعة أشهر وظهر منهم من قوة الشكيمة والاقدام والبسالة وفرض الشخصية ما ادهش الملاحظين على ما سوف نذكره بعد .

- ١٢ -

الاعتقالات ومعتقل صرفند

وبعد نحو شهر من بدء الاضراب رأت السلطات ان تعتقل من كان له اسم في قوائمها السوداء من المؤثرين والمحركين والاقوياء في خصومتها من العرب على متنوع

الاحزاب والاسنان او ان تجبرهم على الاقامة في بلد ما تحت رقابة البوليس كتدبير لتقليل مؤثرات الاضراب والمظاهرات والحركة الثورية . واختارت في اول الأمر عوجه الحفير للمعتقلين واخذت ترسل اليها من تراه اشد نشاطاً وتأثيراً وعداء كما اخذت تفرض الاقامة الاجبارية على اناس آخرين من هذا الصنف . وكلما اتسعت دائرة المظاهرات والحركات واشتد امر الاضراب اتسعت دائرة الاعتقال حتى ضاقت الحفير فأنشأت معتقلاً في صرفند واتبعته بثان فيها . وكان الاعتقال يتم بقرار من الحاكم الاداري الانكليزي وشهادة البوليس على ان بقاء الشخص حراً يزيد في توتر الموقف . وكان يعين للاعتقال امد قابل للتجديد .

وكانت السلطات تفرج عن المعتقلين الاخف تأثيراً ليحل محلهم آخرون وهكذا دواليك الى آخر الاضراب بحيث يمكن ان يقدر عدد المعتقلين بنحو الف ومئتين من مدنيين وقرويين وزعماء رئيسيين وثانويين وشبان واعضاء لجان قومية ومسلمين ومسيحيين ومشايخ وخوارنه ومجلسيين ومعارضين واستقلاليين وغير حزبيين فكان المعتقل يمثل وصلة الكفاح القائمة التي شملت عرب فلسطين على اختلاف ميولهم وطبقاتهم على ما ذكرناه قبل . وكان اكثر اركان حزب الاستقلال واعضاء فروعه من اوائل المعتقلين الذين ظل اعتقالهم يتجدد الى نهاية الاضراب ومن جملتهم سكرتيره العام عوني عبد الهادي الذي كان يشغل سكرتيرية اللجنة العربية العليا فلما اعتقل حل محله في سكرتيرية اللجنة عزة دروزه فلم يمض يومان عليه حتى اعتقل هو الآخر وكان قبل ذلك تابعاً لمراقبة البوليس . وشمل الاعتقال اخوين سوريين لهم من حزب الاستقلال القديم كانا يقيمان في فلسطين وهما نبيه العظمه وسامي السراج . هذا فضلا عن عدد كبير كان يجبر على الاقامة في بلده تحت رقابة البوليس . وهذا بطبيعة الحال غير الذين كانوا يوقفون بتهم معينة ويسلمون للقضاء المدني والعسكري ويسجنون في السجون العادية والذين يمكن تقدير عددهم بنحو ثلاثة آلاف . وقد كان امر الاعتقال يقابل بالتحمس ولا يثير في النفس ذلك الضيق او الفزع الذي كان يثيره قبل هذه الحركة مما فيه دليل على ما كان من قوة الروح والتحدي للسلطات .

المجاهد الشيخ محمد الأشمر مع فريق من رفاقه المجاهدين السوريين

القائد الشهيد سعيد العاص

من مشاهد المعتقلين في صرفند

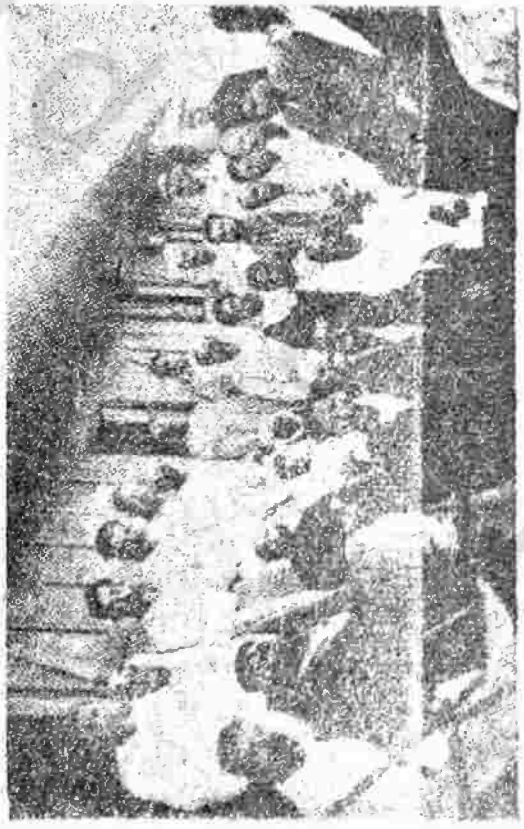

من مشاهد المعتقلين في صرفند

من مشاهد المعتقلين في صرفند

الغرامات المشتركة

وقد عمدت السلطات كتدبير انتقامي وزجري كذلك الى فرض العقوبات والغرامات المشتركة على القرى والمدن التي كانت قوية الحيوية في حركتها الثورية والى نسف البيوت فيها .

نسف يافا

وقد أقدمت على نسف منطقة عربية واسعة من أشد مراكز العرب إزدحاماً وحركة في مدينة يافا بحجة توسيع الشوارع . وكان لهذا الحادث خاصة ذيول ، لان السلطات ألقت مناشير انذارية بالتخلية وسارعت إلى تنفيذ الانذار والنسف فاقام العرب الدعوى عليها امام محكمة العدل العليا التي يرأسها قاضي القضاة الانكليزي ، وثبت ان السلطات أساءت التصرف في عملها وخدعت الاهالي ؛ وصدر عن المحكمة قرار فيه تنديد بالحكومة ! وقد اسفت الحكومة الانكليزية اسفاً بشعا حيث أحالت قاضي القضاة على المعاش بعد اسابيع قليلة .

ومن الطريف ان السلطات فرضت غرامة خمسة الاف جنيه على مدينة نابلس فامتنع الناس عن الدفع فعمدت السلطات إلى مصادرة متاع البيوت حسب قائمة التوزيع ولم تستطع ان تعرضها للبيع فحجزتها بعض الوقت ثم اخذت تعيدها الى اصحابها ! وقد فرضت على الخليل غرامة الف جنيه ظلت حبرا على ورق . وقررت نسف بعض بيوتها فاهتاج الناس فكانت مفاوضات انتهت بالتراضي على نسف بيت من حجر مرصوف (غير مشيد) في احد الكروم كرمز لتنفيذ القرار . على ان السلطات اشتدت في اماكن اخرى ونسفت كثيراً من البيوت في القرى والمدن وجبت كثيراً من الغرامات بالعنف والاكراه ايضاً ، مما يدل على ان ما كان منها من تساهل لم تملهِ روح الاناة والرأفة وإنما املته روح الابتعاد عن اثارة سخط البلدين اللذين كانا شديدي الحيوية والحماس والنشاط في الحركة الثورية .

- ١٣ -

المجاهدون السوريون والعراقيون والاردنيون

وبعد نحو شهر ونصف من بدء الحركات الثورية اخذ يتسرب الى فلسطين من

شرق الاردن وسورية ولبنان والعراق مسلحون ويقاتلون الى جانب اخوانهم ، ثم صار التسرب يقوى حتى غدا في فلسطين مئات منهم وكان اليهود والانكليز يقدرونهم بالالوف . وجاء على رأس فرق منهم ثلاثة من ابطال الثورة السورية وهم الشيخ محمد الاشمر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص . وكانت منطقة سعيد العاص الخليل – بيت لحم – القدس حيث التف حوله ثوار اشاوس من فلسطين وغيرها تجاوز عددهم المئة وكان مساعده البطل الفلسطيني الشهيد عبد القادر موسى كاظم الحسيني وقد أبلوا ابلاء عظيما وكانت تقع بينهم وبين الانكليز معارك طاحنة تمتد ساحتها احياناً بضعة كيلو مترات ويسرع الى نجدتهم فيها مئات الثوار من ابناء المنطقة الذين يعملون في فصائل مستقلة حسب ما تقتضيه ظروف الحركة وطبيعتها وإمكانياتها . وقد استشهد فيها القائد العاص في معركة عظيمة وقعت في الاسبوع الاول من تشرين الاول كما جرح مساعده الحسيني .

وكانت منطقة نشاط الشيخ الاشمر وفرقته مثلث نابلس وخاصة منطقة طولكرم . وقد كان يتضامن مع المئات من ثوار هذه المنطقة الذين كانوا كذلك في فصائل مستقلة وبقيادة قوادهم المحليين . وقد ذهب من الثوار السوريين ضحايا وكان منهم البلاء الحسن في المعارك .

حملة القاوقجي وصداها وأثرها

وفي الاسبوع الاخير من شهر آب وصلت حملة القاوقجي من العراق وكانت حسنة التجهيز والتنظيم ، وكان فيها فريق من العراقيين وآخر من الدروز ، واتخذت مثلث نابلس وخاصة منطقة جنين ساحة لنشاطها . ويوم وصولها وزع بتوقيع « فوز الدين القاووجي قائد الثورة العام » منشور يدعو الناس فيه إلى الالتفاف حوله والانضمام اليه ويقرر ميثاقا له « الاستمرار في النضال إلى ان تتحرر فلسطين وتستقل وتلتحق بقافلة البلاد العربية المحررة » ولم يلبث القاوقجي ان اصبح قطب رحى الثورة . وكان لقدوم حملته تاثير عظيم على عرب فلسطين فازداد حماسهم واندفاعهم وانتعشت امالهم ، حيث ادركوا ان ثورتهم قد اتسمت بطابع الشمول العربي والنظام العسكري الفني ، وكان لها تاثير عظيم كذلك على الانكليز واليهود الذين رأوا ان الخطب اخذ يتفاقم وان الثورة قد انتقلت الى مرحلة ثورة قوية شاملة

ومنظمة، وقد ارسل الانكليز الجنرال دبل ليقود الحركات العسكرية كنتيجة لذلك التأثير وهذا التطور اللذين شعروا بهما . وقد كانت حملة القاووقجي خاصة من العمليات الموفقه التي تمت بمساعي الحاج امين الحسيني ومعين الماضي وعادل العظمة ومساعدة ياسين الهاشمي الذي كان يرأس الحكومة العراقية .

ونقد وقعت معارك عديدة بين قيادة الثورة العامة والجيش الانكليزي في مناطق بلعا وبيت امرين ودير شرف وجبع وعزون . كانت السلطات تحشد لكل منها الآلاف مرفقة بالدبابات والمصفحات والطيارات وكثيراً ما كانت ساحة العمليات تمتد عشرة كيلومترات وخمسة عشر . وكانت المعارك تبدأ بعملية تطويق واسعة ثم تنشب بين الفريقين ، وفي كل معركة كان يحتشد تحت إمرة قيادة الثورة المئات وأحياناً الألوف مسلحين وغير مسلحين ومساعدين وموئنين ومحمسين ثم تنتهي بانسحاب القوات الانكليزية حالما يخيم الظلام بعد ما يكون الثوار أوقعوا فيهم الخسائر وغنموا منهم الغنائم . وكان قائد الثورة العام يذيع بيانه عقب كل معركة مفصلاً سيرها وعدد الاصابات التي وقعت في العدو والغنائم التي غنمت منه . وقد تكرر اسقاط الثوار للطيارات حتى بلغ عددها سبعاً . وطبيعي ان القيادة الانكليزية كانت تذيع هي الاخرى بياناً فلا تذكر شيئاً من خسائرها او تذكر الشيء الطفيف بينما تذكر ارقاماً مبالغاً فيها عن خسائر الثوار بأسلوب الظن والتخمين .

- ١٤ -

موقف الاقطار العربية

ولقد كان موقف الأقطار العربية وخاصة العراق والشام بما فيها الأردن ولبنان قوياً كريماً في أزمة فلسطين ، فاهتمت أوساطها الوطنية وصحافتها اهتماماً كبيراً وتألفت لجان سميت بلجان الدفاع عن فلسطين واخذت تجمع التبرعات وترسلها الى فلسطين كما ان مدنها أضربت اكثر من مرة وقامت فيها المظاهرات المتعددة تضامناً معها ، ووصل الامر كما قلنا إلى ان أخذ أبناء هذه الأقطار يتسربون الى فلسطين ليجاهدوا الى جانب إخوانهم ويمزجوا دماءهم معاً في سبيل عروبة فلسطين وحريتها واستقلالها . وقد ساعد أبناء هذه الأقطار في تغذية الكفاح بما كانوا يرسلونه من

وسائله الضرورية بقدر ما كانت تسمح به أحوالهم . ولقد كان حماس العراق الأبي الذي كان ينعم اكثر من غيره بالاستقرار وقوة النفس والحركة عظيما سواء في ما أقامه من مظاهرات او تبرع به من مال او ساعد عليه من وسائل الكفاح وتجهيز حملة الفاوقجي وتيسير رحلتها ثم بما كان من اهتمام حكومته ومبادرتها إلى الخطوات التي اتخذتها في صدد التدخل والوساطة على ما سوف نذكره بعد ، أما سورية فان قضيتها السياسية كانت إذ ذاك في ابان أزمتها ولم توقع المعاهدة التي نشأ عنها العهد الوطني الاول إلا في ايلول ١٩٣٦ كما ان الحكومة الوطنية لم تقم إلا في تشرين الثاني أي بعد حل الاضراب . على ان الكتلة الوطنية التي كانت تحمل لواء الحركة الوطنية كانت مندمجة بل ومغذية لما كان يبدو من سورية من عواطف ويبدر عنها من مساعدات مالية وكفاحية . وأما مصر فقد عقدت معاهدتها مع الانكليز أثناء الاضراب . ومع ان حالة مصر الجديدة الحليفة مماثلة لحالة العراق بالنسبة للانكليز فقد رأت حكومة الوفد ان تقف موقفاً آخر واختارت الموقف السلبي حيث حرصت كل الحرص على ان لا يأتي من ناحية مصر ما كانت تظنه إزعاجاً لحليفتها الجديدة . ولذلك فان عواطف مصر في هذه المرحلة اقتصرت على بعض المقالات التي كان ينشرها من آن لآخر كرام الكتاب المصريين الذين كانوا يشيدون فيها ببطولة فلسطين وعظيم تضحياتها ، وينتقدون أحياناً الموقف السلبي الجامد الذي تقفه حكومة الوفد والذي كان تأثيره قوياً على الشعب المصري فوقف هو الآخر موقف الجمود والسلبية نتيجة له. ولم تشترك الحكومة المصرية في هذه المرحلة بحركة التدخل العربي التي قدر لها ان تشترك فيها بعد ثلاث سنين في عهد وزارة محمد محمود التي خلفت الوزارة الوفدية .

وقد كانت المناطق الآهلة بالطوائف الاسلامية في لبنان هي الاكثر إهتماماً وعطفاً ، فتكررت المظاهرات والاضرابات في طرابلس وصيدا وصور بنوع خاص وتسرب مسلحون عديدون من أهل هذه المناطق وجمعت بعض التبرعات واشترك فيها بعض الطوائف المسيحية .

وأما شرق الأردن فيمكن ان يقال إنها إجمالاً عاشت طيلة أشهر الاضراب والثورة في جو الثورة الفلسطينية ، حيث تكررت المظاهرات والاضرابات فيها ،

وحيث كانت معابرها وطرقها مجالات مستمرة لغدو المسلحين المنضمين الى الثورة من أهلها ومن العراق وسورية ورواحهم ولنقل وسائل الثورة الى فلسطين ، بل وأخذت تبدر بوادر حركة ثورية فيها ، وخربت الأنابيب الممتدة في أرضها اكثر من مرة . وكانت الجسر الذي عبر عليـــه بسلام حملتا الاشمر والقاوقجي بكل وسائلهما في الدخول والخروج وحظيت الحملتان منها بالمساعدات والمدد إبّان دخولها وخروجها وإقامتهما .

ومما يحسن ذكره ان قضية فلسطين أثارت اهتمام مسلمي الهند إثارة غير يسيرة فارتفعت أصوات هيئاتهم ونوابهم بالعطف والتأييـد والاحتجاج ومطالبتهم بمنح العرب حقوقهم المشروعة في بلادهم التي يقدسها جميع المسلمين . وقد عقدوا مؤتمراً عظيما برآسة مولانا السيد سليمان الندوي في نيودلهي شهده (٢٥٠٠٠) مدعو بينهم ٢٠٠ مندوب يمثل كل واحد منهم إقليما من اقاليم الهند . وكان بين شاهديه زعيم الهند جوهرلال نهرو واستمر ثلاثة أيام واتخذ فيه قرارات مهمة من جملتها مقاطعة حفلات التتويج والدعوة الى مقاطعة البضائع الانكليزية وعـدم التجند في الجيش إذا لم تغير بريطانيا سياستها تغييراً اساسياً في فلسطين وتمنح العرب حقوقهم الشرعية في بلادهم .

- ١٥ -

مساعي الانكليز بسبيل ايقاف الثورة والاضراب وتفاقم سوء تفاقمهما

ولقد كان الاضراب وتطوراته المتفاقمة مما اهم الانكليز كثيراً ، ولا سيما انها كانت متصلة بالتحول الذي طرأ على اتجاه النضال الجديد منذ سنة ١٩٣٠ وهو اتجاه الكفاح نحوهم مباشرة باعتبارهم أصل الشر والبلاء المتآمرين الأصليين والدائمين على العرب وعروبة فلسطين ، فأخذت سلطاتهم في لندن وفلسطين تحاول محاولات متنوعة بسبيل معالجة الموقف والحيلولة دون تفاقم الخطب دون أن يكلفها ذلك التحول عن خطة المراوغة والخداع والتحذير . ففي بـدء الامر استدعى المندوب اللجنة العليا وبذل جهده في اقناعها بفك الاضراب والدعوة الى الهدوء وإيفاد وفد الى لندن مطمئناً إياها باستعداد حكومته للاصغاء ومهدداً باستحالة رضوخها للعنف وقدرتها على قمعه بصرامة ، فكان جوابها أن بريطانية هي المسؤلة أولا وآخراً وأن

العرب قد تيقنوا من التجارب السابقة الخائبة والمحاباة المستمرة لليهود ما جعلهم يقفون موقفهم اليائس الذي يتوقف العدول عنه على بادرة صادقة تأتي من طرفها ، وبعد قليل عرض عليها اقتراح إيفاد لجنة تحقيق ملكية بشرط وقف الاضراب والهدوء قبل ذلك واخذ يعظم من أمر هذه اللجنة في التقاليد الانكليزية ، فكان الجواب مثل السابق وزائداً عليه ان العرب لم يعودوا يثقون بأي لجان تحقيق وإنما هم ينتظرون بادرة عملية كوقف الهجرة فوراً . وبعد قليل اذاع وزير المستعمرات ان الحكومة ستقترح على الملك إيفاد لجنة تحقيق ملكية لدرس أسباب القلق ومعالجتها في نطاق التزامات الانتداب . واستدعى المندوب رئيس اللجنة لاقناعه بهذا التصريح فلم يفلح ، واتصل بعاهل عمان لدعم الاقتراح ، وحاول العاهل الامر بأسلوب يبدو فيه الحرص على المصلحة العربية والتضامن مع اللجنة فيها فلم يكن لهذا نتيجة إيجابية .

ومما يذكر بهذه المناسبة ان العاهل المشار اليه صرح لوفد من اللجنة أنه أخذ وعداً من المندوب بوقف الهجرة إذا ووفق على وقف الاضراب ولجنة التحقيق فبادر المندوب الى نفي ذلك نفياً باتاً دون ان يراعي موقف الوساطة التي كلف بها العاهل مع ان المتبادر أن العاهل لا بد من ان يكون قد استأنس بالذي صرح به استئناساً على الاقل فأراد بتصريحه للوفد تحقيق وانجاح الوساطة التي التمست منه.

وبعد قليل اعترف وزير المستعمرات بخطورة الموقف وشدته والاعتزام على كل حال على ارسال لجنة التحقيق حالما تهدأ الحالة والاستعداد لاتخاذ الوسائل الوافية برضاء جميع سكان فلسطين في نطاق الالتزامات المزدوجة . وعاد المندوب إلى سعيه ووسط الأمير (الملك) عبد الله متغافلا عما بدر منه من سوء تصرفه معه ، وقام المشار اليه بالوساطة بسبيل اقناع اللجنة بقوة التصريح وقبوله ، ولكن اللجنة ظلت عند رأيها الذي ازداد صلابة باصرار الحكومة الانكليزية على ترديد نغمة الالتزامات المزدوجة الملعونة دون ان تشعر بشيء من واجب المحاسنة ولو في القول . ومع ذلك فانها لم تر بأساً في توسيط بغداد والرياض ، حيث اخذت الصحف تردد ذلك ببعض الاساليب ، ثم هبط نوري السعيد وزير الخارجية العراقية فلسطين .

وكان قد مر على الاضراب نحو أربعة أشهر وأخذت الحركة الثورية تتسع وتتفاقم – وحل ضيفا على المندوب السامي ، وأخذ يجتمع به وباللجنة العليا بصدد معالجة الموقف . وكان النطاق المرسوم له على ما بدا أن تقبل اللجنة العليا الوساطة فتدعو الى وقف الاضراب والثورة مقابل وعود وأمانيّ وثقة مطلقة ودون أي شرط بأمر معين . وكل ما كان من أمر تطمينات شخصية منه بتحقيق مطالب العرب او كثير منها ووقف الهجرة والكف عن المطاردات وجباية الغرامات وإطلاق سراح الموقوفين الخ . وطالت المداولات وتشعبت الآراء في اللجنة بسبب ذلك . وقد حاولت السلطات الانكليزية أن تلعب لعبة فأمرت حكامها بالاتصال باللجان القومية والسعي في اقناعهم ، فكان موقف هذه اللجان قوياً رائعاً حيث رفضت الموافقة على حل الاضراب ما لم تثبت الحكومة الانكليزية حسن نيتها وتعلن تغيير سياستها وتوقف الهجرة حالاً كبادرة عملية وقالت ان الامة لم تضح بما ضحت وتتحمل ما حملت لتخرج صفر اليدين ، ثم اعلنت تفويضها الامر الى اللجنة العليا . على انه قد تم الاتفاق نهائياً بين اللجنة ونوري السعيد على قبول الوساطة ضمن النطاق المرسوم الذي أقنعهم بأنه نطاق دبلوماسي لا مندوحة عنه ، ولا سيما قد أخذت تيارات تجري في اللجنة مما كان نذيراً بانشقاق رؤي من الخير تفاديه . وقد وجه نوري الى اللجنة الكتاب التالي :

«ان الحكومة العراقية التي تشعر شعوراً قويا بالروابط القومية التي تربط الشعب العراقي والشعب العربي في فلسطين ترى انه لمن المحتم عليها ان تتقدم بالوساطة الناجعة ما بين هذا الشعب وبين الحكومة البريطانية التي تربطها بها روابط صداقة وحلف قوية في سبيل انهاء الحالة الراهنة في فلسطين . والحكومة العراقية تشعر تماماً اذ تتقدم بمثل هذا بالمسؤليات العظيمة التي تلقيها هذه الوساطة على عاتقها تجاه العرب عامة وعرب فلسطين خاصة وترغب للاسباب المذكورة آنفاً ان تتقدم الى لجنتكم الموقرة بالاقتراح الآتي :

اولا – ان تقوم اللجنة العربية العليا باتخاذ جميع الوسائل الفعالة لانهاء الاضراب والاضطرابات الحاضرة .

ثانيا ـ ان تتوسط الحكومة العراقية لدى الحكومة البريطانية لانجاز جميع مطاليب عرب فلسطين المشروعة .

وإنها ستتخذ لذلك جميع الوسائل الممكنة في سبيل تحقيق المطاليب المذكورة سواء كانت هذه المطاليب ناشئة عن الحركة الحاضرة في فلسطين أو عما يتعلق بالسياسة العامة فيها .

وبناء على هذا الكتاب اتخذت اللجنة العربية العليا قراراً باذاعة البيان التالي :

« استمرت المفاوضات بين اللجنة العربية العليا وبين فخامة نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق بضعة ايام بحثت خلالها جميع النقاط التي تتعلق بالقضية العربية الفلسطينية في جو تسوده الثقة والصراحة فنتج عن ذلك التفاهم التام والموافقة على وساطة الحكومة العراقية واصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وامرائهم بكل إرتياح واطمئنان . وبناء على ذلك فان فخامة الوزير سيقوم بالمخابرات الرسمية اللازمة في هذا الشأن كما ان اللجنة العربية العليا ستعرض الامر على الامة بواسطة لجانها القومية في مؤتمر عام لاخذ رأيها والحصول على موافقتها . وستستمر الامة على اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما رافعة الرأس راسخة الايمان متربثة رزينة الى ان تصل هذه المفاوضات الى النتيجة المرغوبة التي تحفظ لهذه الامة الباسلة كيانها وتنيلها حقوقها وتوصلها إلى امانيها ان شاء الله ٣٠/٨/٩٣٦

وقد كان نوري السعيد الح في احاديثه الى ان الوساطة ستكون بالتضامن مع صنعاء والرياض وعمان فكان هذا سبب الاشارة الى الملوك والامراء ولو لم يرد هذا في كتاب نوري السعيد الرسمي .

واخذ نوري صورة عن القرار موقعة بتواقيع اعضاء اللجنة وغادر فلسطين لاتمام مساعيه . وانتعشت آمال العرب اعتقاداً منهم ان ملوكهم وامراءهم لا بد من ان يكونوا مطمئنين بنجاح وساطتهم ، وان نوري لم ينزل ضيفا على المندوب وتجري المداولات التي جرت بينها ثم بينه وبين اللجنة عبثاً ؛ وخاصة لانهم رأوا في تدخل ملوك العرب وامرائهم وحكوماتهم وموافقة الانكليز عليه تطوراً عظيم الخطورة في قضيتهم حيث يعيدها الى نطاق الحركة العربية العامة بعد ان كادت تنسلخ عنها وتصبح قضية فلسطينية يهودية انكليزية فحسب .

ورأى الانكليز ما كان من انتعاش آمال العرب وشعروا بما يمكن ان يكون له من اثر في زيادة قوة روح العرب وصلابتهم فسارعوا الى التعكير باسلوبهم المئيم المعتاد؛ واغتنموا فرصة كتاب ارسله وايزمن الى وزير المستعمرات مع قصاصة من جريدة يهودية توسعت عن قصد على ما يظهر في صدد الوساطة وشروط العرب وموافقة الانكليز عليها ، فارسل الوزير جواباً ينفي معرفة حكومته بشيء او موافقة المندوب على اي شرط وتفويض لنوري السعيد بوعد العرب بشيء ويؤكد ان نوري السعيد قد ابلغ زعماء العرب بوضوح إنه لا يمكنه إعطاء اي وعد وإن المندوب والحكومة الانكليزية لم يفوضاه بالوساطة الخ ...

وكان وقع هذا النفي على العرب سيئاً جدا وهو ما اراده كيد الانكليز الذين لم يخجلوا من انكار الحقائق واهمها ان مداولات نوري السعيد مع اللجنة العربية والكتاب الذي ارسله اليها قد كان باطلاع المندوب وموافقته حتما وقد اذاعت اللجنة العربية بياناً قوياً كرد على الجواب شددت فيه من عزيمة الامة واشارت فيه بايمانها في حقها وأكدت فيه انها قبلت الوساطة بكل ارتياح واطمئنان بمقام الوسطاء الكرام ..

ثم ظلت احداث الثورة من جهة والحديث عن الوساطة من جهة يتتابع . وقد بدا في هذه الاثناء ان الانكليز قد تهيأوا لقمع الثورة بالقوة حتى لا يكون للوساطة الدائرة كبير فضل في وقفها ؛ حيث وصل في هذه الأثناء الجنرال ديل .ووصلت إمدادات جديدة، ومنح الجنرال صلاحيات كادت البلاد تصبح بها تحت الحكم العسكري على ما ذكرنا ذلك في مناسبة سابقة . ولم يجد كل هذا لان الحركات الثورية ظلت تشتد وتتسع وخاصة بعد قدوم حملة القاوقجي التي اخذت تشتبك مع القوى الانكليزية في معارك مهمة دون ان يكتب لهذه القوى نجاح في ما حاولته من تطويقات وحشدته من عدد واعداد وتفوقت فيه من اساليب وفنون عسكرية ووسائل حربية متنوعة.

وبعد قليل وردت من الملك ابن السعود برقية جاء فيها ان الحكومة الانكليزية وافقت على ان يوجه ملوك العرب وأمراؤهم نداء بوقف الاضراب والسكون مبدية إستعدادها للنظر في مقترحاتهم في صالح العرب بالنظر اللائق بها مع قولها انها لا

تستطيع ان تعد باي وعد قبل وقف الاضراب والثورة . وقد ارسلت اللجنة اليه برقية شكر أعلنته فيها استعداد الامة لتلقي النداء الكريم بالترحيب والثقة إذا كان الملوك والامراء مطمئنين بحسن العاقبة وقد كان هذا الجواب نتيجة لاستشارات أجرتها اللجنة مع وفود اللجان القومية وتفويضهم الامر اليها بعمل ما تراه لان السلطات رفضت السماح بعقد المؤتمر الذي كانت مزمعة عليه لهذه الاستشارات .

آراء الملوك بوقف الحركة

واخيراً وردت النداآت متفرقة من الملك عبد العزيز والملك غازي والامام يحيى والامير (الملك) عبد الله بنص واحد تقريبا . وهذا نص نداء الاول :

حضرة رئيس اللجنة العربية العليا . الى ابنائنا عرب فلسطين .

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين . فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل . وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم ؛ عن عنيزه نجد ٩٣٦/١٠/٨

وقد قررت اللجنة القرار التالي :

« قررت اللجنة العربية العليا بالاجماع وبعد استشارة مندوبي اللجان القومية والحصول على موافقتهم باتفاق الآراء ان تلبي نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور اعلاه وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين الاخلاد إلى السكينة وإنهاء الاضراب والاضطرابات إبتداء من صباح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦ رجب ٣٥٥ وفق ١٢ تشرين الاول ٩٣٦ وان يبكر افراد الامة الكريمة في صباح ذلك اليوم إلى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ورفع الشكر له تعالى على ما الهمهم به من صبر وجلد ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة . »

واذاعت مع هذا ومع نداآت الملوك بيانا فيه تنويه بفائدة توسط الملوك وشكر للشعب على ما بذله من جهد . وحل الاضراب صباح الاثنين الذي صادف ليله ليلة الاسراء وفق المنهج المقرر بعد ان دام ستة اشهر عربية كاملة ؛ وكان منقطع النظير في تاريخ البشر بشموله وامتداده وصبر العرب فيه صبرا كاد يتجاوز حدود الطاقة . وقد وقفت مع حل الاضراب حركات الثورة في كل مكان تقريبا فكان في هذا الوقوف كذلك معنى قوى من معاني النظام والتضامن .

الاغتباط بالمخرج القوي الكريم

وقد اغتبط العرب بالنهاية التي خرجوا بها من الموقف خروجاً كريما قويا ، خاصة وقد انطوى فيه دخول قضيتهم في نطاق القضية العربية العامة بعد ان كاد ينعدم املهم في ذلك ؛ وكان شعورهم ان وقف الاضراب والثورة هو بمثابة هدنة ، وانهم فيها الطرف المنتصر الشاعر بقوته وحيويته وجهاده وإستعلائه وكان هذا الشعور من اهم عوامل امتداد ونجاح الثورة في مرحلتها الثانية التي استؤنفت بعد بضعة اشهر . وقد أرسلت اللجنة جوابات شكر للملوك اعلمتهم فيها بامتثال اوامرهم وجاءها ردود بالشكر والتطمين .

وبقي القاوقجي نحو عشرة ايام في منطقة جنين متوقفا عن الحركات يتلقى الوفود الكثيرة التي زحفت لتبارك جهاده وتقوم بتكريمه ، واذاع بيانه الاخير موجها شكره لاهل فلسطين على ما رآه منهم من بسالة نادرة وكرم حاتمي وتضامن وثيق ، ومنبها السلطات الانكليزية بانه انما توقف عن حركاته نزولا على نداء الملوك وانه هو والمجاهدون الابرار من فلسطينيين وغير فلسطينيين مستعدون لاستئنافها بعزم اقوى اذا لم تتحقق مطالب العرب وتضمن عروبتها وإستقلالها وحريتها .

وقد خشيت السلطات ان يبقى فوزي في فلسطين ويظل المجاهدون ملتفين حوله فحاولت « كشه » عن فلسطين بحركة تطويقية ؛ فكان ذلك سبباً لتجدد الحماس وزحف الناس من كل صوب مسلحين وغير مسلحين الى المنطقة التي كان فيها حتى امتلأت بهم وتوترت الأعصاب توتراً ينذر بالشر ، واتصلت اللجنة العليا بالسلطات ، وتمكن فوزي ومن معه من الضيوف من الانسحاب الى شرق الاردن بسلام وهو ما ارادته السلطات من حركتها كما قلنا . وقد كان الشيخ الأشمر قد تمكن قبله مع من معه من المجاهدين السوريين من عبور النهر الى الشرق ايضاً وهنا استقبل المجاهدون وقوادهم بالترحيب والتكريم من مختلف الوفود وكان صاحب عمان قد سافر الى مصر فكان الامير طلال نائبه ممن رحب بهم . وخشي الانكليز هنا ما خشوه في فلسطين وألحّوا على طلال بضرورة خروجهم بسلام من المنطقة . وعاد الامير (الملك) فوقف موقفاً وسطاً واستطاع أن يرضي المجاهدين

وأن يجعلهم يتركون منطقته بسلام . وصدر الاذن من ابن السعود لمن يريد منهم بالنزول في القريات كما جاء الخبر من بغداد بالترحيب بهم منها . فاختار فوزي ومن معه من غير العراقيين العودة الى بغداد حيث استقبلوا كغزاة فاتحين من الرطبة فالرمادي فبغداد وحظوا بتكريم الملك غازي والحكومة الهاشمية (نسبة لياسين الهاشمي) والشعب العراقي معاً ، حتى لقد أثار هذا الانكليز وعبرت النايمس عن غضبهم من الحفاوة التي قوبل بها القاوقجي من حلفائهم في العراق ، ناسين أن العصبة المجاهدة امس بالعراق رحماً وهدفاً .

اما المجاهدون السوريون وقائدهم الشيخ الأشمر فقد عادوا إلى سوريا بسلام .

وقد كانت هذه الأحداث ايضاً بالرغم مما كان فيها من تحقيق لما أراده الانكليز من كش المجاهدين عن فلسطين مما زاد في شعور الاعتزاز والانتصار في الشعب العربي في فلسطين وجعلته يقف موقف المترقب المتحفز لاستئناف الكفاح إذا ما بدا من الانكليز ما تعوده منهم من غدر ونكث .

ومن الجدير بالذكر أن الانقلاب العراقي الذي أحدثه بكر صدقي في أواخر تشرين الاول وغادر بنتيجته ياسين الهاشمي ونوري السعيد العراق وقتل جعفر العسكري لم يكن من شأنه أن يشغل العراق عن قضية فلسطين أو أن يؤثر في موقف هذا القطر الشقيق الأبي وعطفه وحماسه نحوها ونحو مجاهديها في هذه المرحلة فاستمر التكريم الذي ظل يلقاه القاوقجي ورفاقه . ولم تلبث حكومة الانتداب التي كان يرأسها حكمة سليمان ان اندمجت في ذلك كله ، ثم اخذ حماسها يشتد يوماً بعد يوم .

اغتباط الانكليز بوقف الاضراب والثورة

وبدا الاغتباط ظاهراً قوياً كذلك على الانكليز في فلسطين ولندن حتى استخف الفرح بعض جنودهم في فلسطين وجعلهم يظهرون عواطفهم الودية نحو العرب والعدائية نحو اليهود بصور متنوعة . وخطب المندوب بالاذاعة مبدياً سروره معلناً يوم الحادي عشر من تشرين الثاني موعداً لوصول لجنة التحقيق ، واذاع القائد العام أن حملات الجيش ستقف بعد الآن ما لم يستفز إستفزازاً ، وسارعت السلطات الى تحديد ساعات التجول والغاء القوافل المحفورة ثاني يوم حل الاضراب كما أمرت بالتساهل مع اصحاب السيارات والسواقين والكف عن التفتيش في القرى ومصادرة السلاح ومطاردة المطلوبين واطلاق سراح الموقوفين والمعتقلين

لتبديل الجو وتخفيف حدة التوتر ، وأخذت تعيد بعض فرق النجدات التي جاءت من انكلترا وغيرها الى مراكزها .

واحتلت أزمة فلسطين حيزاً في خطاب العرش الانكليزي الذي القى في اواخر تشرين الاول فيه شيء من الاعتراف بخطورة الأزمة وشيء من الرغبة في التطمين حيث جاء فيه هذه الفقرة : «إني آسف أسفا عميقا للاضطرابات الخطيرة التي حدثت في فلسطين أثناء الشهور الستة الأخيرة والتي ادت الى ضرورة إيفاد قوات إضافية ، وأرحب بالتحسن الأخير في الحالة ، وان اللجنة الملكية التي عينتها ستبرح إنكلترا هذا الاسبوع للقيام بمهمتها ، وإني أرجو باخلاص أن يؤدي بحثها للمشاكل الصعبة التي ستعرض عليها الى تسوية عادلة ودائمة : » ونالت نصيبا من العناية في خطاب رئيس الوزارة حيث استعرض الموقف السياسي وأعرب عن ارتياحه لتسوية اضراب فلسطين وما نتج عنه من تحسين يسمح بارسال اللجنة الملكية ، والحّ بوجوب اجتناب المعالجات الجدلية للموضوع حتى لا تذكو نار الشعور في هذا الفريق او ذاك ، وقال ان الحكومة ترجوا بكل حرارة أن يتعاون الفريقان في فلسطين الى ابعد مدى مع اللجنة وان يؤدي ذلك الى افتتاح عهد جديد من الرخاء والسلام في بلاد تكررت فيها الحوادث المحزنة ، وقد اكد ان اللجنة قوية وغير متحيزة ومستقلة استقلالا تاما لا سيطرة للحكومة البريطانية عليها ولها الحرية الكاملة في وضع تقريرها على أي صورة تراها ملائمة ..

وانصرفت الأذهان الى اللجنة الملكية ومهمتها وترقب قدومها واخذت اللجنة العربية تهيء نفسها لعرض القضية عرضا واسعا واختصاصيا .

- ١٧ -

أثر الاضراب والثورة في اليهود

ولقد كانت وطأة الاضراب وتطوراته شديدة الأثر على اليهود منذ الايام الأولى بما كان من مقاطعة وارتفاع أسعار ولجوء كثير من اهل المستعمرات الى المدن وانقطاع المواصلات وانسحاب البواخر المحملة بالسلع اليهودية والمهاجرين اليهود من ميناء يافا بدون تفريغ بعد طول الانتظار ثم بما كان من حركة نزوح عن فلسطين حتى بلغ عدد النازحين في بعض الاشهر ستة آلاف . ومع ذلك فانهم

لم يفتهم ما قد يكون لذلك من اثر في قضيتهم وكيانهم فبذلوا جهدهم في الدفاع ، ولم يقصروا في الانتقـــام كلما سنحت لهم الفرصة ، وحاولوا ان يحتفظوا بقوة أعصابهم وهدوئهم ونشاطهم داخل فلسطين وخارجها ، واخذوا من جهة يطالبون السلطات بالعمل على وقف الاضراب ويحتجون على تهاونها ويحرضونها على العرب ويشيرون الى ما مسهم من اضرار، ومن جهة يعينون الخفراء لمستعمراتهم ويحيطونها بالاسلاك لوقايتها من التخريب ، ومن جهة يقدمون المذكرات التي يقررون فيها ان العلاج الوحيد هو توسيع نطاق الهجرة ، واضطلاع اليهود بالنصيب الاكبر من اعمال الحكومة وانشاء جيش يهودي لمواجهة الموقف ويطالبون الانكليز بتنفيذ ذلك ويبرقون ويرعدون لاي احتمال في تعديل السياسة الصهيونية قد يعوق مطامعهم وسير مشروعهم ، وقد حركوا انصارهم في البرلمان والصحافة بسبيل حملة شديدة متنوعة الاساليب في هذا الصدد . وقد كان قدوم نوري السعيد وحديث وساطة ملوك العرب وتدخلهم وموافقة الحكومة الانكليزية عليها مما أثار أعصابهم كثيراً فكانت الحملة الشديدة مما تناولته هذا الامر فيما تناولته. وقد كانت آثار الحملة تظهر المرة بعد المرة في الصحف الموالية لهم، وفي الاسئلة الكثيرة والمتكررة التي كانت توجه في البرلمان بأساليب متنوعة كان يغتنم الوزراء فرصتها ويجدون فيها وسيلة لاعلان استمرار سياستهم المرسومة في شكل تنفيذ التزاماتهم المزدوجة وواجباتهم الانتدابية .

ومما عمد اليه اليهود الدعوة بواسطة أنصارهم وصحافتهم الى عقد مؤتمر دائرة مستديرة بينهم وبين عرب فلسطين مباشرة بقصد تحويل تيار التدخل العربي الخارجي الذي يخرج قضية فلسطين من نطاقها المحلي الضيق وأعادوا في ذلك وأبدوا كثيراً.

ولما انتهت الوساطة الى النتيجة الايجابية الاولى بحل الاضراب ووقف الثورة أخذوا يستمدون من قلقهم وفزعهم شدة وقوة فيصفون الاضراب بالمهزلة ويهونون من شأن نداآت الملوك ويقولون ان طنطنة العرب إنما هي لستر ما منوا به من خيبة . ولكنهم هنا فضحوا أنفسهم حيث لم يستطيعوا التغلب عـــلى ذلك القلق والفزع فأخذوا يستعدون لحركة عكسية يقومون بها عند أقل بادرة جدية تبدو في الأفق مهددة لمشروعهم وحادة من أطماعهم ؛ حتى إنهم فكروا في إعلان الاضراب الذي هزأوا به والفوا لجنة تحضيرية له ؛ بل وحتى إنهم أخذوا يدبرون

إعتداآت جديدة على العرب بقصد إثارتهم ثانية واستئناف الاشتباك لاحباط ما تم من تدخل ملوك العرب ونتائجه المرتقبة ، وكادوا ينجحون في كيدهم هذا ويثيرون العرب فعلاً ويخلقون جواً شديد التجهم لتعدد إعتداآتهم على أفراد عزّل غافلين من العرب سنحت لهم الفرصة فيهم . مما جعل السلطات تقلق أشد القلق، وتبدو شديدة الوطأة على اليهود في المطاردة والقمع ، ومما جعل اللجنة العربية تصدر نداء للشعب مهدّئة منبهة إلى القصد الخبيث الماكر الذي يقصد اليه اليهود بحركاتهم العدوانية ، وتبرق للملوك بما يقع من إعتداآت يهودية . على ان الفتنة التي حاولوا إيقاظها لم تلبث ان خمدت بما كان من العرب من ضبط نفس ومن السلطات من إهتمام وشدة.

ولقد حاول اليهود ان يستغلوا ما كان من مقاطعة العرب وحركاتهم . فاهتموا في اثناء الاضراب لانشاء ميناء في تل ابيب تغنيهم عن ميناء يافا العربي واخذوا يبذلون جهوداً عظيمة في هذا الصدد . وقد الفوا لجانا باسم العمل اليهودي لتواصل ما بدىء به قبل الاضراب وتستغل مـــا كان بمناسبته في صدد تحظير تشغيل عمال العرب في الاعمال والبساتين اليهودية . وكانت هذه اللجان تعمد إلى العنف احياناً مع اصحاب الأعمال والبساتين اليهودية بسبيل تحقيق غايتها . والفوا كذلك لجاناً اخرى باسم المقاطعة لسد اسواق اليهود عن خضروات العرب ومنتجاتهم التي كانت تموّن اليهود والتي بذل هؤلاء جهدهم في تعويضها بمنتجاتهم اثناء الاضراب.

- ١٨ -

بوادر نكوص من الانكليز في استمرار الهجرة

ولقد كان الانكليز الأم من ان يدعوا العرب يغتبطون بنشوتهم بالنتيجة الايجابية التي خرجوا بها من الاضراب واملهم بحل قضيتهم حلا عربياً ؛ فانهم لم يلبثوا ان سمعوا وزير المستعمرات يلقي بياناً كجواب على سؤال برلماني فيقول ان الحكومة البريطانية نظرت بامعان في مـا إذا كان من المقتضى وقف الهجرة موقتاً ام لا اثناء تحقيق اللجنة الملكية فرأت انه ليس هنالك اسباب تبرر هذا التوقف وان الانحراف عن السياسة المتبعة في الهجرة قبـــل ان تضع هذه اللجنة استنتاجاتها ينطوي على تغيير في الحالة ويمكن ان يجحف بالتحقيق ، ولذلك وبناء على ما وصى به المندوب السامي حدد جدول الهجرة للعمال للستة اشهر التي تبتدىء بأول تشرين الأول بألف وثمانمائة شهادة وذلك غـــير اصناف الهجرة الاخرى التي تستمر وفقاً للقانون . .

وقد جاء البيان صرخة منبهة للعرب بأنهم ما يزالون في واد والانكليز في واد وان المؤامرة الانكليزية اليهودية مـــا زالت تسير في طريقها المرسوم ؛ وقد كانوا فهموا من نوري السعيد ان الهجرة ستقف ولو موقتاً وان كل مـا في الأمر ان الانكليز لم يروا ان يرتبطوا بوعد يذهب بكرامتهم وهيبتهم ، وقد كان مرور نحو خمسة وثلاثين يوماً على حلول موعد تجديد جدول هجرة العمال دون تجديد حيث كان هذا الموعد اول تشرين الاول والبيان في الخامس من تشرين الثاني قد جعل العرب يظنون ان الانكليز قد اوقفوا الهجرة من دون إعلان ، فكان هذا مما زاد في شدة الصرخة والصدمة .

وقد كانت اللجنة العربية تبحث قبل ذلك في امر الهجرة وترى ضرورة اعلان وقفها رسميـــاً ومقاطعة اللجنة الملكية إذا لم يتم ذلك ، ثم قررت مقابلة المندوب للبحث معه في هذه النقطة ، وعين موعد للمقابلة قبيل صدور البيان ، فقطع البيان كل قول ، وكان حافزاً سريعاً الى تقرير تلك المقاطعة ، ولاسيما ان الرأي العام قد تكهرب كهربة شديدة من البيان وعده بادرة نكث من الانكليز تعوده منهم المرة بعد المرة . وارسلت اللجنة تلغي المقابلة المعينة مع المندوب . وقد كان لهذا الموقف على المندوب وقع الصاعقة وعده اهانة جارحة ، واخذ يلح بضرورة تأجيل اعلان القرار وتنفيذ المقابلة للاصغاء لما يقوله وهو الذي يكن للعرب كل خير واسدى اليهم ما امكنه من معروف ، وطلب من عاهل عمان تدعيمه .

وقد كان موقف عصيب بسبب طبيعة بنيان اللجنة وما يشتد جريانه فيها من تيارات منذ احاديث الوساطة . ومع ان المندوب مشترك في المؤامرة لأن وزير المستعمرات اتخذ قراره بعد مشاورته على ما جاء في بيانه صراحة ، ومع ان العرب قـــد نكبوا في عهده بأشد ما نكبوا به على ما شرحناه سابقاً فان تلك الطبيعة رجحت كفة تأجيل نشر القرار ومقابلة المندوب ، وتمت المقابلة وكان موقف وفد اللجنة قوياً حيث ذكر المندوب بما في هذا الحادث من تحد لشعور العرب وكرامة ملوكهم والرغبة في افهامهم ان كل ما بذلوه من دماء وتضحيات غير كاف، مما يؤدي

الى استفزازهم وحملهم على استئناف جهادهم ، وانتهت المقابلة بدون نتيجة فأعلنت اللجنة قرارها وهذا نصه :

مقاطعة اللجنة الملكية

اجتمعت اللجنة العربيـة العليا ودرست بيان وزير المستعمرات الذي القاه في مجلس النواب بتاريخ ١١/٥ / ٣٦ حول قرار الحكومة البريطانية بعدم توقيف الهجرة اليهودية من الآن وبالموافقة على اصدار الف وثمانمائة شهادة هجرة عمال جديدة واستمرار انواع الهجرة الاخرى خلافا لما كان ينتظره العرب من وقف الهجرة بجميع اصنافها . وقد رأت في الاسباب التي ذكرها وزير المستعمرات مغالطة صريحة . وبما ان إضراب العرب الذي استمر ستة اشهر انما كان استنكاراً لسياسة الحكومة البريطانية بحرمانهم من حقوقهم السياسية وطلباً لتغييرها تغييراً اساسياً تظهر بوادره بوقف تلك الهجرة ، ولما كان هذا القرار الذي أعلنه وزير المستعمرات تحدياً شديداً لعواطف العرب وعدواناً على حقوقهم ودليلاً على فقدان حسن النية في حل القضية العربية في فلسطين حلا صحيحاً قائماً على تحقيق مطالبهم وحفظ كيانهم القومي فان اللجنة تستنكر بكل شدة هذا الموقف وتقرر عدم التعاون مع اللجنة الملكية وتدعو الامة الكريمة التي برهنت للعالم اجمع على نضوجها السياسي وقوة ايمانها الوطني ان تعمل بهذا القرار والله ولي التوفيق .

في ٢١ شعبان ٣٥٥ — ٦ تشرين الثاني ٩٣٦

وقد كتبت اللجنة لملوك العرب بما وقع ، وكان موعد وصول اللجنة قد عرف فدعت الحكومة الهيآت والشخصيات العربية واليهودية لحفلة استقبالها ، وقد قررت اللجنة مقاطعة الحفلة كلازمة من لوازم مقاطعتها .

ومع ان صاحب عمان ارسل مذكرة شديدة للمندوب بين فيها خطأ القرار وطلب تلافيه وارسل الى ملوك العـــرب بما فعل وطلب القيام بما يقتضي فانه لم يستحسن قرار اللجنة بالمقاطعة واخذ يعمل ويحمل ملوك العرب على العمل لاقناعها بالعدول عنه .

وفي هذه الاثناء وجهت الحكومة الانكليزية لطمة ثانية إلى ملوك العـــرب وشعورهم حيث قال وزير المستعمرات جواباً على سؤال وجه اليه ثاني يوم بيان الهجرة : ان السلطة المنتدبة لم تكلف ملوك العرب ولا سواهم للتدخل في المسألة

غير ان بعضهم دعوا من تلقاء أنفسهم أبناء دينهم إلى السكون ولم تعارض الحكومة البريطانية . وهكذا لم يستشعر الانكليز بأي خجل تجاه ملوك العرب ولم يحسبوا لهم اي حساب وهم يواصلون هذه التصريحات . ومما لا ريب فيه ان هـذا يدل على يقينهم بشدة اندماج ملوك العرب في سياستهم وباستعدادهم لقبول المعاذير منهم مهما كان في مواقفهم من غدر وختل ومغالطة .

ولقد نفذت اللجنة العربيـة ما قررته وأيدها الشعب فيه على اختلاف طبقاته وميوله فلم يشهد حفلة استقبال اللجنة الملكية من العرب احد تقريباً إلا موظفان ووجيه ذكرت الصحف اليهودية خبر حضورهم . ولقد أدهش قرار المقاطعة اليهود حتى عدته صحفهم قنبلة غير منتظرة . وكذلك أثار الصحافة والأوساط الانكليزية واربكها ارباكاً شديداً ، وأخذ الانكليز في فلسطين يرسلون بعض أوليائهم من العرب إلى اللجنة لاقناعها وأخذت الصحف تنشر ما يقال إنه يدور من مراسلات بين الحكومة البريطانية وملوك العرب من أجل الضغط عليها ومن حلول للخروج من المـــأزق ، كما اخذت الصحافة اليهودية والانكليزية تدس فتقول إن قرار المقاطعة كان بتأثير المتطرفين وأكثريتهم مما جعل راغب النشاشيبي يفعل حسناً فينفي ذلك ويقول ان القرار كان بالاجماع .

ولقد أيدت الصحف العربيـــة واللجان القومية ومختلف الهيآت والشخصيات اللجنة العليا حتى أن بعضها اقترح الاضراب يوم قدوم اللجنة مما يدل على أن قرار المقاطعة كان صادق التعبير عن الشعب الذي رأى في تصريحات وزير المستعمرات استهتاراً بعواطفه ودمائه وتضحياته وبجميع العرب وملوكهم في آن واحد .

ولقد اثار القرار اللجنـــة الملكية نفسها حتى جعل رئيسها يقول في خطبته الافتتاحية ان اللجنة مستقلة وانها خالية الذهن من أي رأي وانه يعلم بأسف أن فريقاً كبيراً من الاهالي قرر عدم التعاون معها بسبب ما وقع ويقع من اجراآت وقرارات سياسية ليست لجنته مسؤولة عنها .

سير اللجنة الملكية وبيانات اليهود امامها

وأخـــذت اللجنة ، التي عرفت بلجنة بيل نسبة لرئيسها ، تستمع إلى شهادات رؤساء دوائر الحكومة على مختلف شؤون فلسطين وسلخت في ذلك نحو ثلاثـــة أسابيع ، ثم اخذت تستمع إلى زعماء اليهود وممثليهم ، وكانوا من قبل قـد هيئوا دعاية واسعة وطبعوا في جملة ذلك أوراقاً جعلوها شعارهم وهو انشاء مملكة يهودية في وطنهم التاريخي ، ووزعوها بقياس واسع . ولم يكن كل ما فعله الانكليز لهم مرضياً فانتقدوهم بزعم انهم لم ينفذوا جميع الواجبات المعينة عليهم في صك الانتداب، ثم كانوا صريحين جداً في أجوبتهم ومطالبهم حتى لقد قال شرتوك فيما قال ان الوكالة اليهودية لا يمكنها ان تساعد الحكومة على منع الهجرة المسماة غير شرعية لأن كل هجرة هي شرعية في نظر اليهود ، وقال جابوتنسكي وهو رئيس حزب الاصلاح ان شرق الاردن من متممات فلسطين وان اليهود يطالبون بها كما يطالبون بفسلطين لتكون مملكتهم وان اليهود مستعدون للدفاع عن أنفسهم بواسطة قوة يهودية وان من المستحيل ان يكون هناك حل وسط في تقسيم البـلاد إلى اقليمين أو المساواة بين الشعبين وانه لا يهتم لارضاء العرب واقناعهم ولا يرى ذلك ضرورياً وإن هؤلاء سيرضخون أمام الأمر الواقع ، وقال وايزمان فيما قال انه ليس لليهود غير فلسطين ولا يرضيهم غيرها في حين ان للعرب اقطاراً شاسعة ودولاً عديدة، وان المقصد من وعد بلفور هو إحياء أرض يهوذا وإعادتها لليهود بحيث تكون يهودية كما ان انكلترا انكليزية ولا يقبل اليهود أن يكونوا أقلية وأن يعيشوا حياة الغيتو (الحي اليهودي)؛ وانهم سيقاتلون حتى يسقط آخر فرد منهم في سبيل الحصول على ملاذهم الوحيد وهو فلسطين ، وتواضع فذكر أنه لا يريد أن يتشدد بشأن شرق الاردن مع انها من الوطن القومي التاريخي ومع أنه لا يوجد في صك الانتداب ما يحول دون أن تكون داخلة في وعد بلفور . .

وفي اثناء ذلك كان اليهود يعبرون عن آرائهم بوسائل اخرى وبصراحـة تامة فنشر زعيم لهم اسمه كلاوزنر مقالاً يعارض فيه معارضة شديدة في منح العرب حقوقاً سياسية لأن في ذلك خروجاً عن مبدأ الصهيونية ويطلب أن تكون فلسطين تحت

سيطرة اليهود التامة وعقد كل من الحزب الاصلاحي والحزب المزراحي مؤتمرين قررا عـــدم التساهل في مطالب اليهود ووجوب عرضها على حقيقتها وهي حصر الحقوق السياسية باليهود وعدم قبول اي تحديد للهجرة واصر المؤتمر الاصلاحي على طلب انشاء مملكة يهودية على ضفتي الاردن وانشاء جيش يهودي حالا . وعقدت الجمعية الجيوتنسكية في فينا مؤتمراً قرر مشروعاً باسم مشروع العشر سنوات يقضي باحتلال فلسطين جميعها بالقوة واعلان المملكة اليهودية فيها واعتبار كل متساهل في ذلك وكل موافق على منح العرب حقوقاً سياسية خائناً . وهكذا بـدأ اليهود في الظرف القائم على حقيقتهم ونياتهم دون ما مواربـة ولا تستر وسواء اكانوا من المسؤولين أو من غيرهم . .

- ٢٠ -

مساعي الانكليز في الضغط على اللجنة

ومنذ ابحرت اللجنة الملكية والضغط يتوالى على اللجنة العربية العليا من عمان والرياض وبغداد وبنوع خاص من عمان والرياض وكان الحاح الانكليز ظاهراً في هذا الضغط الذي بدأ به عاهل الاردن على ما ذكرناه سابقا حيث ارسل يخطيء اللجنة العربية في قرار المقاطعة ويبعث ببرقيات بهذا المعنى إلى بغداد والرياض واخذ يوالي رسائله ورسله وهواتفه ملحاً تارة بضرورة الترحيب باللجنة الملكية واخرى بضرورة الاتصال بها والعدول عن مقاطعتها ، وقد جـاء الى القدس عقب وصول اللجنة ونزل في فندق الملك داود حيث كانت نازلة واجتمع بها مرحّباً ودعاها الى عمـان ، وحاول وهـو في القدس ان يقنع اللجنة العربية بالاتصال بها أو تفويضه كتابة ليتكلم معهـا باسم فلسطين . واخذت برقيات الرياض تتوالى كذلك ملحة بالاتصال ومنذرة بالعواقب ومهددة بقطـع الصلات واعتبار قرار المقاطعة مبطلا لمفعول النداء والوساطة الأولى . وظلت هـذه البرقيات والالحاحات من الرياض وعمان مستمرة نحو شهر ونصف لا تخف لهجتها الا لتشتد . وقد لاحظت اللجنة العربية من برقيات صاحب الرياض انه غير محيط بقضية فلسطين وجوهرها وانه كان يرسل برقياته وكأنما هي تنفيذ رغبة واعذار حيث كان ينصح مرة بوجوب عدم تجاوز المعقول والاعتدال بالمطالب، ومرة بقبول ما يعطى والمطالبة بالباقي بالتدريج

ويقول مرة ان من واجبنا ان ندلي ببياناتنا ومطالبنا فان نتج عنها ايجاب فهو خير والا فنكون قد ادينا واجبنا الخ .. وقد كتبت له اللجنة اكثر من برقية ورسالة مفصلة له الحالة وطالبة منه بذل جهده وإلحاحه في لندن ، وكتبت مثل ذلك لصاحب عمان ، وجاءت أجوبة بانها كتبا . غير ان لندن لم تبدل موقفها قيد شعرة وظلت تلح عليها ليضغطا على اللجنه دون ان ترى حاجة الى ملاحظة انها هي التي عقدت الموقف او الى الحياء مما كان منها من استهتار بعواطف الملوك ! وقال صاحب الرياض في هذا الصدد مرة ان المقاطعة قطعت عليه طريق التشبث! وان العدول عنها هو الذي يطلق لسانه . وفي النهاية انضمت حكومة بغداد الى قافلة الملحين المنذرين فاحدث كل ذلك بلبلة في اللجنة العربية . واخذ بعضهم يطلب اعادة النظر في القرار خشية اغضاب الملوك وانعزال فلسطين وضياع فرصة سانحة للكلام . . .

وفد اللجنة الى بغداد والرياض

وقد رأت اللجنة تفاديا من آثار البلبلة والتذمر ان ترسل وفداً الى بغداد والرياض لشرح الموقف ومعرفة ما هناك من آمال واحتمالات مطمئنة سابقة ولاحقة ، وكان الوفد مؤلفا من الشيخ كامل القصاب الذي كان واسطة المراسلة بينهما وبين عاهل الرياض ومن عوني عبد الهادي وعزة دروزه ومعين الماضي . وسافر الاربعة الى بغداد حيث اجتمعوا بالملك غازي واعضاء حكومته ولم يكن عندهم شيء يعول عليه من الانكليز كوعود او تطمينات إيجابية الا الاستعداد لتنفيذ تواصي اللجنة الملكية وخطورتها في التقاليد الانكليزية ولم يبد من الملك وحكومته إلحاح شديد وكل ما كان من أمرهم النصح بالتجربة والاستعداد لمواصلة المساعي وكتابة نداء جديد يحفظ للجنة العليا هيبتها . وذهب الوفد الى الرياض وشرح لصاحبها الموقف ، ولم يجد عنده ايضاً شيئاً ذا بال ولكنه لمح ان هناك إركاناً قويا على الانكليز واعتقاداً بوجوب مسايرتهم وعدم احراجهم وإغضابهم ، وان هذه هي خطة جوهرية عنده لا يمكن ان يحيد عنها في حال . ولم تجد بيانات الوفد ومخاوفه شيئاً واصر على رأيه وإلحاحه بل وإنذاره بوجوب الاتصال باللجنة الملكية مع وعد بمتابعة المساعي مع الانكليز . وتم الاتفاق ازاء هذا على ان يكتب للجنة بذلك كتابا وعلى ان يؤخذ مثله من الملك غازي ، وعاد الوفد إلى بغداد فأخذ الكتاب ومر بالشام حيث

اجتمع مع اركان الحكومة الوطنية التي كانت قامت نتيجة المعاهدة الجديدة (١٩٣٦) فكان من رأيهم كذلك الاتصال وعدم إضاعة الفرصة، وعاد الى فلسطين فنقل ماجرى معه إلى الهيأة التي قررت النزول على أمر الملكين وأذاعت بقرارها بيانا بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٣٧ جاء فيه : « ان اللجنة استمعت الى بيانات الوفد الذي عاد من رحلته واطلعت على كتابي صاحبي الجلالة ملك العراق وملك المملكة السعودية فلم يسعها الا ان تستجيب للطلب السامي فقررت الاتصال باللجنة الملكية وبسط القضية العربية لها .

الاتصال باللجنة الملكية نتيجة لرغبة الملوك

وقد نشر مع البيان نص الكتاب الملكي الموجه إلى رئيس اللجنة العربية العليا وقد جاء فيه :

« وبعد فقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لان ذلك أضمن لحقوقكم وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم . وقد ابدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الاراء في ذلك ونحب ان تكونوا على ثقة باننا لانالو جهداً في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر امكاننا ولنا لنرجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير الاسلام والعرب ... ١٨ شوال — ١ كانون الثاني ٩٣٧ .

بيانات العرب امام اللجنة

وبعد ذلك قدمت اللجنة العربية للجنة الملكية مذكرة مفصلة عن قضية فلسطين وصلتها الوثقى بالقضية العربية العامة وعهود بريطانيا وشمولها فلسطين واشتراك اهل فلسطين في الثورة تحت لواء الحسين وفيصل ، وما كان من نكث للعهد وحرمان فلسطين من حقها الشرعي وما كان من مؤامرة تصريح بلفور وصك الانتداب ومحاباة الانكليز وتصرفاتهم ، واحتجاجات العرب وثوراتهم ، وما

ألمّ بكيان العرب من اضرار واحدق به من أخطار ، وختمتها بالمطالبة بالعدول عن تجربة الوطن القومي الفاشلة واعادة النظر في جميع ما نتج عنها وايقاف الهجرة وبيع الاراضي وقفاً تاماً وحل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان وذلك بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة تقوم بموجبها حكومة مستقلة دستورية تمثل فيها جميع العناصر ويضمن فيها للجميع العدل والحرية . وعينت اللجنة الملكية جلسات خاصة لاستماع البيانات الشفوية لدعم ما جاء في المذكرة وهي الطريقة التي جرت عليها ، وقد أدلى كل من رئيس اللجنة الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني وعوني عبد الهادي والدكتور حسين الخالدي وعزة دروزه وعبد اللطيف صلاح وفؤاد سابا من اعضاء اللجنة ببيانات في ناحية من نواحي القضية ونوقش في اقواله ، وقد استمعت اللجنة الى المطران حجار في اتحاد العرب المسلمين والمسيحيين معاً في الشكوى والمطلب وفي الاخطار الاخلاقية والاجتماعية التي تعرضت لها البلاد المقدسة من جراء الحركة الصهيونية وفي الاخطار المحدقة بالاماكن المقدسة وقدسيتها ، والى جورج منصور في العمل والعمال العرب ، وعيسى البندك في المهاجرين العرب والدكتور طوطح في المعارف العربية وانطونيوس في محاباة الانكليز لليهود . وقدم لها مذكرات وتقارير من اعضاء اللجنة الأخرين والمحامين وغيرهم بحيث سجل العرب أمامها وفي محاضرها واقع الامر من محاباة الانكليز وتلاعبهم وتآمرهم واهمال نواصي الخبراء وتكذيبهم لأقوالهم بالأفعال ، وما وقع على العرب من اجحاف وتشريد واضرار وما يتكبدونه من نفقات ميزانية ضخمة لحماية الصهيونية وتمكينها وما يشغله اليهود من وظائف تفوق نسبتهم اضعافاً ، وما يُسن من قوانين لحماية الصناعة اليهودية ، وما كان من اهمال مزارعي العرب وتشريدهم ، واختلال النسبة بين العرب واليهود اختلالا شديداً بحيث نزلت نسبة العرب من ٩٣ ٪ الى ٧٠ ٪ وتحكم الانكليز بالتعليم العربي بينما يتمتع التعليم اليهودي بحريته ، مع التقتير الشديد فيه بحيث لا يزيد ما ينفق عليه على ٥ ٪ من الميزانية يذهب منها مبالغ طائلة للتعليم اليهودي والموظفين الانكليز واليهود في دائرة المعارف ، وبحيث لا يجد من الذين هم في سن التعليم من أطفال العرب مقاعد في المدارس الا نحو ربعهم ، وما كان من ادارة البلاد إدارة انكليزية استعمارية بحت

بحيث لا يوجد حكومة منتدبة وحكومة منتدب عليها الخ الخ. وقد طافت اللجنة بالبلاد وزارت مدنا وقرى عربية ويهودية ولبت دعوة عاهل عمان حيث استمعت لارائه وتلقت مذكرة منه ثم عادت الى بلادها لتضع تقريرها ..

- ٢١ -

الاشاعات عن الحلول المرتقبة ورحلة الملك عبد الله الى لندن

وفي غضون ذلك كانت الشائعات تدور حول الحلول المنتظرة . وكانت اكثرها قوة احتمال تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وضم القسم العربي الى شرق الاردن. وفي شهر نيسان دعي عاهل عمان الى لندن لشهود حفلات التتويج ، وبدا الاهتمام قوياً لوداعه وداعاً حافلاً وكان المعارضون في فلسطين هم الذين تولوا ذلك تقريبا حيث هيأوا له استقبالات في القدس ونابلس وحيفا ، وكان ذلك من اسباب ترسيخ ذلك الاحتمال في الاذهان أو اعدادهاله. ولم يشترك المجلسيون في هذه الاستقبالات مما لمس فيه بادرة جفاء كان خفيا بين عاهل عمان والمفتي يرجع الى ما كان من محاولات الاول التأثير في اللجنة وتسييرها في ازمتي الاضراب واللجنة الملكية ومقاومة الثاني لهذه المحاولات ثم الى اختصاص بغداد والرياض بالمشورة الأخيرة وعدم ادخال يده واسمه في ما كان من عدول عن مقاطعة اللجنة الملكية ، حتى لقد صار يبدو جليـــاً ان المعارضين أصبحوا جبهة واحـــدة معه ضد المجلسيين والمتضامنين معهم .

وفي اثناء وجود العاهل المشار اليه في لندن ظلت الاشاعات تدور بل وتقوى في نطاق حل القضية على اساس تقسيمي مع يد العاهل فيه ، حتى لقد حمل هـذا خطيبا من خطباء الحرم الابراهيمي على الدعاء له كملك فلسطين. وعاد الى فلسطين بطريق تركيا حيث قيل انه وصى بذلك لتكون تركيا مؤيدة وراضية لما سوف يكون . وحشدت حكومة عمان ومعارضو فلسطين حشودهم ثانية للاستقبال كما فعلوا في الوداع ، ولم يشترك المجلسيون والمتضامنون معهم فيه ايضاً.

وقد كان عدم اشتراك هؤلاء في حفلات الوداع والاستقبال مما رسخ الجفاء الذي أشرنا اليه ، حتى لقد وصل الامر بعد اسابيـع الى اتهام عمان للمفتي بتدبير حركات شغب وثورة في شرق الاردن ، والى ارسال رئيس الوزارة الاردنيـــة

خريطة تقسيم فلسطين حسب اقتراح اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧

ابراهيم هاشم الى المفتي كتابا في هـذا الصدد بأسلوب جاف فيه تنديد ووعيد ، والى ان قيل ان صاحب عمان قد ارسل للانكليز مذكرة بذلك ايضاً . وذلك بمناسبة ما بدا من نشاط وطني في شرق الاردن ضد الوضع القائم وبعد عودة الامير (الملك) من لندن .

وفي ٢٣ حزيران ١٩٣٧ قدمت اللجنة الملكية تقريرها للملك وطار المندوب الى لندن بدعوة منها ، وملأت الشائعات الجو وكان اقواها شائعة التقسيم حتى لقد قيل ان المندوب قد فاتح رجالات فلسطين المعتدلين بـــه ، واخذ التوتر والتشاؤم يسودان البلد .

انسحاب ممثلي حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا

وفي ٣ تموز ١٩٣٧ وقبل نشر التقرير المذكور واعلانه قرر حزب الدفاع (المعارض) انسحاب رئيسه راغب النشاشيبي مع يعقوب فراج أحد اعضائه من اللجنة العربية العليا مع ان الاخير لم يكن ممثلاً للحزب رسمياً . ونشر القرار معللاً ذلك بعدم انتظام اجتماعات اللجنة وبجريان مفاوضات واجراآت باسمها بدون قرارات وبسفر رئيسها الى سوريا بدون علمها . الخ وقد ذكر في القرار أن الحزب سيسير مستقلا في الجهاد المشروع في سبيل آمال البلاد وقضيتها . وقد كان واضحاً للناس أن الاسباب واهية وظاهرية ، وأن قصد الحزب الرئيسي أن يكون حراً حين نشر تقرير اللجنة الملكية حتى لا يكون مندمجاً في اللجنة ليسري عليه قرار اكثريتها . وقد ذكرت هذا بصراحة جريدة (فلسطين) التي تعد جريدة معارضة وخاصة في هذه الظروف كما أن النبهاء لم يستبعدوا ان يكون لعمان اصبع فيه . وقد كان ابراهيم هاشم رئيس وزارة الاردن ومحمد الانسي رئيس الديوان يكثران في هذه الأونة من التردد على فلسطين والاجتماع بأركان المعارضة فكان هذا من دعامات ذلك الذهاب .

ومع ذلك وإزاء ما تنتظره البلاد من أحداث جسيمة قررت اللجنة باقتراح مني نشر كلمة رصينة جاء فيها : «ان الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد لا تتحمل الجدل ولا تسيغ الفرقة والخلاف . ولذلك فان اللجنة مع عزمها على الاستمرار في القيام بواجباتها توجه نداءها الى ضمير كل فرد من الامة الكريمة باجتناب كل شقاق وتصدع في الجبهة القومية وبالبقاء صفاً واحداً وشملا مجتمعاً لتتمكن البلاد من مواجهة الاحداث المقبلة بما تقتضيه المصلحة العامة من الاتحاد والتضامن» . وقد قوبلت الكلمة بالاستحسان العام .

تقرير اللجنة الملكية

وفي مساء ٧ تموز وزع في القدس تقرير اللجنة وخلاصة عنه وبيان بسياسة الحكومة البريطانية بناءً عليه .

وقد تناولت اللجنة في تقريرها الضخم تاريخ القضية وعلاقة العرب واليهود بفلسطين والاضطرابات ومسؤليات الحكومة المنتدبة والتناقض الواقع في التزامات الانتداب ، وما قام به اليهود من أعمال وصفتها بالعظيمة إعتماداً على الانتداب وعدم جواز تركهم لحكم الاكثرية العربية لتعذر التفاهم والانسجام بين الفريقين بسبب اختلاف أمانيها ؛ ولم تتورع اللجنة من جعل قضيتي العرب واليهود وصلاتها بفلسطين في مستوى واحد بل ومن جعل القضية اليهودية الطارئة والدخيلة هي المحور الذي تدور عليه قضية فلسطين ، وكان هذا منها متساوقاً مع ما فعلته الحكومة الانكليزية في صك الانتداب وفي أساليب تنفيذه .

ثم قسمت نواصيها الى قسمين قسم سمته بالممكنات انطوى على اقتراحات بتحديد الهجرة من كافة الانواع باثني عشر الفاً في السنة لمدة خمس سنين ومنع انتقال الاراضي العربية لليهود في بعض المناطق والاهتمام لتحسين تعليم العرب واقتصادهم ومعايشهم وإنشاء مجلس تشريعي ؛ ثم قالت إن هذه النواصي ليس من شأنها حل المشكلة لأن العواطف القومية عند العرب واليهود متناقضة ومشتدة ولا يمكن أن يسكنها شيء. وسمت القسم الآخر من نواصيها بالعملية الجراحية وهو تقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام عربي يضم الى شرق الاردن ويتكون به مملكة عربية ذات سيادة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانية على غرار العراق وسوريه ، ويشمل مناطق غزه والسبع وصحراء النقب والخليل ونابلس والقسم الشرقي من مناطق طولكرم وجنين وبيسان ومدينة يافا ؛ ويهودي يشمل جميع الساحل من حدود لبنان الى المجدل وسهول سارون ومرج ابن عامر وبيسان ومنطقتي الجليل الشرقية والغربية ، وتقوم فيه دولة يهودية ذات سيادة مرتبطة كذلك بمعاهدة مع بريطانيه ؛ وانتدابي انكليزي يشمل مناطق مدن القدس وبيت لحم والناصرة وممراً من القدس الى يافا يشمل قرى هذه الطريق ومدينتي اللد والرمله على ان تبقى كذلك مدن حيفا وطبريا وصفد

وعكا تحت إدارة الدولة المنتدبة مدة من الزمن على ان يكون النقب او بعضه تحت إدارة هذه الدولة ايضاً . وقد بلغ عدد العرب في القسم اليهودي نحو نصف سكانه ومساحة اراضيهم نحو ثلاثة أضعاف الأراضي اليهودية أي نحو (٣٠٠٠٠٠٠) عربي وثلاثة ملايين وربع دونم مقابل نحو (٣٠٠٠٠٠٠) يهودي ومليون وربع دونم بينما بلغ عدد اليهود في القسم العربي نحو (١٢٥٠٠) وأراضيهم نحو مئة الف دونم.. وقد وصت اللجنة بتبادل السكان مع ما بين أملاك وأراضي وعدد الفريقين من بون شاسع لا يحتمل اي معنى من معاني التبادل كما وصت بالزام حكومة كل قسم بشراء املاك واراضي الجنس الآخر ! وقد لحظت اللجنة ان الدولة العربية ستكون فقيرة ضعيفة الموارد والحيوية فأوجبت على الدولة اليهودية دفع إعانة سنوية لها كما أوجبت مثل ذلك على الدولة البريطانية بالاضافة الى مليوني جنيه تدفعها هذه الدولة تعويضاً عما يخسره العرب . وقالت ان هذه الاموال تساعد العرب مساعدة كبيرة على النشاط والعمران في دولتهم الجديدة .

وواضح ان خطوط التقسيم والنواصي كانت في صالح اليهود على طول الخط ؛ حيث تهيء المجـــال الواسع للنمو اليهودي وتخضع العرب لليهود والانكليز معاً وبصورة دائمة .

اما بيان الحكومة البريطانية فقد احتوى موافقة مبدئيـــة على الاسس والاستنتاجات التي توصلت اليها اللجنة والتناقض البادي في التزاماتها المزدوجـــة وصعوبة التوفيق بين اماني العـــرب واليهود والأخذ بفكرة التقسيم لأنه افضل الحلول . وقد تركت تحديد الاقسام العربية واليهودية والانتدابية الى اللجنة الفنية التي اقترحت اللجنة الملكية ايفادها لتركيز الحدود تركيزاً فنياً (١) .

وهكذا كشفت بريطانيا عن وجهها المنافق الغادر ، ورأت ان ما وصل اليه اليهود يكفي مبدئياً لتحقيق السياسة التي ترسمتها منذ البدء ضد الحركة العربيـــة واهدافها وغرز الخنجر المسموم في جنب الامة العربيـة وقطع عقدة من اهم العقد بين اقطارها وجعل ربيبتها الدولة اليهودية عاملاً فوق ذلك في إشغال العـــرب وارهاقهم وانهاكهم ، وقد ضمنت خطة التقسيم الى هـذا بقاء السيطرة الانكليزية

(١) جعلنا بيان الحكومة ونواصي التقسيم ملحقاً تحت رقم (٩)

العسكرية والاقتصادية سافرة ومحجبة في جميع اقسام فلسطين وشرق الاردن ، لأن هذا من تمام تلك السياسة المرسومة .

واستدعى المندوب السامي المفتي وبعض اعضاء اللجنة ونصحهم بالتروي قبل قولهم كلمتهم والدعوة الى الهـــدوء والرزانة . وكانت الشائعات تتردد عن عزم السلطات على اتخاذ تدابير شديدة لاحيلولة دون الهياج وما ينشأ عنه ، فعدت نصيحة المندوب كإنذار ، واجتمعت اللجنة فقررت كتابة نداء لملوك العرب وامرائهم وزعمائهم ورؤساء حكوماتهم تلفت نظرهم الى الكارثـــة الجديدة ، وكتابة رد واستنكار لتقرير اللجنة وتواصيها وبيان الحكومة .

سخط العرب الشديد من التقرير والتقسيم

وقـــد كان السخط والاستياء عامين وشديدين في فلسطين وخاصة في المنطقة الشمالية حتى كان الشيخ اسعد الشقيري في عكا وعمر البيطار في يافا وهما من اركان المعارضة من اول من صدر منهم صوت الاستنكار والرفض، مما جعل اللجنة العربية العليا تقرر الاتصال براغب النشاشيبي وتقترح عليه العودة الى اللجنة لتبدو الامـة متضامنة امام الكارثة ما دام الجميع برأي واحد . ولكن راغباً اجاب بأن الحزب لم يقبل بالعودة ولكنه مستعد لمجاراة اللجنة في المواقف والامور الهامة .

موقف صاحب عمان من التقرير

وقد سارعت عمان إلى الاتصال بأركان المعارضة في فلسطين على ما رواه الثقاة وذكره فيما بعد بعض هؤلاء الاركان تطلب منهم مقابلة التقرير بالموافقة والتحبيذ لقطع الطريق على معارضته ، فكان الجواب الغالب تعذر ذلك لأن الاستياء شديد من التقسيم وبشاعته ولم يجدِ ما قيل لهم من امكان التعديل فيه إذا ووفق عليه مبدئياً .

ولقد رجح ولمس كثير من الملاحظين انه قد جرى بين صاحب عمـــان وبين اللجنة الملكية بحث حول التقسيم ، وانه كان موافقاً عليه اجتهاداً منه بأنـــه هو الممكن والعملي بسبيل حل القضية المعقدة . كما رجحوا ان بعض أركان المعارضة كانوا على علم به بدليل ما كان وذكرناه سابقاً من الأحداث والمشاهد . ولقد صرح وزير المستعمرات في المناقشة التي جرت في مجلس العموم في الاسبوع الثالث من

شهر تموز ان حكومة شرق الاردن وكثيراً من العـــرب يؤيدون تقرير اللجنة الملكية ، فجاء هذا التصريح دليلا رسمياً حاسماً .

ومع ان رآسة الوزارة الاردنية اذاعت بلاغاً بتاريخ ٢٤ تموز جاء فيه : « إن حكومة شرق الاردن بالنسبة للخبر المتعلق بها ترى من واجبها ان تبادر الى التصريح بأنها لم تتلق من اي جهة رسمية اي تكليف بابداء رأيها في مشروع التقسيم، وان القول بأنها تؤيده غير مطابق للحقيقة والواقع . » فان البـــلاغ لم يكن ذا جدوى فيما قصد اليه ، لأن الناس يعرفون ان الامير (الملك) هو الذي يتولى هذه الامور وهو رأس الدولة ورئيس الحكومـــة فعلا ، ولم يكن وزير المستعمرات يصرح تصريحه امام مجلس العموم لو لم يكن مطابقاً للحقيقة من هذه الناحية ، هذا فضلا عن توافر الدلائل والقرائن على تحبيذ المشار اليه للتقسيم والدعوة اليه والتجهم من رفضه بناء على اجتهاده الذي اشرنا اليه آنفاً .

ومما وقع انه نشر كراس باسم الحزب الاردني الوطني حبذ فيه التقسيم لانه ينقذ بعض البلاد من الصهيونية ويلحقها بالوحدة العربية وذلك خير من بقائها جميعاً مهددة بها . وقد سارع الحزب الى اعلان براءته من الكراس، واستنكار ما جاء فيه واستنكار التقسيم استنكاراً شديداً . وقد قيل ان مصطفى وهبه التل هو الذي نشر الكراس تزلفاً للأمير (الملك) او بايحائه . ولم يستبعد الناس ذلك لأن ما جاء فيه متسق مع اجتهاده .

موقف حزب الدفاع من التقرير

ومع ان راغب النشاشيبي كذب في حديث له نشرته جريدة فلسطين في ٢٢ / ٧ / ١٠ / ٣٧ يشاع عن اتفاق حزبه مع الامير (الملك) عبد الله او مع غيره بقبول التقسيم وقال ان في حزب الدفـــاع شخصيات كثيرة ترتبط مع الأمير بروابط الصداقة ولكن الحزب لا ينطق باسمه ولا يتأثر بسياسته ، وان حزبه يرفض فكرة التقسيم رفضاً باتاً ولا يقبل بشأنها مفاوضة ولا بحثاً وانه اول هيأة رفضتها ، فان ما جرى قبل صدور تقرير اللجنة وما قيل عن انسحاب الحزب من اللجنة العليـا وما كان من مشاهد واحداث واقوال إبان رحلة الامير مؤيدات قوية على ان اركان المعارضة لم يفاجأوا بالتقسيم وان مافوجئوا به هو نصيب اليهود الواسع فيه . وكل

ما يمكن ان يكون هو ان الحزب لم يقرر رسمياً الاتفاق مع الامير (الملك) على التقسيم والتكذيب مصبوب على هذا فحسب . وواضح ان هـذا شيء والقول ان اركان المعارضة كانوا على علم بالفكرة ووفاق مع الامير (الملك) فيها شيء آخر . وفي هذا التكذيب قرينة بل دليل على كل حال على ما قلناه من اجتهاد الامـــير (الملك) في تحبيذ التقسيم والدعوة اليه . ولقد كتبت جريدة فلسطين على اثر نشر التقرير معقبة ولم يكن الاستياء قـد سرى واشتد مقالاً اطرت فيه اللجنة الملكية وما في تقريرهـا من بروز انصاف العرب ودعت الى السعي الديبلوماسي في تعديل الحدود بما فيه تأييد لما ذكرناه . ولقد نشرت الجريدة نبذة فكاهية في نفس العدد عنوانها « ديك الحبش سجن ومات » كان قصد الشماتة بالمفتي والارتياح للتقسيم الذي فيه القضاء على مركزه ومطامحه ظاهراً فيها .. مما فيه تأييد آخر ايضاً .

ونقول استطراداً ان فكرة التقسيم قد سبقت قدوم اللجنة الملكية . فلقد كان نوري السعيد يتحدث إبّان زيارته فلسطين اثناء الاضراب عن بعض الحلول الممكنة لقضية فلسطين فيها ضمانـة عروبتها وفيها في ذات الوقت مسايرة ما لمطامح اليهود القومية ليكون تحقيقها ممكناً ، وكان مما تحدث عنه المثلث اليهودي الذي يتكثف فيه اليهود والذي يتكون احد اضلاعه من خط ساحلي يبتدىء من جنوب حيفا الى تل ابيب ويلتقي ضلعاه الآخران في العفولة ويضم سهل سارون وقسما من مرج ابن عامر عدا الرقعة الساحلية التي يمتد فيها الضلع الأول ، وامكان منح اليهود فيه حكما ذاتياً ضمن دولة عربية تتألف من فلسطين وشرق الاردن والعراق او من فلسطين وشرق الاردن او من فلسطين . وقد سمعنا هذا الحديث من نوري السعيد بالذات في فلسطين حيث جاء لزيارتنا وزيارة رفاقنا في معتقل صرفند في شهر آب ١٩٣٦ . ولا نرتاب في ان الانكليز اشتركوا في احاديث هذه الحلول إذا لم يكونوا هم الذين اثاروها . فقد كان الاضراب الطويل والثورة التي كانت آخـذة بالاتساع والشدة اثناءه مما اقلق الانكليز وافزع اليهود على ما ذكرناه قبل ، فلم ير الانكليز بأساً من الحديث في حل محدود مثل هذا يضمن على كل حال تحقيق جوهر الخطة المرسومة برضاء العرب وهو قيام كيان يهودي قومي وسط بلاد العرب ، ويكون مرحلة لقفزة ثانيـــة عند سنوح الفرصة او بخلقها تتحقق بها الخطة كاملة . ولا نستبعد ان يكون اليهود هم الذين رفضوا الحل المحدود وخشوا عواقبه فتطور على يـد اللجنة الملكية بالشكل الرهيب الذي جاء عليه .

الدور الثالث

١٩٣٧ - ١٩٣٩

- ١ -

استمرار الغليان ضد التقسيم

كان تقرير اللجنة الملكية وتوصية التقسيم مما هز العرب كما قلنا هزاً شديداً . ولقد أخذت البرقيات والمضابط تنهال على اللجنة العليا بالاستنكار والرفض والاستعداد لاستئناف الكفاح والتضحية من جميع انحاء فلسطين ومن مختلف الفئات حتى صارت كالسيل ، وكان اشد الأنحاء فزعاً وسخطا الجليلان الشرقي والغربي لما ادركه اهلها من المصير المظلم الذي ينتظرهم بالتشرد والنزوح او البقاء تحت ذل سيطرة اليهود وإرهاقهم وكيدهم . ومن العجيب انهم كوفئوا بهذا المصير لان اللجنة الملكية زعمت كذباً وباطلا فقالت إنهم كانوا اقل من غيرهم انقياداً للتحريض السياسي واكثر قابلية للتعاون مع اليهود بقصد تبرير جعل الجليلين من ضمن الدولة اليهودية في حين ان اليهود فيها لم يتكاثروا يبلغون خمس سكانها وان اراضيهم الزراعية لم تكد تبلغ عشر اراضيها الزراعية . ، مما يدل على ان الحكومة الانكليزية ذات ضلع بارز في رسم خطة التقسيم فضلا عما هناك من دلائل كثيرة اخرى .

وارسلت اللجنة العربية العليا مذكرة مسهبة بالاحتجاج والتفنيد والاستنكار والاصرار على وجوب تحقيق الميثاق العربي الذي فيه الحل الوحيد العادل .

وقرر حزب الدفاع إستنكار التقسيم ونشر قراره ثم اتبعه بمذكرة طويلة الى المندوب احتوت تفنيدات لتواصي اللجنة الملكية وتوكيداً بأن السلام متعذر التحقيق إلا بإجابة مطالب العرب والتسليم بحقوقهم كاملة وذلك بالغاء الانتداب وتشكيل حكومة ذات سيادة ترتبط مع بريطانية بمعاهدة ويمثل فيها جميع السكان ويضمن للأقليات حقوقهم على ان تحفظ النسبة الموجودة بين العرب واليهود . واخذت جريدة فلسطين تتراجع بدون نظام وتنضم الى المفندين المستنكرين ، وارسل الشيخ اسعد الشقيري الى عاهل عمان كتاباً قال في مستهله إن الله ورسوله والمؤمنين يأبون ان يوافقوا على التقسيم وإنشاء دولة يهودية ما انزل الله بها من سلطان .

كذلك اخذت ترد على اللجنة العربية العليا اجوبة من الخارج . وقد استنكر حكمة سليمان رئيس الوزارة العراقية في برقيته مشروع التقسيم واعلن إستعداد العراق لمناصرة القضية للنهاية وقال إنه قدم للحكومة الانكليزية احتجاج حكومته ولقد اردف برقيته بتصريح صحفي اشد واروع كان فيه ثائراً اكثر منه رئيس وزارة حيث دعا العرب الى الوقوف صفاً واحداً في الدفاع عن فلسطين وصيانة عروبتها ونددَ بتواصي اللجنة وحشد الانكليز قواهم في خدمة اليهود ، وحمل حملة منكرة على التقسيم وإنشاء دولة يهودية وقال ان هذا ضار بمصالح العرب جميعاً وإن الدول العربية لن ترضى به ولا إعتبار بمن يرضى به ، وان الحاكم الذي يقبل ان يتوج على شرق الأردن مع ما بقي من أقسام فلسطين لا يقابل إلا بالمقت والنبذ وإنه سيكافحه بكل قوة كرئيس حكومه وكفرد من الأمة ؛ مما أثار حنق الانكليز وجعلهم يبدون عتبهم . وقامت مظاهرات صاخبة في بغداد استنكاراً للتقسيم منددة بكل من يرضى به واصفة اياه بالمروق من العروبة والدين ، واذاع علماء الدين في العراق سنيون وشيعيون نداآت بوجوب مؤازرة فلسطين ديناً لحفظها للعروبة والاسلام واستهجان خطة التقسيم وإنشاء دولة يهودية فيها ، وادلى بكر صدقي الذي قام بالانقلاب العسكري بحديث جاء فيه انه جندي وليس سياسياً وان من اول واجباته الطاعة ، فاذا صدر اليه الأمر من ولي أمره بالدفاع عن حقوق امته التي هي الأمـــة العربية فهو مستعد لسفك آخر نقطة من دمه ، وإن الرأي السياسي قد اعلنه رئيس الوزارة بصراحة لا صراحة بعدها . وانهالت على الحكومة العراقية من مختلف انحاء العراق برقيات الاستنكار والعطف بحيث يمكن ان يقال ان التصريحات التي ادلى بها حكمة سليمان وبكر صدقي كانت منبهة للشعب من جهة ومعبرة عن عواطفه اصدق تعبير من جهة اخرى . وقـــد كان للعطف والحماس العظيمين اللذين اظهرهما العراق حكومة وشعبـــاً اثر قوي في فلسطين وانتعاش آمال اهلها .

وجاءت برقية من محمد محمود رئيس الدستوريين وتبعتها برقيات عديدة من بعض الشخصيات والهيئات المصرية الاخرى — عدا الوفد وحكومته بالاستنكار واتخذت

وفد اللجنة العربية العليا لبغداد والرياض

من اليمين للشمال عزت دروزه والشيخ كامل القصاب وعوني عبدالهادي ومعين الماضي

فـــوزي القاوقجي

حركة الاستنكار والابراق المصرية للجنة العربية تتسع حتى شملت كثيراً من المنظمات والهيئات والشخصيات حتى الأزهر . ومن جملتها برقية من محمود البسيوني احد اعلام الوفد بصفته رئيس الرابطة العربية . وعقد شباب الحزب الوطني إجتماعاً كبيراً للاحتجاج والاستنكار واهابوا بالشعب المصري والحكومة المصرية ان يقفوا من قضية فلسطين موقف العراق حكومة وشعباً . وكتب الكتاب مقالات عديدة وقوية ووجه سؤال للنحاس عن موقف حكومته فألقى بياناً فيه تحفظ ولكن فيه كذلك شيء من ترديد ما ظهر من إهتمام المصريين للقضية ، واجتمع بالسفير البريطاني وحدثه في الامر ايضاً ، ونشر حديث له مع سياسي عربي جاء فيه إياك ان تظن انك اكثر اهتماماً مني او اكثر عطفاً واني ما ازال اواصل البحث مع ممثلي الحكومة البريطانية مدافعاً عن وجهة نظر العرب ومؤيداً لها ومتى انتهت المباحثات فلن اتأخر عن اعلان نتيجتها وارجو ان يكون ذلك قريبا وحينئذ يدرك الجميع اننا لم نقصر في تأييد الشعب الشقيق . وقد ذكرنا كل هذا لنؤرخ به اهتمام مصر لقضية فلسطين لأول مرة اهتماماً واسعاً تعدى الأفراد .

وجاء جواب من الامام يحيى يستنكر فيه التقسيم ويطلب من اللجنة الثبات والمثابرة ، وجاء جواب من ابن السعود قال فيه انه لم يدخر ولن يدخر جهداً في مساعدة أهل فلسطين وحفظ حقوقهم ! وقد استقبل الناس الجواب بفتور وحيرة لأنهم كانوا ينتظرون ان يكون جوابه اكثر قوة وحيوية ولا سيما انه كان اكثر الحاحا وتوكيداً لصداقة الانكليز ووفائهم والاركان اليهم . ولقد سئل ابنه الامير سعود في لندن عن رأيه في الموقف فأجاب أحد حاشيته ان الامير لا يرى من المجاملة ان يقول شيئاً في سياسة حكومة هو في ضيافتها . غير ان هذا الفتور لم يلبث ان تبدل فأدلى الامير بتصريح في باريس استنكر فيه التقسيم وقال ان انشاء دولة يهودية ضار بمصالح العرب جميعهم ، وأخذت تقوم في مدن الحجاز الطائف ومكة والمدينة وجده وينبع المظاهرات والاضراب وترد البرقيات بالاستنكار ثم سرى ذلك الى المدن النجدية ايضاً ، وكتب علماء نجد رسالة الى الملك بمثابة فتوى دينية جاء فيها : ان جعل ولاية لليهود في بلاد الاسلام أمر باطل ومحرم لانه يعود على الاسلام واهله والحرمين الشريفين والبلاد المقدسة بأكبر الخطر واعظم الضرر ،

وكل من لديه غيرة دينية وحمية وطنية عربية يأنف من ذلك ويأباه وطلبوا من الملك باعتباره إمام المسلمين أن يقوم بصد هذا الخطر وهم بصفتهم علماء الشريعة لا يجيزون التقسيم ولا يقرونه .

وأدلى جميل مردم رئيس الوزارة السورية بحديث قوي قال فيه إن موقف سوريا لا يختلف عن بقية البلدان العربية وإنها لا ترضى بالتقسيم ولا باخراج أي جزء مهما صغر من حظيرة العروبة ولن تتوانى عن القيام بما يجب للحيلولة دون المشروع وإن على الشعب الفلسطيني أن لا ييأس ووراءه سبعون مليون عربي وأربعة اضعافهم مسلمون . وقد قدم باسم حكومته مذكرة وافية باستنكار التقسيم وتنفيذه ووجوب استقلال فلسطين وسيادتها العربية . وكتبت الصحف اللبنانية والسورية المقالات الاستنكارية المفندة وأرسلت هيئآت سوريا ولبنان وشخصياتها البارزة برقيات الاحتجاج والتأييد للجنة العربية ، وأعلن اضراب عام في جميع المدن السورية وشاركت بعض المدن اللبنانية في الاضراب في اليوم المعين ودعا المجلس الاسلامي القومي في بيروت الى اجتماع عام قرر فيه استنكار التقسيم ورفضه وتأييد اللجنة العربية العليا في موقفها .

وقد اضربت عمان وتظاهرت وارسلت من شرق الاردن برقيات استنكارية عديدة الى اللجنة العربية العليا ومؤيدة لها ، وأذاعت لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان بيانا قوياً حملت فيه على الاستعمار واذنابه واساليبه واستنكار له وللتقسيم وما فيه من اخطار وأضرار ، وذيّل بميثاق نص على وجوب مكافحة الصهيونية واعتبار كل شخص أو هيأة او دولة او حكومة تقبل بالتقسيم او تحبذه عدواً للأمة العربية .

ووردت برقيات كثيرة من المغرب العربي بالاستنكار كما ان مسلمي الهند عقدوا الاجتماعات العديدة وارسلوا برقيات الاستنكار وقالوا إن التقسيم مؤامرة انكليزية للسيطرة على فلسطين والاماكن المقدسة وتهويدها وبعثوا بوفودهم الى حاكم الهند العام لينقل شعور السخط والغضب عنهم الى حكومة لندن .

وهكذا فان تقرير التقسيم وإنشاء دولة يهودية في فلسطين قد هز العالم العربي هزة شديدة فجمعه حكومات وشعوباً على الاستنكار والاحتجاج وأشعره بخطورة قضية فلسطين كما انه أثر تأثيراً سيئاً في مسلمي الهند الذين يزيدون على العرب عدداً .

والحق إن ما كان من اضراب فلسطين الطويل وما رافقه من حركات ثورية قوية وعجيبة امتزجت فيها دماء العرب على اختلاف اقطارهم ، وما كان من تدخل ملوك العرب كان بمثابة مرحلة جديدة في الحركة العربية العامة من حيث أنه أظهر وحدة الشعور والتجاوب بين اقطار العرب المختلفة واتساع الوعي القومي فيها . وجاء قرار التقسيم وانشاء دولة يهودية بين الاقطار العربية كخنجر مسدد اليها جميعها وسيلة جديدة لظهور تلك الوحدة وتقويتها ، حتى لقد صار بعضنا يشبه فلسطين اذ ذاك بالمحرك الكهربائي للأقطار العربية والمكثف لكهربائها ويرى ان قضيتها ستكون جامعة للعرب كما كانت في الحروب الصليبية .

وقد كانت هذه الاستنكارات والتأييدات من فلسطين ومختلف الاقطار العربية باعثاً لتفكير بعض الوطنيين في اعادة البحث في دعوة حزب الدفاع الى الاتحاد ثانية مع اللجنة العليا ورحبت اللجنة بذلك وجرت مساع واتصالات جديدة في هذا الشأن ولكنها مع الاسف لم تنته الى نتيجة ايجابية .

- ٢ -

موقف اليهود من التقرير

أما اليهود فكان أمرهم عجيباً . فاللجنة الملكية أعطتهم بالتآمر مع الحكومة الانكليزية ما لم يكونوا يحلمون بالحصول عليه في المدة القصيرة التي مرت بهم ، ولا سيما إن مشروعهم الى عام ١٩٣١ كان يجر نفسه جراً وكان أقرب الى الاخفاق لولا حركة هتلر التي انعشته ولكنها مع ذلك لم توصله الى مرحلة تخولهم أن ينالوا نصف ما نالوه أو ربعه ، لأن نسبة عددهم لم ترتفع عن ٣٠ ٪ ونسبة اراضيهم الزراعية لم ترتفع عن ١٦ ٪ في جميع فلسطين ، وكانت ثلاثة أرباع الاراضي الزراعية في الدولة اليهودية ملكا للعرب ونصف عدد سكانها من العرب ، ومع ذلك فلم يبد من الوكالة اليهودية رضاء بل احتجت لأن التقسيم حرمها مما لابد منه كالقدس والنقب ، وأخذت صحافتهم وهيئاتهم تصخب اشد الصخب وتستنكر أشد الاستنكار في فلسطين وخارج فلسطين لان رقعة دولتهم لا تكفي للهجرة والنمو ، واعتبرت الاحزاب المتطرفة ما كان نتيجة للتآمر والخيانة بين وايزمن والوكالة والانكليز وأخذت تنذر بالثورة

ضدهم وضد العرب معاً للحيلولة دون أي سيادة عربية أو انكليزية على أي قسم من فلسطين ...

على ان هربرت صموئيل المندوب السامي الاول لفلسطين وبنتويش النائب العام الأول والدكتور ماغنيس رئيس الجامعة العبرية وقفوا موقفاً آخر ، فالاول حمل على التقسيم ورأى فيه خطراً على اليهود والح بقبول مشروع يقوم على تحديد الهجرة الى فلسطين وارضاء العرب باشتراك اليهود معهم في الحكم والاستيطان في شرق الاردن ، وانتقد الثاني تواصي اللجنة وقال إن التقسيم لن يضمن الهدوء وانه سيؤدي الى احتكاكات ومنازعات خطيرة في الشرق الاوسط وأن رضاء عرب فلسطين والاقطار العربية أهم لليهود من وعود الانكليز حيث يستطيع هؤلاء بفضل رضاء أولئك جلب مئات الالوف من مضطهديهم ، وطالب بعقد مؤتمر مختلط يبحث في حل مرضٍ آخر ، وقال الثالث ان التقسيم خطر واقترح عقد اتفاق عربي يهودي يقوم على اساس اعتراف العرب بالوطن القومي اليهودي وباعتراف اليهود بحق العرب في الاستقلال والحكم . والراجح أن مرد هذه الاصوات شك أصحابها بقدرة اليهود على الثبات في وجه الغضب العربي في هذه الآونة وخوفهم من انهيار ما تم بناؤه ، فأرادوا ان يضمنوا قيام كيان الوطن القومي وانفتاح باب شرق الاردن وغيره امام اليهود برضاء العرب الى ان يشتد ساعدهم ويقوى بنيانهم .

ومهما يكن من أمر فان هذه الاصوات لم تكن لتؤثر في موقف اليهود العام بعد ان رأوا أن آمالهم ومطامعهم بنشوء الدولة قد كادت تتحقق مهما كان اعتراضهم على الرقعة .

ولقد نشرت الصحف تصريحات مهمة لوايزمن يفهم منها ان اللجنة الملكية فاتحته في حل التقسيم وانه ذهب الى لندن ثم عاد واجتمع بعضو من اعضاء اللجنة في مستعمرة نهلال وتحدثا في التقسيم ، وان العضو قال له ان التوصية التي سيضعونها لا تستوي مع المطالب الحقة التي يطلبها الشعب اليهودي ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود ، وانما هي بمثابة نقطة تحول وانتقال من دور الى دور وفيها من الاسباب ما يتمكن بها اليهود من التوسع العظيم في المستقبل ، وانه لم يقيد نفسه سلباً ولا ايجاباً ، وكل ما كان منه ان أعرب عن موقفه من هذه الخطة الى

اللجنة التنفيذية الصهيونية فتلقيت منه بالقبول . وهذه التصريحات تدل على ان اللجنة الملكية كانت تعمل بروح ملؤها التحيز ولم تكن تتوخى إلاّ ارضاء اليهود وتحقيق احلامهم ، وتعتبر التقسيم مرحلة من مراحلهم . وسفر وايزمان الى لندن وعودته في اثناء ذلك يدل على ان الحكومة الانكليزية كانت على صلة بمشروع التقسيم مع اللجنة الملكية ومع وايزمان قبل ان تضع هذه اللجنة تقريرها ، وكل هذا متساوق مع روح الخطة الانكليزية واساليب تنفيذها كل التساوق. وقد لمست اللجنة العربية هذا فأبرقت محتجة الى لندن والى لجنة الانتدابات التي كانت في حالة الانعقاد حينما نشرت هذه التصريحات .

- ٣ -

مكيدة بيانه مكماهون

ولقد كانت الاحتجاجات والاستنكارات والتفنيدات العربية تستند في جملة ما تستند اليه الى عهود الملك حسين وتتهم الانكليز بالنكث فيها . فأراد الانكليز أن يردوا على هذا في هذه المرحلة رداً حاسماً فاستكتبوا مكماهون الذي كان المكلف بمراسلة الملك حسين كتاباً نشرته التايمس جاء فيه : « إني اشعر بوجوب التصريح واصرح نهائياً وبكل شدة بأنه لم يكن في النية عند تأدية ذلك التعهد للملك حسين إدخال فلسطين في منطقة الاستقلال الذي وعد به العرب وكنت مقتنعاً كل الاقتناع وقتئذ بأن الملك حسين كان فاهماً تماماً بأن فلسطين غير داخلة في ذلك التعهد » ولم يكن لهذا من جدوى فيما قصد اليه الانكليز الاّ ابراز صورة من صور كيدهم وغدرهم إبرازاً قوياً . وفيه كذلك صورة قوية لما يصل اليه الاسفاف الانكليزي من المكابرة والتحكم . فانه لم يكن هناك اذ ذاك منطقة تامة تعرف في الجغرافية الحديثة بفلسطين ؛ وكانت ثلاثة الوية او متصرفات ، وهي القدس ونابلس وعكا . واللواء ان الاخيران كانا ضمن ولاية بيروت التي كانت تضم ايضاً مناطق صور وصيدا ومرجعيون وطراباس الشام واللاذقية . ولواء القدس كان بمثابة ولاية تابعاً للاستانة كالولايات . وهذا هو الذي كان يعرفه الملك حسين وحسب . ونصوص المراسلات لم تستثن فلسطين ولم تشر اليها لا تلميحاً ولا تصريحاً . ولم تكن الاستثناآت الجغرافية التي جرى حولها الأخذ والرد

إلا المنطقة الواقعة غربي اقضية الشام وحماه وحمص وحلب وهي المنطقة اللبنانية الساحلية التي كان لفرنسا فيها بعض المزاعم والمطامع وحسب .

ولقد كانت بغداد والبصرة والعراق موضوع اخذ ورد في تلك المراسلات ولو كانت فلسطين كذلك لما اغفلت الاشارة اليها من قريب او بعيد ولأثيرت كما اثيرت مسألة العراق . ولقد ظل الملك حسين يطالب بحق فلسطين بعد ان وضعت الحرب اوزارها ويؤكد شمول العهود لها ويأبى التسليم بالانتداب الانكليزي ووعد بلفور مما كان نتيجته تخلي بريطانية عنه وفقده عرشه وتشرده ؛ فلو كان فاهما ان فلسطين خارجة عن العهود كما قال مكماهون لما وقف هذا الموقف الصلب الذي اطاح به . ولا يمكن ان يتصور عاقل ان الملك حسين كان يمكن ان يرضى بأن يكون ثالث الحرمين وقبلة المسلمين الأولى ومسرى النبي والبقاع المباركة حوله بنص القرآن خارجة عن الاستقلال المطالب به بينما كان متشدداً بالساحل الذي كان يقطنه كثرة مسيحية . وقد تكون نية الطمع والغدر في امر فلسطين متوافرة في الانكليز عند المراسلات وقبلها وبعدها ولكنهم ما كانوا ليجرأوا على مفاتحة الحسين باستثنائها او تهويدها ومركزها هذا المركز المقدس في نظره ونظر كافة المسلمين .

ولقد اثارت رسالة مكماهون عبد الله بن الحسين وارث قضية ابيه وشاهد مراسلاته حيث رأى فيها مغالطة جريئة فأخذ يصرح مفنداً ما احتوته الرسالة استناداً الى ما لديه من وثائق ولافتا نظر الحكومة البريطانية الى ذلك ، ثم ارسل اليها مذكرة قوية مبرهنة على ان فلسطين لم تستثن قط ولم يكن هذا الاستثناء مما يرد على بال وان جلالة والده كان فاهما منذ الأصل فيها يقيناً بأن العهود تشمل فلسطين ، ثم طلب تصحيح الموقف ؛ غير ان الحكومة المذكورة لم تبال لأنها هي التي ظلت تحرص دائما على إنكار شمول العهد على ما ذكرناه في مناسبات سابقة . ولقد أرسل الأمير (الملك) الى اللجنة العربية العليا صورة عن المذكرة فرجته ان ينشر الوثائق التي لديه ، ولكنه اكتفى بنشر المذكرة . على انه سمح لمندوب شركة الأخبار الألمانية على ما ذكرته جريدة فلسطين بالاطلاع على مراسلات الحسين — مكماهون وأن المندوب أورد خلاصة وجيزة عنها وقال انه يظهر من المستندات ان تصريحات مكماهون الأخيرة داحضة (١) .

---

(١) في اثناء مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ اثير هذا الامر وعرض على لجنة تحكيم قانونية فكان تقريرها مؤيداً لوجهة نظر العرب . وقد أوردنا النص في مناسبته الآتية .

الحكومة الانكليزية وتنفيذ التقسيم

ولقد حاولت الحكومة الانكليزية ان تأخذ موافقة البرلمان على سياستها ودارت مناقشات حول ذلك في المجلسين بين مفند وعاطف على اليهود وعاطف العرب وداع الى ايجاد طريقة حل اخرى غير التقسيم الذي ينطوي فيه تهديد السلام باستمرار، ثم انتهت المناقشة بقرار اقترحه شرشل مفاده ان المجلس لا يتقيد الان بشيء وان على الحكومة ان تذهب الى جنيف (جمعية الامم) فإذا حصلت على موافقتها درست متنوع الامكانيات والوجوه الفنية وقدمت للبرلمان مشروعاً كاملا .

التقسيم امام عصبة الامم في جنيف

وكان موعد انعقاد لجنة الانتدابات في جنيف قد أزف فذهب وفد الحكومة برآسة وزير المستعمرات حيث طال جدل عنيف ونقاش حاد دام نحو اربعة اسابيع — من اواخر تموز الى اواخر آب ٩٣٧ — . وقد شرح الوفد القضية والاسباب التي اضطرت حكومته الى تبني التقسيم وطلب الموافقة على الفكرة حتى تعد الحكومة مشروعاً كاملا . وقد ضيق كثير من أعضاء اللجنة الخناق على الوفد الانكليزي ، منهم من كان يرى ان تقصير الحكومة الانكليزية هو الذي ادى الى الازمة ومنهم من كان يرى التقسيم شذوذا عن ميثاق العصبة وروح الانتداب وخطراً على السلم ومنهم من ايد العرب ومنهم من ايد اليهود ومنهم من اخذ يطلب ايضاحات وافية عن الاضطرابات وأسبابها المباشرة وغير المباشرة ، ولم توافق اللجنة على درس تقرير اللجنة الملكية مما عد إخفاقاً للوفد. ولقد سألت لجنه الانتدابات عما اذا كانت الحكومة الانكليزية مستعدة لقبول حل تراه هي او مجلس العصبة بدلاً من التقسيم فأجاب وزير المستعمرات بان اللجنة الملكية مقتنعة بعدم امكان حل غير التقسيم لانها درست كل الحلول وانتهت الى الاعتقاد بان كل حـــل سيصطدم بمعارضة العرب لتصلبهم الشديد ثم قال وعلى كل حـال ان انكلترة ترى نهائيا ان لا ينبغي لهـا ان تحتفظ بالانتداب لانه اصبح غير ممكن ولا بوسائل الشدة والعنف وان التقسيم هـو الحل الوحيد الذي يمكن ان يوطد السلام لانه يفصل بين العنصرين اللذين اذا بقيا في امتزاج واختلاط استمر بينهما النزاع والقتال ، ولا سيما ان الخطة احتوت مبادلة السكان

والاراضي وشراء اليهود ما يبقى للعرب النازحين عن دولتهم . ثم عاد فقال في جلسة اخرى ان عصبة الامم اذا اصرت على بقاء الانتداب فان انكلترة ترفض تنفيذه الا اذا عدل تعديلا جوهريا وهذا يثير مشاكل لا شك في ان العصبة تتجنب مواجهتها مما حمل على قصد احراج اللجنة واضطرارها الى تبني التقسيم ، ومما يدل على ان الانكليز بعدان رأوا ان سياستهم قد وصلت الى غايتها قرروا التمسك بهذه الغاية. وانتهت المناقشة بوضع تقرير الى مجلس العصبة اشير فيه الى نمو روح القومية العربية في فلسطين ولا سيما بعد استقلال البلاد العربية الاخرى والى ان العرب يفضلون الاستقلال ويرونه اجمل واعلى من الثروة على رغم فوائد استعمار اليهود ، واشير فيه الى ذلك الى تعذر بقاء الانتداب وممارسته بشكله الحاضر والى وجوب ادخال تعديلات جوهرية عليه اذا تعذر التقسيم . ولم تقل اللجنة كلمة حاسمة في التقسيم ولكنها ذكرت ان العرب قد يجنون منه فوائد كثيرة ، وابديت ملاحظة بعدم ملاءمة انشاء دولتين مستقلتين حالا اذا رجح التقسيم كما قيل ان المشروع ليس حلا نهائيا ولكنه يصح ان يكون صالحا للتجربة على ان تسبقه مدة انتقال طويلة . .. وهكذا فعلت لجنة الانتداب كما فعل البرلمان الانكليزي فلم تقيد نفسها بشيء وتركت الامر الى مجلس العصبة ، وبعبارة اخرى ظل مشروع التقسيم معلقا .

موقف الحكومة العراقية ومحلها في جنيف

وقد كان للعراق موقف باهر امام لجنة الانتدابات ، حيث ارسلت الحكومة برقيتين للجنة اكدت فيهما مصلحة العراق الحيوية في الاهتمام لمسألة فلسطين لما يربطها بها من روابط عديدة فضلا عن صلتها بمصالحها الاقتصادية والدفاعية ، وكررت احتجاجها بلهجة حاسمة على التقسيم وقالت ان العراق الذي يعد نفسه مسؤولا نحو الشعب العربي الفلسطيني لا يمكنه ان يقف بدون اكتراث ازاء اي حيف وجور يحل به وان مشروع التقسيم ظلم صارخ لأهل فلسطين العرب الذين هم اصحابها وسكانها منذ اكثر من عشرة قرون وانه في الوقت نفسه لا ينطبق على ميثاق العصبة ولا على روح الانتداب اللذين يعترفان بوحدة البلاد العربية وسلامة حدودها وان التقسيم لا يمكن ان يكون حلاً صحيحاً . وقبول اليهود بأن يكونوا أقلية دائمة هو الذي يمكن ان يؤدي الى استقرار السلام وان تصريح بلفور قد نفذ بروحه ونصه

فلم تعد الهجرة اليهودية شرطاً اساسياً لانشاء المؤسسات اليهودية في فلسطين . . . وقد القى توفيق السويدي مندوب العراق خطاباً قوياً ومستفيضاً أكد فيه ما جاء في برقيات حكومته ، وقال فيما قال انه لا يمكن لعربي ان يوافق على التقسيم لما ينطوي عليه من الاخطار للامة العربية جميعها ، مما كان له اثر عظيم في نفوس عرب فلسطين حيث اشعرهم بالاعتزاز والكرامة كما كان له وقع سيء على اليهود وخاصة من ناحية الاشارة الى ان اهتمام العراق متصل ايضاً بمصلحة الدفاع العراقية .

وقد صرح رئيس لجنة الانتدابات تأثراً بموقف العراق قائلاً : ان للرأي العام العربي اهمية عظيمة في معالجة قضية فلسطين وان الحكومة الانكليزية التي لم تبد اي اعتراض على توسط ملوك العرب في وقف الاضراب والثورة لا يحق لها ان تحتج على تدخل العـــراق او مصر في مشكلة اخوانهم . وتساءل عما اذا كانت بريطانيا تستطيع الوقوف في وجه التيار العـــربي الجارف الذي يطالب باستقلال فلسطين

حول اتهام الانكليز العرب بالعناد والتصلب في جنيف

ومما أثـــير في لجنة الانتدابات تقصير الحكومة الانكليزية في ايجاد تفاهم بين العرب واليهود ينبثق عنه حل يرضون به ويقوم على روح الميثاق والانتداب ، وقد اجاب الوفد الانكليزي ان حكومته بذلت كل جهودها فلم تصل الى نتيجة بسبب عناد العرب وتصلبهم . وكان في جنيف وفـــد عربي قوامه الامير عادل ارسلان وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني وعزة طنوس فأرسل بياناً الى لجنة الانتدابات كذب فيه اقوال الوفـــد الانكليزي وتحداه لاثبات عرض اي حل معقول على العرب ، واكد كل التأكيد بأن الحكومة الانكليزية لو بذلت جهداً صادقـــاً وعرضت على العرب اقتراحاً معقولا لما صادف رفضاً من جانبهم ولوقي البلاد شر الخراب والدماء ، وانـه اذا كان بعض اليهود يظلون من آن لآخر يبدون رغبتهم في الوصول الى تفاهم مع العرب فان هـذه الرغبة كانت دائماً مصحوبة باقتراحات وشروط يتعذر على العرب قبولها إلا إذا تخلوا عن حقوقهم الوطنية بالمرة ، وان اسطع البراهين على ذلك القرارات المتخذة في كل مؤتمر عقده الصهيونيون حيث كانوا يؤكدون مطامعهم السياسية في السيطرة على فلسطين سياسياً وعسكرياً وانه

إذا كان للشرف اعتبار فانه يقضي على اليهود والانكليز معاً ان يعترفوا بهذه الحقيقة، وحتى ان ما يصدر عن بعض اليهود المعتدلين لم يحتو اي دليل على تزحزحهم قيد انملة عن مطامعهم وقصارى ما كانوا يقدمونه كان يقوم على طلب اعتراف العرب بتصريح بلفور وحرية الهجرة الى فلسطين والمساواة التامة في الحقوق والمركز بين العرب واليهود على تفاوت النسبة العددية بينهم مما لا يسع اكثر الناس اعتدالا من العرب قبوله . ودعوى الوفد الانكليزي التي فندها الوفد العربي من ناحية عامة بالغة في القحة من ناحية اخرى إذ تجاهل مواقف العرب الايجابية منذ سنة ١٩٢٦ على الأقل الى سنة ١٩٣٥ واظهارهم الاستعداد للترحيب بأي خطوة نحو تحسين الحال وارتياحهم للكتاب الأبيض لسنة ٩٣٠ مع انه ليس فيه إلا وعود ثانوية واستعدادهم للتعاون فيها ، وترحيبهم بالمجلس التشريعي عام ١٩٣٤ بسبيل ذلك . ولكن هذه الحكومة كانت تعد وتقول للتخدير الموقت حتى إذا مرت الأزمة التي اضطرتها إلى القول والوعد او خفت حدتها نكصت على عقبيها غير مبالية بعار النكث والكذب والاخلاف واستمرت في السياسة التي ترسمتها .

حول اثارة الاموال الاجنبية في الثورة الفلسطينية في جنيف

كذلك مما اثير امام لجنة الانتدابات مسألة الاموال الاجنبية واثرها في اضراب العرب وثورتهم . وقد اعيد وابدىء كثيراً في هذا الموضوع حتى تجهم جو اللجنة وقتاً ما ضد العرب . وكانت اصابع اليهود بارزة في إثارتها ولم يصعب عليهم ان يجدوا أنصاراً سخفاء ولؤماء لاثارتها دون ان يدركوا ان اضراب فلسطين وثورتها كلفت أهلها ثلاثة ملايين جنيه على الأقل بينما كان الرقم المزعوم خمسين الفاً . والتهمة متصلة بما قيل ان بعض زعماء سوريا في اوروبا تلقوا بعض المال من الطليان للاستعانة به على الحركات الوطنية في مختلف انحاء بلاد الشام . ومما قالته المندوبة الضالعة مع اليهود والتي اثارت المسألة كيف يمكن لشعب فقير ان يقوم باضراب طويل وحركات حربية ضد انكلتره دون ان يعتمد على اموال اجنبية ، وان الذي تريد ان تعرفه هو الدور الذي لعبته الاموال الأجنبية خلال السنتين اللتين سبقتا الاضطرابات حتى يمكن الحكم على ما إذا كانت هذه الاضطرابات نتيجة لدعاية وأموال أجنبية ام انفجار وطني ، وان سر المأساة الفلسطينية هو في معرفة هذه الحقيقة ؛ ونسيت هذه

المندوبة ان فلسطين منذ سنة ١٩١٧ وهي تقاوم السياسة الانكليزية الصهيونية بالاحتجاج والاستنكار والثورات .

ومع ان الوفد الانكليزي قرر حقيقة الواقع وهي ان الاضطرابات اعتمدت على الاموال المجموعة من فلسطين وذكر ان اعانات كبيرة وردت الى فلسطين من البلاد العربية فانه لم يقل كلمة حاسمة في التهمة واكتفى بالقول ان الالسنة لاكتها كثيراً ولكن من المتعذر التحقيق فيها للوصول الى نتيجة صحيحة (١) . وقد كتبت اللجنة العربية العليا الى لجنة الانتدابات تستنكر هذه التهمة التي يثيرها خصوم العرب وتعلن احتقارها لها وتتحدى الخصوم وغير الخصوم معاً في اثبات اي شيء من ذلك بكل وسيلة تستطيع . وقد لفتت اللجنة نظر لجنة الانتدابات الى مافي التهمة من تشويه لقدسية حركة عرب فلسطين الوطنية وماتحملوه في سبيلها من جسيم التضحيات وما بدا منهم في سبيل ذلك من روح قومية وصبر وجلد لم يسجل التاريخ له مثيلا ، والى اتصال ذلك بعشرات السنين التي قبلها مرت بالكفاح الدائم ضد الظلم والعدوان الصارخين اللذين يراد انزالهما بالعرب واللذين هما الباعث الصادق على حركتهم الاخيرة . وقد كان لهذه البرقية اثر حاسم في اللجنة ردت اكثر اعضائها الى الصواب حينما اطلع الاعضاء عليها . وقد قال الرئيس انها تقرر ان الحركة الوطنية العربية في فلسطين بريئة من كل ارتباط بالأموال الاجنبية وان هذا التصريح متفق مع تصريح مندوب الحكومة الانكليزية بأن هذه الحركة قد قام بها العرب من تلقاء انفسهم وبدافع الخوف من الخطر والروح القومية المتقدة ، وانه لذلك يرجو من زملائه أن يحذفوا من موضوعات البحث والنقاش مسألة تدخل المال الاجنبي في فلسطين وان يعدوا هذه المسألة منتهية وخارجة عن دائرة مناقشات اللجنة ، فقابل الاعضاء كلام الرئيس بالسكوت والموافقة .

---

(١) من جملة ما كان مما سيتصل بهذا الأمر وقد يعد من مقدماته ووسائله من ناحية ما حادثة كتاب الأمير شكيب أرسلان المزور . فقد نشرت جريدة الجامعة الاسلامية عام ١٩٣٤ صورة فوتوغرافية للكتاب بخط مماثل لخط الامير موجهاً الى الحاج أمين الحسيني ذكر فيه جهود الوفد السوري وبعض الشؤون التي يشم منها صلاته بالطليان ومساعدتهم له . وقد أثيرت ضجة شديدة ودعاية واسعة حول هذا الكتاب تولى كبرها فخري النشاشيبي وثبت فيما بعد ان الكتاب مزور بقلم شخص مقدسي . ولم يستبعد الناس ان تزوير الكتاب والضجة التي اثيرت حوله من تشجيع الانكليز او اليهود او الفريقين معاً بشكل ما بقصد اتهام الحركة الوطنية الجديدة التي بدأت بمظاهرات عام ١٩٣٣ وبقصد تسويء سمعة الحاج امين والعناصر الوطنية .

- ٥ -

حول ما كان في المؤتمر اليهودي في زوريخ

وفي اثناء انعقاد لجنة الانتدابات عقد اليهود مؤتمرهم في زوريخ وكان من اهم مؤتمراتهم لأن عليه ان يضع برنامج المرحلة الجديدة التي وصلت اليها حركتهم والتي فيها تحقيق حلمهم ؛ ومن اول يوم بدا المؤتمرون ثلاث فرق : فرقة متوسطة يرأسها وايزمان واخرى متشددة يرأسها اوسيشكن الذي اختير لرآسة المؤتمر . وقد القى الاول خطاباً دعا فيه الى التزام الحكمة وعدم التسرع في رفض التقسيم الذي فيه تحقيق حلم الصهيونية العظيم . اما الثاني فقد اعلن رفض التقسيم رفضاً باتاً لأنه لا يحقق آمال اليهود في جميع وطنهم التاريخي وقد حمل وايزمان على هربرت صموئيل لمعارضته للتقسيم واقتراحه تحديد الهجرة لأن اليهود لا يمكنهم في حال ان يرضوا بالبقاء اقلية في فلسطين وتحت سيطرة الاكثرية العربية . وقال فيما قال ان المفتي والقاوقجي لا يمثلان جميع العرب وانه يمد يده الى الامة العربية ذات التقاليد المجيدة. وإذا هي مدت يدها فلا يستطيع المفتي ولا القاوقجي ان يمنعا السلام بين العرب واليهود وانه كما يعترف بأماني العرب الوطنية الاستقلالية فانه يترتب عليهم الاعتراف بحق اليهود في العودة الى فلسطين كوطن قومي لهم وانهم إذا اعترفوا بذلك وجدنا اللغة التي نتفاهم بها معهم ونحن على تمام الاهبة لمفاوضة زعمائهم على هذا الأساس ، وان التقسيم في شكله المعروض غير مقبول وانما يصبح صالحاً إذا وسع بحيث يستوعب مليوني يهودي . وانضم بن غوريون رئيس منظمة العمال إلى وايزمن من حيث قبول التقسيم وفائدته على شرط توسيع الحدود. وصار الرجحان واضحاً لفريق وايزمن واصبح فريق اوسيشكن والمتطرفين مرجوحين . أما الفريق الثالث فقد كان يقوده الدكتور ماغنيس ويندمج فيه بعض يهود اميركا غير الصهيونيين ، وكان يرى في الدولة اليهودية خطراً على يهود فلسطين والعالم ويدعو إلى حل آخر يقوم على التفاهم مع العرب والمشاركة معهم في الحكم على اساس المساواة العددية والسياسية . وقد كان هذا الفريق اقلية ضئيلة بالنسبة للفريقين الآخرين . ومع ان المتطرفين كانوا اقلية تجاه فريق وايزمان فقد كانوا أقوياء عنيفين حتى صار اليهود يتشاءمون من الانقسام ، وقد اقسم رئيسهم امام المؤتمر ان يقاوم بكل قواه

فكرة السماح للجنة الصهيونية الجديدة بمفاوضة الحكومة الانكليزية على تقسيم فلسطين وانه لن يتنازل عن شبر واحد من الأراضي التي هي ملك اليهود بشهادة التاريخ ! وخطب زعيم الحزب المزراحي وهو من المتطرفين خطبة عنيفة ضد التقسيم ومما قاله: اننا لا نستطيع التخلي عن أي جزء من فلسطين لان ذلك يقضي على آمال الشعب المضطهد والمهدد بالطرد في كل مكان ، وناشد اليهود بأن يستعدوا للكفاح . ولم يكن جابوتنسكي في المؤتمر ، ولكنه نشط نشاطاً كبيراً في زوريخ حتى قوي الحزب المتطرف في المؤتمر وكان يخطب في آلاف اليهود ويحمل على مشروع التقسيم ويصم بالخيانة كل من يقبله ويقول ان القوة وحدها هي التي تحل القضية الفلسطينية، وان على اليهود ان ينشئوا هذه القوة فوراً ويستولوا بها على فلسطين وشرق الاردن ويقيموا فيهما مملكتهم ، ولقد اشتد النضال بين الفريقين حتى تبادلا العبارات القارصة ، وكان في بعضها طرافة حيث اطلق وايزمن على اوسيشكن لقب المفتي فما كان من هذا إلا ان اطلق على وايزمان لقب الأمير ! ثم بذلت المساعي للتوفيق وانتهى المؤتمر الى قرار وسط في التقسيم وهو رفض المشروع المعروض وتخويل اللجنة التنفيذية المفاوضة في توسيعه وعرض النتيجة على مؤتمر خاص . وقد سجل المؤتمر فيما سجل من قرارات اعتراف اللجنة الملكية بأن اولى غايات الانتداب المساعدة على انشاء الوطن القومي اليهودي وبأن وعد بلفور لا يمنع من ضم جميع الاماكن التي لها علاقة تاريخية باليهود بما فيها شرق الاردن الى هذا الوطن القومي ، مما ينطوي فيه مقدار ما ذهبت اليه هذه اللجنة من محاباة ومجاراة لمطامع اليهود استناداً على ما قيدت الحكومة الانكليزية نفسها به منذ الاصل . واستنكر في أحد قراراته ادعاء اللجنة عدم التوافق بين الاماني الوطنية للشعب اليهودي والشعب العربي وقال ان الصعوبة الكبرى التي تقوم في سبيل ذلك هي الارتياب من المقاصد النهائية للحكومة المنتدبة وما سارت عليه من خطة التردد والتذبذب ، وان المؤتمر يؤكد تصريحات المؤتمرات السابقة في رغبة الشعب اليهودي في الوصول الى اتفاق سلمي مع العرب يقوم على اساس حرية النمو والتقدم للعنصرين والاعتراف المتبادل بحقوقهما . ومما يجدر تسجيله ان وايزمان زار جنيف واجتمع بوزير المستعمرات وقال له إذا لم يدخل في حدود الدولة اليهودية القسم اليهودي من مدينة القدس وقسم كبير من أراضي بيسان وقسم كبير آخر من النقب فان من المتعذر

ان يوافق المؤتمر القادم على مشروع التقسيم .

ويلاحظ بصورة واضحة ان ما دار في المؤتمر حول التفاهم والاتفاق مع العرب كان بمثابة اللغو والزخرف الخداع ، واني مصدقاً لما ظل العرب يقولونه وهو ان اليهود الذين يسمون أنفسهم بمعتدلين إذ يعرضون على العرب التفاهم ويعلنون مد اليد اليهم انما يفعلون ذلك من قبيل الدعاية الزائفة التي يقصد بها التضليل وكسب الوقت وضمن نطاق وشروط لا يتزحزحون عنها قيد انملة وهي اعتراف العـــرب بالوطن القومي اليهودي وحرية الهجرة اليهودية دون قيد وشرط ، ومقابل ذلك يرضى اليهود بالمساواة السياسية في الحقوق السياسية ولو صاروا اكثرية ! . ومنهم من يرضى بأن يكون مساواة عددية بين العـــرب واليهود وهم فريق الدكتور مغنس . . . ولقد جاء قرار المؤتمر الذي ضم جميع الفرقاء بتسجيل اعتراف اللجنة الملكية بعدم امتناع شمول الوطن القومي اليهودي جميع الاراضي المتصلة بتاريخ اليهود بما فيها شرق الاردن حاسماً بشأن مطامعهم وما يكررونه من هذه الالفاظ الجوفاء التي لا تخدع ابله الناس !

ولقد انتقل النضال بين من يسمون معتدلين ومتطرفين الى مجلس الوكالة بعد المؤتمر. وقد طالب مغنس ورفقاؤه بانشاء لجنة من الصهيونيين وغير الصهيونيين لمفاوضة العرب والانكليز والاميركان وعصبة الامم ووضع سياسة تؤدي إلى انشاء مملكة مشتركة في فلسطين والاستغناء بها عن التقسيم . وقال واربورغ احد زعماء اليهود غير الصهيونيين باسم اربعة وأربعين مندوباً غير صهيوني ان مجلس الوكالة إذا لم يرفض مبدأ التقسيم فان الاميركيين غير الصهيونيين يتركون الوكالة . وقال وايزمن ان العرب لا يمكن ان يوافقوا على سياسة تفاهمية إلا على اساس بقاء اليهود اقلية دائمة ، وانه ليس في الامكان العمل المشترك بين الصهيونيين وغـــير الصهيونيين إذا أراد هؤلاء قبول ذلك الاساس ، ثم عرض على المجلس قرار المؤتمر بقبول التقسيم بشرط توسيعه فنال الاكثرية . وحينئذ انسحب مغنس وعشرة آخرون من الجلسة .

فخشي الصهيونيون من سريان المقاطعة الى جميع غير الصهيونيين وكثير منهم أميركيون ، وحرمان الحركة الصهيونية من مورد مالي غزير فرأوا أن يترضوهم فوافقوا على قرار بتأييد التصريحات السابقة بالتفاهم مع العرب لبقاء فلسطين موحدة

على أساس وعد بلفور والانتداب ، فهدأ هذا القرار – على عدم جدوه وتناقضه مع قرار الموافقة على التقسيم – التوتر أدى إلى بقاء جماعة كبيرة من غير الصهيونيين في مجلس الوكالة وتأليف اللجنة التنفيذية من سبعة من الصهيونيين وخمسة من غير الصهيونيين .

ونستطرد الى القول أن غير الصهيونيين الذين كانوا يعارضون قيام دولة يهودية في فلسطين ويطالبون ببقائها موحدة على أساس حكم ثنائي عربي يهودي انما كانوا يفعلون هذا لسبب ما كانوا يلمحونه من خطر قيام دولة يهودية مستقلة على يهود العالم ، حيث يزيد هذا في نزعة عدم اخلاص اليهود الأمم والدول التي هم فيها وعدم إندماجهم معها مما ظل يثير حقد العالم على اليهود وكرههم واضطهادهم لهم ، ويكون سبباً جديداً لاشتداد ضغط الامم والدول عليهم وحملهم على الرحيل عنها الى دولتهم ووطنهم .

– ٦ –

الحملة على المفتي والمتطرفين في الصحف اليهودية والانكليزية وصداها

وبعد نشر تقرير اللجنة الملكية باسبوعين – وكان قد قوبل بتلك المقابلة الاستنكارية الاجماعية في فلسطين وسائر البلاد العربية والاسلامية بدأت التيمس حملتها على المفتي قائلة إنه العقبة الكؤود في سبيل كل تفاهم وحل ، وإنه لولا الخوف منه لظهر كثير من المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم وطلب من الحكومة عدم تركه وشأنه ، وأخذت تحرض عليه وعلى الفريق المتصلب العنيد معه ، وتطلب عزله ، وتابعها في حملتها الصحف اليهودية وبعض الصحف الانكليزية . وقد اغتنم بعض يهود فلسطين هذه الحملات فأخذوا يتصلون ببعض رجال فلسطين ولا سيما الذين يعرف عنهم الاعتدال او مناوأة المفتي ، وينعون على زعماء العرب صلابتهم وعدم مرونتهم ، ويبدون استعدادهم للتفاهم على حل مناسب حتى أثر هذا في أولئك الرجال بالرغم مما كان يتردد من اصداء قرارات مؤتمر زوريخ الصريحة الحاسمة عن مطامع اليهود وعنجهيتهم وشروطهم فصاروا يقولون ان السلبية قد اضرت بنا أبلغ الضرر ، ناسين المواقف الايجابية العديدة التي وقفها الوطنيون بسبيل الوصول الى شيء ما ، وكتبت جريدة فلسطين مقالاً دعت العرب فيه الى التقدم بحل جديد

للقضية لأن ما جاء في المذكرات شيء عام ومعتاد ، وقالت إنه قد حان للزعماء أن ينهجوا منهجاً جديداً في السياسة يصلح للأخذ والرد مع معرفة هذه الجريدة اكثر من غيرها مطامع اليهود وقصارى ما يمكن أن يذهب اليه معتدلوهم . ولقد عقدت بعض الاجتماعات مع المفتي وغيره تأثراً بهذا التوجيه وجرى الحديث فيما يمكن عمله في هذا الباب لتفادي كارثة التقسيم ، ولدى التمحيص ظهر ان بعض اليهود الذين اتصلوا ببعض العرب لا يمثلون قوة ما وأن البعض الآخر يرون اعتراف العرب بالوطن القومي ورضاءهم عن استمرار الهجرة يجب أن يكونا من أسس المفاوضات. وهكذا ظهر أن اليهود سواء جميعهم ، وأن اتصالات مـــن اتصل منهم بالعرب كانت بقصد إيقاع البلبلة في صفوف العرب أو أخذ موافقتهم على الوطن القومي وحرية الهجرة .

بوادر العنف الانكليزي ضد اللجنة والمتطرفيه وأثرها في تحريك العرب

ولم تكن حملة التايمس والصحف الأخرى عـــلى المفتي وما يسمونه بالمتطرفين ومطالبتها بتخلية الجو للمعتدلين عبثاً . ففي اليوم التالي لنشر التايمس مقالها الاول أي في ١٧ تموز ١٩٣٧ وبينما كان المفتي وبعض اعضاء اللجنة العليا وبعض الوطنيين في دار اللجنة جاءت قوة كبيرة من البوليس الانكليز بقيادة ضابطين ، وأحدقت بالدار ، ودخل الضابطان ومعهما بعض الانفار فقطعا الاتصال الهاتفي وأخذا يتحريان الموجودين وتفتيش الغرف كأنما يبحثون عن أشخاص معينين ، حتى فعلوا ذلك في الطابق العلوي الذي يسكنه صاحب الدار ، وسألوا عن المفتي الذي غاب عـــن الانظار ، ثم اعتقلوا صبحي الخضرا واخذوه معهم وانصرفوا، وقد لمس الحاضرون أن المفتي كان المقصود فلما لم يجدوه اعتقلوا صبحي الذي هو من الفريق المتطرف. ولقد شعر المفتي على ما فهم بعد بحركة التطويق فخرج من باب خلفي واستقل سيارة غير سيارته وذهب الى الحرم ، ولم يلاحق البوليس المسألة فوقفت عند هذا الحد ، غير أنه أقيم منذئذ حرس إنكليزي على جميـع ابواب المدينة وكان حرس الباب المعروف بباب الاسباط والذي هو قرب الحرم والمدخل للسيارات يتحرى الداخلين والخارجين وخاصة المعممين مما دل على أن السلطة ما زالت تضمر نية اعتقال المفتي وأن كل ما في الامر أنها لا تريد أن تقتحم عليه الحرم وتود اعتقاله خارجه . وقد

بقي المفتي معتصماً بالحرم بعد ذلك نحو شهرين ونيف الى ان خرج من فلسطين .

وقد كان لهذه الحركة رد فعل شديد في فلسطين ، ولا سيما انها جاءت عقب نشر تقرير اللجنة الملكية واعلان الحكومة الانكليزية تبنيها التقسيم ، وانطوى فيها قصد التضييق على الزعماء الاقوياء وتنفيذ التقسيم بالقوة وتخلية الجو للمعتدلين للبروز للميدان ومسايرة الانكليز فيما يقصدونه ، وبعبارة اخرى انها كانت إمارة من إمارات الغدر الانكليزي بعد أن انتعشت آمال العرب بما كان من انتصارهم في اضرابهم وثورتهم وتدخل الملوك تدخلاً خرجت به قضيتهم من نطاقها المحلي الضيق ، فأخذت أصوات الاستنكار ترتفع والنفوس تضطرب والافكار تتجه الى استئناف الجهاد الذي كان توقفه بمثابة هدنة موقوتة ، وأخذ جو فلسطين يتجهم ويربدّ وأعصاب اهلها تتوتر ، وازداد ذلك بما صدر في مؤتمر زوريخ من تصريحات خطيرة وانكشف من مطامع يهودية رهيبة وبما كان من اصرار الانكليز على خطة التقسيم في جنيف .

ولقد كانت تقع حوادث دموية منذ وقف الاضراب والثورة بحيث لم يكن يمر اسبوع بدون حادث كأثر من آثار الثورة وما تركته في النفوس من تحفز وعدم طمأنينة ، فاستمرت بعد حادث العدوان على دار اللجنة العربية الذي أحدث ذلك الاستياء الشديد بل زادها هذا الحادث شدة حتى لم تعد نشرة البوليس اليومية تخلو من حادث دموي ما ، وقد أخذ العرب واليهود في أواخر شهر آب يتبادلون النار جهرة بحيث بلغ عدد القتلى والجرحى من الطرفين خلال الاسبوعين الاخيرين منه نحو عشرين ، وكان اليهود يشتدون في المقابلة غيلة ، بحيث كان عدد قتلى وجرحى العرب ضعف قتلاهم وجرحاهم ، وعادت السلطات الى حركة الاعتقال والمطاردة والقمع حتى بلغ عدد المعتقلين في معتقل المزرعة قرب عكا نحو اربعمئة من مختلف الفئات بسبب الحوادث المتوالية التي لم تستطع السلطات كشف فاعليها فكانت تعمد الى المشتبه فيهم فتعتقلهم بقانون الطوارىء مدة ثم تطلق سراحهم أو سراح بعضهم وتعتقل غيرهم وهلم جرا . وكانت تشتد مع العرب اكثر فزاد كل ذلك الجو توتراً وتجهماً حتى أخذت الحالة تنذر بالعاصفة مما كان يلفت نظر المراقبين حتى أخذ بعض المراسلين الاجانب يكتبون ان العرب يستعدون للثورة وان قوادهم يتجمعون في الشام .

وفي هذا الظرف عين الجنرال ويفل الذي غدا هو الآخر من مشاهير قواد الانكليز قائد للقوات الانكليزية في فلسطين وأخذ منذ قدومه يطوف البلاد ويدرس مواقع الثورة السابقة المهمة فكان هذا كله ارهاصاً بالانفجار القريب .

- ٧ -

مؤتمر بلودان وقراراته واثره

ولقد طلبت اللجنة العربية إذناً من السلطات بعقد مؤتمر عربي عام يقول كلمة العرب جهرة ومجتمعة كما فعل اليهود فأبته عليها بحجة خوف التهييج فاتفقت مع لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية على عقد هذا المؤتمر في بلودان — سورية وأرسلت الدعوات الى مختلف الهيئات والشخصيات العربية ، وقد توافدت الوفود من مصر والعراق ولبنان وسورية وشرق الاردن وفلسطين حتى بلغ عدد الوافدين اربعمئة وخمسين وجميعهم من المعروفين ، وبذل نبيه العظمة رئيس لجنة الدفاع نشاطاً عظيما حتى كان المؤتمر رائعاً بمظهره وسيره ، وافتتح في ٨ ايلول ٩٣٧ واختير لرآسته ناجي السويدي احد رؤساء العراق فجاء الاختيار متناسباً مع الموقف القوي الذي وقفه العراق حكومة وشعبا من قضية فلسطين كما اختير لنيابة الرآسة محمد علي علوبه والامير شكيب أرسلان والمطران حريكه ولأمانة السر العام عزة دروزه ، وكانت خطابات الافتتاح براعة إستهلال موفقة ، فرئيس لجنة الدفاع عن سورية يقول : «ان فلسطين للعرب جميعهم وليست لأهلها فقط وهي صلة الوصل بين العرب في آسيه وافريقيه وليس على أهل فلسطين ان ينفردوا بالدفاع عنها او تقرير مصيرها واذا انقطعت او انقطع جزء منها انفرط عقد العرب وباؤوا بالهوان فلا يعقل ان يسلم العرب لأي شعب من الشعوب بالاستيلاء عليها او على جزء منها وعليهم جميعاً ان يكونوا صفاً واحداً في مقاومة نشوء دولة يهودية وتنفيذ فكرة التقسيم وعليهم بذل كل جهد والتوسل بكل وسيلة لدرء الخطر المحدق بالعرب اجمعين . » ورئيس المؤتمر يقول : « اننا لم نجتمع للاتيان بالحجج والبراهين ففيما قدمناه الى الآن ما يفي بذلك ولكن شيئاً واحداً يجب ان نعيره اهتمامنا ونضعه نصب اعيننا وهو ان السياسة الدولية لا تعنى الا بالماديات ولا تحترم الا القوة وانه ليس في وسع أي أمة ان تصل الى حقها اذا لم يكن مؤيداً بالقوة ، وان ما ظهر من الأمة العربية من

حيوية كفيل باحباط ما يراد تنفيذه في فلسطين من مؤامرات وان من واجبها ان تستأصل هـذا الخراج الموجود في جزء من الجسم العربي والا فانه سيهددنا بالاستئصال وان مصالحنا في الماضي جعلتنا مرتبطين ببريطانيه غير ان الوقت قد حان لنفهم العالم عامة والشعب البريطاني خاصة اننا قد وصلنا مع الامبراطورية البريطانية الى مفترق الطرق وان على هذه ان تختار إما نحن واما اليهود لأن الجمع بين الاثنين مستحيل ، واذا اختارتنا فعليها ان تعدل عن هذه المؤامرة السياسية في فلسطين .. » ومحمد علي علوبه يقول: « ان الأمة العربية اذا وجب عليها الدفاع عن فلسطين فأولى اقطارها بهذا الواجب مصر التي يجب ان تكون حكومة وشعبا صفا واحداً في حماية فلسطين وان وجود شعب غريب عنا في هذه البقعة من بلادنا يعتبر « غرغرينا » في جسم وطننا العربي الكبير يجب ان تزال بحيث تبقى فلسطين بيد العرب أبد الآبدين وان على الذين ينظرون الى الأمام ان يفكروا في ان أمة طامعة جديدة ستجاورهم في لبنان وسوريه والعراق ومصر والجزيرة العربية وسيكون عددها سبعة عشر مليونا لا مليوناً واحداً بعددهم وأسلحتهم وأموالهم وسط هذه الأمة الناشئة واني كمصري اقول ان وجود أمة غريبة في فلسطين يهدد كيان مصر الخاص كما يهدد كيان العرب أجمعين » ، واللجنة العربية العليا تقول في كلمتها التي القاها عزة دروزة : ان العروبة والاسلام يواجهان في فلسطين اليهودية العالمية وان قضية فلسطين هي قضية العالمين العربي والاسلامي وانه اصبح من الواجب على كل عربي ومسلم ان يضطلع بنصيب من أعبائها وان القضية لا يعوزها من جانب العرب منطق ولا مستندات وإنما يعوزها العدل والانصاف فاذا لم ينلها العرب فعليهم ان يقاوموا الظلم والباطل بكل ما اوتوا من قوة ، ولقد وصلوا الى مفترق الطرق فاما إستعمار وتهويد وتمزيق واما نجاة وكرامة واستقلال وان اهل فلسطين قد قاموا بشيء من نصيبهم وعلى سائر العرب والمسلمين ان يؤازروهم بكل ما يستطيعون من قوة . . » والدكتور عبد الحميد سعيد يقول : « إنما يرمي الانكليز اليه هو ان تصبح الدولة اليهودية مركزاً إستعماريا يهدد كيان البلاد العربية والاسلامية ليظلوا مسيطرين عليها ، وقد فضحهم الله برغم ما حاولوا ان يخفوه من هذه الغاية ، وان على العرب ان يشعروا اعداءهم ان وقت القول قد نقضى وان العرب والمسلمين جادون وانهم بعد هذا اليوم لن يناموا على الضيم والا

حق عليهم قول القوي العزيز « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا عن الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم الله عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير . . » والطران حريكه يحمل حملة نكراء على الدول المسيحية وخاصة على انكلتره التي تدعو اللصوق بها اكثر من غيرها حيث ترضى بأن تسلم مهد المسيح لأعدائه ويقول : ان من الكذب الفاضح على الحقيقة والتاريخ ان تكون الحروب الصليبية حروباً جهادية في سبيل المسيحية واما كنها المقدسة وانما هي حروب استعمارية ، وان العرب مسلميهم ومسيحييهم سواء امام هذه المؤامرة الاستعماريـة التي تحيكها دولة مسيحيـة اشتركت في تلك الحروب وان عليهم ان يتضامنوا ويقفوا صفا واحداً في دفع الكارثة وحماية هذه البقعة المباركة .

وقد اتخذ المؤتمر قرارات عديدة منها : ان فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي وان العرب يرفضون تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ويقاومون ذلك بكل قواهم وانهم يصرون على طلب إلغاء الانتداب ووعد بلفور وسيادة الشعب العربي الفلسطيني في بلاده ووقف الهجرة وبيوع الاراضي العربية فوراً ، واعلان بريطانية ان استمرار الصداقة بينها وبين الامة العربية متوقف على استجابتها لذلك ، وان إصرارها على سياستها الحاضرة يحمل العرب اجمعين على اتخاذ اتجاهات جديدة كما ان الائتلاف بين العرب واليهود لا يمكن أن يتم الا على هذه الاسس مع حفظ حقوقهم في الدولة وفقاً للمبادىء الدستورية العامة . . . ثم توجت القرارات بميثاق أقسم عليه المؤتمرون وقوفاً في مظاهرة حماسيه رائعة وهذا نصه « يعاهد المؤتمرون أنفسهم أمام الله والتاريخ والامة العربية والشعوب الاسلامية ان يستمروا في الكفاح والنضال في سبيل فلسطين الى ان يتم انقاذها وتتحقق السيادة العربية عليها »

ولقد تلقى المؤتمر سيلاً من البرقيات التأييدية من مختلف انحاء البلاد العربية بما فيها المغرب العربي حتى ليصح ان يقال إنه كان ممثلاً للعرب أقوى تمثيل . وقد انفرط بنجاح باهر وكان له دوي في مختلف الاوساط الشرقية والغربية كما كان له تأثير قوي منعش في فلسطين بنوع خاص وهم في ما هم فيه من اضطراب وتوتر وتحفز .

قضية فلسطين في جنيف ثانية

وعقب مؤتمر بلودان بأيام اجتمع مجلس عصبة الامم ثم هيأة العصبة في جنيف. وقد ألقى وزير الخارجية ايدن أمام المجلس خطابا كرر فيه ان الحل الوحيد لقضية فلسطين هو التقسيم ، وطلب من المجلس التفويض في وضع الخطط لتفاصيل المشروع على أن ينال موافقة المجلس في النهاية، فقرر المجلس الموافقة على الطلب على أن يظل محتفظا لنفسه بوجهة نظره وبقراره في الموضوع إحتفاظاً تاماً .

وفي اجتماع هيأة العصبة ألقى وزير خارجية مصر واصف غالي خطابا قويا مستفيضاً عن قضية فلسطين دافع فيه عن حقوق العرب وأكد إهتمام مصر الشديد لهذه القضية لما يربطها بفلسطين وأهلها من روابط الجوار والتاريخ واللغة والدين وبين الاجحاف الواقع من الاصرار على انشاء دولة يهودية فيها وعدم إنطباق ذلك على مبادىء الحق والعدل، وقال إن من الظلم أن يتحمل العرب تبعة اضطهاد أوروبا لليهود وتعصبهم ضدهم وطالب بحل مشكلة فلسطين على أساس قيام دولة مستقلة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيه وحفظ حقوق اليهود الموجودين، واستنكر اقامة دولة على أساس الدين من مختلف القوميات والاقطار، ونقض بريطانيه لما قطعت تصرح به من عدم قصدها إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين . وقد تبعه توفيق السويدي وزير خارجية العراق بخطاب قوي ايضا جاء فيه إننا مرتبطون ببريطانيه بروابط عديدة، ولكننا فيما يتعلق بفلسطين لن نتأخر عن إستنكار سياستها وعن التوسل بكل وسيلة إلى الدفاع عن حقوق إخواننا الذين يراد انزال الظلم والاجحاف فيهم بدون مبرر، وتساءل عما إذا كان بين الامم الممثلة في العصبة أمة واحدة لا تتأثر بمثل المعاملة التي يعامل بها شعب فلسطين المهدد في بلاده وقال ان التقسيم مخالف لمبادىء العصبة وان العراق يؤيد البيان الخطير الذي أدلى به مندوب مصر وإن ما يربط العراق بفلسطين يجعله لا يسلم قط بأن تكون ضحية .

وقد كان لموقف مصر والعراق وخاصة مصر التي دخلت العصبة جديداً وقع عظيم في أوساط عصبة الامم والبلاد العربية كما كان له أثر سيء جداً في الاوساط اليهودية وقد خطب كثيرون في العصبة بين مؤيد لوجهة نظر العرب وقرة حقهم

وبين عاطف على اليهود ، وكان ممثلو الافغان وايران وألبانيا وايرلندة وفرنسه ممن خطب في جانب العرب ، وانتهت المناقشة الى قرار موافق في جملته أعرب فيه عن الامل في حل مشكلة فلسطين حلا عادلا يقوم على أساس النظر بعين الاعتبار الى جميع المصالح المشروعة على اوسع وجه ممكن ، ولم يتعرض القرار لنوع الحل ، وقد علق دیفاليرا ممثل ايرلنده على القرار طالبا بالحاح من بريطانيه وغيرها ممن يعود اليهم بحث المشكلة وضع الحل المنشود دون نظر الى ان مشروع التقسيم هو الحل الوحيد . ومع ان القرار عدّ فوزاً نوعيا للقضية العربيـــة الا أنه لم ينسخ قرار مجلس العصبة الذي خوّل بريطانيه بان تقوم بالدراسات الفنية وان تقدم مشروعاً كاملا مع الاحتفاظ بوجهة نظره وقراره . واخذت الحكومة الانكليزية تهيء اسباب تنفيذ ما اخذته على عاتقها من دراسات .

— ٩ —

مقتل حاكم الجليل الانكليزي وهياج الانكليز

وفي تاريخ ٢٦ / ٢٧ ايلول ٩٣٧ اطلقت النار على اندروز الحاكم الانكليزي للواء الجليل في الناصرة فلقي حتفه . وكان هذا ضابط الارتباط لدى اللجنة الملكية من طرف السلطات الفلسطينية وله خبرة واسعة بشؤون فلسطين ولم تكن نواياه حسنة نحو العرب . فاهتاجت السلطات اهتياجا شديداً للحادث وقامت بحركة ارهاب واعتقال واسعة شملت عدداً كبيراً من قضاة الشرع وعلماء الدين ورجال اللجان القومية وشبابها البارزين في مختلف مناطق فلسطين حتى بلغ عدد المعتقلين في بضعة ايام نحو مئتين .

حل اللجنة العربية ونفي اعضائها

وقد استنكرت اللجنة العربية العليا الحادث وفي نفس الوقت احتجت على حركة الارهاب والاعتقال الواسعة كما ان البلاد اخذت تقدم للسلطات احتجاجاتها واستنكاراتها على الحركة ، فما كان من هذه الا ان خطت خطوة ارهابية اخرى فاعلنت عدم شرعية اللجنة العربية العليا واللجان القومية وعزل المفتي من رآسة المجلس الاسلامي الاعلى ورآسة الاوقاف ، واعتقلت كلا من احمد حلمي عبد الباقي والدكتور حسين الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب الغصين من اعضاء اللجنة العليا

وشيد الحاج ابراهيم من زعماء الحركة الوطنية وساقتهم الى بارجة راسية في حيفا حيث ابحرت بهم الى سيشيل منفيين . وأصدرت ببانا قالت فيه ان هؤلاء وغيرهم من المعتقلين خطر على الامن العام وانهم يتحملون المسؤولية الادبية لاعمال الارهاب التي وقعت في الاشهر الماضية وانها لم تعد تطيق صبراً على الحالة . وقد كان جميع اعضاء اللجنة العليا مرشحين للنفي على ما ظهر ، غير انه لم يكن منهم في فلسطين الا الاربعة المعتقلون والمفتي وجمال الحسيني . وقد استطاع جمال ان يختفي ثم يفلت متنكراً الى سورية بعد مدة . اما المفتي فقد ظل معتصما في الحرم فلم تجرأ السلطات على اقتحامه ولكنها شددت الحصار على ابواب المدينة ، وأصدرت قانونا منعت بموجبه بقية اعضاء اللجنة الموجودين في الخارج من دخول فلسطين وهم عزة دروزه وكان في بغداد يعمل على تأليف لجنة دفاع فيها وفقا لقرار مؤتمر بلودان وعوني عبد الهادي والفرد روك وعبد اللطيف صلاح وكانوا في اوروبا . والاولان كانا وفداً في جنيف . وواضح ان ما اقدمت عليه السلطات انما كان وفق خطة مبيتة مرسومة وجزءا من منهج محاربة ما يسمى المتطرفين مما كانت الصحف الانكليزية واليهودية ترهص به منذ صدور تقرير اللجنة الملكية على ما ذكرنا قبل .

اربداد الجو والدعوة الى الجهاد

وقامت حركة احتجاج واسعة على ما وقع ، وأخذت تبدو على الجدران مناشير الاحتجاج والدعوة الى الاضراب واستئناف الجهاد ، وأضربت المدن وقامت المظاهرات التي كان يقع فيها اشتباكات دموية ، واربدّ الجوّ وبدت فيه علائم الانفجار المتوقع من تقطيع الاسلاك والقاء القنابل والمتفجرات وتخريب السكة والطرق ونسف القطارات والجسور وتفجير أنابيب البترول واشعاله واطلاق النار على الدوريات والجواسيس ، وأخذت ترد بعض الامدادات العسكرية من مصر على عجل ، وأعلن القائد العام ممارسته الحكم العسكري ، وأخذت القوى تترصد حدود فلسطين لمنع تسرب السلاح والمجاهدين كما أخذت تفتش عن الذين برزوا في الثورة السابقة من القواد المجاهدين المحليين ، وأخذ الذين نجوا من هؤلاء ومن الذين كانت لهم مواقف نافعة ومؤثرة في الثورة السابقة يختفون ويتطايرون الى سوريا ولبنان والاردن بالطرق المتيسرة ومنهم من استقل الزوارق ومنهم من ركب الدواب حتى لا يحرموا حرية العمل في المرحلة الجهادية الجديدة التي هبت ريحها .

مصادر المفتي في الحرم وافلاته الى لبنان

وقد كان لهذه الحركة وقع شديد في البلاد العربية ، فأخذت اصوات الاحتجاج ترتفع والاجتماعات تعقد والمظاهرات تقوم في العراق وسوريا ولبنان ومصر والاردن ، كما أخذت الحكومات العربية تتصل بالحكومة الانكليزية محتجة ومنذرة بالعواقب . ومنعت السلطات صحف فلسطين من نشر صورة المفتي وبياناته واحتجاجاته واسمه ، وأخذت تشدد في حصاره وتتحرى كل داخل الى الحرم وخارج منه ووضعت يدها على المجلس الاسلامي ودوائر الاوقاف وأموال لجنة المنكوبين ، فرأى المفتي أن الخطر أخذ يقترب منه فدبر تدبيره واستطاع في الاسبوع الاول من تشرين الاول ٩٣٧ أن يخرج من نطاق الحصار الشديد ويركب البحر في مركب شراعي ويصل الى ساحل لبنان قرب صور ، حيث اعلن للسلطات الافرنسية التجاءه الى لبنان فسمحت له بعد شيء من التردد بالاقامة في بيروت ثم في جونية تحت شيء من الرقابة ، ولم تحرمه حريته حرماناً تاماً ، وكان محلاً للرعاية منها فضلاً عما كان له من مجالي التكريم والحفاوة من رجالات لبنان وسوريا مسلمين وغير مسلمين ظلت الى آخر ايام إقامته في لبنان ، على اعتباره رمز فلسطين المجاهدة ، وكان المفتي قد اعد منشوراً وتركه في فلسطين فوزع وعلق على الجدران يوم وصوله الى الساحل اللبناني . وقد دعا فيه الامة الى الثبات والاستمرار في الكفاح ضد الظلم كما انه أدلى بتصريح لمراسل جريدة إفرنسية في فلسطين نشر بعد وصوله الى لبنان قال فيه : إننا لن نتوقف عن الجهاد حتى نفوز باستقلالنا التام وان على بريطانيا أن تحذر العالمين العربي والاسلامي اللذين هما قوة لا يستهان بها ولا تستطيع ان تهزأ بهما . .

موقف حزب الدفاع والمعارضين من هذه الطوارئ الجديدة

وقد اصدر حزب الدفاع بياناً استنكر فيه ما كان من اجراآت ووصفها بأنها « أكثر مما تقتضيه الحالة » واعلن استعداده للقيام بالواجب الوطني بعد فراغ الميدان من اللجنة العربية العليا واللجان القومية .

ولقد كان لانسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية في الشكل والظرف الذي وقع اولا ، وما كان من حملة الصحف الانكليزية واليهودية على المفتي

والمتطرفين وترديدها وجوب خلية الميـــدان منهم حتى يظهر المعتدلون ويملأون الميدان ويصار الى التفاهم معهم ثانياً ، وعدم تناول الحملة الارهابية أحداً مـــن الدفاعيين والمعارضين ومـــن في نطاقهم ثالثاً أثر تجهمي ملموس نحوهم من السواد الاعظم وأثر عطفي وتأييدي شديد للمفتي وأنصاره والوطنيين المتضامنين معه الذين كانوا موضوع الحملة والاضطهاد فكان هذا مما جعل الرأي العام لا يتلقى بيـــان حزب الدفاع تلقياً حسناً أو مجرداً عن الشوائب ، وجعل الحزب لا يقوم بعمل ما تقريباً في الميدان كما وعد .

ولقد كتبت جريدة فلسطين مقالاحاولت فيه تفنيددعوى الاعتدال والتطرف ومزاعم الصحف الانكليزية بأن حزب النشاشيبي هم المعتدلون وان الذين اعتقلتهم وشردتهم السلطات هم المتطرفون ، وقالت انه لا يوجد في العرب في صدد مطالب الامة ومعارضة التقسيم اعتدال وتطرف ، ثم نشرت هذه الجريدة لبعض أركان الحزب تصريحات جاء فيها استنكار للتفريق بين العرب وجعل معتدلين ومتطرفين في قضيتهم ، واشارة الى ان حزب الدفاع قد رفض التقسيم المرة بعد المرة وأيد مطالب الامة ، وتنبيه الى أن التجاء السلطات الى الاجراآت التي تزعم أن الحالة الحاضرة تبررهاهو الذي جعلهم يجنحون الى السكون والسكوت ، وانهم مستعدون للتقدم متى اعيدت الحريات لاصحابها وأطلقت الايدي للعمل ، فلم يكن لهذا وذاك تأثير في إزالة التجهم من نفوس السواد الاعظم الذي كان يرى موقف السكون والسكوت الذي جنحوا اليه غير سليم في وقت كانت البلاد تغلي فيـــه وتموج بالاضطراب والنار والقسوة والارهاب والدماء .

ولقد نشرت جريدة فلسطين برقية من لندن جاء فيها « ان المذكرة التي قدمها حزب الدفاع احدثت دهشة كبيرة لان هذا الحزب كان يظهر استعداده للتفاهم وكان النشاشيبي في اوائل تشرين الاول يفاوض الحكومة لتأليف لجنة عربية تحل محل اللجنة التي حلتها » . ومع ان الحزب كذب الخبر فان الناس ظلوا في ريب من جد التكذيب وشموله وظلوا يعتقدون بصحة ما جاء في البرقية ، وان كل ماهنالك انه لا يكون ذلك بقرار رسمي من الحزب .

ولقد اذيع بيان يحمل اسماء الاعضاء اليهود والاعضاء العرب في بلدية القدس

وهم حسن صدقي الدجاني وسعد الدين الخليلي وانا سطاس حنانيا دعي فيه الى الهدوء ومعاضدة السلطات في حفظ الامن فاخذت الصحف الانكليزية تطبل بهذا البيان وترى فيه امارة من امارات التفاهم والوفاق بين اليهود والعرب المعتدلين كنتيجة لاخلاء الميدان من المتطرفين . ومع ان حسن صدقي نشر بيانا ندّد فيه بتصرف وكيل رئيس البلدية اليهودي في نشره البيان باسم العرب واليهود معاً ووصفه بانه تصرف غير صحيح وانكر توقيع الاعضاء العرب عليه وقال ان الجلسة لم تكن رسمية فان هذا البيان لم يخفف وقع البيان الاول وما احتواه من مغزى بالنسبة للرأي العام الثائر، ولا سيما انه لا يخلو من اعتراف ضمني بحقيقة الحادث، ثم لا سيما ان بعض البارزين في مجال المعارضة كانوا يذيعون من آن لاخر بيانات في الصحف بمثل هذه الدعوة ويؤثر عنهم التثبيط عن الثورة والقول انها ثورة شخصية وحزبية .

وكان فخري النشاشيبي سكرتير حزب الدفاع ومدير مكتبه كثير النشاط في هذا المجال بما كان منه من دعايات وتصريحات ومراسلات واتصالات ونشريات صحفيه ، ثم توج نشاطه بمذكرة قدمها للسلطات في خريف عام ١٩٣٨ اكد فيها ذلك القول بصراحة باسم حزب الدفاع وباسمه ، وكان الى هذا وذاك يقف من الثورة وجوها وسيرها مواقف التحدى والمناوأة .

فكان كل هذا مما جعل ذلك التجهم مستمرا ، وجر معه بعض الاحداث المؤسفة من عدوان على الاموال والانفس حينما اشتدت الثورة مما كان يعزى الى الحزازات الحزبية والشخصية والتي هي من وحي ذلك الجو وآثاره في ما نعتقد . ولا سيما انه لم يقع شيء مثل ذلك في مرحلة الثورة الاولى التي رافقت الاضراب . وقد كان الذين اضطلعوا بتسييرها ومدها هم الذين اضطلعوا بالثورة الثانية ، لان الجميع كان مندمجا في الاولى ولم يكن هذا التميز وهذا الجو وهذه المواقف وتلك التلقينات والتثبيطات والاختصاصات بالمطاردة والاضطهاد ، بل لقد امكن لبعض الدفاعيين والمعارضين بشيء من النشاط والتضحية والجرأة ان يبرزوا في تلك المرحلة ويشغلوا حيزاً فيها ويكون لهم الاسم وحسن الاحدوثة ويصبحوا ذوي كلمة مسموعة ومكانة مرفوعة مجال الزعامة الوطنية والنضالية دون ان يستطيع احد ان يحول بينهم وبين العمل وما كان له من نتائج ..

ونرى من الواجب ان نقول إنّ فيما كان يقال بسبيل التثبيط من ان الثورة شخصية وحزبية وان المفتي وأنصاره أشعلوها إنتقاماً لأنفسهم ومراكزهم الملغاة مجانبة للحق والواقع ، وانكاراً للروح الوطنية والكفاحية وشهدائهـــا وضحاياها وقدسيتها، ثم إنكاراً لواقع آخر وهو ان هذه الروح هي التي الهمت الأمة الاضراب الطويل الباهر والحركة الكفاحية العظيمة دون ان يكون لاي زعيم يد سابقة مدبرة ودون ان يكون سبب او حافز يمت الى حادث شخصي ما . فان اضطراب النفوس وتحفز الناس وغليان الافكار بسبب ما كان يبدو من الانكليز واليهود في فلسطين ولندن وزوريخ من عـــلائم النكث والاستهتار والجشع لم يكد يهدأ منذ انحل الاضراب ، بما كان يوحي بوجوب الاستعداد لاستئناف الكفاح بشدة اكثر مما سبق فضلاً عما كان قائماً في نفوس المجاهدين والوطنيين من ان وقف الاضراب والثورة هو هدنة وان الانكليز لا يمكن الا ان يغدروا وان الجهاد لا بد من ان يستأنف. وقد جرت مساع متنوعة وكانت رحلات مهمة الى هنا وهنا بسبيل هذا الاستعداد قبل اغتيال اندروز بأشهر عديدة . وقد كانت هذه النفسية الكفاحية في العرب مما كان يدفع بعض المتحمسين الى الاحتكاك والحوادث الفردية ضد الانكليز واليهود ومن كانت لهم مواقف سيئة من ضباط بوليس العرب وافرادهم ومن سماسرة العرب وجواسيسهم مما ذكرناه قبل ، وكان آخره اغتيال اندروز الذي اهاج السلطات وحملها على حركة الاعتقال الواسعة وحل اللجنة العليا ونفي من طالته يدهـــا من اعضائها وسد باب الوطن في وجه من لم تطله وعزل المفتي وحل اللجان القومية التي كانت مؤلفة من مختلف الاهواء والاحزاب ، وجعلها بعبارة اخرى تعتبر اكثرية الامة الساحقة التي يمثلها هؤلاء مسئولة وتعلن حربها الارهابي عليها . . . وفي ذلك القول كذلك إنكار لما ألهم التقسيم الفظيع الذي يفرض نشوء دولة يهودية في مساحة ثلاثة ارباع اراضيها الزراعية واملاكها للعرب ونصف سكانها من العرب ويجرد العرب من وطنهم العزيز المجبول بدماء آبائهم والمملوء بذكرياتهم وأمجادهم ومقدساتهم من روح النقمة والسخط على الانكليز الذين اوحوا به وتآمروا عليه عملاً وتبنوه بإصرار بعد ولادته ضاربين بالعرب وملوكهم وحكوماتهم عرض الحائط ، وما يوجبه وحده بقطع النظر عن كل ملابسة أخرى من ثورة لاهبة . ولم يكن شذوذاً في تاريخ الحركات الوطنية ان تمتلىء كأس أمة بتشريد زعمائها وحل لجانها ومطاردة

رجالها فتجعلها تثور ، وقد وقع مثل هذا في شقيقات فلسطين وتعني مصر في الجنوب وسوريه في الشمال فلم يشوه احد قدسية الثورة والدماء بأنها شخصية وحزبية .

ولو تروى القائلون في هذا الامر على ضوء هذه الاعتبارات التي كانت ملموسة والظروف التي كانت قائمة — وكم كنا نتمنى ذلك — وتجاوبوا مع روح النضال التي كانت ترف في سماء فلسطين واندمجوا فيها كما اندمجوا في مرحلة الثورة الاولى وأبدوا او أبدى بعضهم شيئاً من النشاط والجرأة والتضحية حينما غلى مرجل البلاد وماجت بالاضطراب والقسوة والارهاب والنار والدماء بدلاً من التثبيط والتبطيء والانكماش لزال التجهم ولملأوا الفراغ فعلاً وقبضوا على الزمام ولكانت لهم المحمدة والفخار ولكان الخير لقضية الوطن ممتداً الى ما بعد الثورة من أحداث . .

— ١٠ —

انفجار الثورة واتساعها

ولم تلبث حركات الكفاح أن أخذت تشتد يوماً بعد يوم بعد ايلول ، ولم تن السلطات عن المطاردات والاعتقالات فكان ذلك مما يزيد النار لهيباً حتى اصبحت فلسطين في حالة ثورة حقيقية تتسع يوماً بعد يوم وتتسم بالشمول لجميع أنحائها .

ولقد امتدت الى أواخر صيف عام ١٩٣٩ وبتعبير أدق الى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية بأيام . فتكون هذه المرحلة قد امتدت سنتين بقطع النظر عن التسعة أشهر التي مرت بين وقف الاضراب والثورة والمرحلة الثانية والتي كانت فلسطين فيها في حال غير عادية على كل حال بما كان فيها من قلق واضطراب واستعداد وحوادث فردية واعتقالات ومطاردات .

وقد مرت هذه المرحلة بأربعة أدوار يمكن تسمية الاول منها بدور الهياج ، والثاني بدور العصابات المنظمة الاول الذي واجهتها فيه الصعوبات ، والثالث بدور تغلب العصابات على الصعوبات وسير الثورة الى ذروتها وسلطانها وبلوغها ، والرابع بدور التعب والمصاعب والدس والمناورات

ادوار الثورة الاولى ومظاهرها ومصاعبها

. وقد امتد الدور الاول بضعة اسابيع كانت البلاد فيه مضطربة متوترة .

الاعصاب تقوم فيها المظاهرات وتقع الاشتباكات وتقطع الاسلاك وتخرب الطرق وتطلق النيران على السيارات وتقذف المتفجرات ، وكل ذلك في نطاق ضيق .

أما الدور الثاني فقد امتد نحو ثلاثة اشهر ، أخذت أحداث الدور الأول تشتد فيه من جهة والعصابات المسلحة تظهر هنا وهناك من جهة اخرى . وكانت ساحة نشاطها محصورة تقريباً في لواء نابلس الذى سماه الانكليز بمثلث الرعب لتمركز وقوة الثورة الاولى وخاصة بعد قدوم القاووقجي فيه ، وفي المنطقة الشمالية مما يلي قضائي عكا وصفد بنوع خاص وفي جبل الخليل . وكانت اعداد العصابات قليلة بحيث لم تكن العصابة تتجاوز الخمسة عشر ثائراً وعلى رأسها قائد من الفلسطينيين ممن برزوا في الثورة الاولى واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على رفاقهم او مناطق معينة . وقد لقي أكثرها بعض الصعوبات والعراقيل من بعض مخاتير ووجوه بعض القرى نتيجة للانذارات والتهديدات الشديدة التي كانت توجه اليهم من الحكام الذين كانوا يوجبون عليهم سد ابواب قراهم في وجوه المسلحين والتبليغ عنهم وعدم مساعدتهم في شيء . وقد كان كذلك للتثبيطات التي ذكرناها قبل أثر تشجيعي في ما قام من تلك الصعوبات والعراقيل ، فكانت العصابة حينما تطرق قرية للتموّن أو الاستجمام يتجهم المخاتير والوجوه في بعض القرى لها ويطلبون منها مغادرة قريتهم عنها ، ويمنعون عنها المأوى والقرى ويسمعون أفرادها وقوادها ما سمعوه من شخصية الثورة وحزبيتها وضررها! بل وكان الامر يتعدى هذا أحيانا الى الوشاية بالثوار والارشاد الى أماكن السلاح وحمايته مما كان يؤدي الى إعتقال بعض المجاهدين أو مطاردتهم وتصيدهم ومصادرة سلاحهم مما لقي المجاهدون الاولون منه عنتاً شديداً ومما جعل بعضهم يعود الى دمشق حائراً أو يائساً ، ومما اضطر بعضهم الى الالتجاء للمغاور حتى ان عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبي كمال والذي كان من اوائل قواد الثورة لم يجد له مأوى حينما جرح في احدى المصادمات فقضى بضعة أسابيع في أحد الكهوف حتى التأم جرحه ، فاثارت هذه المواقف والتصرفات قواد العصابات وأفرادها وجعلتهم يضطغنون على هؤلاء الوجوه والمخاتير وعلى الذين يوحون إليهم معاً ، ويجنحون الى تأديب بعضهم ممن رأوه الاكثر اندماجا وقحة في التثبيط والنكاية حتى أوقعوا شيئا من الرعب في هذه

الطبقة خاصة وفي اهل القرى عامة . واستفاد القواد من هذا الرعب الذي يمكن أن يكون وقع في سياقه بعض الاخطاء المؤسفة المقصودة أوغير المقصودة فأخذوا يفرضون على القرى مقاديرَ مناسبة من البنادق والعتاد أو أشخاصا يحملون السلاح ويلتحقون بهم أو يبقون في قراهم قوة ظهر لهم . فلم يكد ربيع عام ١٩٣٨ يحل حتى أخذت الثورة تشتد وتتسع كمية و كيفية وحتى أخذ قوادها يتمركزون في مناطقهم ويفرضون أنفسهم ، وحتى أخذت القرى تقدم ما طلب منها من سلاح ومجاهدين ومؤن وحاجات اخرى ثم تندمج بروحها وتتسابق الى معركة الوطن بحماس ، وحتى اشتد التجهم لمن كان وظـــل محامراً ومثبطاً ثم لمن تلطخت يداه بالسمسرة والجاسوسية وغدوا عرضة لضغط الثورة والثوار ونال بعضهم الاذى في دمه او ماله .

الثورة في ذروة سلطانها

وهكذا أخذت الثورة تسير نحو ذروة القوة الى أن بلغتها رائعة تضرب للعالم الامثال كما ضربته في المرحلة الاولى واضرابها الباهر ، وهـذا هو دورها الثالث الذي امتد نحو تسعة أشهر لم تلبث بعد بدئه أن أخذت تشمل جميع ساحات فلسطين بعد أن كانت محصورة في المناطق الثلاث التي ذكرناها .

وصف المعارك

ولم يكن يمر اسبوع لم تقع فيه معركة كبرى في إحدى ساحاتها تحشد لهـا السلطات الانكليزية القوى الكبيرة التي يصل عددها أحيانا الالفين والثلاثة مردفة بالطيارات والدبابات والمصفحات والمدافع الخفيفة والثقيلة ، ويحتشد المئات من المجاهدين الدائمين والمنجدين يبدون اروع صور البسالة والاستماتة دون مبالاة بعدد العدو وعدده وفقدان التكافؤ فيها وبما يقع مـــن غالي الضحايا . وكانت الطريقة التي سار عليها المجاهدون هي طريقة الكر والفر . وكان البدء على الاغلب منهم حيث كانوا هم الذين يهاجمون المخـــافر والمعسكرات والمطارات والمحطات وقوافل السيارات والدوريات فتسارع قيادة الجيش الى حشد حشودها وتطويق المنطقة التي وقعت فيها المبادرة . وكثيراً ما كانت تمتـد منطقة المعركة عشرة وخمسة عشر وعشرين كيلو متراً في خمسة او عشرة كيلو مترات عرضاً . وأكثر

ما كان الثوار يتمركزون في الجبال والاحراش والهضاب والوعر بنظام بارع من تقسيمات صغيرة غير متكتلة تكر وتفر وتحير في كرها وفرها قيادة العدو . وكثيراً ما كانت تضطر هذه القيادة الى الانسحاب دون ان تنال من العصابات نيلاً شافياً .

براعة المجاهدين

وقد كانت نشرات القيادة والامن العام تعترف دائماً ببراعة الثوار في الكر والفر وتصف ذلك بقولها إنهم اختفوا كأبرة في كيس من القش ، بل لقد رددت هذه البراعة الصحف الانكليزية واليهودية في لندن وفلسطين ولم تجد لها تعليلاً الا وجود فنيين مدربين بين صفوف الثوار ، ولم يسع وزير المستعمرات الا أن يعترف هو الآخر بقوة نشاط الثوار وجرأتهم في هذا الدور وأن يقول ان العصابات المسلحة فعالة كثيراً في جميع انحاء البلاد وان خطورة حركاتها ونتائج شمولها فظيعة جداً . ولقد كان فيما قالته الصحف الانكليزية في معرض الاشادة ببطولة الثوار وبراعتهم ان حفنة صغيرة من العرب الضعاف العزل في فلسطين تقوم بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة ، وتثير الحماس بين العرب في كل انحاء البلاد العربية .... ثم لا تلبث العصابات بعد انتهاء التطويق وانسحاب الجيش الجرار من قوى السلطات ان تعود الى نشاطها من الكر والفر واطلاق النار على الحافر والدوريات ومعسكرات الجيش فتتكرر الصورة نفسها .

شمول الثورة للممتلكات اليهودية وأنابيب النفط

ولم تكن حركات المجاهدين مقتصرة على هذه الصورة بل كانت تشمل المستعمرات والحقول والبساتين والممتلكات اليهودية بحيث لم يكد يمر يوم إلا وتغزى مستعمرة من المستعمرات ويجري فيها تدمير وتحويق وقلع اشجار وقتل خفراء ، وكانت تشمل كذلك انابيب البترول تخريباً وتفجيراً واشعالا حتى قدرت الزبوت المنسابة في شهرين من شهور صيف ١٩٣٨ باثنين وثلاثين الف طن دون ان يجدي الحراس والخفراء والدوريات فتيلاً مما اضطر الشركات الى تعميق أنابيبها في اماكن عديدة وسط المصاعب والمتاعب الشديدة .

وكانت تشمل ايضاً خطوط السكك الحديدية وجسورها وجسور الطرق ومحيات دوائر الاشغال والمساحة والتسوية واسلاك التلفون والتلغراف واعمدتها واعمدة الكهرباء ومحطات السكك الحديدية والمطارات تخريباً ونسفاً وحرقاً وتدميراً وتقطيعاً وقلعاً ونهباً ، حتى كانت التخريب في طرق السكك الحديدية يبلغ احياناً ستين كيلومتراً طولا وكان من جملة ذلك مطار ومحطة الد الكبيرين ومحطة غزة فضلاً عن المحطات الثانوية العديدة .

بعض مظاهر صولة الثورة

وحتى وصل اتساع الثورة وصولتها الى تطويق كثير من المدن ونهب دوائر البريد والمصارف وسلاح المخافر والدخول إلى دور الحكومة الممثلة عادة بالبوليس والحراس والموظفين ونهب بعض غرفها وادواتها وخطف بعض الموظفين . . حتى بلغ من جرأة وبسالة بعض المجاهدين ان دخلوا دار الحكومة في جنين وصعدوا إلى الطابق الثاني ودخلوا على الحاكم الانكليزي وأطلقوا عليه النار فأردوه قتيلا ثم خرجوا ونجوا مع ما كان في الدار من حشود وجنود وبوليس ، وتكرر هذا النوع من البطولة والجرأة على اشكال مختلفة ؛ وحتى كانت تل ابيب معقل اليهود تغزى في الليل والنهار ويسير فيها الثوار دون مبالاة ويطلقون الرصاص والقذائف على الافراد والسيارات ويشعلون النار في البنايات والحوانيت ويلقون الرعب في قلوب سكانها ، وقد بلغ هذا الرعب الى حد ان اليهود حينما كانوا يرون في تل ابيب كتلة تلبس العقال والكوفية يتراكضون مذعورين خائفين . . وكان هذا حال طبريا التي كان اكثر سكانها يهوداً . وقد حدث مرة أن دخلها عدد كبير من الثوار فغزوا الاحياء والحوانيت اليهودية غزوة شديدة قتل وجرح فيها نحو سبعين يهوديا ونهب وحرق عدد من حوانيتها ودورها مما كان له دوي شديد في الاوساط الانكليزية واستدعي المندوب السامي الى لندن للاستيضاح عنها والتفكير في التدابير المانعة لتكررها . أما يهود صفد فقد كانت حالتهم أسوأ لأنهم اقلية غير أنهم كانوا متكتلين في حي واحد يعد حصينا بعض الشيء ، فحصروا فيه

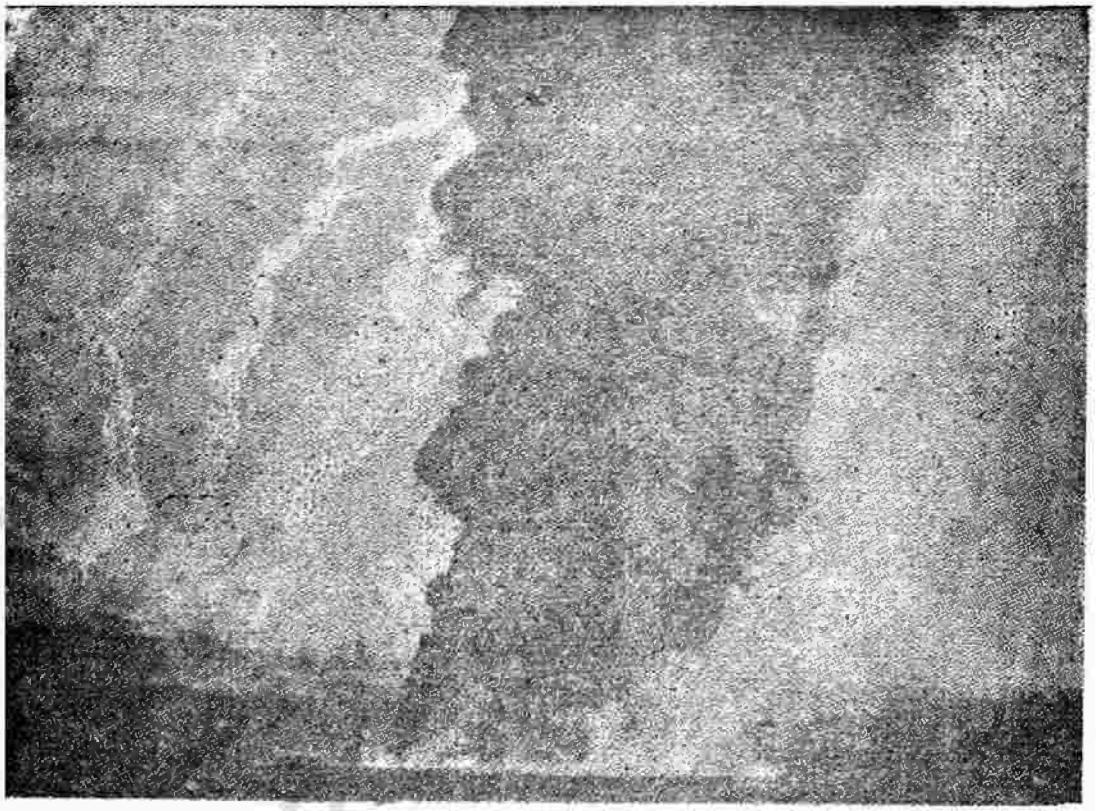

من مشاهد اشتعال النفط

من مشاهد اشتعال النفط السائل من الأنابيب المخربة

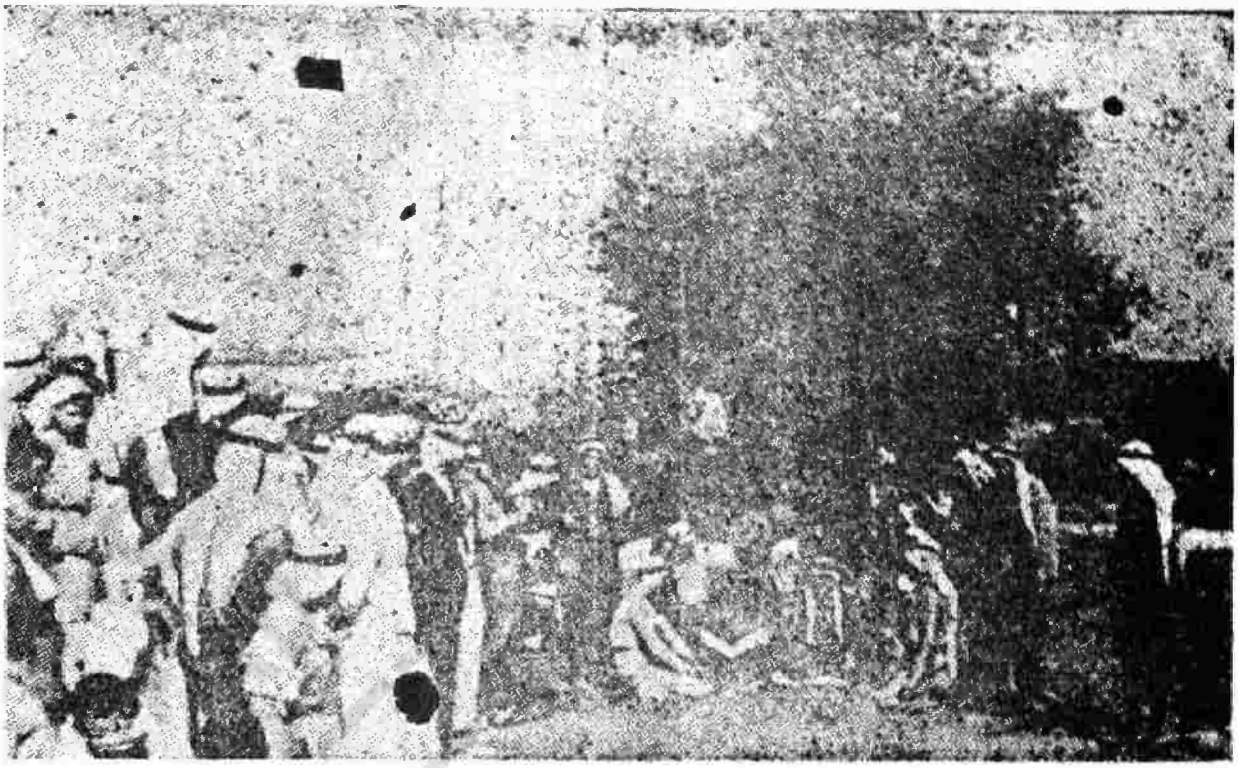

من مشاهد صولة الثورة محكمة من محاكم الشعب

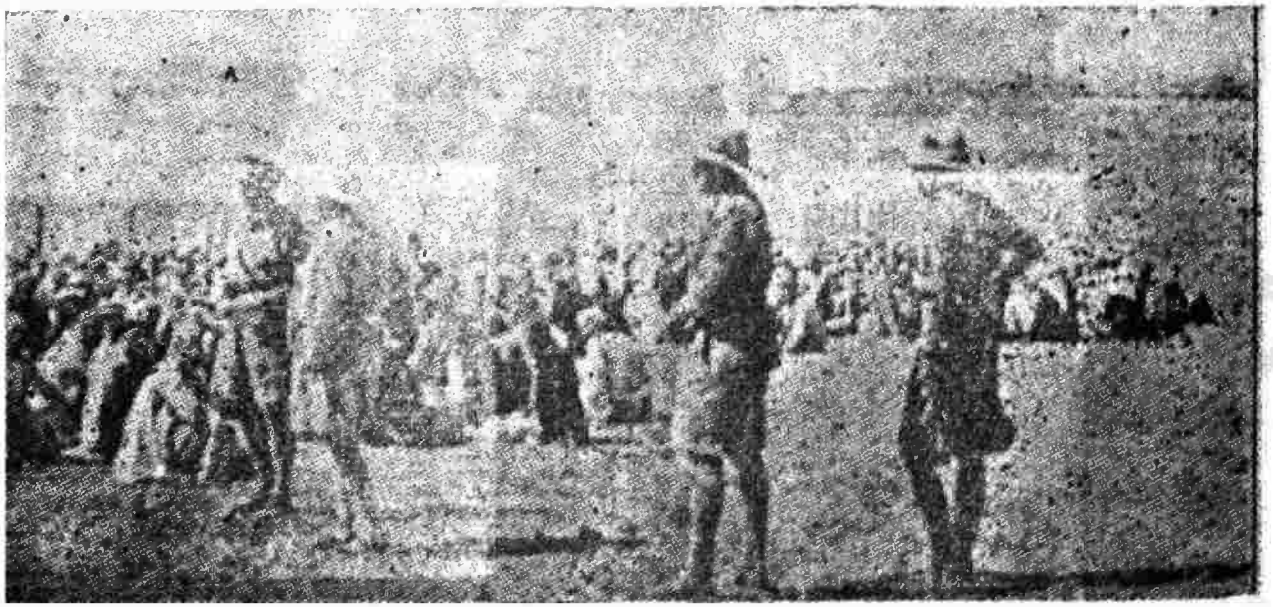

مئات من الاهلين في العراء في طريق المحاكمة والاعتقال

الوفد الفلسطيني العربي الأول إلى لندن سنة ١٩٢١

الجالسان من اليمين موسى كاظم الحسيني والحاج توفيق حماد

[illegible]

اليمين أبو هيه شماس فشبلي الجمل فأمين التميمي فمعين الماضي

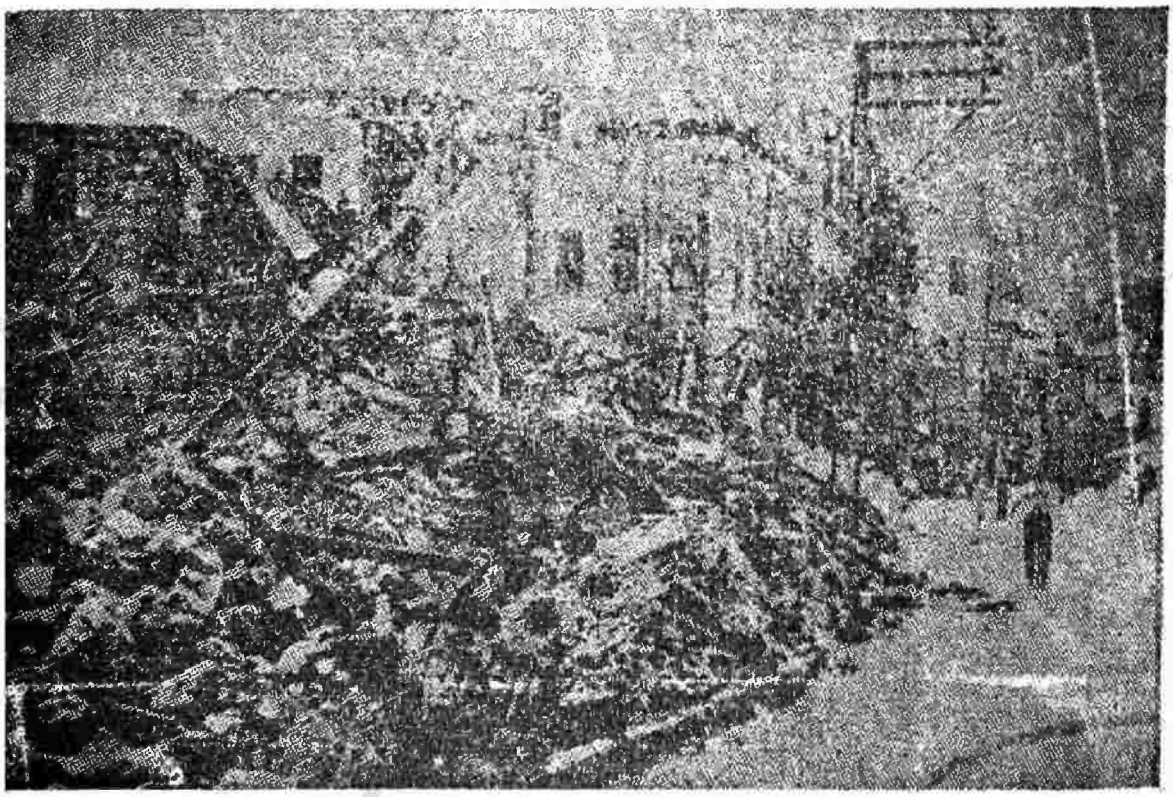

من آثار التدمير في مدينة جنين

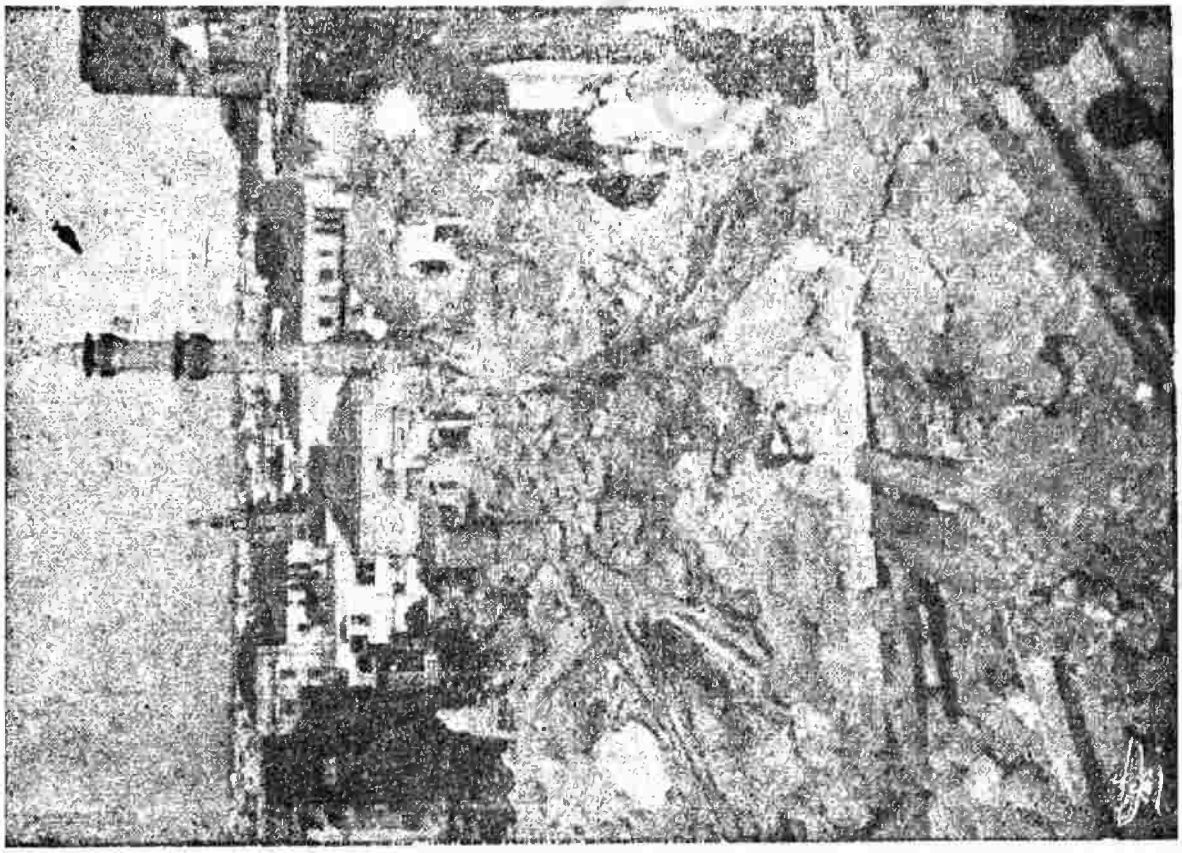

من آثار التدمير في الحي العربي في يافا

وحرموا من الخروج تقريبا إلا بحراسة حكومية شديدة ، وكانوا هدفاً دائما للرصاص والقذائف فقاسوا من جراء ذلك شديد الرعب والفزع ، وكانوا يرسلون الاستغاثة تلو الاستغاثة ويصفون حالتهم بحالة المعتقلين تحت وطأة حراس خطرين. ولقد استطاع الثوار ان يطوقوا عدة مستعمرات وان يفتكوا بمن فيها من سكان وخفراء وان يدمروا ويحرقوا مبانيها وبساتينها . وقد احاط اليهود مستعمراتهم بأطواق الاسلاك الشائكة فلم يجد هذا جدوى كبيرة في الحيلولة دون غزوات الثوار وفتكهم .

وقائع الثورة

ولقد كانت دائرة الامن تنشر نشرة يومية عن احداث الثورة العادية . وهذا نموذج من هذه النشرات وقد نشر في ١٦ مايس ٩٣٨ والثورة في مبادىء دور تعاليها :

في خلال الثاني والاربعين ساعة الماضية بالاضافة الى الاصطدام الذي ذكر قبل (١) وقعت الحوادث التالية :

١ — قتل بوليس عربي وجرح عربي آخر عندما هاجمت عصابة مسلحة سيارة تراك جنوب الخليل .

٢ — ووقعت سبع عشرة حادثة اطلاق نار، اثنتان في جنين وواحدة في طبريا واربع على مستعمرات قرب الناصرة واثنتان على دوريات بوليس في جنين وواحدة على دورية بوليس قرب صفد وخمس على مستعمرات في قضاء حيفا وواحدة على مخيم البوليس قرب الخليل وواحدة على شخص عربي قرب يافا .

٣ — ووقعت خمس حوادث قطع تلفون احداها على طريق نابلس - طولكرم انتزع فيها ١٩ عموداً .

٤ — واشعلت النار في ممتلكات دائرة الاشغال العامة قرب نابلس .

٥ — ونسف جسر على الطريق العام قرب عكا .

٦ — وقطع عدد كبير من الاشجار في مستعمرة قرب طولكرم .

---

(١) هذا يعني معركة شديدة وقعت بين حشود من الثوار وحشود من قوى العدو وقد أشير في النشرة الى معركة كانت واقعة فعلا في البند التاسع .

٧ واشعلت النار في انابيب البترول قرب بيسان .

٨ – وسلبت دراهم عربي في ضواحي جنين .

٩ – ومازالت حركة الجيش مستمرة في الجهات الشمالية لمطاردة الثوار والتحري عنهم وكذلك عمليات تفتيش القرى واعتقال الاشخاص المشبوهين والعثور على بعض الاسلحة والذخائر .

١٠ – والهمة مبذولة كذلك بمساعدة الجيش في عملية مد الاسلاك الشائكة في الحدود الشمالية لانهائها بسرعة .

ويلفت النظر الى الاقتضاب والتحفظ البادبين في النشرة حتى لكأنها لاتريد ان تقول شيئاً لولا ان هناك وقائع يعرفها الناس لا يمكن الا ان يقال شيء عنها . على ان الصحف كانت تنشر انباء احـــداث ثانوية او خطيرة لم ترد في النشرات وتذكر تفصيلات هامة حول الاحداث التي ترد في النشرات بحيث يمكن ان يفرض عدد معدل الاحداث اليومية بقطع النظر عن الكيفية بعشرين ومجموعها خلال السنتين اللتين استمرت فيها الثورة في هذه المرحلة بخمسة عشر الفأنصفها تقريباً كانت ضد اليهود وممتلكاتهم ومستعمراتهم وخفرائهم وافرادهم وسياراتهم ، ونصفها ضد السلطات وقواها ودوائرها ومنشآتها ومرافقها .

اشتراك المدنيين مع القرويين في الجهاد

ومع ان اكثر المجاهدين من القرويين وهم الذين اضطلعوا بجل احداث الثورة وبقيادتها فان النشاط الكفاحي في المدن لم يكن ضعيفاً ، فقد حمـل السلاح كثير من اهل المدن ، منهم من استعمله في المدن نفسها في اغتيال افراد قوات السلطات واليهود وتخريب ممتلكاتهم ونهبها ومهاجمـــة المخافر والدوريات فيها ، ومنهم من استعمله خارج المدن وتحت لواء قواد الثورة .

اشتراك المثقفين في الثورة

ومع ان جلّ المجاهدين من سواد الشعب فقد اشترك في الحركة الكفاحية في المدن وخارجها عدد من الشبان المتعلمين تعليما متوسطاً وعالياً . وهكذا يصح ان يقال ان جل افراد الشعب وخاصة منذ ربيع عام ١٩٣٨ كانوا مندمجين في الثورة عملاً ومساعدة وروحاً . ويمكن تقدير البنادق التي كانت في ايدي الثوار بعشرة

آلاف عدا المسدسات التي كانت كثيرة جداً ايضاً ، مع التنبيه على ان كثيراً مما كان في اليد لم يكن صالحاً ولم يكن له عتاد صالح ايضاً .. ثم ان كثيراً من الذين يحملونه لم يكونوا متمرنين على الرمي ولا على الحركات العسكرية .

جهد الانكليز العسكري ضد الثورة

ولقد اخذت الامدادات الانكليزية ترد الى فلسطين منذ بدء الثورة بحيث لم يكن يمر شهر إلا تصل خلاله نجدة ما قليلة العدد او كثيرته من بريطانية وغيرها . وقد جندت السلطات بالاضافة الى ما جاء من مدد او كان في فلسطين من جند وبوليس اصلي انكليزي وعربي نحو عشرة آلاف بوليس اضافي من العرب واليهود كانت تعهد اليهم بأعمال الحراسة داخل المدن وخارجها وفي المستعمرات . ويمكن ان يقدر مجموع قوى السلطات من جند وبوليس انكليزي وفلسطيني بما لا يقل عن اربعين الفاً وقد يكون خمسين الفاً مزودين بالعتاد الوافر والسلاح الجيد والسيارات والدبابات والمصفحات والمدافع والرشاشات والطيارات والاجهزة الكهربائية الخ . وكثيراً ما كان يشترك في المعركة عشر طيارات او اكثر مع الف والفين وثلاثة من الجنود . ومع هذا الفرق الشاسع في التسلح والاستعداد ، ومع انه كان في فلسطين نحو نصف هذا العدد عند بدء الثورة فان ذلك كله لم يكن ليمنع الثورة من الانفجار والتغلب على الصعاب والاتساع ثم بلوغ الأوج ومن استمرارها سنتين طويلتين . ولم تهدأ إلا بالدسائس والمناورات وتأثير حالات نفسية ومادية متنوعة ثم بنشوب الحرب وانقطاع المدد عن الثوار بسببها مما لا صلة له بهذه القوى العظيمة . ولقد نشرت الصحف الانكليزية ان العتاد المستنفد عام ١٩٣٨ اكثر اربعة اضعاف مثله عام ١٩٣٧ .

- ١١ -

قسوة اساليب الانكليز بسبيل قمع الثورة

ولقد عمدت السلطات بسبيل قمع الثورة الى اساليب كثيرة فيها من القسوة والعنف ما تقشعر له الجلود ولا يدخل في نطاق منطق حكومة وصية نحو شعب تحت وصايتها لا يخفى عليها انه مظلوم ، وبقصد فرض دولة غريبة تعاديه في وطنه

لتمشية سياسة استعمارية مجرمة .

فقد عدلت قوانين الطوارىء بحيث اصبحت حيازة بضع رصاصات او قطعة من سلاح مهما كان نوعه وصلاحه تكفي للحكم بالاعدام او السجن المؤبد او المديد ، وبحيث اصبحت كل عمارة في مدينة او قرية وكل بيارة او بستان عرضة للمصادرة والنسف والتدمير لمجرد صدور نار ما من جهتها او وقوع حادث قربها حتى بلغ عدد الذين شنقوا مئة وستة واربعين وتجاوز عدد المحكومين بمدد ابدية او مديدة الالفين منهم شيوخ طاعنون وفتيان مراهقون ومنهم نساء ، وحتى بلغ عـــدد المنازل والحوانيت التي نسفت وهـدمت وتصدعت نحو خمسة آلاف ، ولقد نسفت احياء وشوارع برمتها في بعض المدن ومنها جنين التي نسف اكثرها بسبب قتل الحاكم الانكليزي كما نسف عدد كبير يتجاوز نصف الموجود من منازل في عـــدد من القرى. وكانت توافق التحريات والتفتيشات التي تجري في المدن والاحياء والقرى قسوة هائلة من تحطيم وتدمير وتحريق وضرب وركل وجلد وتعذيب ونهب واتلاف متاع ومؤن وهتك عرض وانتهاك مقدسات وحرمات ، حتى لقد كان يحمل هذا اهل بعض القرى على هجر قراهم والفرار الى الجبال والادغال والقرى المجاورة .

الاعتقالات الواسعة

وعمدت السلطات منذ البـــدء الى اعتقال من تشتبه بضلعهم في الثورة من اهل المـــدن والقرى ومن كانت تظن ان له نفعاً لها واستمرت طيلة استمرار الثورة تسير على هـــذه الخطة ، وكانت تتسع وتشتد فيها بنسبة اشتداد الثورة واتساعها . ولقد انشأت اربعة عشر معتقلا كانت تحتظ ثم يسرح الاخف خطراً وعاقبة ليملأ فراغه من بدا للسلطات انه الاشد خطراً وعاقبة وهكذا دواليك حتى بلغ عدد من اعتقل مدة قصيرة او طويلة نحو خمسين الفاً ، ومنهم من استمر اعتقاله سنة وسنة ونصفاً وسنتين ، بل ومنهم من قضى اربع سنوات معتقلا ، وكان الاعتقال يجري بأوامر ادارية وباسم قانون منع الجرائم لمدد معينة قابلة للتجديـــد ودون تهمة محددة بشهادة البوليس على ماذكرناه في مناسبة سابقة . وكان الاعتقال من المدن والقرى فردياً ثم صار بالعشرات ولم يندر ان اعتقل مئة ومئة وخمسون

القائد الشيخ يوسف ابو دره مع رفاقه المجاهد

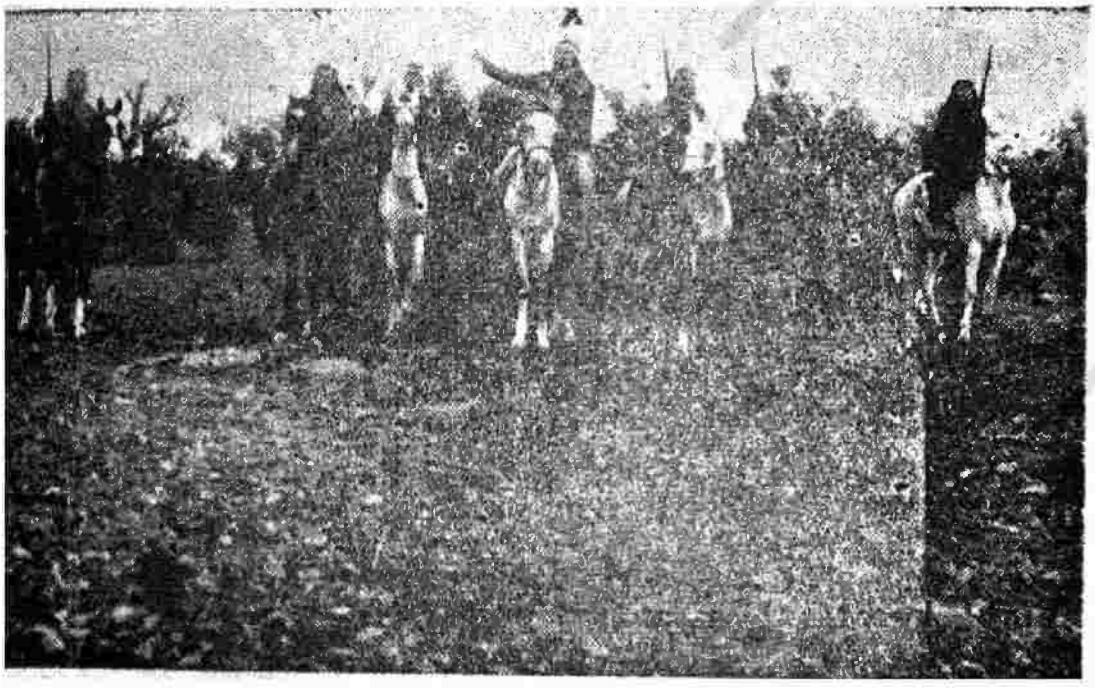

القائد الشيخ حسن سلامه مع بعض رفاقه المجاهدين على صهوات الجياد

القائد عبد الرحيم الحاج محمد ابو كمال مع بعض رفاقه المجاهدين

في الوسط القائد عبد القادر موسى كاظم الحسيني مع رفيقين من المجاهدين

ومئتان دفعة واحدة من اهل قرية او مدينة لمناسبة حادث ما ولم يندر ان يساق ذكور قرية ما وقد يبلغ عددهم الالف الى مركز الحاكم الانكليزي في المدينة التي تتبعها القرية فيوضعون في حظيرة تحت السماء الى ان يفصل الحاكم في امرهم فيرد منهم من يرده إلى قريته ويأمر بمن يأمر به إلى المعتقل. ومن طرق التعذيب التي كانت تعمد اليها السلطات مع امثال هؤلاء ان يربطوا بالحبال وتسير امامهم دبابات او سيارات حراسة وتسير خلفهم دبابات او سيارات ويجبروا على الركض في الفراغ الذي يبقى بين السيارات الامامية والخلفية لئلا تدوسهم ! ولم يندر ان سرح اشخاص ثم اعتقلوا ثانية وثالثة، ومن هؤلاء قضاة الشرع ورجال الدين ورجال اللجان القومية البارزون. ولقد سرح صبحي الخضراء بعد اعتقال طويل فلم يكد يبدو خارج بوابة المعتقل حتى اختطفته سيارة جيش واخذته الى معتقل عسكري ظل مجهولاً امداً طويلا لا يعرف له مقر حيث اعتقل مدة طويلة اخرى . وكان المعتقلون يعاملون معاملة قاسية ويهانون ولا يطعمون إلا الكفاف والرديء من الاصناف فيضطرون الى الانفاق على انفسهم . وكانوا يضربون إذا ما حدث حادث ما حتى لقد ضرب الرئيس العام للبنك العربي عبد الحميد شومان ضرباً مبرحاً كاد يقضي عليه .

بدعة حظر التجول وعجائبها

وعمدت السلطات منذ البدء الى تدبير منع التجول ، وكان يتسع ويشتد بنسبة اتساع الثورة واشتدادها ايضاً حيث كان يعلن المنع في المدينـــة التي تقع فيها الاحداث ليلا ويمتد اياماً وكان احياناً يطول حتى يشمل النهار والليل عدا ساعتين لقضاء الحاجات . وكان المخالفون يعتقلون ويغرمون ويخوفون بالنار . وقد كانت تقوم مظاهرة او يعلن اضراب في مدينة فيعلن المنع حالاً . ولم يندر ان يمتد المنع في بعض المـدن شهراً وشهرين وثلاثة بدون انقطاع بل لقد امتد على مدينة صفد مئة واربعين يوماً . وكان قاصراً على المدن في البدء ثم اخذ يشمل القرى والطرق ويمتد آماداً تأديباً للناس من جهة ولتضييق نطاق النشاط والحركة من جهة اخرى ، حتى لقد كان يشمل السير بالسيارات على الطرق العامة ثم بين فلسطين وسوريا ولبنان والاردن ويستمر ذلك مدة طويلة ايضاً .

المخافر الاضافية

وعمدت السلطات كذلك الى اقامة مخافر اضافية في القرى والاحياء والمدن التي تقع فيها او في منطقتها احداث ثورية هامة على نفقة السكان عقاباً لهم من جهة وارهاباً للثوار ومساعديهم من جهة ومنعاً لايوائهم وتموينهم من جهة . وكان الاهالون يكلفون تكاليف باهظة مثل تقديم الدجاج والبيض والقمح وحمل الماء الخ ، فضلا عن مرتبات الحفراء ونفقاتهم الاخرى زيادة في الاعنات حتى لقد بلغ عدد هذه المخافر اكثر من مئة وخمسين يتراوح عدد الحفراء فيها بين الخمسة عشر والخمسة والعشرين . ولم يجدها هذا التدبير فتيلا لأن هذه المخافر غدت هدفاً للثوار وغدا سلاح خفرائها عرضة للنهب وافرادهم عرضة للتنكيل والتأديب والاغتيال . وقد اضطر كثير منهم الى الاستقالة او الفرار ، وكان الاقبال على وظائف الحفراء والبوليس الاضافي مما لم يكن في مرحلة الثورة الاولى اثراً من آثار التثبيط والتبطيء عن الثورة وتجريمها .

احتلال القرى والاحياء

وقد عمدت السلطات الى تدبير أشد وهو احتلال القرى والاحياء التي تقع فيها أو في منطقتها أحداث ثورية هامة من قبل فصائل الجيش الانكليزي مجهزة بمتنوع الاسلحة ومرفقة بمتنوع الاجهزة حتى لقد تجاوز عدد القرى المحتلة في لوائي الجليل ونابلس مثلا الستين في برهة قصيرة . وخالت السلطات أنها قد أتت بتدبير حاسم للقضاء على نشاط الثوار والثورة حتى تبجح وزير المستعمرات بذلك في البرلمان في مايس ٩٣٨ وهو يذكر هذا التدبير ، ولكنه لم يمنع نفسه مع ذلك من القول انه لا يدري إذا كان التحسن يدوم ، ولم تلبث الايام أن أظهرت أن أثر هذا التدبير لم يكن أشد وأجدى من التدبير الأول حيث غدت معسكرات القرى المحتلة هدفاً للغارات المتصلة وحيث استمرت الثورة في قوتها ونشاطها وأزدادت إتساعاً وشمولا .

فرض غفارة السكك على الاهالين

ومما عمدت اليه السلطات أيضاً فرض غفارة السكك الحديدية والخطوط التلفونية والتلغرافية على اهل القرى وتغريمهم ما يقع من تخريبات ونسفيات عليها ، ثم فرض غرامات تأديبية وغرامات فدية لقتلى الانكليز على القرى والمدن وأحياء المدن التي تقع فيها أو في منطقتها أحداث ثورية هامة ويقتل فيها ضباط أو أفراد من الانكليز . وكانت هذه الغرامات تجبى بتنوع وسائل العنف والمصادرة والتعذيب والنهب . وقد تجاوز عدد هذه التغريمات الخمسمائة . وكثيراً ما كانت تتكرر على أهل قرية أوحي أو مدينة ما . وكانت تتراوح بين الخمسين والمئتي جينه للقرى وأضعاف ذلك للمدن .

وهذا جميعه إلى جانب ما كانت تفعله السلطات مع المجاهدين حينما تطوقهم أو تطاردهم وتصوب نيرانها عليهم من الطيارات والمدافع الثقيلة والخفيفة والرشاشات والقذائف مما لم يكن شيء منه في أيديهم بدون أي رحمة أو رأفة أو اعتبار إنساني، والى جانب ما كانت تفعله مع الافراد الذين تشتبه فيهم حتى لم يكن ضباطها يتورعون عن اطلاق الرصاص عليهم دون ان يكونوا مسلحين أو في حالات مريبة وعلى ملأ من اهل القرى ، ومع الجماهير التي كانت تقوم بالمظاهرات الاستنكارية من شدة وغلظة وإطلاق نار وضرب شديد بدون أي رحمة أو رأفة أو اعتبار إنساني كذلك . ولقد وقع أكثر من مرة أن أتت قوة انكليزية الى قرية مشتبه بايوائها للثوار أو اشتراك رجالها بالحركات الثورية فتجمع رجالها في العراء ويدير الضابط عينيه فيهم ثم ينتقي شاباً او اكثر من الشباب فيطلق عليه النار ! ولقد انفجر لغم في طريق قرية من قرى عكا تحطمت سيارة عسكرية به بمن عليها فوضع الجند لغما في نفس الطريق وجاؤا إلى القرية وأجبروا فريقاً من اهلها على ركوب سيارة نقل كبيرة سواقها منهم بحجة طلبهم من قبل الحاكم فمرت السيارة على اللغم فانفجر وحطمها وذهب من فيها ضحية لهذا المكر العجيب . وقد تجاوز عدد الشهداء الذين ذهبوا ضحايا غالية الثلاثة آلاف كما تجاوز عدد الجرحى السبعة آلاف نتيجة لهذه القسوة المتعمدة .

على أن كل ما اتخذته السلطات من اجراآت قاسية منكرة وحشدته من وسائل التدمير والقتل الوفيرة المتنوعة والمتفوقة بما لا يدخل في نطاق أي مقايسة على ما في ايدي المجاهدين كيفية وكمية لم يكن ليمنع الثورة من التغلب على ما قام في وجهها من عراقيل وصعوبات ومن الامتداد والاتساع والشمول ، ومن التسابق الى صفوف الثورة وسد الثغرات التي تحدث بالقتل والجرح ومصادرة السلاح ، ومن اندماج السواد الأعظم من الشعب فيها اندماجاً يكاد يكون تاماً ، تحمل فيه جل ما اقتضته من نفقات السلاح والعتاد والثياب والمؤن والتغريمات مما لا يقل عن مليوني جنيه ، حيث لم تسد التبرعات الواردة من الخارج إلا جزءاً يسيراً منها ، ولم يكن ليمنعها من بلوغ أوج سلطانها في أواخر ربيع عام ١٩٣٨ بحيث صار الثوار يدخلون المدن بالمئات مهللين مكبرين فيقضون فيها الساعات وينهبون ما في مخافرها من سلاح ويدمرون ويحرقون ما يريدون من منشآت الحكومة ويخرجون كما دخلوا مكبرين مهللين ، وبحيث كان بعضهم يدخل المدينة فينهب بنك باركليز الانكليزي أو احدى دوائر الحكومة أو يأخذ منها بعض ما اليه الحاجة من أدوات أو يطلق النار على الجواسيس والسماسرة والبوليس الاضافي أو يطلب من هؤلاء أو من في نطاقهم أو من يكون مطلوباً من طرف القيادة لقضية أو مهمة أو تحقيق أو شكوى أو شهادة أن يتبعه فلا يجد المطلوب من التلبية مناصاً ولا نصيراً ، وبحيث صارت الاسرة التي يقتل منها قتيل في غير معركة أو في ظروف مريبة تسعى جاهدة لدى قائد المنطقة لاستصدار بيان بأن قتله لم يكن تأديباً أو بأن القيادة لا تعرف عنه ما يريب خشية من دمغة عار لا تزول عنها بعد أن غدت الأمة جميعها تقريباً مندمجة في الثورة وجوّها اندماج شعور وفخر واعتزاز .

ولقد وقع في اليد تقرير مرفوع من حاكم اللواء الشمالي عن احوال الثورة في ايلول ٩٣٨ جاء فيه فيما جاء « إن الظاهرة البارزة للوضع الحاضر هي مقاطعة العرب فعلياً لدوائر الحكومة ، وإن العرب جميعهم إلا بعض الموسرين والوجهاء الذين رحلوا الى سوريا ولبنان ثائرون او مستسلمون للثورة إستسلاماً لا يميزهم عن الثوار وإن مجرد زيارة لدار الحكومة تعرض كل من ليس معارضاً للحكومة لتهمة

القائد عبد الفتاح العبد
الملقب بأبي عبد الله

القائد خليل عيسى الملقب
بأبي ابراهيم الكبير

القائد ابو محمود الصفوري

القائد توفيق الابراهيم
ابو ابراهيم الصغير

التجسس وما ينجم عن ذلك من محاكمة سريعة وإعدام على يد اقرب رئيس عصابة، والعرب يعتقدون أن قضيتهم رابحة ولذلك فهم يتحملون بجلد رائع الخسائر الجسيمة في الأرواح والأموال والمشقات الجسدية التي تجرها عليهم الاضطرابات ، ولقد بلغت الأمور حقاً جداً إذا أرادت إدارة الانتداب معه أن تستمر بسلام في المستقبل لا بد لها من توطيد سلطتها أولا مهما كان القرار النهائي لمستقبل فلسطين . »

ولقد وصى الحاكم المذكور فيما وصاه فرض نظام الهويات فنفذت وصيته ومنع السير بالسيارات وبالسكك الحديدية إلا لمن يكون في يده هوية ومنع سير السيارات إلا برخصه عسكرية ، فما كان من القواد إلا أن اعلنوا تحريم أخذ الهويات فشلت الحركة ووقفت حركة السير في السيارات والقطارات وأخذ الناس يعودون الى وسائل النقل القديمة فيركبون الزوارق بين حيفا وعكا ويسيرون المراكب بين حيفا ويافا والمجدل وغزة ويستخدمون الجمال والبغال والحمير في النقل والانتقال دون مبالاة بالكرب الذي ينالهم من جراء ذلك إستجابة لأوامر قواد الثورة .

ولقد اذهلت هذه الروح التي تجلت بهذه القوة والشمول والعلوية السلطات ، وجعلتها تقف مكتوفة اليد بل اضطرتها الى تخفيف غلوائها في الارهاب والمطادرة والعنف والاعتقالات والتطويقات لانها رأت نفسها أمام شعب جميعه ثائر ، والى تفادي غزوات المجاهدين وجرأتهم على قوات السلطات ودوائرها فاغلقت عدداً كبيراً من مراكز البرق والبريد ومخافر البوليس وكثيراً من دوائر الحكومة الاخرى في المدن الصغيرة التي كانت مراكز للأفضية وسحبت منها موظفيها ، كما الغت سير القطارات والمحطات على بعض الخطوط في النهار وعلى جميعها في الليل طيلة المدة التي كانت الثورة في أوج سلطانها ، بل ولقد شمل هـــذا مدناً كبيرة كنابلس والخليل حيث كانت الثورة فيها قوية وثوارهما على نشاط عظيم تساعدهم الجبال المحيطة بها فيواصلون غاراتهم على المعسكرات والدوريات وغزواتهم على الدوائر في الداخل والمداخل . وقد جاء يوم اضطرت السلطات فيه الى نفض يدها من الحكم داخل المدينتين، بل والغاء المحاكم في نابلس ونقل ملفاتها وملفات الدوائر الاخرى الى الثكنة والعسكرية خارج المدينة وجمع الانكليز المدنيين والعسكريين في الثكنات والمعسكرات خارج المدينة ايضاً وقد حظرت على فصائل جيشها وبوليسها

ودورياتها الخروج من الثكنات والقلاع واطواق المعسكرات او البقاء خارجها بعد الغروب في مناطق عديدة وخاصة في مناطق الجبال والوعور والادغال . وقد أخذت تساير الموقف الصعب فتسلم جثث الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام من المجاهدين لذويهم فتقام لهم المواكب الحاشدة فتغضي عنها وعن ما كان يقام من مثلها لشهداء المعارك .

الكوفية والعقال زي عام

ولقد كانت السلطات تختص في تفتيشها ومطاردتها في المدن لابسي العقال والكوفية بنوع خاص وكان هذا الزي هو زي الفروبين والثوار ، فتقبض على من تجده منهم فيها في أحياء كثيرة وتضايقهم ، فأوحى قواد الثورة باتخاذ هذا الزي زياً عاماً فلم يمض شهر واحد تقريباً حتى تجرد الناس من الطرابيش وتزيوا بهذا الزي ، بل ومنهم من تجرد من العمائم وتزيّا به . وقد اندمج الموظفون العرب في هذا الزي منهم من فعل ذلك بسائق الشعور الوطني الشامل ومنهم من فعله بسائق الخوف والمسايرة ، ولم يسع السلطات إلا الاغضاء لادراكها خطورة الحال وما كان يهدد الشاذين من أخطار . ومن الجدير بالذكر أن اكثر الناس ظلوا على هذا الزي الى ما بعد خمود الثورة بمدة طويلة اعتزازاً به وبذكرى ظروفه المجيدة ، ومن طريف ما حدث ان بعض المحامين ذهبوا بهذا الزي الى المحكمة ولبسوا الرداء الاسود وتقدموا للمرافعات فطلب القضاة الانكليز منهم خلعه في المحكمة على الاقل فكان جوابهم إنه زي قومي ارتضاه قومهم ، فلم يسع السلطات القضائية إلا الاغضاء . وقد كان السياح ومراسلو الصحف الاجنبية يحترمون هذا الزي بل ويتزيون به تأثراً بجو الثورة .

ولقد كانت ازمة الاسكندرونة التي خانت فرنسا وانكلترا فيها العرب ، فأوحى القواد بالاضراب الاحتجاجي ولكنهم لم يعينوا أمداً له فاضربت المدن واستمر بعضها في الاضراب لعدم تعيين مدة له الى أن اوحى الثوار بالاكتفاء بما كان .

قلق موظفي الانكليز

ولقد امتلأت قلوب موظفي الانكليز رعباً وهم يرون زملاءهم يقتلون جهرة بل وفي دور الحكومة حتى رددت الصحف الانكليزية هـذا الرعب وقالت ان الموظف الانكليزي يشعر حينما يخرج من بيته الى عمله أو من عمله الى بيته أنه لن يعود اذا عاد إلا بمعجزة ، وحتى إن بعضهم حار في وسيلة للتزلف للعرب وإثبات حبه لهم فسمى ولده عمر ، وإن بعضهم كان يرسل الشفعاء الى القواد ليأخذوا لهم الأمان على حياتهم مقابل وعود متنوعة ...

ولقد سجلت الوقائع فيما سجلت التحاق بضعة افراد من الجند الانكليزي بالثوار تخلصاً من تأنيب الضمير على مقاتلتهم العرب من أجل اليهود كما سجلت فرار بعضهم من فلسطين على دبابة حتى وصلوا الى طرابلس الشام محطمين ماوقف في طريقهم من موانع مما كان له ضجة قوية في الصحف وكان موضوع تعليقات دعائية طريفة . بل لقد سجلت عدة انتحارات لضباط وافرادمن الجيش في ظروف غريبة عرفت فيما بعد انها من هذا الباب ، حيث هاجم بعضهم يهوداً اعتدوا على عرب وادعين قرب قرية مسكه المجاورة لمستعمرة يهودية فتعرضوا لوشايات اليهود وحملاتهم وتحقيقات السلطات العليا وتجهمها فدفعهم هذا الى الانتحار .

البوليس العربي

ولقد سرت روح الثورة الى البوليس العربي فكان منهم من يلتحق بالثوار بسلاحه ومنهم من ييسر للثوار نهب سلاح المخافر حتى اضطرت السلطات الى تسريح فريق منهم والى تجريد فريق كبير من سلاحه وتكليفهم بمهام ثانوية غير مسلحة، والى استبدال من كان يقوم بحراسة دوائر الحكومة وغيرها من المنشآت الهامة بحراس من اليهود تفادياً من النتائج المماثلة ..

اللجنة المركزية للجهاد

ومنذ ازبداد الجو في فلسطين وبدو علائم الانفجار اضطلعت لجنة تسمت باسم لجنة الجهاد المركزية بتوجيه الثورة وامدادها واسعاف منكوبيها ، واتخذت سوريا ولبنان مقراً لها ، وأخذت تجهز بعض البارزين من المجاهدين الذين افلتوا

من فلسطين وتسيرهم ليتولوا قيادة الحركة الجهادية في مرحلتها الجديدة(١) وتنشيء الصلات بين من بقي منهم في فلسطين وتمدهم بما تستطيعه من مال وسلاح ،وتبذل جهودها في سبيل الحصول على التبرعات من مختلف البلاد العربية من أجل ذلك، ولم تلبث ان غدت الرسل والقوافل تغدو وتروح بين فلسطين وسوريا ولبنان من حدودها المباشره وعن طريق شرق الاردن ايضاً ، وان صارت سوريا ولبنان وشرق الاردن مصدراً من المصادر الرئيسية لتموين الثورة بالمال والسلاح والمتطوعين والاجهزة والكساوي الخ كما غدت مراحاً لاستجمام المجاهدين ومعالجة جرحاهم بواسطة وإدارة تلك اللجنة في الدرجة الاولى . وقد برع الثوار ومساعدوهم وقوافلهم وتجار السلاح ومشتروه والمتطوعون في التنقل والتسرب بين فلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا براعة عجيبة أعيت السلطات الانكليزية التي كانت تبذل جهودها في سبيل حفظ الحدود شمالا وشرقاً ، حيث غدت الاقطار الشامية الأربعة بالنسبة للثورة والثوار بلداً واحداً لا تقوم بين أنحائه حواجز جمركية ولا مخافر بوليسية ولا دوريات من الجند ولا سمات مرور وجوازات ، فكان هذا الامر من أهم ما شغل بال هذه السلطات وأزعجها أيما إزعاج . وقد حملت الصحف الانكليزية على سوريا ولبنان والسلطات الافرنسية فيها لعدم مساعدتها الانكليز على الجد في وقف السيل ومراقبة المفتي ورفاقه الذين يتمتعون بحريتهم التامة في ادارة الثورة وامدادها وتقوية لهيبها حملات طويلة وشديدة . وكانت إتصالات عديدة ومديدة كذلك بين الحكومتين الانكليزية والافرنسية في هذا الصدد ، وكانت فرنسا تؤكد إهتمامها وان المفتي تحت رقابة قوية ، وكانت انكلترا تضطر إلى قبول ذلك منها بسبب ما كانت عليه الحالة الدولية العامة التي لم تكن فرنسا فيها معها قلبياً وذلك في أزمة ايطاليا والحبشة واعقابها ، ويعزى موقف فرنسا الى ما كان من موقف مماثل للانكليز من الثورة السورية وتمركز كثير من رجال الحركة الوطنية السورية في فلسطين وشرق الاردن ونشاطهم في إمداد الثورة .

السور الحديدي بين فلسطين وشقيقاتها

وقد يئس الانكليز من تضامن فرنسا معهم وأخذوا يفكرون في تدبير الأمر

(١) من هؤلاء أبو كمال وابو ابراهيم الكبير والشيخ عطيه

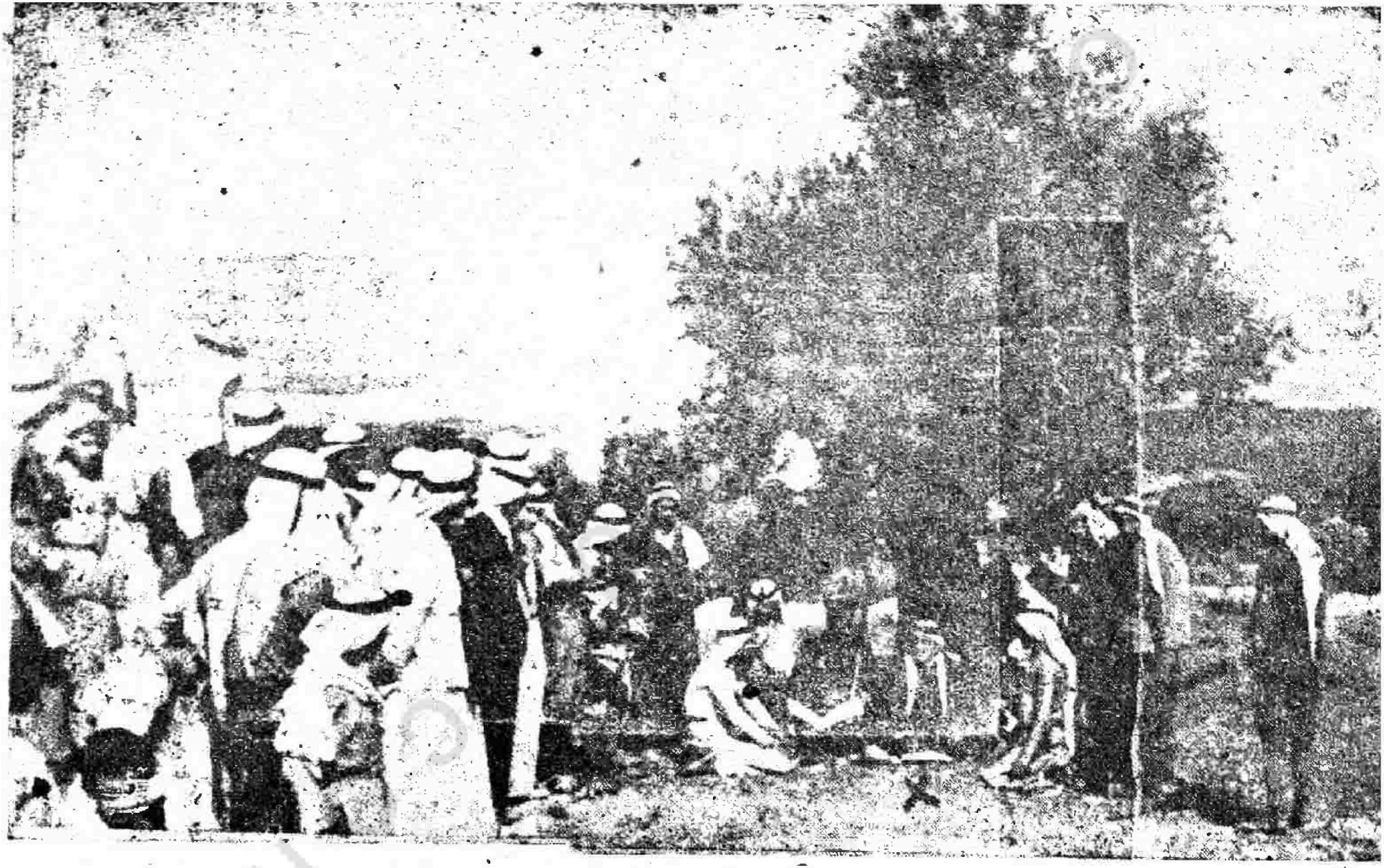

من مشاهـــد سلطان القهورة محكما الشعب الثورية

انصار الرئيس عادل منصور يرفعون صوره في الشارع

فأرسلوا إنكليزياً اسمه تيغارت تمرس في حرب العصابات فتفتقت حيلة هذا الخبير عن فكرة سد حدود لبنان وسوريا وشرق الاردن، بسور من الأسلاك الشائكة وسلسلة من القلاع الحربية على امتداده ، ونفذت السلطات وصيته فأنشأت السد بطول ثمانين كيلومتراً على حدود سوريا ولبنان واربعين على حدود شرق الاردن في عرض ثلاثة أمتار وارتفاع مثل ذلك ، ووضع على طوله في مسافات متقاربة جداً مصائد من الالغام ، وانشأت خمس عشرة قلعة ، وجهزتها كذلك بالحراس الاشداء المجهزين بكل معدات الكشف والقتال والمواصلات ، وقام بانشاء المشروع مقاولون وعمال من اليهود تحت حراسة انكليزية شديدة وكلف نحو نصف مليون جنيه . ولكن السدّ لم يكد ينتهي حتى أخذ ينهار أمام براعة الثوار وجرأتهم . فقد بدأوا بمهاجمته قبل أن يتم فزاد ذلك من صعوبة انشائه ، وخربوا منه ثالث يوم انتهائه مسافات يبلغ مجموع طولها تسعة عشر كيلومتراً في اماكن عديدة ، ثم توالت هجماتهم عليه وكثرت الثغرات التي فتحوها فيه حتى صار كالعدم بالنسبة اليهم والى رسلهم وقوافلهم التي ظلت تغدو وتروح دون ما انقطاع وحتى لم يسع بعض الصحف الانكليزية إلا ان تصفه بالخرافة في معرض التنويه بقوة الثورة وروحها . وكان الثوار يأتون بالجمال والبغال ويجعلون منها قطاراً ويربطون أطراف السد ببعض الكباشات القوية ثم يسيطون الدواب فتجري مقتلعة الاوتاد والاسلاك . ومن طريف ما حدث ان بعض الثوار ذهب ضحية لأحدى مصائد الالغام فكان ذلك كشفاً للثوار الذين أخذوا يبحثون عنها وينزعون كبسولاتها ببراعة ويأخذون متفجراتها مما جعل السلطات تسارع الى رفع ما بقي منها لأنها كانت وسيلة سهلة لتموين الثوار بالمواد المتفجرة ...

ونود ان ننبه على ان اللجنة المركزية للجهاد لم ترتجل ارتجالاً ، فقد كانت تمت بسبب ما الى تشكيلة جهادية سرية كونها في سنة ١٩٣٥ بعض البارزين المشتغلين في القضية ، وجعلوها قائمة على مبدأ وحدة الخمسات من حيث التكوين ، وعلى مبدأ الجهاد الدموي والتجهز له والاجابة الى دعوته اجابة متسلسلة حينما تتكامل اسبابه ويدعو الداعي اليه . وقد كانت الخطوات الاولى لهذه التشكيلة تبشر بالنجاح في التكوين حيث امكن ضم عدد غير قليل من الراغبين في الجهاد والتضامن فيه رغبة

خالصة لوجه الله من دون ان يعرف الواحد منهم اكثر من الذي ادخله فيها. ومع ان مفاجأة ظروف الاضراب والحركة الثوريـــة التي انبثقت عنه في المرحلة الاولى كانت عائقة بعض الشيء في التوسع في التكوين فان ما تم إلى حين اعلان الاضراب منه قد افاد فائدة غير يسيرة في الحركات الجهادية ، كما ان الهيئة المركزية للتشكيلة قـــد استغلت ظروف الاضراب العام في التوجيه الى الحركات الجهادية وتجهيزها وتدبيرها . فهذه الهيئة او بعض اركانها هم الذين اخذوا على عاتقهم توجيه الحركات الجهادية في شوطيها الأول والثاني ، واستعانوا ببعض الذين اتصلوا بهم واندمجوا معهم في التكوين السابق ، ومن هؤلاء من كان له اثر بارز في الحركات الجهادية العملية . .

- ١٣ -

قيادة الثورة في يد الفلسطينيين

ولقد تسرب الى فلسطين ملتحقاً بالثورة كثير من اهل شرق الاردن وسوريا ولبنان، غير ان قيادة الثورة ظلت في هذه المرحلة في يد قوادها الفلسطينيين الذين كان جلهم او كلهم من القرويين والذين كانت اللجنة المركزية للجهاد جهزت وسيرت بعضهم في بدء الانفجار على ما ذكرناه قبل . وقد بذلت اللجنة مساعيها امداً غـير قصير في تيسير انضمام القاوقجي في هـذه المرة ايضاً وتوحيد حركات الثورة تحت قيادته لما كان من نجاح التجربة في المرة الاولى ولكن مساعيها لم تقترن بنتيجة ايجابية .

مناطق الثورة وقياداتها وقوادها

على ان قواد الثورة الفلسطينيين الرئيسيين قـد تكشفوا عن مزايا غير يسيرة من الحزم والتنظيم والبراعـة في الكر والفر وفرض النفس وتوطيد الرهبة والهيبة والاسم وحسن ادراك اسباب الثورة وغاياتها مما كان فيه عوض كبير ، وان لم يمكن توحيد القيادة او بالاحرى توطيد وحدتها ، لأنه كان هناك شيء من التكافؤ والتناظر معاً بـين اولئك القواد جعل من الصعب ان يبلع بعضهم بعضاً ، فجرى الامر على هذا المنوال الى آخر الشوط . وكل ما امكن هو توحيد القيادة العليا في

عـدة مناطق تحت ادارة عصبة من طبقة المشايخ (١) التي كان يتزعمها ابو ابراهيم الكبير (خليل العيسى من مزرعـة القدس) بما ظهر منه من شخصية قوية وحزم ودهاء يسانده فيها ابو ابراهيم الصغير (توفيق الابراهيم من اندور الناصرة) وابو علي (سليمان العبد القادر من سمسم غزة) اللذين تكشفاهما الآخران عن مزايا شخصية قوية، حيث ضمت هذه القيادة مناطق طبريا وصفد وعكا والناصرة وقسما من منطقة نابلس وقسما من منطقة القدس الشمالية . وكانت المنطقة المتوسطة (لواء نابلس) مقسمة إلى اربع قيادات رئيسية ، ففي منطقة جنـــين الغربية قيادة تولاها الشيخ عطيه احمـد من حيفا فاستشهد فتولاها الشيخ يوسف ابو درة من السيلة الحارثية ؛ وفي منطقة جنين الشرقية قيادة تولاها محمـد صالح العبد من سيلة الظهر المكنى بأبي خالد ، وهي التي كانت تحت إدارة قيـادة المشايخ الموحدة فاستشهد فتولاها الشيخ عبد الفتاح العبد من نفس القرية المكنى بأبي عبد الله فاستشهد فتولاها (ابو عمر) من نفس القرية وجميعهم من نفس الطبقة، وفي منطقة طولكرم الشرقية قياة كان يتولاها عبد الرحيم الحاج محمد من ذنابـه الملقب بأبي كمال فاستشهد في اواخر دور قوة الثورة فتولاها مدة ما الشيخ احمد محمد الحسن من برقه الملقب بأبي بكر ؛ وفي منطقة طولكرم الغربية قيادة كان يتولاها عارف عبد الرزاق من الطيبة المكنى بأبي فيصل ؛ اما المنطقة الجنوبية فقد كان في منطقة اللد منها قيادة تولاها الشيخ حسن سلامة من قضاء الرملة الملقب بأبي علي الذي تولى قيادة نفس المنطقة في حرب فلسطين الاخيرة وقبل دخول الجيوش العربيـة واستشهد فيها ؛ وفي منطقة الخليل قيادة كان يتولاها عيسى البطاط من قضاء الخليل فاستشهد فتولاها عبدالحليم الجيلاني من الخليل الملقب بأبي منصور ؛ وفي منطقة القدس قيادة تولاها عبد القادر كاظم الحسيني الملقب بمنصور وهو بطل القسطل وشهيدها وقائـــد منطقة لواء القدس في حرب فلسطين الاخيرة . وكان هناك مناطق تقوم فيها حركات ثورية مثل بير السبع وغزة والمجدل وبعض انحاء جبل القدس ، غير انه لم يبرز فيها قائـد يفرض نفسه وقيادته العامة في منطقته فكان قوادها يستمدون تموينهم وتوجيهاتهم من القيادات العامة التي في المناطق القريبة .

(١) هذا التعبير لا يعني مشيخة العلم الديني المعتادة . وانما هو اصطلاح جـاء بسبب ما كان من تدين هذه الطبقة واطلاقهم لحاهم . وهم الذين اشرنا اليهم سابقاً .

مجلس القيادة الاعلى

ولقد امكن كذلك تكوين مجلس اعلى من القواد الرئيسيين لتنسيق العمل والصلات ، وذلك في مؤتمر عقده هؤلاء القواد في صيف عام ١٩٣٨ بتوجيه اللجنة المركزية قرروا فيه ايضاً الاستمرار في الكفاح الى ان تتحقق غايات الثورة ودعوة الشبان المتخلفين الى السلاح واعلان الموراتوريوم لسنة كاملة . وكان هـذا في ظروف قيام لجنة التقسيم الفنية بمهمتها والارهاصات الدائرة عن نواحيها .

- ١٤ -

مباشرة الجهاد وفصائله

وكان من المجاهدين من فرّغ نفسه للجهاد بصورة دائمة ، ومنهم من كان في قريته او مدينته مستعداً للنجدة والعمل ويقوم بالعمل من آن لآخر . وقد كان كل قائد رئيسي يقسم هؤلاء واولئك الى فصائل تحت امرة قائد ثانوي يسمى قائد الفصيل بينما يسمى القائد الرئيسي القائد العام . وكثيراً ما كان يطلق على الفصائل اسماء جهادية اسلامية مثل صلاح الدين وابي عبيدة والقادسية واليرموك وقبصل وسعد والتقوى والجهاد الخ . ويتألف الفصيل عادة من عشرة الى ثلاثين مجاهداً او مسلحاً ويعين القائد العام له ساحة عمل او مهمة خاصة يقوم بها . وقد قوي بعض قواد الفصائل حتى كادوا يرون انفسهم اكبر من ان يظلوا تابعين لقائد ويستقلون بالاعمال الكفاحية والاجراآت المحلية ويزهون بما يكون من بطولات ونجاح لهم فيها ؛ وكان القواد العامون يدارون امثال هؤلاء استبقاء على مظهر وحدة قيادتهم وهيبتها ويرضى هؤلاء بهذه المداراة وقلما يذهبون الى ابعد منها ، ولا سيما ان اللجنة المركزية لم تكن تشجع على الاستقلالات المحلية بل وكانت تحاول دمج القيادات في وحدات كبرى ما امكنها ذلك وتجعل من مساعدتها على التموين قبضاً وبسطاً وسيلة الى بقاء قواد الفصائل مرتبطين بقياداتهم العامة .

بعض قواد الفصائل البارزين

ومن برز من هؤلاء أبو شوكة الدوباني من مزارع القدس وأبو فؤاد حمد الزاوتي من زواتا نابلس وعبد الرحمن زيدان وعبد الجادر من دير الغصون طولكرم وعلي

من مشاهد المؤتمر النسائي في القاهرة وقد تصدرت هدى هانم الجمع

من مشاهد المؤتمر البرلماني في القاهرة ويبدو في الصورة محمد علي علويه واقفاً خطيباً

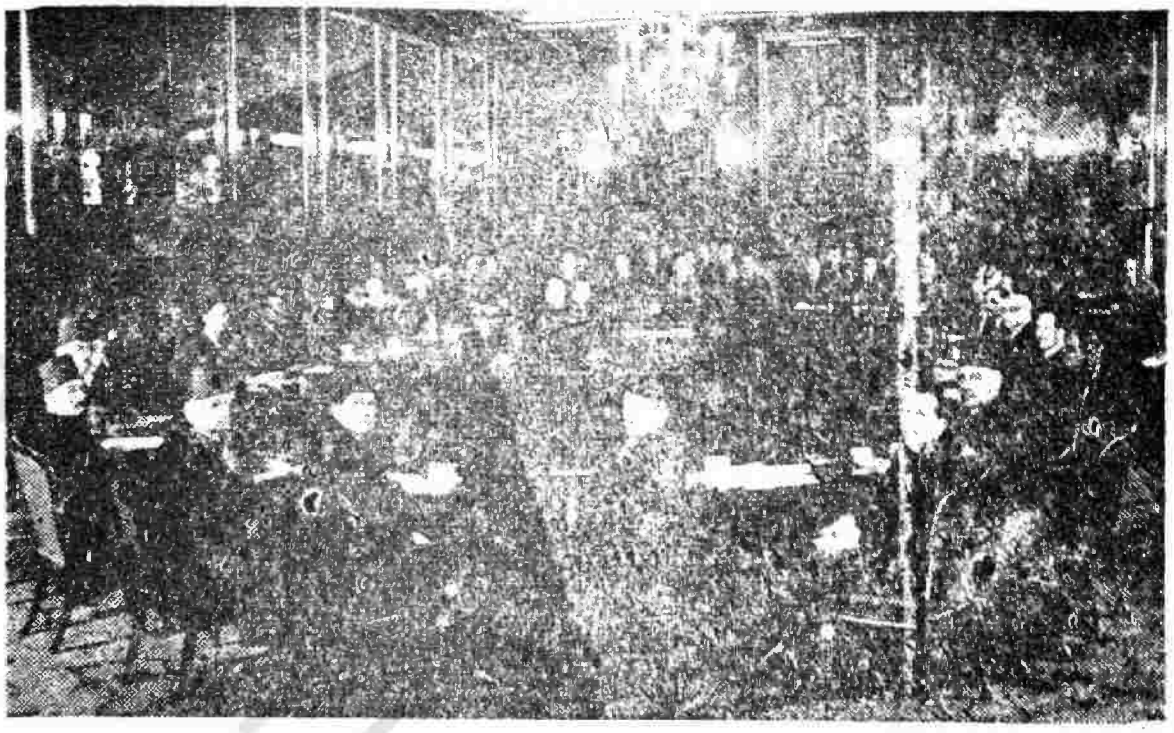

مشهد افتتاح مؤتمر لندن العربي الانكليز في قصر سان جيمس سنة ١٩٣٩

بعض رجال الوفد الفلسطيني لمؤتمر لندن سنة ١٩٣٩

ويبدو في الصورة فؤاد سابا فالدكتور حسين الخالدي فموسى عبد الهادي فأمين التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ الكريم والقائد الباسل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاننا اخذنا نشعر في الاونة الاخيرة بشيء من القلق واضطراب الخواطر بسبب كثيرا من مواطنينا سيما اخواننا المسيحيين بسبب المضايقة في طلب الدراهم من جهات متعددة ومن اشخاص غير مفوضين اولا ومن تهديدهم بالاذى في حالة عدم الدفع ثانيا . ومن اسباب ذلك كثرة استدعاء الناس من قبل القواد وتوقع خاطرهم قبل القواد الثانويين او بالاحرى من قبل بعض منتحلي صفة القيادة من الاثمين وتوجيه التهم اليهم بالحق وبالباطل حتى لقد قيل ان النازحين مع عائلاتهم هم البلاء لهذه الاسباب قد جاوز عددهم العشرة الاف وان هذه الحالة قد اخذت تلفت انظار المغلمين الغيورين وبعملتهم ينتظرون علاجا حكيما لها ونحن لا نجهل انهم في مثل هذه الظروف تروج الوشايات وتكثر الايدي الدساسة ويحاول بعض من لهم خصومات شخصية ان ينتقموا من خصومهم بشتى الوسائل والاتهامات هذا عدا عن ان السلطات الاستعمارية واعوانها والخبث اليهودي واساليبه تحاول ان تلعب دورا ساما لهما للافساد وخلق جو من الخوف والقلق في نفوس الناس .

اننا نعلم حق العلم ان هذه الامور لا تذهب عن ادراكم ولا تخفى عن بصيرتكم وانا نعلم حق العلم ايضا ان لكم تشاركوننا بكل جوارحكم في الاشراف بما في هذه الامور من تلويث بالفضيحة الجهاد الطاهرة النقية التي سطرها المجاهدون الابرار باحرف التضحية والبطولة ولهذا فاننا نرجو ان تعالجوا هذه الامور بما عرف عنكم من الحكمة والروية فتشرفون بعد من عليه كل من تسول له نفسه القاء الرعب والقلق في نفوس الناس او سلبهم اموالهم بغير حق او بطائل ، انتقام والكيد الشخصي وتضعون الاسناء للوشايات بحيث لا يؤاخذ احد بذنب او تهمة الا بعد التثبت منها وقيام البراهين الدالة عليها وان تعاملوا الجميع بالرأفة في ذلك الذين تثبت لكم نياتهم الحسنة وسيرتهم الطيبة وان يقل استدعاء الناس واخافتهم لاسباب تافهة .

وهذا لو نشرتم منشورات تحثون فيها عزيمكم على عقاب الوشاة والدساسين والسلابين تشيرون فيها الى خطورة الثورة المقدسة وتقاوتها ـ الظلم والسلب والغدر والباطل وان الناس لاسيما اخواننا المسيحيين يجب ان يكونوا امينين على اموالهم وارواحهم و تقاليدهم فان منشورات مثل هذه تعيد للقلوب طمانينتها وتردع الوشاة والدساسين والسلابين وتكون نهاية قوية لاعداء ثورتنا المقدسة وعنوانا راقما لقبل قوادها الابطال والله المسئول ان يثبت اقدامكم ويرزقكم النصر المبين وان يهدينا واياكم سبل الرشاد ويجنبنا المواقف الزالة ومواطن العثرات بحوله وعنايته

عن لجنة القيادة العامة

اللجنة المركزية للجهاد الوطني في فلسطين

بيان وتحذير

من اللجنة المركزية للجهاد الوطني بفلسطين

لقد ثبت للقيادة العليا للثورة العربية في فلسطين ، ان بعض الخوارج والمرتزقة الذين تحقق انهم يعملون من السلطة الغاشمة واعوانها من الصهيونيين والخونة ، وقد حاولوا ان يتخذوا من ثورتنا العربية المقدسة وسيلة لبلوغ اغراضهم الخسيسة من تشويه تلك الثورة باعمال السلب والنهب بقدر ما تصل اليه ايديهم الاثيمة ، واستغلالها لمآربهم الشخصية الدنيئة . وقد انضم اليهم بعض اللصوص فتجرأوا على ازعاج الاهلين بطلب النقود والمساعدات المادية متوسلين الى ذلك بوسائل الارهاب والتهديد ، منتحلين لانفسهم صفة المجاهدين في سبيل الله ، الثائرين في وجه الظلم لانقاذ البلاد المقدسة ، وهم من ذلك براء .

لذلك فان القيادة العليا لا ترى بدأ من تحذير المواطنين الكرام من اولئك الخوارج المأجورين السلابين الذين ليس لهم ضمير حي ولا وجدان شريف يردعانهم عن التردي في حمأة الرذيلة ومقارفة تلك الاعمال الخسيسة . وهي ترجو من كل عربي في فلسطين كان عرضة لتطاول اولئك الخونة واللصوص الآثمين ان يسارع الى اعلام قيادة الثورة بكل محاولة من المحاولات التي قاموا ، او هم يحاولون القيام بها من هذا القبيل لتعمل على تأديبهم باقصى الشدة والضرب على ايديهم بيد من حديد ، واعادة المال او المتاع المنهوب الى اهله ، فان القيادة العليا حريصة كل الحرص على تأمين راحة الاهلين جميعاً وطمأنينتهم على ارواحهم واموالهم كما هي حريصة على وضع حد لتلك الاعمال الخسيسة التي تشوه جمال ثورتنا العربية وجهادنا الوطني المقدس .

ولهذه المناسبة فان القيادة العليا تعلن للاهلين اجمعين انه لا يحق لاي كان ان يأخذ اي مبلغ منهم او يفرض اية غرامة عليهم . وعلى كل عربي تشعر نفسه الكريمة بالعطف على المنكوبين من ابناء وطنه الذين دهموا ضحية الظلم الاستعماري الفظيع والعدوان الصهيوني الاثيم ، ان يتقدم بما تجود به نفسه من مساعدة مادية ، وبالطريقة التي يراها مناسبة ، الى اللجنة المركزية للجهاد الوطني او اللجنة المركزية لاعانة المنكوبين مقابل ايصال رسمي يحتفظ به لابرازه عند الطلب (وما على المحسنين من سبيل)

هذا بيان للناس ولله المسؤول ان يوفق اعمالنا وينجح مقاصدنا وينقذ اوطاننا والسلام على من اتبع الهدى .

اللجنة المركزية للجهاد الوطني بفلسطين

بيان المجاهدين
الى الأمة العربية الكريمة

قد بلغ المجاهدين في فلسطين ان بعض الاشرار قاموا باقتحام بعض المنازل في القرى العربية وتصدوا لفريق من المارة العرب او بعثوا بكتب التهديد بقصد النهب وسلب الاموال ، وانهم فعلوا ذلك باسم المجاهدين وتحت ستار الجهاد المقدس .

ان المجاهدين قد باعوا انفسهم لله ، وخرجوا في طاعته لم يخرجوا الا ابتغاء وجهه ، والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته واكتساب مرضاته لا يرضون بذلك بديلا ولا يبغون عنها حولا ، صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وهم يتسابقون الى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق واقامة للعدل ودفاعا عن امتهم الكريمة وبلادهم المقدسة قد فارقوا في سبيل ذلك اهلهم وتركوا اموالهم وعطلوا مصالحهم

ومن كان هذا حالهم ، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة من الله لا من سواه ، حاشا لله ان يفسدوا في الارض ويسلبوا اموال اخوانهم ، فيبطلون بذلك اعمالهم ويخرجون من زمرة المجاهدين الابرار الى زمرة السفلة الاشرار .

ولذلك فان المجاهدين يعلنون بان هؤلاء السلابين ليسوا منهم وانهم بريئون من تلك الاعمال الدنيئة ويلفتون نظر الاهالي جميعا الى ما ثبت حقيقته من ان بعض هؤلاء الاشرار ينتهزون الفرص ليصطادوا في الماء العكر كما ان بعضهم مدفوع من قبل دائرة الاستخبارات السرية الانكليزية ، وانها تستأجرهم لذلك بقصد توهين صفوف الامة وايقاع الفساد بينها وتشويه حركة الجهاد المقدسة ، وقد حدث ان شخصا داهم في المدة الاخيرة منزل رجل عربي ليلا وطلب منه مالا وهدده بالقتل ان لم يدفع فاستعان الرجل ببعض الناس وقبضوا عليه وفتشوه فوجدوا معه مسدس بوليس رسمي واوراق تدل على انه ذو صلة بدائرة الاستخبارات الانكليزية وان هذه الدائرة قد استخدمت بعض الافراد والجماعات للقيام بهذه الاعمال السافلة .

والمجاهدون الذين اخذوا على عاتقهم متابعة هؤلاء الاشرار الأجراء ومطاردتهم يرجون كل من يقع له حادث مثل هذا ويتمكن من معرفة فاعليه او الاشتباه بهم ، ان يتوسل لابلاغ ذلك الى قيادة اي فريق من المجاهدين لينالوا شر الجزاء على ماتقترفه ايديهم الاثيمة .

واننا نهيب بكل مسلم وعربي ان ينهض للجهاد في سبيل الله ويساعد المجاهدين على الدفاع عن البلاد المقدسة التي هي امانة في عنق كل منهم يسأل عنها امام الله والناس والتاريخ ، ونحن ماضون في هذا السبيل ان شاء الله الى ان يكتب النصر لهذه الامة او يأتي الله بامر من عنده (ولينصرن الله من ينصره) ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ، والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير .

قيادة الثورة العامة في فلسطين

بلاغ رقم (٢)　　(نصر من الله وفتح قريب)

احتلال مدينة جنين ومعارك دامية

قررت القيادة العامة القرارات التالية :

اولا مهاجمة مركز بوليس بيسان ثانياً احتلال جنين ثالثا مهاجمة مراكز الجيش نابلس رابعا مهاجمة الداوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين

وتنفيذاً لهذه القرارات خرج فصيل عمر بن الخطاب وقام بمهاجمة مركز الخبيزر تابعة لبيسان فاستولى على جميع اسلحته وامتعتهم قامت الفصائل الاربعة فصيل القسام وحمزة بن العباس وعمرو بن العاص وابو بكر وطوقوا جين من جميع جهاتها ثم هاجموها بالتكبير والتهليل تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصب نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند مما جعلهم ان بولوا هاربين الى البيوت ملتجئين ودخل المجاهدون المدينة واستولوا على ما فيها من ذخيرة وبنادق

اما فصيل علي بن ابي طالب فقد اتجه شطر نابلس وهاجم قوات الجيش في مراكزها في الشرق والغرب واصلاها ناراً حاميه

وهاجم فصيل خالد بن الوليد وابي عبيده الداوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين فاصطدمت معها في وادي دعوق وقد قتل سائق السيارة المصفحة وهو يهودي وسائق سيارة ثانيه وهو جندي طوقه الثوار وحاول ان يغريهم بالدراهم التي معه ليتركوه ولكنهم رفضوا وطلبوا اليه تسليم نفسه فأبى واشهر مسدسه عازما على غدرهم وعندها اطلق الثوار عليه النار فقتلوه

قائد منطقة نابلس وجنين

(الشيخ عطيه)

القارس من أم الفحم وفوزي الجرار من صانور ومحمود سالم من زرعين وعبد الله الاصبح من الجاعونة وصبري الحمد من السنديانه وإبراهيم العموري من ارتاح طولكرم وأبو سليمان عبد الحميد المرداوي من مردا نابلس وعبد الله الاسعد من عتيل وعبد الله الطه من سيلة الظهر وإبراهيم أبودية من صوريف الخليل كذلك برز عدد آخر من القواد الثانويين إسماً وكفاحاً مع بقائهم منسجمين مع قوادهم العامين انسجاما تاماً منهم كامل الخطاب من طولكرم ومحمود الخضر الملقب بأبي خضر من حيفا ومحمود سليم الصالح الملقب بأبي عاطف من عموقه صفد ومحمد محمود الصفوري الملقب بأبي محمود من صفوريه وأحمد التوبي الملقب بأبي غازي من صفوريه والحاج محمود الشتيوي من سمخ . وهؤلاء واولئك ليسوا كل البارزين وانما الذين حضروا الذاكرة حين الكتابة حيث برز عدد لا يقل عنهم ايضاً وقد استشهد كثير منهم فتلألأ سجل شهداء فلسطين بنور دمائهم الطاهرة .

مباشرة المعارك الكبرى

وحينما تكون تطويقة ومعركة كبرى نتيجة للحركات التي يقوم بها الفصائل تتجمع هذه حول القائد العام الذي يكون قائد الحملة . وكثيراً ما يكون عدد المتجمعين ثلاثمئة وأربعمئة ، وكثيراً ما تأتي « فزعات » من قرى المناطق الاخرى وفصائلها فتبلغ الحملة ستمئه وسبعمئة ، ويقسمهم القائد العام الى كتل صغيرة مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة ومناوشين وكارّين وفارّين وحماة وهكذا بحيث لا يكون إشتباك عام ، وكثيراً ما يتمكن القائد العام من إختيار المركز الملائم لحملته او قلبها والذي يكون على الأغلب في الجبال والأدغال والوعور . والقواد العامون يعرفون ان حماس رجالهم مستمد من حماسهم وإقدامهم فيقدمون وقد يتقدمون الحملة .

ولقد ذهب في عداد ضحايا الثورة عدد من هؤلاء القواد الرئيسيين كما ذهب عدد كبير من قواد الفصائل ، وكان فراغ القائد الشهيد يمتلىء بعد قليل من الواقعة فلا يتشتت شمل رجاله ولا ينفرط عقد فصائله . ولم يكن هذا في أوج سلطان الثورة حيث كان يسبغ على القائد فخاراً واسماً وتكريماً ونفوذاً يحفز الى المغامرة بل كان يقع في الدورين الثاني والرابع من الثورة ايضاً مما فيه الدلالة على أصلية روح

الكفاح وقوته منذ الاصل في الذين تولوا القيادة رئيسية كانت او ثانوية ونموها ولقد نشرت السلطات منشوراً باسماء واحد وعشرين منهم ووعدت بمكافآت سخية متفاوتة حسب قيمة ونشاط كل واحد ممن يساعد على اعتقالهم ظناً منها ان هذا قد يغري الوشاة ويشل الحركة ، وقد خاب ظنها فلم يفد تكرر النشر والاغراء . وقد اعترف وزير المستعمرات بالفشل أمام لجنة الانتدابات عام ١٩٣٨ حيث قال إنه أعلن عن مكافآت مجموعها عشرون ألف جنيه لاعتقال المتهمين بقيادة الثورة فلم يتقدم أحد .

مظاهر سلطان القواد العامة

ولقد أصبح قواد الثورة الرئيسيون بالاضافة الى قيادة معارك الثورة الكبيرة وتوجيه الفصائل وادارتها وتدبير مختلف الشؤون الكفاحية بمثابة الحكام الاداريين او الامراء الاقطاعيين ، كل له منطقة معروفة الساحة والقرى ، لهم أختامهم وأوراقهم المطبوعة ونشراتهم وبلاغاتهم عن أحداث الثورة والتوجيهات المتنوعة الاخرى ولهم كتابهم وحجابهم وحراسهم ومنفذوا أمرهم ، يصدرون الأوامر والتعليمات ويوجهون الناس في ما تقتضيه الظروف ويعقدون المجالس لحل ما كان يعرض عليهم من قضايا ومشاكل خاصة وعامة ثورية ومدنية وجزائية وحقوقية وينفذون أحكامهم بالسرعة ويجلبون الشهود والخصوم رضاء او كرهاً ، وتزدحم معسكراتهم بالغادين والرائحين زواراً ومتقاضين ومستجيبين ومقترحين ومشتكين ومنفذين ومتزلفين بالهدايا دون مبالاة بالسلطات وقواتها واجراآتها ، ومنهم من افتتح «الدفاتر العتق» فأخذ يجلب السماسرة وباعة الاراضي ويحاكمونهم ويحكمون عليهم بمختلف الأحكام والغرامات والعقوبات وينفذونها كما كانوا يحكمون بالموت وينفذونه على من تثبت الشهادات والوقائع خياناتهم وتجسسهم .

وكانت القرية التي يحل فيها قائد عام تزدحم بأهل القرى المجاورة بل وبوفود المدن القريبة وتقام الولائم والحفلات الحماسية وتنشد الأهازيج وترسل الزغاريد كأنما الناس في عيد عام دون مبالاة ولا تحسب كأنه لم يكد يلمس للحكومة وجود خارج المدن .

ولقد زار بعض مراسلي الصحف الأجنبية بعض القواد بعد استئذان ومراسم

فوصفوا ما بلغ اليه شأنهم وسلطانهم وبراعتهم وهيبتهم وصفاً شائقاً . ومن طريف ما حصل أن بعض الثوار نهب بيتاً إنكليزياً في حيفا فذهبت صاحبة البيت تشكو للحاكم الانكليزي فهز كتفيه وقال لها مازحاً اذهبي لأبي درة وهو قائد عام في منطقة جنين له بعض الاتباع في حيفا فأخذت الكلام جداً ودبرت أمرها حتى استطاعت ان تزور أبا دره في معسكره وأن تطلب منه إعادة منهوباتها فعرض عليها بعض رجاله فتعرفت على بعضهم وحينئذ اعترف الثائر بصحة دعواها فأمره القائد بردما في يده من مالها وحليها مقابلة لما كان من قدومها وشكواها اليه .

وربما كان يحدث أن بعض المدعين الذين تطول قضاياهم في محكمة مدنية أو شرعية كانوا يطلبون شطبها أو تأجيلها الى أجل غير مسمى ثم يرفعونها الى قائد عام منطقتهم لأنهم كانوا يرون سرعة الحكم والتنفيذ لديه أضمن ، وكان بعضهم يحتال حتى يأخذ ملف قضيته ويقدمه الى القائد العام ، بل وقد كان بعض القضاة العرب في المحاكم المدنية يوحون للمدعي بذلك ويسهلون عليه الحصول على ملف قضيته .

- ١٥ -

أخطاء الثورة

ومما يجب تقريره أنه كان يقع أخطاء في إجراآت وتصرفات القواد ، غير أن اكثرها كان يقع عن حسن نية ونتيجة لسوء الفهم او ضعف التقدير او سوء نية الناقلين والمخبرين ، ولم يندر مع ذلك ان يستغل بعض القواد وخاصة بعض قواد الفصائل ما وصلوا اليه من صولة وهيبة ونفوذ إستغلالاً غير بريء مما ادى الى تذمرات وشكايات عديدة كانت اللجنة المركزية للجهاد تبذل قصارى جهدها في التنبيه عليها والتنديد بها والعمل على تلافيها ببلاغات عامة ترسلها الى القواد العامين ، وقد أذاع القواد نتيجة لذلك بيانات تبرأوا فيها من اعمال النهب والغصب والاغتيال التي كان يقترفها بعض قواد الفصائل أو بعض الثوار واعتبروا الفاعلين خوارج وأنذروهم بشديد العقاب وأعلنوا استعدادهم لسماع الشكاوي والتحقيق فيها وتأديب من يثبت عليه مثل تلك الأعمال . وقد نشرنا مع هذا صوراً زنكوغرافية لبعض البلاغات والمناشير في هذا الباب . وقد نفذ القواد وعودهم

وأدبوا بعض الذين أدينوا بهذه الافعال . وقد حاولت اللجنة المركزية فيما حاولته ان تلحق بكل قيادة مستشاراً إداريا وآخر قضائياً وواعظاً تتكون منهم لجنة حين الحاجة لضمانة عدم التورط في تلك الاخطاء وسارت بعض الخطوات في سبيل تحقيق هذا القصد . وقد اوفد الى الجبهات من أجل ذلك كل من واصف كمال وممدوح السخن وفريد يعيش ورشاد الشوا ومحمود علاء الدين وسليم الحسبني واكرم الجاعوني ومصطفى الطاهر .

وأكثر الذين تولوا القيادات العامة لم يعينوا لها تعييناً وانما فرضوا أنفسهم فرضاً بقوة شخصياتهم وبسالتهم ومجازفتهم وفرضهم أنفسهم على من انضم اليهم ، وتوطد مركزهم مع الاستمرار وبنسبة اتساع الثورة واشتدادها . ولم يسع اللجنة المركزية إلا أن تساير الوقائع وتتدبر بحكمة في تقويم ما اعوج منها وفرضت نفسها واسماع كلمتها . وكان ما تستطيع اللجنة أن تمد القيادات به من مساعدات متنوعة وسيلتها إلى ذلك . غير أن مواردها الضعيفة لم يكن لتسمح بأن تكون هذه المساعدات وافية وان تكون الوسيلة الحاسمة . ومع ذلك فقد استطاعت اللجنة ان تكون قابضة على زمام الأمر منذ البدء وأن تظل كذلك وان تحمل القواد على اعتبارها مرجعهم وان يكون الاتصال بينهم وبينها وثيقاً وتعليماتها وتوجيهاتها نافذة في اكثر الظروف وبنسبة لا تقل عن ستين بالمئة . وهي نسبة ناجحة في ظروف الثورة وطبيعتها وفي بلاد مثل بلادنا وكيفية مثل الكيفية التي كانت عليها الثورة في هذه المرحلة من دون ريب . وقد انقصنا النسبة عن تمامها بسبب ما كان يقع من القواد من اجراآت وتصرفات غير سليمة أو غير حكيمة احياناً باجتهادهم الشخصي ودون رجوع الى اللجنة ووقوف عند تعليماتها وتوجيهاتها ، وبسبب ما كان يقع كذلك من بعضهم من اعمال استغلالية لا تتفق مع الغاية التي استهدفتها الثورة ، ثم بسبب ما كان يلمس من تأثر بعضهم بالاهواء والتحريضات المغرضة ومن اندفاع بعضهم وراء الزهو والتبجح والتنافس . على أن من الحق ان نذكر أن حسن ادراك القواد لأسباب الثورة وغاياتها وغلبة الروح الجهادية والوطنية والدينية كان مؤثراً الى حد غير يسير في تلك النسبة من نجاح اللجنة المركزية .

واذا نحن نوهنا بحسن ادراك القواد لأسباب وغايات الثورة فاننا لا نعني ان ذلك كان خافياً على غيرهم من قواد ثانويين أو مجاهدين بل والسواد الاعظم الذي

كان مندمجاً في الحركة الكفاحية . فقد غدت هذه الاسباب والغايات واضحة للجميع منذ نشوب الثورة وخاصة منذ اعلان تقرير التقسيم وتبني الحكومة الانكليزية لمشروعه والعزم على إقامة دولة يهودية في قسم من فلسطين فضلا عن انه القسم الأفضل من مختلف الوجهات وان فيه ظلماً صارخاً في حد ذاته من ناحية سكانه وملاكه العرب .

- ١٦ -

خسائر الثوار

اما خسائر السلطات فلم ينشر عنها اجمال عام فيما نعلم . وكانت النشرة الرسمية تتحفظ كثيرا في الاشارة اليها حتى لقد كادت تغفلها الا مالا امكان لنكرانه من حوادث تقع جهرة ونهارا في المدن والا بعض اشارات تافهة ذراً للرماد في العيون. فبينما يكون الثوار هم البادئون او المستفزون والمتحرشون وكانوا كذلك في الاعم الاغلب ثم تجري حركة تطويق واسعة يكون الثوار فيها متحصنين في الجبال والوعور والادغال وغير متكتلين صفوفا وتدوم المعركة ساعات طويلة . وتضطر اخيراً للانسحاب تقول نشرتها انه جرح جندي واحد جراحا خفيفة أو ثقيلة واحيانا تذكر قتل جندي او ضابط ثم تقول انه يُعتقد وقوع عشرين اوثلاثين اصابة في الثوار.. وينجلي الميدان عن دماء غزيرة في اماكن الجيش ثم تاتي الرسل تحمل اخبار المعركة بوصف عظيم ونصر مبين للثوار في اكثر المعارك وعدد كبير من ضحايا قوات السلطات واسلابها .

ولقد التحق بعض افراد من الجيش الانكليزي بالثوار على ما ذكرنا سابقا فذكروا ان اصابات الجيش هي اضعاف اضعاف ما تنشره النشرات .

ولقد حظرت السلطات على صحف فلسطين تفصيل الحوادث والتعليق عليها مما كانت تعتذر به للرأي العام عن اقتضابها الاخبار حتى لقد اضربت مرة بسبب ذلك. ومع ذلك فقد كانت تحتوي اشارات موجزة الى احداث كثيرة لم ترد في النشرة ومن جملة ذلك اخبار سيارات الاسعاف التي كانت تغدو وتروح عقب المعارك والتطويقات او اثناءها ، فكان ذلك سببا لتحظير نشر شيء غير النشرة الرسمية ؛ فضلا عن ما كان محظوراً من نشر اي شيء عن الحركات والتنقلات العسكرية

كأن جيوش بريطانية العظمى في حرب مع دولة كبرى مثلها ترى من الخطر نشر تنقلات جيوشها وحركاتها العسكرية .

على انه كان يرد احيانا في الصحف الانكليزية واليهودية وعلى لسان وزير المستعمرات بعض الانباء والاعداد . ففي اجابة للوزير ذكر ان عدد القتلى في مايس ١٩٣٨ قد بلغ ٣٦ والجرحى ٤٤ دون تعيين . وفي اجابة اخرى له ان عدد القتلى في الاسبوعين الاخيرين من تموز ١٩٣٨ بلغ ٧٧ والجرحى ٢٤٧ دون تعيين أيضا وفي برقية من لندن ان إصابات شهر تموز ١٩٣٨ بلغت ٦٧٧ منها ١٤٦ قتيلا و٢٤٦ جريحا من العرب و٤٨ قتيلا و١٩١ جريحا من اليهود و١٩ قتيلا و٢٣ جريحا من الانكليز . وفي برقية اخرى ان اصابات الايام العشرة الاولى من شهر آب ١٩٣٨ بلغت ٣٥٧ منها ١٥ قتيلا وستة جرحى من الانكليز و٤١ قتيلا و٧٦ جريحاً من اليهود و١١٨ قتيلا و١٧٦ جريحاً من العرب . وفي برقية اخرى ان اصابات شهر آب ١٩٣٨ هذا بلغت (٥٤٩) ... ولاتمثل هذه الارقام الحقيقة فيما نعتقد بل ونجزم وخاصة بالنسبة لاصابات السلطات والعرب . لان أكثر هذه الاصابات كانت تقع في المعارك والتطويقات التي كانت تجري في البر والجبال والادغال والوعور ، وكانت السلطات تخمن إصابات العرب فيها تخمينا بينما تتكتم في اصاباتها تكتما شديداً . ولذلك لا نتجاوز المعقول اذا قدرنا اصابات قوات السلطات في الاشهر الستة التي كانت التطويقات والمعارك تتوالى وتشتد من اشهر صيف وخريف سنة ١٩٣٨ بستمئة واذا ضاعفنا هذا العدد بالنسبة لبقية سنتي الثورة اي من خريف سنة ١٩٣٧ الى خريف سنة ٩٣٩ بما في ذلك اصابات البوليس الفلسطيني اليهودي والعربي معاً ، وهذا بالاضافة الى ستة ملايين جنيه كانت احتياطية في خزينة فلسطين فبلعتها النفقات الاضافية للحركات ثم اخذ وزير المستعمرات يطلب الاعتمادات المالية من البرلمان على حساب الخزينة البريطانية مما كان له رد فعل شديد في الاوساط الانكليزية حيث اخذت تشعر بشدة العبء الذي تحمله ، ولا يدخل في هذا ما اصاب ممتلكات الحكومة في فلسطين من خسائر كبيرة .

اما اصابات اليهود فانها مهما تحفظنا في التقدير لا تقل عن الف وخمسمئة ربعهم ان لم يكن ثلثهم قتيل . واذا كان من الصعب تقدير الخسائر التي لحقت بمستعمراتهم

وممتلكاتهم وبساتينهم وحقولهم فليس من التجوز ان نقدر قيمة ذلك بنحو مليوني جنيه فضلا عن ما تكلفه من نفقات الدفاع والخفراء والاسلاك الشائكة التي أحاطوا بها جلّ مستعمراتهم وفضلا عن ما منوا به من عطالة شديدة وغلاء باهظ وانقطاع سياح ومهاجرين واغنياء بل وتبرعات مما لا يقل قيمته عن مثل ذلك وفضلا عن حركة النزوح الواسعة التي كلفتهم طائل النفقات .

- ١٧ -

آثار الثورة في العالم العربي والاسلامي

ولقد كان لثورة فلسطين واخبارها وضحاياها وبطولة ابنائها وتحملهم آثار عظيمة في العالمين العربي والاسلامي .

ففي مصر نشط محمد علي علوبه في تكوين لجنة برلمانية اشترك فيها عدد من الشيوخ والنواب من مختلف الاحزاب ووضعت مذكرة قوية باستنكار المظالم الواقعة على فلسطين والانتصار لعروبتها وعربها بلغ عدد موقعيها منهم (١٧٠) ؛ ثم قررت عقد مؤتمر برلماني عربي ونفذ ذلك حيث عقد في القاهرة في صيف عام ١٩٣٨ اشترك فيه نواب وشيوخ عديدون من مصر والعراق وسورية ولبنان يمثلون مختلف الاحزاب كما اشترك فيه وفد من فلسطين واخر عن المغرب العربي وثالث عن مسلمي الهند ورابع عن مسلمي البشناق اليوغوسلافيين . وقد قرر تاييد الميثاق القومي الفلسطيني واستنكار اصرار الحكومة الانكليزية على التقسيم ، وما توقعه على عرب فلسطين من المظالم بسبيل ارغامهم على الخضوع لسياستها ، وتمجيد بطولتهم ، كما قرر ارسال وفد الى لندن يرفع الصوت فيها عاليا بذلك التأييد وهذا الاستنكار ؛ وحظي المؤتمر بعطف الملك فاروق ورعايته . ولقد سافر وفد المؤتمر فعلا برآسه محمد علي علوبه ، وبذل جهوداً مشكورة بسبيل مهمته .

وتبع المؤتمر البرلماني المؤتمر النسائي العربي في القاهرة الذي نشطت في سبيل دعوته هدى الشعراوي وساعدا كرم زعيتر في انجاحه . وقد اشترك فيه عدد كبير من النساء العربيات في مصر وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والعراق كمندوبات عن جمعياتها النسائية . وقد حذا حذو المؤتمر البرلماني في تاييد ميثاق فلسطين واستنكار المظالم الانكليزية بسبيل تنفيذ المؤامرة اليهودية الانكليزية ،

والاشادة ببطولة العرب وما تحمله اهل فلسطين من عظيم التضحيات .

ونشط جماعة الاخوان المسلمين فقاموا بمظاهرات عديدة وكذلك نشط الازهر وعلماؤه وطلابه ونشروا بيانات شديدة .

واهتمت الحكومة المصرية اهتماما غير يسير وكان يتولاها محمد محمود فقامت باتصالات عديدة وأبدت في البرلمـــان عواطفها وتاييدها ، وكانت قضية فلسطين موضوع اهتمام خاص في زيارة محمد محمود لندن في هذه الاثناء .

ودبجت يراعات الكتاب مقالات رائعة في جهاد فلسطين وسمو حركتها وقدسية فلسطين في نظر العرب والمسلمين .

ومع ان الوفد المصري لم يندمج في حركة المؤتمر البرلماني اندماجا قلبياً بسبب التنسيقات الحزبية فان قضية فلسطين كانت من المواضيع التي اولاها عناية في مؤتمره العام .

وفي الجملة فقد كان اهتمام مصر وحماسها للقضية أشد وأقوى منه في عام ١٩٣٦ وكان حماس العراق واهتمامه ومساعداته قوية عظيمة هذه المرة ايضا ؛ فتكررت المظاهرات والاحتجاجات من مختلف الهيئات في مختلف المناسبات كما ان مدنه أضربت أكثر من مرة وجمعت جمعية الدفاع عن فلسطين مبالغ غير يسيرة لمساعدة منكوبي الثورة ومدها كما تيسرت لها منه وسائل مهمة . وجرت اتصالات عديدة رسمية بين الحكومة العراقية والحكومة الانكليزية في صدد القضية وتطوراتها وحلولها ؛ وأذاع علماء العراق بيانات قوية في تمجيد الجهاد وقدسية فلسطين .

وقد تأثر شرق الاردن فاضربت مدنه وخاصة عاصمته وتظاهرت اكثر من مرة ؛ ووقعت اعتداآت عديدة على انابيب البترول الممتدة في أراضيها كما حدثت أحداث ثورية من اعتداآت على المخافر ودور الحكومة في منطقة جبل عجلون ، واخـذت بعض الفئات الوطنية بالتضامن مع حركة الجهاد الفلسطينية تتهيأ للقيام بحركة ثورية قوية ضد الانكليز ومنشآتهم وان لم تصل الى نتيجة ايجابية مما أزعج السلطات فيه أشد الازعاج . وقد التحق كثير من أبنائه بالثوار في فلسطين أيضا ؛ وهذا فضلا عن ما كان له من دور هام كمصدر من مصادر تموين الثورة وكطريق لقوافل الثوار ومددهم من سورية .

وكان نصيب سورية ولبنان عظيما ، لانهما كما قلنا قبلا كانتا مصدراً رئيسياً من مصادر تموين الثورة ومركزاً من مراكز ادارتها وتوجيهها فضلا عما كان من نشاط عظيم في سبيل جمع التبرعات وتنظيم مواردها مما كان لنبيه العظمه فضل كبير فيه، وفضلا عن ما التحق بالثورة من عدد غير قليل من ابنائها . وكانتا الى هذا تتجاوبان مع اهل فلسطين في كل موقف حيث كانت الاحتجاجات والمظاهرات والاضرابات تتكرر كلما وقع حادث عظيم او ظلم جديد . وقد عقد علماء البلدين مؤتمراً كانت قضية فلسطين من أهم مواضيعه ، واذاع بياناً استنكارياً وتأييداً قوياً .

واشارت الصحف اكثر من مرة الى اهتمام العاهـــل السعودي لقضية فلسطين واحداثها واستنكار تقسيمها واتصالاته بالحكومة الانكليزية وارساله المذكرات الشديدة اليها في صددها كما كانت موضع اهتمام ولي عهده الأمير سعود في رحلاته حيث كانت تؤثر عنه تصريحات شديدة عن قدسية فلسطين وعدم امكان التساهل في تهويد جزء منها مهما كانت النتائج .

وكانت عواطف مسلمي الهند تبدو من حين الى حين بما كان يعقد من اجتماعات ومؤتمرات عظيمة يتقرر فيها الاستنكار والاحتجاج ويشاد ببطولة عرب فلسطين ويؤيد ميثاقهم وينوه بما لفلسطين من قدسية عظمى لدى مسلمي الهند وترفـــع الاخطارات بذلك الي الحكام الانكليز . وقد اعلنت الرابطة الاسلامية يوماً خاصاً باسم فلسطين اضرب فيه المسلمون في كافـــة انحاء الهند وابرقت فيه برقيـــات الاستنكار الشديدة .

وكان كل هذا مما يقوي من نفوس عرب فلسطين وعزائمهم وصبرهم وتصميمهم على الاستمرار في الكفاح الى النهاية .

- ١٨ -

آثار الثورة في الاوساط الانكليزية

ولم تمض غير مدة يسيرة حتى اخذ رد فعل الثورة يبدو على الأوساط الانكليزية بأشكال متنوعة . فقد اخذت بعض الصحف الانكليزية بمـــا فيها التايمس وبعض رجالات الانكليز البارزين ومعهم بعض يهود الانكليز يرددون صعوبة تنفيذ التقسيم

وخطورة عواقب إغضاب العرب والمسلمين ، والتنويه بما ثار في نفوسهم من حقد وعداء بسبب سياسة التقسيم ؛ واخذت الارهاصات تكثر عن الرغبة في العدول عنه وايجاد حل مناسب على غير اساسه ، وتحديد الهجرة اليهودية بحيث يظل العرب محتفظين باكثريتهم لئلا يفقد الانكليز ثقة العرب بالمرة وتغدو الثورة داء متأصلا ، حتى لقد اخذ ينشر ان خلافاً قد نشب في مجلس الوزراء البريطاني وان وزير المستعمرات اورمسبي غور هو الأشد تمسكا وإصراراً على خطة التقسيم ، وصارت بعض الصحف تطالب بانسحابه للخروج من المأزق .

ولقد جرت هذه الاثناء مفاوضات بين بريطانية وايطالية انتهت بشيء من التصافي والتفاهم بعد ان اشتد التوتر بينهما بسبب غزوة الطليان للحبشة فكتبت بعض الصحف الانكليزية تقول ان الآمال التي عقدها البعض على تحسن الحالة في فلسطين بعد هذا التصافي وسكوت ايطالية عن الدعاية بين العرب كانت كاذبة وان المطلع على حقيقة الحالة في فلسطين يعلم مقدار الحقد الذي اثرناه علينا في صدور العرب بسبب سياسة فرض اليهود عليهم بالقوة ، ويعلم كذلك ما في حركتهم من روح قومية . واثيرت قضيه فلسطين امام لجنة الانتدابات في سنة ١٩٣٨ فاغتنم اليهود الفرصة وحملوا بعض انصارهم على ترديد نغمة الاموال الاجنبية في ثورة فلسطين كما فعلوا سابقاً فلم يكن لهذا رد فعل كما كان اولا وكان الصوت خافتاً ولم يلبث أن اختنق ؛ وسارعت الصحف الانكليزية الى الرد على هذه النغمة التي يظل اليهود يرددونها لتشويه وجه الحركة القومية العربية وتسفيهها واخذت تشبه فلسطين بايرلانده وتعدد وجوه التشابه بينهما ، وتنوه بقوة الروح الكفاحية في العرب وتتوقع إشتداد الثورة وازدياد مصاعب الانكليز وتعرض ابنائهم للخطر إذا لم تجد الحكومة الوسيلة العاجلة للخروج من المأزق .

ولقد كان لمندوبي مصر والعراق في لجنة الانتدابات عند ما اثيرت قضية فلسطين كما ذكرنا موقف قوي حيث حمل الاثنان على فكرة التقسيم واشارا الى ما جرت اليه من آلام وضحايا واضطرابات في فلسطين والشرق العربي بأجمعه ، وأكدا قلق بلديهما من الحالة وألحا على ضرورة إلغاء وعد بلفور ومنح فلسطين استقلالها مع ضمانة حقوق اليهود كأقلية فيها مقررين ان هذا هو الحل العادل الوحيد . وايدهما

في موقفها مندوب ايران ومندوبو دول عديدة اخرى . وقـــد شرح المندوب الانكليزي الحالة في فلسطين ونوه بخطورتها وقال ان حكومته تنتظر نتائج دراسة اللجنة الفنية حيث لمس في هذا الجواب اثر الثورة في اعصاب الحكومة الانكليزية وحيرتها واحتمال عدولها عن التقسيم بوسيلة نتائج الدراسة الفنية على ماعلق به المعلقون.

ولقد كان من اثر الثورة ايضاً أن خطت الحكومة الانكليزية في سنة ١٩٣٨ وحينما اخذت الثورة تشتد وتتسع خطوة جريئة بالنسبة لعادتها فأعلنت في كتاب ابيض اصدرته عدولها عن مبدأ الاستيعاب الاقتصادي الى مبدء الاستيعاب السياسي في تحديد الهجرة اليهودية اتباعاً لتوصية من تواصي اللجنة الملكية وحددت الهجرة بمعدل الف في الشهر من جميع الاصناف معللة خطوتها فيما عللتها بـه بشدة الضائقـة الاقتصادية عند اليهود ، وكان لهذه الخطوة وقع شديد ومفزع عند هؤلاء فدفعوا انصارهم في البرلمان الى الشغب والاحتجاج وترديد السؤالات وتقرير مناقضة هذه الخطوة لالتزامات بريطانية وما سيكون لها من تأثير سيء متعاكس في العرب واليهود .. الخ ؛ مما حفز نحو عشرين نائباً بريطانياً الى تقديم اقتراح بوقف الهجرة وقفاً تاماً الى أن يوجد الحل المناسب لقضية فلسطين !

وحاول الصهيونيون ان يستغلوا مشكلة النازحـــين اليهود بسبب الاضطهاد الهتلري ، وكان من اثر ذلك ان تقرر عقد مؤتمر دولي عرف بمؤتمر ايفيان ، غير ان الحكومة الانكليزية جدّت في الامر تفادياً من حرج جديد وكان من سعيها ان عين رئيس وفدها اللورد ونترتون رئيساً للمؤتمر ، وصمد هذا صموداً قوياً تجاه مؤامرات اليهود وجهودهم في حمل المؤتمر عـــلى حل المشكلة عن طريق تهجير النازحين الى فلسطين واستطاع ان يحبط هذه المؤامرات والجهود وان يبعد فلسطين عن المشكلة وان يحمل المؤتمر على اعتبارها مشكلة دولية لا تحل الا بتعاون الدول وفتح أبوابها للاجئين لان فلسطين لا يمكن ان تتسع لهجرة جديدة وان أحوالها الحاضرة خاصة لا تسمح بالبحث في الامر وتغيير السياسة التي تجري عليها حكومته .

وكان من أثر الثورة في الحكومة الانكليزية ان أذاع وزير المستعمرات بياناً عن مهمة اللجنة الفنية المقرر إيفادها لدرس إمكانيات التقسيم قال فيه ان الحكومة لم ترتبط بمشروع معين ولم توافق على تهجير العرب من القسم اليهودي، وان اللجنة

تعتزم السفر الى فلسطين للقيام بمهمتها فاذا قدمت نتيجة للدراسات مشروعاً عادلاً وعملياً أساسه عدم وجود عدد كبير من العرب وأملاكهم ومصالحهم في القسم اليهودي وعكس ذلك في القسم العربي عرضته على عصبة الامم والبرلمان والا فانها قد تعود الى فكرة إنشاء حكومتين عربية ويهودية تحت نوع من الانتداب على سبيل التجربة ، ولمس المعلقون في هذا البيان شيئاً من التراجع عن التصميم الذي كان عليه الوزير على خطة التقسيم واتساع الامل والباب للعدول عنه ، مما أثار كذلك ثائرة اليهود وأنصارهم وجعلهم يرون حلم الدولة اليهودية الذي كاد يصبح حقيقة على وشك الانهيار بقوة ثورة العرب وكفاحهم ، فأخذوا يرفعون أصوات الاحتجاج والاستنكار .

وهكذا أخذت آثار الثورة تبدو قوية مؤملة وتضطر الانكليز الى التحفظ والظهور بمظهر المعقولين المنطقيين الذين لا تعوزهم الوسائل ولا الحجج حينما يريدون او حينما يرون ذلك ضرورياً لتفادي الازمات ، مما جعل العرب يزدادون قوة وحماساً وعزماً على متابعة الكفاح الى أن يتحقق ميثاقهم من جهة ويستنكرون بدورهم إصرار الحكومة البريطانية على دراسة مشاريع التقسيم او اتخاذ فكرتها مهما كانت أساساً لحل قضية فلسطين ، وقد كان هذا الاستنكار وذلك الاعلان من مقررات مؤتمر القواد الذي ذكرناه في مناسبة سابقة كما كان في بيان أذاعته اللجنة العربية العليا كرد على بيانات وزير المستعمرات المذكورة .

ولقد كان من أثار الثورة وما أحدثته في الاوساط الانكليزية من تطور وهزة وجنوح نفاقي وتخديري غير غريب عن طبيعة الانكليز أن نشطت الاتصالات بسبيل الوصول إلى حلول مناسبة .

مشروع نيوكمب

فكان من ذلك في صيف عام ١٩٣٨ أن قدم الكولونيل نيوكمب العضو في مجلس العموم الانكليزي وزميل لورانس في الثورة العربية إلى بغداد يحمل مشروعاً بحل رآه ممكنا وملائماً ، فارفق بتوصية إلى الشام ليجتمع إلى ناجي السويدي ونوري السعيد ويتصل بطريقها باللجنة العربية العليا ، وقيل في التوصية إن الرجل يشتغل مع جماعة مهمة من أعضاء الحكومة ومؤيديها وقسم من اليهود الانكليز

والاميركيين والفلسطينيين ولا سيما قسم غير قليل من الصهيونيين المعتدلين. وإن المشروع الذي يحمله قد يكون صالحاً للبحث من حيث الأساس، ورجح أن يكون قدوم الرجل باطلاع الحكومة الانكليزية أو دوائر لندن النافذة. وهذه خلاصة المشروع:

١ تؤسس دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة.

٢ – لكل فلسطيني حق سياسي ومدني في الدولة بدون تفريق جنس ودين.

٣ – تبقى مسؤلية بريطانية في إدارة شؤون الدولة لمدة تحدد ما بين الطرفين (والرأي الغالب أن تكون عشر سنوات) وفي خلال المدة يسمح للعرب واليهود بمزاولة الوظائف ويتسع الاشتراك في الحكم تدريجياً إلى أن تنتهي مدة المسؤلية.

٤ – يكون للطوائف فيما يتعلق بأمورهم الطائفية صلاحيات واسعة على أن لا تشمل أي قضاء على أفراد الطوائف الاخرى.

٥ – يكون للبلديات في المدن والقرى العربية واليهودية لا مركزية واسعة تمكنها من السيطرة على التعليم والامور الشخصية والمدنية والادارة المحلية.

٦ – إن اعظم عدد لليهود في فلسطين يكون مقدارهم الحالي.

٧ – تضمن الحكومة البريطانية مصالح الطوائف المختلفة في فلسطين بعد تأسيس الدولة وهذا الضمان يكون عهدياً حسب العادة لمدة معلومة ويدخل في صلب دستور الدولة:

٨ – تصان مصالح بريطانية المشروعة (١)

وقد كان من جملة مشاريع نيوكمب التي حملها إلى بغداد عقد مؤتمر عربي يهودي بسبيل التفاهم وسماح الدول العربية بهجرة يهودية معقولة إلى بلادها، فنصح بعدم تشويش مشروعه الفلسطيني باقتراحات مماثلة من شأنها أن تحبطه، وقد كان المشروع موضوع تمحيص بين اللجنه العربية ورجلي العراق انتهى بادخال بعض التعديلات التي تجعلها متسقة مع الميثاق، وأخذ نيوكمب المشروع المعدل وقفل عائداً إلى لندن..

ومن ذلك نشاط المطران الأنكليزي في القدس حيث جاء هو والدكتور عزة

---

(١) يلاحظ ما بين بعض اسس المشروع واسس الكتاب الابيض الذي صدر بعد من تشابه.

طنوس بمشروع مقارب فيما عدا نسبة اليهود التي حددت بأقل من خمسين بالمئة، وقال إن الدكتور ماغنس اليهودي المناوىء للصهيونية والدولة اليهودية متطابق معه في هذا المشروع .

وكان من ذلك نشاط واتصالات رجلي العراق توفيق السويدي ونوري السعيد اللذين كانا يسافران إلى أوروبا ويتصلان بالأوساط الانكليزية الرسمية والبرلمانية ويهيئان الجو لاستبعاد فكرة التقسيم وعدم جدواها واستحالة حل فلسطين المشكلة اليهودية العامة ووجوب ايجاد حل مناسب للقضية بعيد عن تلك المشكلة وفي نطاق وحدة فلسطين .

وكان منها أيضاً نشاط الامير عادل أرسلان والدكتور شهبندر ووفد المؤتمر البرلماني واللورد جورج لويد ثم اتصالات حكومات العراق ومصر والملك ابن السعود بما هو في النطاق الذي شرحناه انفاً .

وكان منها مساعي الامير (الملك) عبد الله واتصالاته بسبيل مشروع يدور في نطاق دمج فلسطين وشرق الاردن . ومما حدث أن الامير اتصل بنوري السعيد وكان في لبنان واستحثه على القدوم إلى عمان وأكد له أن عنده شيئاً ايجابياً . وقد اتصل نوري بالمعتمد الانكليزي فتلقى جواباً مشجعاً فسافر إلى عمان فلم يجد مشروعاً راهناً، وكل ما كان من أمر أن المعتمد ذكر حسن رغبة حكومته في ايجاد حل مناسب على يد مقبولة . وقد عرض الامير عليه أن يتولى رأسة وزارته ليكون هو صاحب هذه اليد وليتعاون معه على الحل المناسب فاعتذر نوري عن ذلك .

على أن كل هذه الاتصالات كانت تقف في النهاية عندما كانت الحكومة الانكليزية تردده من وجوب انتظار نتائج دراسات اللجنة الفنية وتوصياتها .

لجنة التقسيم الفنية في فلسطين

ولقد اخذت الصحف الأنكليزية تعلق على بيان مهمة هذه اللجنة وترجح القول انها ستوصي توصيات على غير أساس التقسيم وتنفذ الحكومة من مأزقها . وكان الوزير يقول ان اللجنة تنتظر هدوء الحالة حتى تسافر ، فأخذت الصحف تلح على ضروره سفرها حالا وتؤكد عدم جدوى الانتظار لأن العرب لن يهدأوا بالوعود والكلام مما جعل الوزير يعجل في سفرها ،وقد وصلت فلسطين والثورة في أوجها

أي في اوائل صيف عام ١٩٣٨ وأعلنت استعدادها لسماع بيانات من يريد أن يدلي لها ببيان مما يتصل بمهمتها ، وفي هذه الاثناء انسحب أور مسبى غور من وزارة المستعمرات ليشغل مركز اللورديه المنتقل اليه من أبيه فعد انسحابه فألا حسناً على موت التقسيم لأنه كان أقوى انصاره وكانت الصحف تقول بوجوب انسحابه للخروج من المأزق . وقد حزن اليهود وسموه بالشريك العزيز . على أنه قد خلفه ماكد ونالد الصغير المعروف بضلعه مع اليهود ، وهو صاحب المساعي التي انتهت بمسخ الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ في وزارة والده .

ولقد اختلف اليهود في التقدم الى اللجنة ، وسعى وايزمان وجماعته في حصر الكلام في القائلين بالتقسيم فاخفق وتقدم متكلمون متطرفون طالبوا بدولة يهودية في جميع فلسطين ومنهم من طالب بدولة تشمل فلسطين وشرق الأردن معاً . أما وايزمان وفئته فقد طالبوا بتوسيع الرقعة اليهودية بحيث تدخل فيها صحراء النقب والاحياء اليهودية في مدينة القدس وسهول بيسان على ما طالبوا به قبل .

اما العرب فلم يتقدم احد منهم بالشهادة الشخصية . وقصارى ما كان ، أن حزب الدفاع قدم مذكرة فند فيها فكرة التقسيم وأكد بأن الحل الوحيد هو إنشاء دولة واحدة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيه ويحتفظ اليهود فيها بنسبتهم الحاضرة ويكون لهم حقوقهم الدستورية كأقلية ، وطالب بتسريح المعتقلين واعادة المنفيين تهدئة للافكار .

وقد فند عاهل عمان التقسيم وقدم للجنة مشروعا مفصلاً لدولة موحدة تضم شرق الاردن وفلسطين على ان يكون لليهود فيها إستقلالهم الذاتي في مناطقهم مع مشاركتهم بنسبة عددهم في مؤسسات الدولة وأن يكون لهم الحق بهجرة محدودة بنسبة معقولة الى هذه المناطق . أما الهجره الى المناطق العربية فتكون منوطة برضاء العرب .

ومع ما كان من مسايرة العاهل المشار اليه للرأي العام العربي الاجماعي في تفنيد التقسيم الذي كان هو الحل العملي في إجتهاده فان إستمرار الهجرة في مشروعه كان مثار ردود حيث سارع حزب الدفاع الى إعلان عدم موافقته على ذلك ، وحيث أذاعت اللجنة العربية العليا بياناً قالت فيه إن العرب لا يوافقون على أي حل لا يتفق مع ميثاقهم ، وحيث ارتفعت أصوات التفنيد والمعارضة من مصر وسورية والعراق وصحفها .

على أن اللجنة قالت ان الاقتراحات خارجة عن صلاحيتها وان مهمتها هي اعداد مشروع تقسيم مفصل وحسب .

ومن طريف ما كان أنه قدم للجنة مذكرة موقع عليها من علماء وأعيان ووجهاء المنطقة الشمالية ذكر فيها أنهم يقبلون ما يقبله الامير عبد الله .

وقد أرسلت اللجنة كتابا لمفتي صفد تنبئه بوصول المذكرة فاكتشف حينئذ أنها مزورة وقامت ضجة في الشمال وتنصل الموقعون وطالبوا النيابة باقامة الدعوى ضد المزورين . وقد عرف أخيراً أن بعض المغامرين زوروا المذكرة تزلفاً للامير (الملك)

عدول الحكومة الانكليزية عن التقسيم

ولقد مكثت اللجنة نحو ثلاثة أشهر ونيفا في فلسطين طافت في خلالها المناطق العربية واليهودية وبعض مناطق شرق الاردن وكانت تحرس حراسة قوية وتقابل في المدن العربية في فلسطين وشرق الاردن بالاضراب حتى انها عدلت عن زيارة بعضها تفاديا للهياج . وكانت الصحف الانكليزية منذ تعيينها وأثناء وجودها في فلسطين تردد القول بموت التقسيم حتى أصبح هذا كأنما هو الشيء المتوقع . وعادت إلى لندن فاستمعت الى شهود آخرين ثم قدمت تقريرها الذي احتوى مشاريع ودراسات عديدة للتقسيم كما طلب منها من جهة ووجهة نظرها في المصاعب العظيمة السياسية والاقتصادية والجغرافية التي تنجم عن أي مشروع من مشاريع التقسيم من جهة أخرى ؛ ولم تلبث الحكومة الانكليزية أن أصدرت بيانا ذكرت فيه وجهة نظر اللجنة هذه واضطرارها بسبب ذلك إلى العدول عن فكرة التقسيم والبحث عن حل آخر يضمن لها وفاءها بالالتزامات المزدوجة نحو العرب واليهود معاً ، واعتزامها دعوة الحكومات العربية وممثلي عرب فلسطين واليهود الى مؤتمر في لندن للبحث في حل مناسب !)

الثورة حققت غاياتها

وهكذا حققت الثورة غايتها المباشرة وهي قتل التقسيم وحملت الانكليز على جعل قضية فلسطين قضية عربية عامة بصورة أوسع بكثير مما كان في المرحلة الاولى وفتحت باب الامل بتحقيق الميثاق القومي بعد أن أعيا الحكومة الانكليزية قمعها أو بالاحرى اخماد الروح الكفاحية في اهل فلسطين الذين اندمجوا جميعهم فيها .

ومما حدث وكان ذا مغزى عظيم في هذا الباب زيارة وزير المستعمرات فلسطين

خلسة للاطلاع على الحالة عن كثب والتحدث مع السلطات المدنية والعسكرية فيها . وكان ذلك قبل صدور تقرير اللجنة الفنية . وقد أذاع الوزير من لندن على أثر عودته من رحلته الخاطفة خطابا قال فيه ان فلسطين أسوأ بلد في العالم وان مركز المندوب والقائد أسوأ وأتعب مركز رجلين في الامبراطورية وان قمع الثورة ليس بالسهولة المظنونة وانها قد تستمر أمداً غير قصير ، وان مركز انكلتره من اصعب المراكز لان عليها التزامات مزدوجة ؛ وينطوي في هذا دليل ما تركته الثورة وقوة روحها في نفسه من مرارة وما ادركه عنها من حقيقة ، وتبرير لما أقدم عليه، بعد من العدول عن فكرة التقسيم والجنوح الى تهدئة أفكار العرب وايجاد حل مناسب بالتباحث مع الامة العربية جميعها ممثلة في حكوماتها ..

وقد لوحظ زيادة في لهيب الثورة عقب زيارة الوزير مما جاء مصداقا لتنبؤه ومما رأت اللجنة المركزية للجهاد وقواد الثورة ضرورة الى بذل مجهود كبير في سبيله .

ومما حدث كذلك أن اليهود استطاعوا الوقوف على نتائج دراسات اللجنة قبل صدور تقريرها كما حدث مثل ذلك قبل صدور تقرير اللجنة الملكية حيث ارسل ابن غوريون من لندن تقريراً الى اللجنة التنفيذية الصهيونية نشرته الصحف اليهودية اعترف فيه بما تواجهه الصهيونية من صراع صعب مر المذاق وقال فيما قال ان اللجنة الفنية ستصل الى نتيجة كون التقسيم غير ممكن التنفيذ وان هذه النتيجة متأثرة الى درجة كبيرة بمقاومة العرب الشديدة والعنيفة حتى لقد تراجع الامير وحزب النشاشيبي وخصوم المفتي عن استعدادهم لقبول المشروع بسبب هذه المقاومة .

ولقد ألقى وزير المستعمرات بيانا مسهباً في مجلس العموم بسبيل شرح ما اذاعه مع تقرير اللجنة الفنية باسم الحكومة والدفاع عنه فطالب فيه الاعضاء بالتروي وعدم الاندفاع وراء العاطفة والتأثر بما يقع على اليهود من اضطهاد وعدم تجاهل ما هو واقع في فلسطين ؛ وقد شرح قضية اليهود وقضية العرب ومع انه تملق اليهود كثيراً فانه قرر حقيقة شعور العرب وموقفهم تقريراً قويا رائعاً حيث قال ان العرب رفضوا منذ البدء وعد بلفور وصك الانتداب ، وان اضطرابهم انقلب الى ثورة منظمة واسعة النطاق ، وان كثيرا من القائمين بالحركة مندفعون بحافز من الوطنيه الصادقة وانه لو كان عربيا لملىء من الرعب مثل العرب من جراء الغزوة اليهودية ، وانه بالرغم عما انتفع العرب به من اليهود فانهم لا يمكنهم ان يقنعوا بذلك لانهم يفكرون في

حريتهم المهددة ، وان الشعب البريطاني لو كان مكانهم لضحى بكل الماديات في سبيل حريته المهددة ، بما فيه الدلالة على ان رجال الانكليز لا ينقصهم اي شيء من دقيق الامور وخطيرها في قضية فلسطين العربية وان مواقفهم فيها ليست مستندة الى منطق الحق وانما الى المآرب السياسية والمكابرة والنفاق والتخدير والتضليل ... ومما قاله الوزير ان الحكومة تنوي ان تحادث العرب على حدة واليهود على حدة ثم تجمع الفريقين اذا امكن حول مائدة مشتركة واذا لم يمكن التوفيق فستعمد الى الحل الذي تراه وانه يجب على كل من العرب واليهود ان يتساهلوا في شيء من مطالبهم حتى يتم التقارب ...

- ١٩ -

آثار الثورة في اليهود

كذلك لم يمض مدة طويلة على انفجار الثورة في مرحلتها الثانية حتى أخذت آثارها تبدو على اليهود بأشكال متنوعة . فمن ناحية أخذت أزمة إقتصادية شديدة تنيخ عليهم متمثلة في البطالة ولاجئي المستعمرات وكساد البضائع من جراء مقاطعة العرب حتى لقد بلغت أوامر الحجز والحبس ضد المدينين اليهود في الشهر الثالث من الانفجار سبعين ألفاً ثم ارتفع الرقم حتى بلغ مئة وخمسين ألفاً على ما جاء في نشرة نقابة الطبقة المتوسطة التي قالت أيضاً ان البوليس يطارد اكثر من عشرة آلاف لحبسهم لقاء الدين الذي عجزوا عن وفائه بسبب الأزمة الخانقة ، وبلغت نسبة العمال العاطلين خلال سنة ١٩٣٨ ستين في المئة من مجموعهم كما بلغت نسبة العاطلين من عمال البناء وحدهم ٩٥٪ ، وقد توقفت المشاريع العمرانية والزراعية عند الحد الذي كانت عليه قبل الانفجار إلا بعض تصفيات بيوع سجلها خونة العرب ومسامسرتهم الأنذال . وكادت الهجرة تقف فضلاً عن كثرة النازحين عن فلسطين الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفاً نزح نصفهم لمدة اكثر من سنة .

وقد نشر سميلانسكي رئيس اتحاد المزارعين اليهود ومن مشاهير زعمائهم مقالات تصور شدة الأزمة وخوف اليهود من الثورة ونتائجها . وقد وصف في إحداها حالة اليهود بخوف الموت وقال إنه أوقف هجرتهم وحمل المقيمين على النزوح لان كل يهودي يفكر بفلسطين يتصور معه القتل فيقشعر بدنه ولا يجرأ على القدوم اليها .

ولقد طالب ثلاثـــة من أحزاب اليهود في فلسطين بوقف الهجرة بسبب البطالة والأزمة الخانقة . وقد بلغ الجوع والعطالة بعمال اليهود إلى درجة جعلتهم يحتلون بلدية تل ابيب وغيرها مطالبين بالخبز والعمل وكاد ان ينشب من جراء ذلك فتنة شديدة بينهم وقد منحت السلطات ألفي شهادة هجرة لأصحاب رؤوس الأموال فلم يقبل احد عليها على ما ذكرته الصحف اليهودية .

ودعا مجلس الحاخامين اليهود الى الصلاة قائلا ان سفينة اسرائيل تضطرب في بحر عاصف يكاد يبتلعها . وحلت الضائقة بخزانة الوكالة اليهودية حتى لم تستطع ان تدفع مرتبات معلمي المدارس مما حملهم على التمرد والاضراب .

وقد قويت عزيمة غير الصهيونيين المناوئين للتقسيم والمعتدلين نتيجة لهذا الجوّ وجوّ الثورة وخطورة آثارها في الانكليز واليهود معاً فكان من أثر ذلك ان عقد حزب الأغودات وهو من الأحزاب المعتدلة مؤتمراً في لندن قرر فيه بالاجمال رفض فكرة إنشاء مملكة يهودية لاسباب دينية وسياسية ثم من أجـــل السلام والامن وتفضيل التفاهم والاتفاق مع العرب وعقـد اليهود غير الصهيونيين في واشنطن مؤتمراً قرروا فيه ان التقسيم غير عادل من الوجهات الاقتصادية والسياسية وان فكرة المملكة اليهودية هي السبب في الاضطراب والنزاع وان اليهود غير الصهيونيين يفضلون قيام دولة واحدة بوطنية مزدوجة . وتأثر يهود الانكليز بهذا الجو فقام منهم جماعة كبيرة تنتقد التقسيم وتردد اضراره وتدعو الى حلول اخرى لا تقوم على اساسه .

ولقد أثرت هذه الاتصالات والمؤتمرات والتصريحات في الوكالة اليهودية نفسها فعمدت من جهة الى نفي تفويض أي كان في تقديم أي مشروع والقيام بأي اتصال وقررت من جهة اخرى إعلان إستعدادها للتفاهم مع العرب على أساس حرية الهجرة وعدم بقاء اليهود اقلية مع عدم سيطرة أي شعب على الاخر كثرة كان او قلة .

ولم يكن بطبيعة الحال نتيجة ايجابية لهذه الحركات والأقوال لان الصهيونيين هم اكثرية الوكالة والفريق المنظم القوي في الحركة اليهودية كما ان قرار التفاهم لم يكن اكثر من دعاية زائفة لان الصهيونيين يعرفون ان مسألة الهجرة ومسألة الكثرة والقلة هما المسألتان الجوهريتان اللتان لا يمكن ان يوجد بين العرب من يتساهل فيهما على الوجه الذي يريدونه . غير ان هذه وتلك تدل بلا ريب على

ما كان من بلبلة وقلق وإضطراب في نفوس اليهود جميعهم رسميين وغير رسميين وصهيونيين وغير صهيونيين كأثر من آثار الثورة .

ولقد لبث وايزمن طيلة هذه المدة في فلسطين متوقياً ثم بدا للجنة الصهيونية ان توفد وفداً يكون على رأسه الى لندن لبذل المساعي في انقاذ السفينة التي كانت في مهب الريح العاتية . وقـــد ألقى خطاباً في حفلة الوداع ردد فيه ذلك القلق والخوف وجاء فيه فيما جاء : إن اليهود يقفون في أخطر ساعة من تاريخ حركتهم ، وان من المستحيل أن لا توجد الاضطرابات واعمال العنف والعصيان والاضراب في ذهن الانكليز مفهوماً بأن هناك امة كاملة تثور برمتها ضد فرض ايواء شعب آخر وان هذه الامة مستعدة لكل مقاومة وتضحية ضد هذا الغرض ، وان الانكليز اعتادوا حينما يواجهون ثورة ان يسعوا اولاً الى إخمادها وان يجلسوا بعد ذلك مع الثوار لمنحهم إمتيازات جديـدة (١) ، وفي حالة ثورة العرب القائمة فان هذه الامتيازات انما تمنح على حساب اليهود وهنا الخطر العظيم الذي يهددهم .

ولقد نشطت المنظمات الصهيونية والاحزاب المتطرفة نشاطاً عظيما متعدد الجبهات في سبيل درء ما لمسوه من أخطار داخلية وخارجية . فالاتحاد الصهيوني اعلن رفضه لأي مشروع وتدبير يجعل اليهود اقلية دائمة ويحد من هجرتهم ويحول دون إنشاء دولة لهم في فلسطين ، والمجلس الملي اعلن إنكاره لأي تساهل يبدو من أي هيئة يهودية في امـــاني اليهود القومية او الرضاء ببقائهم أقلية معتبراً ذلك خيانة للصهيونية . ومندوبو المجالس الملية عقدوا مؤتمرهم الذي يسمى بالبرلمان اليهودي العام في لندن وقرروا فيه رفض اي حل يجعلهم اقلية دائمة والاصرار عـــلى إنشاء دولة يهودية واعلنوا استعدادهم لجعل هذه الدولة دومينيوناً انكليزيا . وقـد اقامت المنظمات الصهيونية الدنيا واقعدتها بالاحتجاج من كل صوب حينما اعلنت الحكومة الانكليزية عدولها عن مبـدأ الاستيعاب الاقتصادي الى مبـدأ الاستيعاب السياسي واخذوا يندددون بها ويصفون عملها بالغدر وبقصد رشوة العرب الذين يثورون عليهم ويقتلون ابناءهم . وفعلوا مثل هذا حينما اعلن وزير المستعمرات مهمة اللجنة الفنية واشار الى

---

(١) ان وصف وايزمان صـــادق . غير ان الانكليز جلسوا مع العرب جلسة خداع ولم يمنحوهم الا السراب ثم منحوا اليهود الذي ثاروا عليهم بعد ذلك كل شيء !

احتمال العدول عن التقسيم اذا لم يقدم مشروع عادل وعملي حيث اعتبروا هذا قتلاً للتقسيم وقضاء على قيام الدولة اليهودية، وحركوا انصارهم في البرلمان الانكليزي فكان هؤلاء يغتنمون الفرص بل ويخلقونها للحملة على المفتي ورفاقه في سورية ولبنان وعلى فرنسة وحكومتي سورية ولبنان التي تحميهم وتمنحهم حرية العمل وعلى الحكومة الانكليزية التي لا تقمع الثورة وتوطد القانون ولا تحمي أرواح اليهود واملاكهم ومشاريعهم ... واخذوا يبذلون جهودهم ونشاطهم في الولايات المتحدة ويستغلون ملايين اليهود فيها الذين كان لهم تأثير كبير في مختلف شؤونها العامة ليكون لهم من حكومتها عضد ضاغط على بريطانيا مما كان له بعض الاثر في ظروف مؤتمر لندن ثم مما كان له أثر كبير في مراحل قضية فلسطين بعد الحرب العالمية. ومما حدث في هذا الباب وكان له مغزاه العظيم وعبرته الكبرى لزعماء العرب ان زعماء الصهيونية في اميركا دبروا اتصالا بين وايزمان في مقره في مستعمرة ديران وبين احدى محطات الاذاعة في نيويورك ليوجه نداء الى يهود اميركا وكان ذلك في شهر مايس ١٩٣٨ فدعا وايزمان في هذا النداء يهود اميركا الى بذل الجهود في سبيل مساعدة المشروع اليهودي في فلسطين وحمايته، وقال فيما قال بسبيل تقوية اعصابهم ان كل الذين يعتقدون ان في امكانهم إبادة اليهود سيتأكدون غداً ان الروح اليهودية قوية وشجاعة ونشيطة وانها ستنتصر على جميع قوات الهدم والتخريب، وانه مهما يكن من شيء فان اليهود في فلسطين أمام تقدم سياسي وانهم سيتمكنون من تهجير عدد كبير من اليهود وانقاذهم وان الموقف السيء الذي هم فيه في فلسطين سوف يكون سبيل يوم جديد ينير لنا الطريق وان الظلام سينقشع وستبزغ شمس جديدة في فلسطين في النهاية ... وضغط اليهود على سلطات فلسطين في شأن حماية المستعمرات فاستطاعوا ان يأخذوا منها كمية كبيرة من السلاح للخفراء كما استطاعوا ان يأخذوا منها نصف مرتباتهم. ولقد وقف شرتوك مرة خطيباً فنوّه بنمو قوة اليهود وقال انه أصبح في أيديهم (٣٦٠٠) بندقية عسكرية وان المسموح لهم بالسلاح اكثر من هذا العدد. وقال فيما قال ان محاولات التفاهم مع العرب في لندن وبيروت ودمشق والقاهرة وفلسطين قد فشلت لانهم يشترطون ان نبقى أقلية ! وان الواجب على اليهود ان يصبروا ولا يجزعوا وان ينموا قواتهم الدفاعية وان لا

يعتمدوا الا على انفسهم في حفظ كيانهم وتحقيق امانيهم .

ولقد نمت قوتهم هذه حتى ارتفع عدد البنادق المسلمة لهم الى (٤٨٠٠) كما بلغ عدد خفراء مستعمراتهم (٧٨٠٠) وقد سلح باقيهم بما كان في حيازتهم من سلاح مدخر هربوه في مختلف المناسبات.. ولقد بعث ووجود النائب الانكليزي والنصير القوي لليهود بكتاب الى جمعية المحاربين اليهود القدماء حض فيه بصراحة على التمرد على السلطات والوقوف في وجهها والمبادرة الى سلوك سبيل العرب بأعمال العنف واعتبار ذلك حقهم والوسيلة الوحيدة الى درء الخطر عنهم . . وقد اذاعت جمعية المكابيين رسالة دعت فيها الشبان للتجند للدفاع عن المستعمرات مما كان له أثر في نمو قوة اليهود المسلحة .

عدوان اليهود على العرب في بعض مراحل الثورة

ولم يقف اليهود عند هذا الحد ، فانهم قاموا بحركات عديدة دموية ضد العرب منها ما كان اغتيالات فردية ضد افراد افترصوا وجودهم في مناطقهم او سيارات تمر بطرقهم واحيائهم ، ومنها ما كان حوادث غدر لئيمة في صورة قنابل.توضع في أماكن ازدحام العرب في القدس ويافا وحيفا في الليل وفي سلات وصناديق الخضرة والبيض وقد تعددت هذه القنابل اكثر من مرة في كل من المدن الثلاث ، وكان من جرائها ضحايا كثيرون جدا قتلى وجرحى حيث بلغ عددهم في مرة اكثر من مئة وفي مرة اكثر من خمسين وفي مرة اكثر من ثلاثين وفي مرة اكثر من عشر مما كان له وقع شديد على العرب في فلسطين حملهم على مضاعفة اعمال العنف ضد اليهود ، ومما ادى الى غضب وهياج في الاقطار العربية ، ومما اثار قلق السلطات كثيراً وجعلها تخشى وقوع مذابح عامة بين العرب واليهود وجعلها تعمد الى منع التجول واعتقال عدد كبير من جماعة الاصلاحيين وغيرهم من متطرفي اليهود وتقديم بعضهم الى المحاكم والحكم على اثنين منهم بالشنق وتنفيذ الحكم فيهما رغماً عن توسلات اليهود ومساعيهم ومظاهراتهم فكان هذان المشنوقان ملحة في العين وثمناً لأكثر من ثلاثمائة ضحية عربية بين قتيل وجريح .

التحرير للمؤتمر لندنه وعقدة تمثيل فلسطين

ولقد اخذت الاتصالات تجري بين الحكومة الانكليزية من جهة والحكومات العربية – عدا سوديه ولبنان – من جهة اخرى بعد قليل من صدور تقرير اللجنه الفنية وبيان الحكومة، ثم وجهت في اوائل تشرين الثاني ١٩٣٨ الدعوة الى العراق ومصر واليمن والرياض وعمان . وكان تمثيل فلسطين عقدة استغرقت وقتا واستنفدت جهوداً ومراسلات كثيرة . فان الحكومه الانكليزيه لم توجه الدعوة الى اللجنه العربية العليا لأنها كانت في نظرها غير شرعية وحاولت في بدء الأمر فرض ممثلي فلسطين فرضا مع الاصرار على كل حال على عدم دعوة المفتي بنوع خاص حيث قال وزير المستعمرات في تصريح له في مجلس العموم ان المخابرات تجري مع المندوب بشأن ممثلي فلسطين وان قرار الحكومة بشأن المفتي نهائي لم يتغير. وقد اخذ المندوب يبحث ويفاتح بعض الأشخاص اي الذين كلفوا من غير الدفاعيين، وأوعز للحكام بسؤال الناس فكانت الاجابات مجمعة تقريبا على ان الامر موكول للمفتي واللجنة العربيه العليا ، فتحول الانكليز حينئذ الى بغداد والقاهرة والرياض في صدد تدبير امر ممثلي فلسطين و تسمية اسمائهم لتوجيه الدعوة اليهم شخصيا دون ان ترتبط باعضاء اللجنة العربيه واحوا على ان يكون بين الأسماء فريق من الدفاعيين حتى يكون تمثيل فلسطين شاملا لجميع الفئات مع جزمها بنوع خاص بشان المفتي وسدها كل احتمال لدعوته .

مذكرة فخري النشاشبي

وفي هذه الاثناء نشرت التايمس وبالستين بوست اليهوديه . وهذه تصدر في فلسطين باللغة الانكليزيه – صورة لمذكرة قدمها فخري النشاشبي للمندوب السامي تضمنت حملة على المفتي وجماعته ، واتهامهم بتدبير الثورة والاغتيالات وتحذيرا من جعل المفتي مفاوضا عن العرب . وجاء في المذكرة فيما جاء ان ٧٥٪ من مصالح فلسطين واكثر من ٥٠٪ من سكانها ممثلون في حزب الدفاع وزعمائه الذين شرد اكثرهم خوفا من المفتي ومؤامراته ولعجز السلطات عن حمايتهم وانهم مستعدون للتعاون مع الحكومة الانكليزيه لايجاد السلام اذا استطاعت ان تضمن لهم جواً من

الامن والطمأنينة كما انهم يتوقون الى التفاهم مع اليهود والمعيشة معهم بسلام . وقد اعتقد الملاحظون ان المذكرة انما كتبت وقدمت بالتآمر مع السلطات لتأييد الموقف الذي اعتزمت ان تقفه بالنسبة للمفتي من الناحية السلبية وبالنسبة للدفاعيين من الناحية الايجابية حيث كان الاعتقاد راسخا بوثاقة صلة فخري بها . وقد علقت التايمس تعليقا ملائما لروح المذكرة وقصدها ووصفت حزب الدفاع بالاعتدال والرغبة في السلام وانحت باللائمة على المفتي وقيادته حملة الارهاب .

ولقد أثارت المذكرة عاصفة من الاحتجاج والاستنكار ، وكانت وسيلة لاعلان وحدة الامة تحت لواء المفتي كزعيمها الأوحد . وقد كان الدفاعيون الموجودون في فلسطين في مقدمـــة المستنكرين والمعلنين . وامتلأت أنهار صحف فلسطين بالبرقيات والعرائض . وكان من جملتها برقية من الشيخ مصطفى الخيري وهو من الدفاعيين للمندوب قال فيها إن فخري رجـل مأجور وان البلاد لاتثق الا بالزعيم الأوحد الحاج امين الحسيني ، وأصدر جماعة الدفاعيين في نابلس بياناً استنكروا فيه المذكرة وذكروا أن حـزب الدفاع لم يبق له وجود وان الشعب العربي كتلة واحـــدة تنضوى تحت لواء زعيمها الديني والسياسي المفتي الأكبر الذي له وحده حق التفاوض باسم عرب فلسطين ؛ بل ان راغب النشاشيبي الذي كان يقيم في مصر أبرق الى التايمس يعلن بأن مانشره فخري لايتفق مـع أرائه وآراء ومبادىء حزب الدفاع ، وأنه ليس في البـلاد العربية شخص واحـد لايقاوم تصريح بلفور والانتداب وأنه ليس هناك خلاف في المبادىء بين الأحزاب ، وان مـن الخرافة تقسيم العرب الى متطرفين ومعتدلين ، وإن حزب الدفاع يتقبل كل خير تنـاله البلاد عن يد اي شخص وحزب .. وهكذا كانت عملية فخري وسيلة الى استفتاء غير مباشر انتج توكيد وحدة الامة تحت زعامة المفتي وتأييد الثقة به ، وبالتالي أكسبت المفتي قوة جديدة امام الانكليز والحكومات العربية فوق القوة التي بلغها وظلت تتسع وتقوى منذ ان برز للميدان زعيما مباشراً للحركة الوطنية والكفاحية .

ونذكر بهذه المناسبة ان فخري كان دائم النشاط منذ بدء الحركات الكفاحية ضدها ومتحديا لها وكان ينفق في هذا السبيل عن سعة واستطاع ان يسخر بعض الصحف البيروتية في التعكير على الثورة والقائمين بها وتشويهها والنيل من مقاصدها

والتثبيط عنها . وكان يتصل بالحاقدين والموتورين والمأجورين فيحرضهم ضد الثورة ويحملهم على تحريض من يسمعون كلمتهم من أنصارهم وذويهم ضدها كذلك. وكانت السلطات تحميه حماية قوية في روحاته وغدواته ورحلاته. وقد حاول أن يقوم بمظاهرة ولائية للانكليز جهرة فجمع حشداً من الناس بواسطة الحاقدين والمأجورين في قرية بطا في جبل الخليل وكان محمياً من السلطات وخطب فيهم خطبة تحريضية ضد الثوار وولائية للانكليز ، وبلغ من امره ان سلح بعض الناس ليناهضوا الثوار ويشوشوا على الثورة فنالوا من الثوار جزاء صارما .

ولقد وقف المفتي ومن حوله اعضاء اللجنة العربية العليا موقفاً قوياً في صدد تمثيل فلسطين ، واصروا على ان يكون ذلك للجنة فقط لانها هي التي كانت تضطلع بمسئولية القضية بعد ان انسحب الدفاعيون من هذه المسؤلية بانسحابهم منها ؛ واستنكروا ان يفرض ممثلو فلسطين فرضا . ولقد جرت كما قلنا مراجعات ومراسلات كثيرة في هذا الشأن ، وبدا من الملك ابن السعود خاصة الحاح شديد على المفتي ورفاقه للتساهل والمسايرة . ولكنهم لم يروا وجهاً لتغيير موقفهم الذي يسنده الحق والمنطق وقوة روح الثورة . وكل ما كان من امر أن المفتي أكد للملك ان الامر ليس شأنا شخصياً وأنه لن يذهب الى لندن ولو وجهت الدعوة اليه ؛ وقد اضطرت الحكومة الانكليزية تجاه هذا العزم الى التراجع خطوة بعد خطوة فقال وزير المستعمرات في موقف ثان ان اختيار ممثلي العرب متروك للعرب انفسهم وان الحكومة اذا تدخلت فيحتمل ان لا يقبل اي عربي المجيء الى لندن وانها ترغب في تمثيل فلسطين تمثيلا تاما وحقيقياً ؛ ثم اعلن قرار الحكومة باطلاق سراح المنفيين من سيشيل والسماح لمن يختار منهم او من غيرهم بالقدوم الى لندن نزولا على رأى اللجنة واصرارها ثم اسرعت الى ارسال باخرة خاصة نقلت المنفيين الى مصر وساعدت في تيسير انتقالهم الى بيروت وانعقاد اللجنة بكامل هيئتها لاختيار ممثلي فلسطين في جونية حيث يقيم رئيسها ... فكان هذا نصراً وطنياً رائعا فيه الدلالة على ما تفعله العزيمة والقوة .

وقد تم الاجتماع وتقرر ان تكون اللجنة جميعها وفداً برآسة المفتي مع ضم موسى العلمي وامين التميمي وجورج انطونيوس ؛ واعتذر المفتي عن السفر وعين جمال الحسيني نائبا عنه في الرآسة كما اعتذر عن السفر عزة دروزه واحمد علي عبد الباقي. على ان الحكومة الانكليزية لم تصرف النظر بالمرة عن فكرة تمثيل المعارضة ،

واسرعت فدعت وفداً من الدفاعيين مؤلفاً من راغب النشاشيبي وسليمان طوقان وعادل الشوا ويعقوب فراج وفخري النشاشيبي وسافروا الى لندن باستثناء يعقوب الذي تردد وتخلف . وبدت في هذه الدعوة مشكلة جديدة ، لأن اللجنة العربية قررت ان يكون تمثيل فلسطين عن طريقها وحسب وقررت انسحاب وفدها اذا أصرت الحكومة الانكليزية على اشراك وفد الدفاعيين في المؤتمر ، وعادت المراجعات تجري قبل سفر الوفود الى لندن وبعده انتهت بموافقة اللجنة على اشتراك راغب النشاشيبي ويعقوب فراج وابلغت الاخير رضاءها عن سفره فسافر ..

ولقد أعارت الحكومات العربية امر تمثيلها إهتماما عظيما دل على شدة الحيوية التي أثارها فيها اشراكها في قضية فلسطين وعظم ما أصبح لهذه القضية من دوي في بلاد العرب بسبب ما كان لاهل فلسطين من بطولة رائعة وجلد كبير وتضحيات جسيمة جعل الامبراطورية البريطانية تضطر الى المسايرة والمداورة والتراجع أمامهم وهم حفنة يسيرة ضعيفه في مادياتها ومعداتها ، واكسب الاسم العربي فخاراً فكان الامير عبد المنعم رئيساً للوفد المصري والأمير فيصل رئيساً للوفد السعودي والامير الحسين رئيسا للوفد اليمني ، وكان نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية وتوفيق ابو الهدى رئيس الوزارة الاردنية رئيسي وفدي بلديهما وكان مع كل رئيس رجالات معروفون مثل علي ماهر وعبد الرحمن عزام وتوفيق السويدي أما سورية ولبنان فلم توجه الحكومة الانكليزية اليهما الدعوة لأن فرنسة أبدت تحفظها في ذلك ولم ترد الحكومة الانكليزية احراجها واحراج الحكومتين السورية واللبنانية مع انها ودت ان تطلبا الاشتراك وتشتركا حتى حاولت ايجاد ذلك بواسطة الحكومة المصرية بصورة سرية ، ولكن فرنسه ظلت متجهمة ، وكانت ظروف سورية ومعاهدتها في حالة مرتبكة فلم ترد الحكومة السورية الوطنية ان تزيد الارتباك والتوتر بتحدي فرنسه .

ولقد كان مما أثارته اللجنة العربية ضرورة الاتفاق مع الحكومه الانكليزية على الاسس التي تجري المفاوضات في نطاقها . مع ان الحكومتين العراقية والمصرية رأتا ما أثارته اللجنة ضروريا وتوسلتا الى ذلك غير ان الحكومة الانكليزية امتنعت عن الارتباط باي وعد مسبق ، ولم يشاركها ابن السعود حكومتي العراق ومصر في رأيها وسعيها بل كاد يبرر موقف الحكومة الانكليزية في الحاحه بعدم الاحراج ، وأخيراً تم الاتفاق بين الحكومات المدعوة على ان يجتمع ممثلوها في القاهرة ومعهم

ممثلو فلسطين ليتفاهموا فيما بينهم على الاقل على الخطة التي يسيرون عليهـــا ، واجتمعوا فعلا عدا توفيق ابي الهدى الذي اعتذر بارتباطه بوعد في لندن ،واتفقوا على أن لا يجلسوا مع اليهود طرفا ثانياً ،وعلى أن تكون الخطةهي الميثاق الفلسطيني العربي اي وقف الهجرة وبيوع الاراضي وقيام دولة مستقلة باكثرية عربية ترتبط ببريطانية بمعاهدة على غرار العراق ومصر،وقد أضيف الى هذا أن يبقى اليهودأقلية لا تتجاوز النسبة الحاضرة وان تضمن لهم الحقوق السياسية والمدنية ويكون للبلديات إستقلال في الشؤون المحلية وتكون اللغة العبرية لغة ثانية في مناطق اليهود .

انعقاد مؤتمر لندن وفشله

ومع ان اليهود أعلنوا أنهم لن يقبلوا الدعوة إلى المؤتمر فانهم استجابوا اليها ، وكان هناك مـــؤتمران عربي انكليزي ويهودي انكليزي . وافتتح شمبرلين المؤتمرين كلا على حدة في قصر سان جمس في أواخر كانون الثاني من سنة ١٩٣٩ ، وأخذت الجلسات تنعقد رسمية وخصوصية واجتمع بعض مندوبي العرب بمندوبي اليهود الذين كان يرأسهم وايزمان في جلسة خصوصية بناء على إلحاح الانكليز وردد اليهود تغمتهم في حقهم في وطنهم التاريخي وحرية هجرتهم اليه ورفضوا الموافقة على البقاء أقلية فيه ، فلم يجد هذا الاجتماع فتيلا ودفع مندوبوالعرب الجانحون الى الاعتدال بصلف اليهود وشططهم .

وقد قبلت الحكومة البريطانية في النهاية وجهة نظر العرب في حل القضيه حيث وافقت على مبدأ إنتهاء الانتداب وقيام دولة مستقلة في فلسطين ترتبط معها بمعاهدة بعد مـــدة مناسبة ، على أن تؤلف لجنة فنية تضع مشروعا لدستور الدولة وآخر للمعاهدة ثم يدعى مؤتمر عربي انكليزي يهودي آخر للنظر في المشروعين وتركيزهما وقالت انه لا بدمن فترة انتقال قبل اعلان انتهاء الانتداب وأن على المؤتمر المذكور أن ينظر في ما يجب عمله في هذه الفترة وفي ظروف انتهائها : وأبدت استعدادها لاضافة أعضاء فلسطينيين من العرب واليهود إلى المجلس التنفيذي والمجلس الاستشاري وتسمية الاول بمجلس الوزراء والثاني بمجلس الدولة على ان يكـون الاعضاء الفلسطينيون في الاول بدون وزارات .

ولم تعين مدة لفترة الانتقال ولامبدأ لها،ورأى الوفود العربية هذا أمرا ضروريا

وبعد أخذ ورد وافق الوفد البريطاني على أن تكون الفترة عشر سنوات مع احتمال تحديدها ومحاولة جعلها تحت رحمة السياسة البريطانية والموافقه اليهودية . فلم يوافق العرب على هذا وأصر الانكليز فأدى ذلك إلى انفضاض المؤتمر بدون نتيجة اتفاقية .

على ان الوفد البريطاني تلا على مندوبي العرب الخطة التي تنوي الحكومة السير بمقتضاها والمنبثقة من المقترحات المذكورة وطلب منهم الرضاء بها ولو أنها ستصدر من طرف واحد هو الطرف الانكليزي .

وقد احتوت الخطة المبادىء التالية :

١ – تاسيس حكومة فلسطينية مستقلة مرتبطة بمعاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والتجارية .

٢ – وضع دستور للدولة من قبل جمعية تاسيسية فلسطينية منتخبة أو معينة يضمن فيما يضمنه حرية زيارة الاماكن المقدسة ، وحماية الطوائف المختلفة بمقتضى تعهدات بريطانية للعرب واليهود ، ومركزاً خاصا للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والمصالح الدولية التي تعتبر بريطانية نفسها مسئولة عنها .

٣ – يسبق تاسيس الدولة فترة انتقال تظل الدولة المنتدبة خلالها مسئولة عن الحكم .

٤ – حالما يعود النظام والسلام بصورة كافية تتخذ الترتيبات لزيادة نصيب واضطلاع الفلسطينيين بحكومة البلاد . وتكون المرحلة الاولى إضافة عدد منهم الى المجلس الاستشاري بحيث تصبح اكثريته منهم وعدد الى المجلس التنفيذي بحيث يصبح نصفه منهم ، وتكون المرحلة الثانية قلب المجلس الاستشاري إلى مجلس تشريعي باعضاء فلسطينيين منتخبين مع احتفاظ المندوب السامي ببعض السلطات ، ويضطلع بعض أعضاء المجلس التنفيذي من الفلسطينيين باعباء بعض الادارات الحكومية .

٥ – ليس من الممكن تحديد مدة للتطور الدستوري من مرحلة الى اخرى خلال مدة الانتقال كما أنه ليس من الممكن تحديد تاريخ لنهاية هذه المدة وتاسيس الدولة المستقلة . غير ان الحكومة البريطانية تامل ان يتم ذلك ضمن عشر سنوات . ويتوقف هذا على نجاح التطورات الدستورية وتعاون أهل فلسطين . ولا يمكنها ان تتخلى عن مسئوليتها في الحكم ما لم تطمئن بان حسن اندماج طوائف فلسطين سيجعل امكانا

لقيام حكومة صالحة .

٦ يسمح خلال خمس سنوات بعدد من المهاجرين اليهود يكون اليهود به في آخرها نحواً من ثلث السكان . ويقدر هذا العدد بخمسة وسبعين ألفاً . وتصبح الهجرة بعد ذلك خاضعة لموافقة العرب ويبت فيها من قبل الهيئات الدستورية التي تعمل خلال فترة الانتقال أو بالتشاور بين الحكومة البريطانية وبين ممثلي العرب واليهود ومع عزم الحكومة على قمع الهجرة غير المشروعة فان ما يدخل إلى فلسطين بهذه الطريقة سيحسم من العدد المذكور .

وقد حاول وفود العرب تحسين هذه الخطة وخاصة التطورات الدستورية وتحديد مواعيدها ، فعقد بعضهم مع وزارة المستعمرات اجتماعا وامكن التفاهم على التعديلات التالية :

١ – حالما تسكن الاضطرابات الحاضرة تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة بوزراء فلسطينيين .

٢ يجب ان يوضع دستور فلسطين من قبل جمعية فلسطينية منتخبة

٣ – تنتهي مسؤلية بريطانية وتصبح فلسطين مستقلة استقلالاً تاما في خلال عشر سنوات . واذا لم يمكن ذلك لأسباب خارقة وانتهت السنوات المذكورة ينعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني عربي للنظر في ما يجب عمله

٤ – الهجرة تستمر في معدلها الحالي وهو (١٢٠٠٠) في السنة لمدة خمس سنين ولا يكون بعد ذلك هجرة الا بموافقة ممثلي العرب .

وعرضت وزارة المستعمرات هذه التعديلات على مجلس الوزراء فأبدى عليها بعض الملاحظات ، وكان وفود العرب قد غادروا لندن فأرسلت الى مصر حيث تشاور فيها من كان في مصر من وفود العرب والحكومة المصرية . وقد رؤي فيها مغايرة لما تم الاتفاق عليه في وزارة المستعمرات فأبديت عليها ملاحظات قبل بعضها وأضيفت صيغة جديدة بشأن مدة الانتقال فأصبحت كما يلي :

« تبذل الحكومة البريطانية كل وسعها لايجاد ظروف مساعدة على قيام دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنين . فاذا اتضح لها خلافاً لما ترجو عند نهاية المدة ان الاحوال تقتضي تأجيل انشاء الدولة فتستشير مندوبي فلسطين ومجلس عصبة الامم

والدول العربية قبل ان تبت في التأجيل اذا ثبت لها انه لا معدى عنه . »

وتداول المشار اليهم في مصر مع بعض اعضاء الوفدالفلسطيني واتصلوا برئيس اللجنة العربية العليا الذي ارسل وفداً مـــن بيروت يحمل وجهة نظر اللجنة ، وتم الاتفاق على صيغة ابلغوها للسفير البريطاني تتضمن ان الحكومات العربية ستنصح عرب فلسطين بقبول الخطة البريطانية على اساس مفاوضات ومقترحات لندن التفصيلية ، غير انها دفعا لكل التباس ورغبة في جعل المشروع عمليا رأت انتشير خاصة الى انه بمجرد عودة النظام في فلسطين تؤلف وزارة فلسطينية مع مستشارين انكليز ، والى انه يجب ان لا يزيد عدد المهاجرين اليهود على الخمسة والسبعين الفاً وان لا يزيد مجموع اليهود على الثلث بحال من الاحوال ، والى انها تأمل ان تنشأ جمعية تأسيسية لسن الدستور خلال ثلاث سنوات ، وان تترك مسألة الاراضي لاتفاق المندوب السامي مع الوزارة الفلسطينية

صدور الكتاب الابيض

غير ان الحكومة البريطانية لم تأخذ بعين الاعتبار مـا جـاء في الصيغة العربية الاخيرة واصدرت الكتاب الابيض في شهر مايس ٩٣٩ على الشكل الذى صدر به والذي قالت الحكومة المذكورة انها وضعته على ضوء ما جرى في مؤتمر لندن من ابحاث ومشاورات وقد احتوى الاسس التالية (١) .

١ ــ ان الحكومة الانكليزية تعتبر نفسها قد وفت بالتزاماتها نحو اليهود حيث ساعدت على تحقيق قيام الوطن القومي بما صار لليهود من عدد ومنشآت وكيان قومي موطد ، وانها مقتنعة بأنه متى تمت هجرة الخمسة والسبعين ألفاً التي ترى ضرورة السماح بها لا يبقى مبرر للهجرة ولن تكون تحت طائـــلة أي إلتزام لتسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بالرغم عن رغبة العرب .

٢ ــ ان استمرار الهجرة وانتقال الاراضي العربية لليهود يصبح بعد الان مجحفاً بحقوق العرب ومهدداً لكيانهم . ولذلك فان الهجرة يجب ان تقف . غير ان وقفها فوراً سيكون صدمـة للاقتصاديات الفلسطينية من جهة وضربة عـلى بعض العجز والنساء والاطفال النازحين من المانيا من جهة اخرى . ولذلك سيسمح بخمسين

(١) جعلناه من ملاحق الكتاب رقم (١٠)

الف مهاجر عادي وخمسة وعشرين الفاً من النازحين خلال خمس سنين ثم توقف الهجرة وقفاً تاماً الا اذا وافق العرب على غير ذلك . كذلك فإنه ستتخذ التدابير حالا لوضع تشريعات تحدد انتقال الاراضي العربية لليهود بحيث تضمن عدم الاجحاف في كيان العرب واقتصادياتهم .

٣ – بما أن الانتداب من حيث أساسه موقت فان مصير فلسطين هو الاستقلال غير ان هذا الاستقلال يجب أن يكون بالتشارك بين العرب واليهود ولا يمكن أن يتم الا اذا قامت الدلائل المقنعة على امكان التمازج والتعاون بينهما . ولذلك فانه ستجري تجارب ومراحل في هذا الشأن خلال مدة عشر سنين وحسب ما تسمح به الظروف فاذا أسفرت عن قيام تلك الدلائـــل خطيت الخطوة النهائية الى انهاء الانتداب واعلان الاستقلال والا فان ممثلي العرب واليهود يدعون ثانية للبحث في النتائج والتشاور في الخطوة الواجبة . وهذه التجارب والمراحل تبدأ حالما تهدأ الاضطرابات بالتوسع في تعيين الفلسطينيين في الوظائف العليا واشراكهم في ادارة البلاد بمقياس أوسع من قبل. وسيخطى بعد خمس سنين خطوة الى وضع الدستور الفلسطيني اذا سمحت الظروف بذلك وقامت أمارات التعاون والتمازج بين الشعبين

٤ – ان الحكومة البريطانية سوف تسير في ما ذكرته من تجارب ومراحل الى تحقيق هدف انشاء حكومة فلسطينية مستقلة سواء اغتنم كلا الفريقين الفرصة أم لا ، وان موقف الهيئات العربية واليهودية من تلك المراحل والتجارب لن يكون له أثر في النكول عنها .

وقد سارع محمد محمود رئيس الوزارة المصرية الى التصريح غداة صدوره بأنه لا يستطيع ان ينصح عرب فلسطين بالرضاء به ووقفت الحكومة العراقية والملك ابن السعود نفس الموقف .

وقد وضعت اللجنة العربية العليا رداً على الكتاب سجلت فيه على الحكومة الانكليزية تسليمها نظريا بمطالب العرب وانتقدتها عـــلى الاطلاق والغموض اللذين أحاطت بها التجارب والمراحل وخاصة تعليق انهاء الانتداب وتأسيس الدولة على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في الخطة الاستقلالية ، لان اليهود سيعملون كل ما يستطيعون على عكس ذلك لاحباط هذه الخطة .

وقد أسرع اليهود فعلا الى تقديم الدليل حيث أعلنوا سخطهم على الكتاب الأبيض

وعزمهم على محاربته الى أن يحبط نهائياً .

ومما ذكرته وفود العرب أن الانكليز اعتذروا عن عدم قبول وجهة العرب كاملة بما كان من ضغط الرئيس روزفلت بتأثير اليهود ولاضطرارهم الى مسايرته بسبب تأزم الحالة الدولية . وهذه حجة ظل الانكليز يحتجون بها بعد ذلك أيضاً مع انهم ساروا في طريق النكث والغدر مع العرب وخلقوا المشكلة اليهودية وعقدوها قبل روزفلت بزمن طويل مما يدل على أنها حجة للتصدير أكثر منها للحقيقة ولا يمكن أن تخليهم من تبييت سوء النية والتخدير والتعقيد في الأصل وفي المراحل التطبيقية لتحقيق أغراضهم . ونذكر بهذه المناسبة ان الصحف نشرت خبر مذكرة أرسلها العاهل السعودي الى روزفلت يعتب عليه فيها انحرافه مع الباطل اليهودي ضد الحق العربي الصريح .

ومهما يكن من امر فان الكتاب الأبيض قد سلم من وجهة نظرية بمطالب العرب وماشى ميثاقهم شوطا غير يسير ؛ وكان قبول الانكليز بمبدأ قيام دولة فلسطينية بأكثرية عربية في حد ذاته نجاحاً عظيما وتطوراً كبيراً لم يكن ليخطر على البال قبل سنوات . وبعبارة ثانية ان الكفاح العربي قد تكلل بالنجاح وحققت الثورة اغراضها من وجهة عملية بالغاء التقسيم ومن وجهة نظرية بحل قضية فلسطين وفق الميثاق العربي بوجه الاجمال ، حتى لقد خطر بالبال لحظة ما ان الانكليز قد عدّلوا سياستهم في موضوع إنشاء دولة يهودية في فلسطين واكتفوا بما ناله اليهود ، ولا سيما ان الحكومة الانكليزية قد عرضت الكتاب الابيض على البرلمان واخذت موافقته عليه كسياسة مرسومة رسمية لها .

على ان هذا قد كان على ما بدا من الانكليز مسايرة للظروف اكثر منه تسليما بالحق، وقد انطوى فيه نية التخدير والتعقيد والتراجع معا كما هو واضح من الخلاصة التي اثبتناها .

ومما حدث ان وفود العرب في هذا المؤتمر اثاروا مسألة عهود الحسين رحمه الله وشمولها فلسطين فأخذت الحكومة الانكليزية تكابر كعادتها ثم تم الاتفاق على تحكيم لجنة قانونية بريطانية رسمية في لندن برآسة قاضي القضاة البريطاني فلم يسع هذا القاضي الا ان يقول في تقريره التحكيمي :

« لقد تأثر لورد شانسلور من بعض البراهين التي قدمت بشأن الجملة المتعلقة باستثناء الاقسام الواقعة غربي مقاطعة دمشق وحمص وحماه وحلب من سورية وهو يعتبر ان وجهة النظر العربية فيما يختص بهذه المسألة قد تبين ان لها قوة اكبر مما كان يظهر سابقا » .

وقد جاء في مكان آخر في تقرير اللجنة في صدد حق الحكومة البريطانية في اصدار تصريح بلفور وتناقض ذلك مع مراسلات مكماهون ما نصه :

« انه يتراءى للجنة جلياً من هذه البيانات ان حكومة جلالته لم تكن حرة التصرف بفلسطين دون احترام رغبات اهلها ومصالحهم . وانه يجب اخذ هذه البيانات بعين الاهتمام في اي محاولة لتقدير المسؤليات المترتبة على حكومة جلالته نحو هؤلاء كنتيجة لاي تفسير لهذه المراسلات » . . .

وهكذا دحض الحق المكابرات الانكليزية بلسان الانكليز انفسهم وظهر انهم قد غدروا بالعرب منذ الاصل ونكثوا بما قطعوه من عهود لهم .

— ٢٠ —

مصاعب الثورة ونهايتها

هذا، ولقد استمرت الثورة بعد صدور الكتاب الأبيض أمداً غير قصير، وبتعبير أدق الى ما بعد نشوب الحرب العالمية بأيام، وأعلنت اللجنة المركزية للجهاد وقواد الثورة العزم على متابعة الكفاح إلى أن تعدل الحكومة الانكليزية عن موقفها الملتوي وسياستها المريبة الغامضة غير ان الثورة كانت قد دخلت في دورها الرابع وهو دور التعب والمصاعب والدسائس .

فمن جهة أخذ التعب يحل في الثوار وقادتهم الذين ظلوا سنة ونصفاً في حركة دائمة واضطراب مستمر ونصب مضن ؛ وأخذ النقص الذي طرأ على صفوفهم من الضحايا الجسيمة يبدو أثره في ذلك التعب لأن كل الحركة صار ينبع على الباقين من قدماء القواد والثوار .

ومن جهة كان التنافس قائماً يخفت حيناً ويشتد حيناً بين القواد العاملين الذين كان كل واحد منهم يرى انه الأكثر نشاطاً وأثراً والذين كان كل واحد منهم

يرى نفسه كأنه أمير إقطاع ينبغي ان يكون له الاستقلال في الحركات فيه ويميل الى توسيع نطاقه في الوقت نفسه ، حيث كان هذا عاملاً نفسانياً مؤدياً الى تعكير الصفو بينهم والتأثير في نشاطهم ومزاجهم وحيث ظهرت فوته في دور التعب أو زاد هذا التعب .

ومن جهة فقد اتخذت القيادة الشمالية العليا – المشايخ – في دمشق مركزاً لها بسبب اتصال الحدود بمناطق نشاطها ، فصار يكثر تردد المجاهدين في هـذه المنطقة على دمشق بسببه ، وقام الظن عند القواد الآخرين أن هذه القيادة متمتعة بسبب هذا المركز بامتيازات أوسع منهم لدى اللجنة المركزية ؛ فحاولوا ان يتخذوا لهم في دمشق مراكز مثلها ، وصارت دمشق مرمق أنظار القواد والثوار ومترددهم من مختلف المناطق لضرورة ولغير ضرورة . ولم تستطع اللجنة المركزية وقف العدوى لان الأمر لم يلبث ان صار امراً واقعاً لا يستطاع مقاومته الا بالشدة التي كانت اللجنة ترى ان ضررها اكثر من نفعها ، فكان هذا ايضاً مما أوجد شيئاً من حب الدعة والراحة والفتور في الحركة الكفاحية .

ولقد اخذت من جهة إمكانيات تزويد الثوار بالسلاح والعتاد تضيق كثيراً عن ذي قبل لانه لم يمكن جلب جديد من الخارج ولم يف بعض مقامات العرب بوعود المساعدة ، ولان الباقي منه في سوريه ولبنان والعراق وشرق الأردن اخذ ينفـد فضلا عن عدم صلاحه ، فكان ذلك عاملا قوياً في عدم استمرار الحركات على الوتيرة التي كانت عليها من قبل .

وقد استغلت السلطات الانكليزية هذه العوامل فأخذت من جهة تشجع الحاقدين والموتورين والمأجورين وتمدهم بالمال والسلاح والعتاد والحماية ، فصار السلاح يظهر في أيدي بعض القرويين الضالعين فيستعملونـه ضد الثوار الذين يطرقون قراهم ليطلبوا ما يحتاجون اليه أحياناً حسب ما جرت العادة منذ سنة ، كما اخذ بعض أولئك الحاقدين والموتورين والمأجورين ينشطون في التعاون مع السلطات في مطاردة الثوار ، ثم تطور الامر الى ان اخذ بعض عصابات مسلحة مدفوعة بأيدي هؤلاء ومزودة بسلاح السلطات وما لها مباشرة او بطريق تلك الطبقة تظهر لتزعج الثوار وتطاردهم حتى صار يقع بين الفريقين إشتباكات وأحداث دموية ، وكانت أصابع فخري النشاشيبي بنوع خاص بارزة في هذه الحركة .

واخذت السلطات إلى هذا تتصل ببعض من تعتمدهم وتعرف إعتدادهم بأنفسهم وشدة حقدهم من النازحين وتشجعهم على العودة الى فلسطين لاحكام حلقات المطاردة والمقاومة فعاد بعضهم واخذوا يبذلون نشاطهم هم الآخرون في التضييق على المجاهدين الذين لهم يد نافعة في الحركة الجهادية .

وجاءت الازمة الدولية التي اخذت تنذر بالحرب بسبب حركات هتلر فوطدت التضامن بين انكلترة وفرنسه ؛ وكان من آثار ذلك تبدل موقف السلطات الافرنسية في سوريه ولبنان من الثورة والثوار ورجال الحركة الوطنية والجهاديه، فاشتدت في المراقبة على قوافل المجاهدين التي كانت تغدو وتروح بشيء من اليسر ، واشتدت كذلك على المجاهدين واخذت تطاردهم وتمنع نشر أخبار الثورة وتشتد ايضاً في مراقبة المفتي ومن حوله كما اخذت تعتقل الفلسطينيين واعتقلتنا في من اعتقلته في دمشق بالحاح القنصل الانكليزي بتهمة إدارة الثورة وإمدادها بالمال والسلاح وإنشاء معمل متفجرات في دمشق وحاكمتنا في المحكمة العسكرية مع فريق من الفلسطينيين والدمشقيين وحكمت علينا بالسجن حيث ظللنا الى ان انهارت فرنسه ؛ فكان ذلك كله مؤديا إلى ازدياد صعوبة الاتصال بين الذين في سوريه ولبنان وبين الذين في فلسطين وبالتالي إلى ازدياد المتاعب والمصاعب في وجه الثوار اضعفت ما بقي فيهم من نشاط وعزيمة .

ثم نشبت الحرب العالمية فاشتدت وطأة السلطات الافرنسية اكثر من ذي قبل مما اضطر الباقين في سوريه ولبنان من رجال الحركة والمجاهدين بما فيهم المفتي الى مغادرتها او الاختفاء والتواري ، وكان جو الحرب مما يسّر للسلطات الانكليزية تشديد الوطأة على من بقي في فلسطين من قواد الثورة ومجاهديها ونجاحها في حملة المطاردة وجمع السلاح والانتقام ممن تقع عليه يدها من قواد ومجاهدين بالاعتقال والمحاكمة نجاحاً غير يسير؛ مما حمل الباقين على النزوح والاختفاء والتواري كذلك .

على ان من الحق ان نسجل ان روح الكفاح لم تخمد فيهم، وان منهم من كان يقدم بالرغم عن كابوس الحرب وسيفها المصلت على حركات كفاحية ، وان هذه الحركات كانت تتكرر طيلة سني الحرب في مختلف أنحاء فلسطين وان كانت في نطاق ضيق وخاطف .

الحكومة الانكليزية والكتاب الابيض

ولقد قالت الحكومة الانكليزية في كتابها الابيض إنها ستشرع في تنفيذ ما جاء فيه من خطط حالما تهدأ الحالة في فلسطين . ولقد هدأت الحالة بعد نشوب الحرب كما قلنا، ولكن الانكليز لم يخطوا خطوة في سبيل الخطة السياسية . وكل ما فعلوه انهم اصدروا تشريعات جعلوا فلسطين بموجبها ثلاث مناطق ، واحدة اطلقوا عليها منطقة (أ) منعوا فيها انتقال الارض من اي شخص الا لعربي فلسطيني ، وتشمل القسم الجبلي الداخلي من فلسطين والجليل الغربي وجزءاً من منطقة غزه ، ومنطقة (ب) وقد منع فيها انتقال الارض التي يملكها عرب فلسطينيون الى غير العرب الفلسطينيين الا بموافقة المندوب السامي ؛ وهذه المنطقة تشمل منطقة الحولة وسهل بيسان ومرج ابن عامر ، وقيد المنع محصور بما يملكه العربي الفلسطيني، وهذا يعني ان اراضي العرب غير الفلسطينيين كالسوريين واللبنانيين يمكن ان تنتقل لليهود بدون حاجة الى موافقة المندوب السامي ، ومنطقة (ج) وقد ابيح بيع الاراضي فيها لغير العرب ، وتشمل السهل الساحلي بين حيفا ويافا وبين حيفا وعكا وجزءاً من السهل الساحلي بين يافا وغزه. ويلحظ ان هذا التقسيم لم يكن خارجاً في الحقيقة عن نطاق تقسيمي لفلسطين حيث ابيح البيع لليهود في المناطق المخصصة للدولة اليهودية ومنع في المناطق المخصصة للدولة العربية تقريباً وخاصة في تقسيم هيئة الامم لعام ١٩٤٧ وبحيث يصح ان يقال بأن هذه التشريعات كانت في صالح اليهود ومسهلة لتقسيم فلسطين في المستقبل . وقد تمكن اليهود من استصفاء مساحات كبيرة من الاراضي العربية الداخلة في منطقتي (ب وج) وخاصة في منطقة ج التي كان فيها مساحات واسعة لملاك غير فلسطينيين . وقد عمد اليهود بالاضافة الى هذا الى حيل عديدة احتالوا بها على نصوص التشريعات في الأقسام العربية المحظورة للاستيلاء على مساحات واسعة من اراضي العرب منها فضلا عن المنطقة التي نيط انتقال الارض العربية الفلسطينية فيها بموافقة المندوب السامي ، وقد ساعدتهم الادارة ومحاكم التسوية ودوائر الاجراء على النجاح في حيلهم ومؤامراتهم بصور

مختلفة ، ومن اشكال هذه الحيل ان التشريعات استثنت نقل الارض العربية الى اليهود في اي منطقة متى كان هذا النقل تنفيذاً لحكم سابق عن تاريخها، فاتفق اليهود مع بعض المارقين الذين كان صدر عليهم احكام لصالح اليهود قبل هذا التاريخ اي قبل سنة ٩٤٠ على تنفيذ هذه الاحكام في دائرة اجراء تل ابيب فيعطى المحكوم عليه وكالة لمحام يهودي في هذه المدينة يمثله في دائرة اجرائها، ومن ثم يشتري اليهود ما يسنح لهم شراؤه من الاراضي العربية في المناطق المحظورة باسم المحكوم عليه ويطرحونها للتنفيذ بدائرة الاجراء بدون اعلان فتنقل الارض بهذه الطريقة من مالكها الاصلي الى اسم المحكوم عليه ثم الى الشركة اليهودية او اليهودي المحكوم له خلال ايام معدودات . لقد كشف العرب تلك الحيل وضجوا بالشكوى منها مما حمل السلطات على تعيين لجنة تحقيق ثبت لها صحة الشكوى ولكنها لم تفعل شيئاً لابطال آثار هذه الحيل كما جرت عادتها في كل ما يفعله اليهود مما يشكو العرب من ضرره وخطره وشذوذه . .

وظل باب الهجرة مفتوحاً بصورة رسمية من اجل الخمسة والسبعين الفاً حتى الى ما بعد انقضاء السنين الخمس بحجة ان اليهود لم يستطيعوا استنفاد كل العدد بسبب الحرب ، على ان الامر لم يقف عند هـذا بطبيعة الحال حيث نشط اليهود نشاطاً عظيماً في التهريب حتى ليقدر ما دخل خلسة او قدم سائحاً او جندياً واختفى في فلسطين بما لا يقل عن مئة الف ، ولم تبذل السلطات جهداً مجدياً ضد ذلك كما كان شأنها في السنين السابقة التي جاء وقت اعترف مندوبهم فيه بأن الهجرة المهربة تفوق الهجرة المسموح بها .

وهكذا تكشفت الايام عن نية التراجع والتخدير والتعقيد التي بيتها الانكليز حينما اصدروا الكتاب الابيض الى ان نسفوه رسمياً سنة ١٩٤٦ بفتحهم باب الهجرة بالرغم عن العـرب وبعودتهم الى تعيين اللجان وحلول التقسيم ثانية على ما سوف نذكره بعد .

الدعاية ضد الهيئات العربية في صدد الكتاب الابيض

واندماج بعض رؤساء العرب فيها

ومن عجيب امرهم انهم بثوا دعاية تبريرية لعـــدم سيرهم في مراحل الخطة الدستورية السياسية وتجاربها بأن العرب لم يقبلوا بالكتاب الابيض وساعـدهم في هـــذا البث بعض رجالات العرب المعروفين بالضلوع معهم ، حتى كان الناس في فلسطين وبلاد العرب بقوة هذه الدعاية ينحون باللائمة على زعماء الحركة الوطنية في فلسطين لرفضهم اياه ، ويظنون انه قد احتوى حلولا مرضية ايجابية احبطها هذا الرفض ، وكادوا ينسون ما احتواه من تعقيدات وغموض كانت نية الغدر فيها غير خفية كما كادوا ينسون ما قطعه الانكليز على انفسهم من عهد بالسير في المراحل على كل حال وموافقة برلمانهم عليه على هـذا الوجه . والرفض الذي وقع لم يكن من الهيأة العربية العليا وزعامة فلسطين فحسب ، وانما كان من وفد فلسطين الذي فيه دفاعيون ومن ممثلي الحكومات العربية بدون استثناء . وكان رفض هؤلاء قبل صدور الكتاب الابيض وبالتالي قبل رفض الهيأة العربية العليا . وقد اكد رئيسا الحكومتين المصرية والعراقيـــة ذلك الرفض بعد صدور الكتاب الابيض لأن الحكومة الانكليزية لم تقبل التعديلات القليلة المقترحة على ما ذكرناه سابقـاً وقبل صدور رد الهيأة العربية . فاذا كان ما جاء في الكتاب الابيض فرصة اضيعت - وهو ما لا نعتقده شخصياً من الوجهة العملية فضلا عن الوجهة النظرية ونعتقد ان التلوم انما هو بروح الظروف المتأخرة التي غلب العرب فيها على امرهم - فلا تتحمل الهيآت والزعامات العربية مسؤليتها لتأتي بعد مسؤلية الحكومات العربية ان كان هناك مسؤلية . ولا عبرة بما قيل ان ممثلي الحكومات العربية وبعض اعضاء الوفد الفلسطيني كانوا راضين ولكنهم سايروا الزعامـة الفلسطينية في الرفض او جعلوا الكلمة الفاصلة لأهل فلسطين او بتعبير آخر لزعامتها وهيأتها العليا . فان هذا لا يخليهم من تلك المسؤلية ويدل على مالايليق ان نصفهم به من غفلة او عدم مبالاة او ضعف ادراك واحجام عن الموقف الصريح الذي يجب ان يقفه الرجل! والحكومات بعد اقوى من فلسطين وتعد ارشد منها .

الكتاب الابيض ليس فرصة ضاعت

وقد قلنا اننا لا نعتقد ان فرصة ضاعت وخاصة من الوجهة العملية لأن نشوب الحرب غير الموقف تغييراً تاماً وهيأ للانكليز الفرصة التي كانوا يريدونها للنكث والمعاذير كما هيأ لقضية فلسطين من الوجهة العربية من الوجهة اليهودية جواً جديداً او بتعبير اصح ميدان سباق وجد ونشاط نجح فيه الواعي الجاد واخفق فيه الغافل الهازل على ما سوف نذكره بعد .

ولا عبرة كذلك بما قيل ان الانكليز انما تحللوا من الكتاب الابيض لانه من طرف واحد - طرفهم - وان العرب لو قبلوا به لكان عهداً ثنائياً لا يسهل على الانكليز التراجع عنه والتحلل منه ؛ فان وعد بلفور الذي هو كتاب من وعطف كان من طرف واحد ، ومراسلات الحسين - مكماهون كانت عهداً بين طرفين فلم يمنع الانكليز ان يضربوا بهذه عرض الحائط ويهزأوا بها ويتلاعبوا فيها ، وان يظلوا يرون في وعد بلفور عهداً واجب التنفيذ . ولقد نص صك الانتداب على عدم الاضرار بالعرب ومركزهم وهو عهد دولي فلم يمنعهم من قصر مساعداتهم على اليهود وتجاهل مركز العرب ومصالحهم كل التجاهل . ولقد اصدروا عام ١٩٣٠ كتاباً ابيض قابله العرب بالارتياح فلم يقدم هذا في نقض الانكليز له . . فالعهد عند الانكليز لغيرهم انما هو رهن بقوة هذا الغير وبمصالحهم وحسب . ولقد حاول الانكليز اقناع الناس بأنهم بدأوا بتنفيذ الكتاب الابيض بما اصدروه من تشريعات في صدد الاراضي والتزموه من قيود في صدد الهجرة ، وكلا الامرين من محتويات هذا الكتاب ، ولم يحتجوا بعدم قبول العرب ويؤخروا ما اصدروه والتزموه ، فلو كانت عندهم النية الصادقة والاخلاص في ما قطعوه على انفسهم من السير في التجارب والمراحل لساروا فيها ايضاً اسوة بذلك . ولقد كان لهم من الحرب فرصة كافية للسير في هذه التجارب والمراحل لو كانت النية صادقة والاخلاص موفوراً ؛ ولا سيما ان الذين يسمونهم بالمتطرفين من رجال الحركة الوطنية واللجنة العربية كانوا مشردين تحت كل كوكب ، وكان انصار هؤلاء وبقية سيوف الثورة معتقلين او مشردين او متوارين ، وكانت ظروف الحرب سيفاً مصلتاً على الجميع . وكان الذين يسمونهم بالمعتدلين ويشيدون بقابليتهم للتعاون معهم ويرددون وجوب

التعاون معهم هم اصحاب الشأن والكلمة في فلسطين، وكانوا ينشطون في مساعدتهم على تهدئة الاحوال والافكار، وبث الدعوة لهم وحلفائهم بحجة وحـــدة المصلحة وروابط الصداقة، ويتعاونون معهم في تجنيد المتطوعين واقامة المهرجانات الدعائية في هذا السبيل حتى بلغ عددهم آلافاً عديدة؛ وكذلك كان شأنهم في الدعاية لسندات الحرب الانكليزية وتيسير مبالغ غير يسيرة تستقرضها بريطانيا من عرب فلسطين للاستعانة بها على الحرب الضروس التي اشتبكت فيها؛ وهذا وذاك في وقت كان وجه الحرب كالحاً إزاءها وكان مصير الامبراطورية في مهب الريح، فلم يؤثر كل هذا في الانكليز ويحملهم على الارعواء والوفاء هذه المرة، وتبييض وجه هؤلاء المتعاونين معهم الداعين اليهم !

ولم يقتصر هذا على من في فلسطين من العرب، فقد كان اندماج الامير (الملك) عبد الله في السياسة الانكليزية اثنـــاء الحرب اشد منه في وقت مضى، وكانت تصريحاته باخلاصه لها والتضامن معها تتوالى عنه باسلوب اقوى مما كان قبل الحرب، واشتركت مفارز من جيشه في حركة ثورة العراق وغزوة سوريا تعضيداً للجيش الانكليزي؛ وكانت رغبته الملحة في ضم فلسطين الى مملكته ومساعيه ومشاريعه في هذا السبيل قد ازدادت قوة والحاحاً. وقد عرض نوري السعيد باسم حكومته على الحكومة الانكليزية في سنة ١٩٤٠ والحالة الحربية على اشدها حرجاً ويأساً — على ما جاء في محاضر مشاورات الوحدة العربية — استعداد العراق للاشتراك فعلاً في الحرب بارسال كتائب عراقية الى بعض الجبهات مقابل سيرها في خطة ايجابية مرضية لقضية فلسطين التي كانت وظلت اهم مايشغل افكار العرب ويثير فيهم الحقد على الانكليز. وكان رجال العرب وساستهم وكتابهم في الاقطار العربية يرسلون تصريحاتهم في كل مناسبة منوهين بالروابط التي تربط العرب بالسياسة الانكليزية والصداقة الانكليزية وبالمصلحة المشتركة التي تجمع بينهم طيلة ايام الحرب. فلم يكن كل هـذا ليجعل الانكليز يقدمون على حركة ايجابية مرضية تنفيذاً لما وعدوا به حتى ولو كان من قبيل التأميل والمجاملة. فهم يعرفون ان الخطة التي ذكروها في كتابهم الابيض هي الجوهرية في الموضوع وهي مما يخالف ما ترسموه منذ الأصل من سياسة خلق كيان يهودي لتكبح جماح الحركة العربية ووقف نموها اكثر مما تتسع له سياستهم فلم يكونوا ليعبأوا بما كان من جميع العـــرب ملوك ورؤساء وزعماء وكتاب

وصحافيين من تعاون وتظاهر بالاخلاص والدعوة الى ما فيه لهم المصلحة والحاجة .

على ان تلك الحجة الزائفة اي عدم سيرهم في خطة المراحل الدستورية والحل السياسي بسبب عدم قبول زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية الكتاب الابيض قد سقطت بوقائع معينة اثناء الحرب ايضاً .

فقد جاء الكولونيل نيو كامب من لندن الى بغداد اوائل عام ١٩٤٠ وكانت حالة فلسطين قد هدأت وكان هـذا شرط الانكليز لبدء المراحل وبدا ان قدومه كان باطلاع الحكومة الانكليزية ليبحث مع زعمـــاء فلسطين والعراق في قضية فلسطين التي كانت حائلة دون توطيد التضامن بين العرب والانكليز بينما كان هذا التضامن ضرورياً جداً لهؤلاء في هذا الظرف الذي كان موقفهم الحربي فيه في اشد حالات الحرج ؛ واتصل بنوري السعيد وزير الخارجية العراقيـة وبواسطته بجمال الحسيني وموسى العلمي وكلاهما من اعضاء الوفد العربي ومن زعماء فريق المفتي، وتم الاتفاق بينهم خطياً على التعاون في خطة ايجابيـــة على اساس الكتاب الابيض بحيث تبدأ مرحلة ايجاد مجلس مديرين ثم يسار في المراحل الاخرى على ماجاء كذلك في محاضر مشاورات الوحدة العربية ؛ وحمل نيو كامب الاتفاق وسافر الى القدس لاتمام البحث مع المندوب تمهيداً لاستدعاء جمال وموسى ، غير ان الامر وقف عند هذا الحد وعاد نيو كامب الى لندن .

وفي سنة ١٩٤٤ عقد رؤساء بلديات فلسطين العـــرب مؤتمراً وكانوا منتخبين انتخاباً وكان فيهم المعدود من انصار المفتي والهيأة العليا فكان من اول ما قرروه مطالبة الحكومة الانكليزية بتنفيذ الكتاب الابيض وتذكيرها بما كان من العرب من هدوء وحسن انسجام في السياسة الانكليزية الحربية .

وفي السنة المذكورة اجتمع وزراء خارجية الحكومات العربية في الاسكندرية بصفتهم لجنة تحضيرية لوضع مشروع ميثاق الجامعة العربية فقرروا وضع مشروع ملحق من اجل فلسطين - ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ - جاء فيه :

« ترى اللجنة ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربيـــة وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي كما ترى اللجنـــة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة

اليهودية والمحافظة على الاراضي العربيـة والوصول الى استقلال فلسطين هي من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار حيث تضمن هذا اعتراف وزراء الخارجية بالكتاب الابيض واعتباره وثيقة واجبة التنفيذ ومطالبة بريطانيا بالمبـادرة الى تنفيذها. ثم قرروا ان ترسل كل حكومة مذكرة الى الحكومة الانكليزية تطالبها بتنفيذ وعودها التي وعدتها بالكتاب الأبيض بشأن المراحل الدستورية والسياسية، ولا سيا ان السنين الخمس الاولى التي كانت مشروطة الانقضاء للخطوة الى وضع الدستور قد انقضت .

ويضاف الى هذا ان زعمـاء فلسطين ورجالاتهم وصحفهم ورجالا عديدين من رجالات البلاد العربية الاخرى وصحفها كانوا يثيرون هذا الموضوع في تصريحاتهم وكتاباتهم ويطالبون الحكومة البريطانية بما قطعته على نفسها من عهود وذممته بموافقة برلمانها من سياسة . فلم يكن من الحكومة الانكليزية إلا التصامم عن هذه الاصوات والمذكرات والمواقف التي تعبر عن قبول الكتاب الابيض من قبل جميع العرب تقريباً إذا كان هذا كان يعوزها !! ولكنها لم تكن جـادة ومخلصة في الكتاب الابيض وكانت تبيت نية التخدير والتعقيد والنكث من الاصل ، ولم تكن دعايتها في صدد رفض الهيأة العربية العليا للكتاب الابيض إلا وسيلة خداع وتضليل .

ومن العجيب ان يستمر بعض الرؤساء العرب الى الآن مع كل هـذه الحقائق والوقـائع في توجيه النقد واللوم على الفلسطينيين وهيآتهم العليا لانهم رفضوا الكتاب الابيض او ظلوا يقفون مواقف سلبية ولا يستمعون لما كان يسدى اليهم من نصح . ونظن ان فيما قلناه الكفاية في صدد الكتاب الابيض . وكذلك فيما اوردناه في مناسبات عديدة دليل قوي على ان الفلسطينيين قد جنحوا اكثر مما تتحمله المثل الوطنية العليا الى الايجابية في مواقف عديدة حتى في ما كان نافياً فلم يجدهم هذا شيئاً . وما كان يسدى اليهم من نصح في اثناء حركاتهم الكفاحيـة القوية في هذا الدور بل وما بعده من ادوار - عدا التقسيم - فانما كان يرمي الى تيسير استجابتهم الى ما كانت تدعو اليه السلطات الانكليزية وتلح فيه وتستعين

بأولئك الرؤساء عليهم فيه من تراخ في الكفاح او قبول ما كانت تفرضه فرضاً تعسفياً من الامور الوسائلية والشكلية كالعدول عن الاضراب والتعاون مع اللجنة الملكية وعـــدم التمسك بحق اختيار ممثلي فلسطين وغير ذلك مما مر الكلام على ظروفه ومشاهده . وليس في هـــذا جد متصل بحل القضية واسسها ولم يكن من شأنـه ان يجعل الانكليز يرضون بحل سليم او ينفضون ايديهم من اليهود وقضيتهم كما نعتقد ، فضلاً عن ان النصح في هذه الامور كان يستجاب في النهاية . وإذا كان الرؤساء اللائمون الذين كانوا يكلفون بالنصح والتدخل يظنون هذا فانهم كانوا واهمين كل الوهم او غير نافذين الى نيات الانكليز ومطامع اليهود والسياسة المرسومة في هذا الشأن على ما هو معروف عنهم من ذكاء ، او كانوا يائسين من امكان اي حل على غير اساس دولة يهودية ما في فلسطين وعدم جدوى اي جهد ضد ذلك . . واما التقسيم فقد رفضه الفلسطينيون جميعهم متطرفوهم ومعتدلوهم ورفضه العرب في كل مكان حكومات وهيآت ، وظل مرفوضاً كذلك من الجميع الى النهاية ، بل واندمج في هذا الرفض اولئك اللائمون الذين كانوا ينصحون به . . . فاختصاص الهيآت الوطنية الفلسطينية باللوم في عدم قبوله ليس له اي محل ومعنى . . .

الملاحق

١ ـ الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢

٢ ـ صك الانتداب

٣ ـ المذكرات المتبادلة بين المستر ملز وفريق من الوطنيين سنة ٩٢٦

٤ ـ الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠

٥ ـ بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي عن الميثاق القومي العربي

٦ ـ بيان حزب الاستقلال بمناسبة اجتماع ذكرى وعد بلفور

٧ ـ » » » » » » فتح القدس

٨ ـ نداء » » الى جميع العرب

٩ ـ الكتاب الابيض وتواصي التقسيم لسنة ١٩٣٧

١٠ـ الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩

ملحق رقم (١)

الكتاب الابيض الذي اصدره تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في شهر حزيران ١٩٢٢

نظر وزير المستعمرات مجدداً في الحالة السياسية الحاضرة في فلسطين برغبة صادقة بغية الوصول الى حل للمسائل المعلقة التي افسحت مجالا للغموض والقلق الذي استحوذ على بعض طبقات من السكان . وقد وضع البيان التالي بعد استشارة المندوب السامي لفلسطين ، وهو يتضمن خلاصة الاجزاء المهمة من المحادثات التي دارت بين وزير المستعمرات ووفد الجمعية الاسلامية المسيحية في فلسطين الذي مضى على وجوده بعض الزمن في انكلترا وغير ذلك من الاستنتاجات الاخرى التي تم الوصول اليها منذ ذلك الحين .

إن التوتر الذي ساد فلسطين من حين الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف اخذت تساور بعض طبقات من السكان العرب واليهود . اما مخاوف العرب فبعضها مبني على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذي اعطي بالنيابة عن حكومة جلالته في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٧ والذي يجيز انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ذلك انه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هي جعل فلسطين يهودية برمتها ، واستعملت عبارات قيل فيها ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية . فحكومة جلالته تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق وتعلن بانها لا ترمي الى مثل هذه الغاية ، وبأنها لم تفكر قط باخضاع او محو السكان العرب او القضاء على لغتهم وآدابهم في فلسطين كما يتخوف الوفد العربي . وهي تلفت النظر الى ان عبارات التصريح المنوه بها لا تشير الى تحويل فلسطين بجملتها وجعلها وطناً قومياً لليهود بل انما تعني بأن وطناً كهذا يؤسس في فلسطين . ومما يلاحظ بسرور فيما يتعلق بهذا الامر ان المؤتمر الصهيوني الذي عقد في كارلسباد في شهر ايلول سنة ١٩٢١ وهو المجلس الاعلى المسيطر على الجمعية الصهيونية اتخذ قراراً اعرب فيه رسمياً عن المقاصد الصهيونية جاء فيه :

« أن الشعب اليهودي عقد النية على ان يعيش مع الشعب العربي باتحاد واحترام متبادلين وان يسعيا معاً لجعل هذا الوطن المشترك زاهراً بحيث يضمن تجديده الرقي القومي لكل من الشعبين بسلام » .

وهنالك امر آخر لابد من لفت النظر اليه وهو ان اللجنة الصهيونية في فلسطين المعروفة الآن باللجنة التنفيذية الصهيونية لا ترغب في ان يكون لها كما انها لا تملك اي قسط في إدارة البلاد العامة . والمركز الخاص الذي تشغله الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب لا يخولها صلاحية تولي هذه الوظيفة . وانما ينحصر مركزها الخاص في التدابير التي تتعلق باليهود ومساعدة البلاد في تقدمها دون ان يخولها ذلك حق الاشتراك بصورة ما في حكومتها .

وفضلا عن ذلك فان الحكومة تفكر في جعل جنسية الأهالي في نظر القانون الجنسية الفلسطينية ولم يقصد قط ان يكون للاهالي او لأي فئة منهم صفة قانونية اخرى .

اما فيما يتعلق بسكان فلسطين اليهود فالظاهر ان بعضهم يخشى ان تنحرف حكومة جلالته عن السياسة المدرجة في التصريح الصادر سنة ١٩١٧ ولذا من الضروري التأكيد مرة اخرى بأن هذه المخاوف لا اساس لها وان ذلك التصريح الذي تأيد في مؤتمر دول الحلفاء الكبرى المنعقد في سان ريمو ثم معاهدة سيفر هو غير قابل التغيير .

وقد اعاد اليهود في الجيلين او الثلاثة اجيال الاخيرة إنشاء طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ربعهم تقريباً مزارعون او عملة في الارض . ولهذه الطائفة إدارات سياسية خاصة منها مجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيأة تشرف على مدارسها ورئاسة حاخامين ومجلس رباني لادارة شؤونها الدينية . وقدار اعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلغتها الوطنية . ولها صحف عبرية تفي بحاجتها . وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها عن سواها وتبدي نشاطاً كبيراً في الحركة الاقتصادية . فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن وهيآتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة وعوائدها وطرق معيشتها الخاصة لها في الحقيقة مميزات قومية . ومتى سأل سائل ما هو معنى ترقية الوطن القومي اليهودي

في فلسطين يمكن ان يجاب على ذلك بأنه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالاً بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم ، حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية امل وطيد في تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودي مجـــال واف كي يظهر فيه مقدرته كان من الضروري ان يعلم بأن وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة . ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضماناً دوليـــاً والاعتراف رسمياً بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة .

اذن هذا هو التفسير الذي تفسر به حكومة جلالته تصريح سنة ١٩١٧؛ ويرى وزير المستعمرات ان هـذا التصريح ان فهم على هذا الوجه لا يتضمن صراحة او ضمناً شيئاً من شأنه ان يثير مخاوف عرب فلسطين او يسبب استياء اليهود .

ومن الضروري لأجل تطبيق هذه السياسة تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة. ولكن هذه المهاجرة لا يمكن ان تكون كبيرة الى حد يزيد في اي ظروف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية على قبول مهاجرين جدد إذ ذاك . ومن الضروري ضمان عدم صيرورة المهاجرين عالة على اهالي فلسطين عموماً وعدم حرمان اية فئة من السكان الحاليين من اشغالها . وقد جرت المهاجرة حتى الآن على هذه الشروط وبلغ عـدد المهاجرين منذ الاحتلال البريطاني نحو ٢٥ الف مهاجر . ومن الضروري ايضاً ضمان عـــدم ادخال الاشخاص غير المرغوب فيهم سياسياً الى فلسطين . وقد اتخذت الادارة وستتخذ كل الاحتياطات لهذه الغاية .

وفي النية تأليف لجنة خاصة في فلسطين من اعضاء المجلس التشريعي الجديـــد المنتخبين من الأهـالي للبحث مع الادارة في الامور المتعلقة بتنظيم المهاجرة . فاذا وقع خلاف في الرأي بين هـــذه اللجنة والادارة يرفع الامر إلى حكومة جلالته وهي تعيره اهتماماً خاصاً . وفضلا عن ذلك فلكل طائفة مذهبية او اي قسم كبير من اهالي فلسطين توفيقاً لأحكام المـادة (٨١) من مشروع دستور فلسطين حق استئناف اية مسألة يرى ان حكومة فلسطين لم تجر فيها على احكام صك الانتداب الى جمعية الامم بواسطة المندوب السامي ووزير المستعمرات .

اما بشأن الدستور المنوي تطبيقه في فلسطين والذي نشر مشروعه فمن المرغوب فيه ايضاح بعض النقاط بشأنه . ففي الدرجة الاولى ليس الأمر كما ادعى الوفد العربي بأن حكومة جلالة الملك اعطت في اثناء الحرب تعهداً بأن ينشأ حالاً حكومة وطنية مستقلة في فلسطين . ان هذا القول يستند في الغالب إلى كتاب ارسله في ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ السر هنري مكماهون الذي كان عندئذ مندوباً سامياً في مصر إلى شريف مكة الملك حسين ملك الحجاز اليوم . وقد ادعى بأن هذا الكتاب يتضمن وعداً لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف وتأييده . غير ان هذا الوعد اعطي معلقاً على تحفظ ورد في نفس الكتاب وهذا التحفظ يستثني في جملة ما يستثنيه من المناطق ذلك القسم من سوريا الواقع غربي ولاية الشام . وقد اعتبرت حكومة جلالته على الدوام بأن هذا التحفظ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل . وبناء عليه تكون فلسطين برمتها غربي الاردن مستثناة من تعهد السير هنري مكماهون .

ومع ذلك ففي عزم حكومة جلالته تأسيس حكومة ذاتية واسعة النطاق في فلسطين ولكنها ترتئي بالنظر للظروف الخاصة في تلك البلاد ان يتم ذلك تدريجياً لا طفرة . وقد خطت الخطوة الاولى في هذا السبيل حين تأسيس الادارة المدنية فعينت المجلس الاستشاري الحالي . وذكر المندوب السامي وقتئذ ان هذه الخطوة هي الخطوة الاولى في سبيل ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وفي النية الآن اتخاذ خطوة ثانية بتأليف مجلس تشريعي تكون اكثرية اعضائه منتخبة على اساس انتخابي واسع .

وقد اقترح في مشروع الدستور ان يكون ثلاثة من اعضاء المجلس غير موظفين يعينهم المندوب السامي . ولكن بالنظر للاعتراضات التي وجهت الى هذا النص المستند الى اعتبارات قوية فان وزير المستعمرات مستعد لان يحذفه من الدستور . وسيؤلف المجلس التشريعي برئاسة المندوب السامي من اثني عشر عضواً منتخباً وعشرة اعضاء من الموظفين . وفي رأي وزير المستعمرات أن من الحكمة ان يمر وقت ما قبل توسيع الحكم الذاتي في فلسطين وقبل تخويل المجلس صلاحية المراقبة على السلطة التنفيذية . وبعد بضع سنوات يعاد النظر في حالة البلاد ، فاذا أسفر الاختبار في سير النظم الدستورية التي يراد تأسيسها الآن عن نجاح تعطى

إذ ذاك صلاحية اوفر لنواب الشعب المنتخبين .

ويود وزير المستعمرات أن يلفت النظر إلى ان الادارة الحالية قد نقلت المجلس الاسلامي الأعلى المنتخب من الطائفة الاسلامية في فلسطين حق الرقابة على الاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية . وقد أعادت الادارة هذا المجلس ايضاً اختياراً منها ايرادات كبيرة لأوقاف قديمة كانت الحكومة العثمانية قد ضبطتها . ولدائرة المعارف لجنة استشارية تمثل جميع طبقات الأهالي كما ان دائرة التجارة والصناعة تستفيد من تعاون الغرف التجارية التي تأسست في المدن الكبرى . وتنوي الادارة ايضاً إشراك أمثال هذه اللجان التمثيلية مع دوائر الحكومة المختلطة بصورة أعم .

ويعتقد وزير المستعمرات بأن سياسة تبنى على مثل هذه الخطط مع المحافظة على اوسع معاني الحرية الدينية في فلسطين والمحافظة التامة على حقوق الطوائف كافة فيما يتعلق بأماكنها المقدسة لا يمكن إلا ان تكون مقبولة لدى جميع طبقات السكان ، وانه على هذا الاساس يمكن ان يبنى روح التعاون الذي يتوقف عليه لدرجة كبرى رقي ورخاء الارض المقدسة في المستقبل .

ملحق رقم (٢)

صك الانتداب الفلسطيني الذي وضعته بريطانيا كدولة منتدبة واقره مجلس جمعية الامم في لندن يوم ٢٤ تموز ١٩٢٢

لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم (١) على ان تعهد الى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة في إدارة شؤون فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة .

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت ايضاً على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وصادقت عليه الدول المذكورة بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيئاً يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الاخرى .

---

(١) هذا نص هذه المادة المتعلق بالبلاد العربية :

« ان بعض الجماعات التي كانت سابقاً جزءاً من المملكة العثمانية وصلت الى درجة من الرقي يحق لها معها ان تعتبر امماً مستقلة بشرط ان يرشدها في ادارة شؤونها نصائح ومعونة حكومة منتدبة الى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على قيادة نفسها . ويجب قبل كل شيء ان تراعى اماني تلك الجماعات في اختيار الحكومة المنتدبة » .

حيث اعتبرت البلاد العربية من هذا القسم الذي عبر عنه في الميثاق بصنف (آ) ومع ان صكوك الانتداب لسوريا ولبنان والعراق المماثلة لفلسطين قد وضعت على هذا الأساس الذي قام بمقتضاه حكومات وطنية فان هذا الأساس لم يراع في صك انتداب فلسطين بسبب تصريح فلسطين . وقد قال تشرشل في هذا الصدد بصراحة ان المانع الوحيد لتأسيس حكومة وطنية في فلسطين اسوة بالبلاد العربية الاخرى ليس كون اهل فلسطين اقل رقياً وتقدماً من سكان تلك البلاد وانما هو وعد بلفور !! ومن تمام الصورة المضحكة المبكية انه ورد في مراد الصك تسمية لحكومة فلسطين بحيث يخيل انها شيء غير الدولة المنتدبة ولكنها كانت تسمية زائفة لأن ادارة فلسطين كانت ادارة انكليزية في نطاق وزارة المستعمرات البريطانية ...

ولما كان ذلك اعترافـــاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد .

ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين ولما كان صك الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جمعية الامم لموافقته عليه .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب على فلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الامم طبقاً للنصوص والشروط التالية

ولما كانت المادة (٢٢) المتقدمة الذكر تنص على ان درجة السلطة والسيطرة او الادارة التي تكون للدولة المنتدبة إذا لم يتم الاتفاق عليها بين اعضاء جمعية الامم ينص على ذلك نصاً صريحاً فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي :

المادة الاولى – يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة إلا حيث اقيمت لها حدود في نصوص صك الانتداب هذا .

المادة الثانية – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية انظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الاجناس والاديان .

المادة الثالثة – يجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الاحوال .

المادة الرابعة – يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عموميـــة لتشير وتعاون في إدارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائما . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هـــذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في

انشاء الوطن القومي اليهودي .

المادة الخامسة – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل، عن شيء من اراضي فلسطين او تأجيره او وضعه تحت حكم دولة اجنبية .

المادة السادسة – على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة استقرار اليهود في الاراضي الزراعية ومن جملتها الاراضي المدورة والاراضي البور غير المطلوبة للاعمال العمومية .

المادة السابعة – يترتب على حكومة فلسطين ان تسن قانوناً للجنسية. يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعوية الفلسطينية .

المادة الثامنة – ان امتيازات الاجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الاجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات او العرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين . ولكن متى انتهى اجل الانتداب فان هذه الامتيازات برمتها او مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشأن باستثناء الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في اول آب سنة ١٩١٤ تعود الى العمل بها فوراً .

المادة التاسعة – الدولة المنتدبة مسؤولة عن كفالة النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين للحقوق القضائية للاجانب والوطنيين ، وعن ضمانته تمام الضمان لاحترام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما إدارة الاوقاف طبقا للشريعة الدينية وشروط الواقفين .

المادة العاشرة – تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الاجنبية بشأن تسليم الرعايا الاجانب المطلوبين في فلسطين مرعية الى ان تعقد اتفاقات خاصة بذلك في فلسطين .

المادة الحادية عشرة – تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمه لصون مصالح الجمهور في ما له علاقة بترقية البلاد ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم

لوضع يد الحكومة او سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية او الاعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة او التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهود الدولية التي تقبلتها الدولة المنتدبة على نفسها ؛ و عليها ايضاً ان توجد نظاماً للاراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة امور اخرى منها المنافع التي تنجم تشجيع إكثار المهاجرة واستغلال اعظم ما يستطاع من الارض . ويجوز لادارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على ان تجري او تستثمر بشروط الانصاف والعدل والاعمال والمصالح العمومية وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها . وانما يشترط في هذه الاتفاقات ان لا تتجاوز الارباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل مباشرة او غير مباشرة فائـــدة معتدلة لرأس المال . وكل ما يزيد عن هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البـلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها .

المادة الثانية عشرة - يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على علاقـات فلسطين الخارجية ، وحق إصدار الـــبراآت الى القناصل الذين تعينهم الدول الاجنبية . وللدولة المنتدبة الحق أيضاً في أن تشمل رعـايا فلسطين وهم في خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها .

المادة الثالثة عشرة - تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين . وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة ، وضمان الوصول الى الاماكن المقدسة والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات الامن العام والآداب ، وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة امام جمعية الامم دون سواها عن كل مايتعلق بذلك بشرط ان لاتخول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ماتراه هذه الدول لازماً لتنفيذ نصوص هذه المادة، وبشرط ان لا يفسر شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للاملاك الاسلامية او التدخل في ادارة الاماكن المقدسة الاسلامية ذات الامتيازات الدائمة .

المادة الرابعة عشرة - تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة بالاماكن المقدسة ، والحقوق والدعاوى التي تختص بالطوائف

الدينية المختلفة في فلسطين . ويعرض الاسلوب الذي يتبع في تعيين هـذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جمعية الامم ليوافق عليه . ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس .

المادة الخامسة عشرة يجب على الدولة المنتدبة ان تتحقق ان الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب . ويجب ان لا يكون هناك تمييز من اي نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس او الدين او اللغة ، وان لا يحرم شخص ما من دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط . ويجب ان لا تحرم اي طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتهم إذا كان ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الحكومة .

المادة السادسة عشرة - تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم من الاشراف على الهيآت الدينية والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين . فاذا روعي هذا الشرط لا يجوز ان تتخذ تدابير في فلسطين لاعاقة اعمال مثل هذه الهيآت او التعرض لها او الاجحاف بأي ممثل لها او عضو فيها بسبب دينه او جنسيته .

المادة السابعة عشرة - يجوز لحكومة فلسطين ان تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام والدفاع عن البلاد ايضاً بشرط ان تكون تحت اشراف الدولة المنتدبة . ولكن لا يجوز لادارة فلسطين استخدام هذه القوات لأغراض اخرى غير الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة . وفي ما عدا هذه الاغراض لا يجوز لادارة فلسطين ان تجمع قوات عسكرية او بحرية او جوية ولا ان تبقيها عندها . وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين . ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت ان تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات .

المادة الثامنة عشرة - يجب على الدولة المنتدبة ان تكفل عدم التحيز في فلسطين ضد رعايا اي دولة تكون عضواً في جمعية الامم . وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة إذا قبلوا برعايا الدولة المنتدبة او اي دولة اجنبية كانت

في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او تعاطي الصنائع او المهن وفي معاملة السفن التجارية او الطيارات الاهلية . وكذلك يجب ان لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشؤها في بلد من بلدان الدولة المذكورة او تكون مرسلة اليها . وتطلق حرية مرور المتاجر الترانزيت عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة . ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك الانتداب هذا يجوز لادارة فلسطين ان تفرض باشارة الدولة المنتدبة الضرائب والرسوم الجمركية كما تراه ضرورياً وان تتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية الموارد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها ان تعقد باشارة الدولة المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع اي دولة كانت املاكها كلها داخلة في تركيا الاسيوية او شبه جزيرة العرب في سنة ١٩١٤ .

المادة التاسعة عشرة — تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جمعية الامم فيما بعد من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة او الاتجار بالمخدرات او تتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور الترانزيت والملاحة والطيران وبالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية والملكيات الادبية والفنية والصناعية .

المادة العشرون — تعاون الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جمعية الامم لمنع انتشار الامراض وفي جملتها امراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الاحوال الدينية والاجتماعية وسواها .

المادة الواحدة والعشرون - تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الاولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الاحكام الآتية ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جمعية الامم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية :

(١) يجب ان يفهم من كلمة « العاديات » كل ما ينتج عن عمل البشر او صنعهم قبل سنة ١٧٠٠ (٢) ان التشريع لحماية العاديات يجب ان يكون اجدر بالتشجيع منه بالتهديد ويجب على كل شخص يكتشف اثراً بدون حصول على الاذن المذكور

في الفقرة الخامسة ان يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما اكتشفه (٣) لا يمكن نقل ملكية شيء من العاديات إلا لمصلحة السلطة ذات الشأن ما لم تعدل هذه السلطة عن امتلاكه . ولايمكن إخراج شيء من العاديات من البلاد إلا باذن من تلك السلطة (٤) كل شخص يتلف او يتلم قطعة من العاديات تعمداً او اهمالا يجب ان يجازى جزاء يحدد مقداره آنئذ (٥) ممنوع كل حفر أو تنقيب لايجاد العاديات إلا باذن السلطة ذات الشأن وإلا غُرّم المخالف بغرامة مالية (٦) توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية موقتاً او دائماً في الاراضي التي تحوي فائدة تاريخية او اثرية (٧) لا تعطى الرخصه باجراء الحفريات إلا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على خبرتهم في الآثار . وعلى الدولة المنتدبة لدى اعطاء الرخصة ان لا تستثني علماء امة ما (٨) يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الاشخاص الذين اجروه والسلطة ذات الشأن بالنسبة التي تعينها هي . فاذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التنقيب .

المادة الثانية والعشرون - تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين . فكل عبارة او كتابة بالعبرية تكرر بالعربية .

المادة الثالثة والعشرون - تعترف إدارة فلسطين بالايام المقدسة (الاعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين كأيام راحة مشروعة لأفراد تلك الطائفة .

المادة الرابعة والعشرون - تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريراً سنوياً يرتاح اليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن او تصدر في اثناء السنة مع التقرير .

المادة الخامسة والعشرون يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الامم ان تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للاحوال المحلية الحاضرة في الاقسام الواقعة بين نهر الاردن والحد الشرقي لفلسطين (١) كما سيعين

(١) مع ان شرق الاردن كان جزءاً من ولاية سورية وفي ادارة منطقة سورية الداخلية الى آخر عهد فيصل ومع ان شرشل قال في كتابه الابيض ان فلسطين هي القسم الواقع غربي الاردن فان الانكليز بلغوا بمكرهم مجلس جمعية الامم اعتبار تسمية فلسطين شاملة لشرق الاردن وغربه معاً ونالوا الانتداب على فلسطين هذه !!

في آخر الامر وان تضع من التدابير لادارة هـــذه الاقسام ما تراه ملائماً لتلك الاحوال بشرط ان لا يعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد (١٥ و١٦ و١٨) .

المادة السادسة والعشرون - توافق الدولة المنتدبة على انه إذا وقع نزاع ما بينها وبين عضو آخر في جمعيـــة الامم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها يعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عنها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم إذا لم يتم حله بالمفاوضات .

المادة السابعة والعشرون - يلزم اخـذ موافقة جمعية الامم عن كل تعديل في شروط صك الانتداب .

المادة الثامنة والعشرون - يتخذ مجلس جمعية الامم من التدابير في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة مايراه ضرورياً لصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين (١٣ و١٤) واستمرار احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود المالية التي أخذتها إدارة فلسطين على عاتقها في عهد الانتداب وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة .

ملحق رقم (٣)

المذكرات التي جرت بين بعض الوطنيين ومساعد السكرتير العام في صدد تعديل الدستور

- ١ -

المذكرة التي هيأها المستر ملز والتي بناها على المذاكرات

١) ان الذوات المذكورة اسماؤهم ادناه يقترحون ادخال تعديلات في دستور فلسطين وفي الأمر المعدل له الصادر من جلالة الملك في محله الخاص ، وذلك لأجل اتخاذ التدابير لانشاء حكومة دستورية يستطيع الأهالي الاشتراك فيها وفي الامور التشريعية . وهذه اسماؤهم :

رفيق بك التميمي
رشيد افندي الحاج ابراهيم
معين افندي الماضي
عزة افندي دروزه
عمر افندي الصالح البرغوثي
بولس افندي شحاده

٢) فأشاروا في البـــدء الى ان الصعوبة الوحيدة هي موجودة طبعاً في صك انتداب بني على تصريح بلفور لسنة ١٩١٧ ، وهم يعلمون ان صك الانتداب يفرض على الدولـــة المنتدبة مسؤوليات قبلت بها . ولا يرغبون في التعرض لها بل انهم راضون عن اتخاذ ترتيبات دستورية تساعد حكومة جلالة الملك البريطانية على القيام بما عليها من المسؤوليات الدولية ما دام الاهالي الفلسطينيون يشتركون اشتراكاً فعلياً في سن القوانـــين . الامر الذي هو مستقل تمام الاستقلال عن تلك المسؤوليات .

٣) وطالما هي هذه التسوية السياسية الرئيسية فهم يرغبون إذاً في ان يكون

في جملة مايضاف الى دستور جديد يوضع لفلسطين تفسير السياسة البريطانية الصريح بها في الكتاب الابيض (رقم ١٧٠٠) لسنة ١٩٢٢ . وهم يعلمون ان المندوب السامي بموجب البند ٢٧ من التعليمات الصادرة من جلالته يسترشد بذلك التفسير السياسي غير انهم يشيرون الى ان التعليمات الصادرة من جلالته قابلة للتغير بينما ان تغيير الدستور اصعب من ذلك ويقتضي تعليمات دستورية لاحاجة لها في حالة اجراء تغيير في تلك التعليمات إلا إذا كانت هذه التعليمات موضوعة لمدى يعرّف في الدستور تعريفاً اكثر دقـــة مما هو في الوقت الحاضر . وفضلاً عن ذلك طالما أن حكومة جلالة الملك قـد أوضحت لهم ما يفهم من عبارة الوطن القومي لليهود في الكتاب الابيض فهم لا يرون ما يمنع من اتخاذ ذلك التفسير احدى المصادقات الرئيسية على الترتيبات الدستورية الموضوعة في دستور فلسطين .

٤) وهم راغبون في ان يدمجوا في الدستور نصاً آخر مفاده أن أهالي فلسطين محاطون علماً بما تعهدته حكومة صاحب الجلالة من التعهدات الدولية بشأن فلسطين وان لم يكن لهم دخل في هذا الامر .

٥) أما فيما يختص بالفصل الثاني من دستور فلسطين حول المجلس التنفيذي فانهم يرغبون في اظهار الفوائد التي يمكن اكتسابها من تعيين بعض الوطنيين من وقت إلى آخر أعضاء فوق العادة في المجلس التنفيذي لاسداء المشورة في المسائل الخاصة .

٦) ان الفصل الثالث من الدستور في صيغته الحاضرة لا يفي برغبات أهـــالي البلاد وقد اقترحوا أن يضم البرلمـان في فلسطين المندوب السامي ومجلس الأعيان ومجلس النواب .

٧) وهم لا يعترضون على تأليف مجلس الأعيان من أعضاء موظفين وأعضاء غير موظفين معينين يختارهم المندوب السامي من بين أصحاب الكفاآت من أهل البلاد. ويبقى الأعضاء غير الموظفين في مناصبهم في مدة انعقاد البرلمـان التي يقترحون ان تكون لأربع سنوات .

٨) يشكل مجلس النواب من أعضاء ينتخبون انتخاباً بنسبة عضو واحد لكل ٢٠٠٠٠ — ٢٥٠٠٠ من السكان وقد فصلت طريقة الانتخاب في فقرة تالية .

٩) وقد اقترحوا أن يكون لكل مجلس من المجلسين الحق بوضع القوانين

للتصديق عليها فمشاريع القوانين المالية والقوانين الخاصة بما على حكومة جلالة الملك من المسؤوليات الدولية تضعها الحكومة وحدها فقط . اما مشاريع القوانين الاخرى فيجوز وضعها وتقديمها من قبل الاعضاء في كلا المجلسين .

١٠) لمجلس الاعيان ان يعدل او يرفض أي مشروع قانون يرفعه اليه مجلس النواب . فاذا رفض مشروع قانون ما فلا يجب اعادته في دورة الانعقاد نفسها . فان رفض ثلاث مرات متوالية في دورات ثلاث وجب عندئذ سحبه .

١١) والمعاملة ذاتها في مجلس النواب تسري على مشروع قانون يرفعه عضو في مجلس الاعيان .

١٢) كل مشروع قانون مالي او قانون خاص بتعهدات حكومة جلالة الملك الدولية مما تضعه حكومة فلسطين اقره مجلس الاعيان وجب ارساله الى مجلس النواب للبحث فيه وإسداء المشورة بشأنه ثم يعاد إلى الحكومة مصحوباً بآراء وملاحظات المجلس التي توضع بصفة قرارات تتخذ بالاكثرية ولا يخول لمجلس النواب سلطة تعديل قوانين كهذه .

١٣) وعلى هذا النحو يرسل لمجلس النواب كل مشروع قانون تقدمه الحكومة مما لا يتعلق بالمالية او بالمسؤوليات الدولية الملقاة على عاتق حكومة جلالة الملك . ولا يكون لمجلس النواب سلطة تعديل ذلك المشروع انما يخول له حق البحث فيه واسداء المشورة بشأنه إلى الحكومة بشكل قرار يتخذ بالاكثرية فاذا قبلت الحكومة بما اسداه المجلس لها من المشورة وجب ان يعرض المشروع بصيغته المعدلة ثانية على مجلس الاعيان ومجلس النواب لاقراره . أما إذا أشار المجلس ان مشروع القانون غير مقبول بأجمعه فيسحب فوراً ولا يعرض ثانية على المجلس إلا في دورة ثانية وتتبع الاصول نفسها في هذه الدورة . ومن الجهة الاخرى فاذا اتخذ المجلس نفس القرار بشأن ذلك القانون في ثلاث دورات من دوراته فلا يعرض ثانية على البرلمان في مدة انعقاده .

١٤) وقد اقترح تحديد شروط حل البرلمان .

١٥) ينتخب اعضاء مجلس النواب بانتخاب مباشر من قبل الفلسطينيين وعلى أساس نائب واحد لكل ٢٠ او ٢٥ الف من السكان يكون هناك ثلاث دوائر

انتخابية أي دائرة اسلامية واخرى مسيحية وثالثة يهودية وقد يكون من المرغوب فيه جعل فلسطين بأجمعها دائرة انتخابية واحدة للمسيحيين وكذلك لليهود هنا مثال لطريقة الانتخاب لا اهمية له » . ان المبدأ العمومي هو أن يكون انتخاب النواب مبنياً على اساس التمثيل النسبي لمجموع السكان دائماً بينما ان النسبة بين عدد النواب تتوقف بالكلية على المهاجرين الذين يتجنسون بالجنسية الفلسطينية حالما يحق لهم ذلك إذ ان الناخبين والمنتخبين هم فلسطينيون فقط .

١٦) ومن المرغوب فيه ان تكون مدة انعقاد البرلمان اربع سنوات وان ينعقد مرة واحدة كل سنة تستغرق أربعة أشهر ويرتب ميعاد انعقاده في وقت مناسب يمكنه من البحث والتدقيق في مشروع الميزانيه بقصد رفع اقتراحاته بشأنها .

- ٢ -

تعليقات على المذكرة التي ارسلها المستر ملز

ما يتعلق بالمادة الاولى من المذكرة

ان اساس الاقتراحات مبني على الرغبة في ايجاد حل لمشكلة فلسطين فان فلسطين بينما هي جزء من البلاد التي سلخت عن تركيا وينبغي ان يكون مصيرها كمصير مثيلاتها من الاقطار الاخرى كسوريا ولبنان والعراق لا تزال عديمة الشكل في تشريعها وفي طراز حكومتها وفي مركزها السياسي. وهذا هو الذي ادى إلى الآن إلى عدم التعاون الموجود بين الحكومة والاهالى في فلسطين، مع ان من المرغوب فيه ان يحل التعاون بدل عدم التعاون وان تأخذ فلسطين شكلاً معيناً تشريعياً وحكومياً وسياسياً يقوم على توضيح وتحديد العلاقات بين الحكومة البريطانية وفلسطين . ان الاقتراحات الواردة في المذكرة ليست هي اقتراحات الذوات الذين ذكرت اسماؤهم مباشرة ، وانما هي نتيجة مداولات جرت بينهم وبين جناب المستر ملز حول طريقة اشتراك الاهالي في الحكم . ومن هذه الاقتراحات ما كان صادراً من جنابه ازاء اقتراحات صادرة من الذوات المذكورة اسماؤهم لم يرتح اليها جنابه وقال انها غير ممكنة القبول .

ما يتعلق بالمادة الثانية من المذكرة

ان اظهار الرضا عن اتخاذ ترتيبات دستورية تساعد حكومة جلالة الملك البريطانية على القيام بما عليها من المسؤوليات الدولية كان متوافقاً مع الرغبة في الاشتراك الفعلي ليس فقط في سن القوانين بل وفي ادارة شؤون البلاد ايضاً .

فقد كان الاقتراح هكذا :

« اننا نعلم ان حكومة جلالة الملك البريطانية مرتبطة بتعهدات دولية بما يتعلق بفلسطين . فنحن نطلب من الحكومة المشار اليها ان تحدد مسؤولياتها وتضع تحفظاتها في ذلك بحيث لايوضع في فلسطين تشريع مايناقض او يخل بهذه التحفظات والمسؤوليات ثم بعد ذلك تمكن اهالي فلسطين على اختلاف طوائفهم من وضع دستورهم بواسطة ممثلين عنهم وينص في هذا الدستور على شكل حكومتهم واشتراكهم فيها وعلى تأليف برلمان يشترك اشتراكاً فعلياً في التشريع مثلما فعلت الاقطار الاخرى المماثلة لفلسطين كالعراق ولبنان وسوريا ونحن نعتقد ان هذا هو الحل المعقول العادل لقضية فلسطين والمتفق في الوقت ذاته مع روح الانتداب » .

ما يتعلق بالمادة الخامسة من المذكرة

ان اقتراح الذوات المذكورين في صدد المجلس التنفيذي كان تأليف المجلس التنفيذي من فلسطينيين يتولون زمام الادارة ويستعينون بمستشارين بريطانيين .

غير ان جناب المستر ملز لم ير هذا الاقتراح ممكن القبول وقال ان من الممكن ان يعين من وقت الى آخر اعضاء فوق العادة من الوطنيين في المجلس التنفيذي لاسداء المشورة في المسائل الخاصة .

ما يتعلق بالمادة السابعة من المذكرة

ان الاقتراحات بتشكيل مجلس الاعيان قد تعددت . فالذي اقترحه الذوات هو ان يكون نصف اعضائه معينين تعييناً من الاهالي والنصف الثاني منتخبين انتخاباً تمثيلياً . فلم يوافق جناب المستر ملز على هذا الاقتراح . فاقترحوا ان يكون جمعية من الاهالي تعينهم الحكومة تعييناً فلم يوافق كذلك عليه . ثم قال جنابه انه لا بد ان يكون نصفه من الموظفين والنصف الآخر معيناً من الاهالي .

ما يتعلق بالمادة الثامنة

اشترط في السكان الذين تؤخذ نسبتهم في تعيين عدد النواب التجنس بالجنسية الفلسطينية . ان سكان فلسطين في الحال الحاضر (٨٠٠٠٠٠) غير ان (١٠٠٠٠٠) منهم تقريباً غير متجنسين بالجنسية الفلسطينية فينبغي ان يطرحوا من العدد الاصلي. والاصح في هذا الاقتراح هو أن المبدأ العمومي ان يكون انتخاب النواب مبنياً على اساس التمثيل النسبي لمجموع السكان الفلسطينيين دائماً ونلاحظ ان مثل عدد النواب (٣٢) لم يرد في البحث ونلاحظ ايضاً ان في المثل الذي ورد في المذكرة ان اليهود يزداد عـــدد نوابهم كلما زادوا في الهجرة والتجنس وبذلك يتناقص عدد نواب المسلمين مع ان عددهم في ازدياد او يزداد من التوالد وهذا مخالف لذلك المبدأ العمومي الذي قبله المستر ملز .

ما يتعلق بالمادة التاسعة

ان جعل وضع القوانين الماليـة محصوراً في الحكومة وحرمان مجلس النواب من سلطة تعديلها لا يضمن المبدأ الاصلي من الاشتراك الفعلي في سن القوانين بوجه عام .

ما يتعلق بالمادة الثالثة عشرة

لاينص هنا على ماذا يعمل في حال عدم قبول الحكومة للملاحظات والتعديلات التي يقررها المجلس في نصوص القوانين . مع ان المداولة انتجت انه إذا لم تحصل الموافقة على القانون بأجمعه او على نصوصه يسحب .

ما يتعلق بالمادة الرابعة عشرة

اقترح وانتجت المداولة انه اذا حل المجلس وفقاً للشروط التي تحدد يجب اجراء انتخابات جديدة في خلال ثلاثة اشهر واجتماع المجلس الجديد عقب انتهاء الانتخابات فوراً .

نقاط جرت المداولة وتمت الموافقة مبدئياً عليها ولم تذكر في المذكرة :

١ - لمجلس النواب حق سؤال واستجواب الحكومة عن المخالفات والتقصيرات التي تقع في دوائرها والحكومة مجبرة على الجواب والايضاح .

٢ – لمجلس النواب الحق في ابداء ملاحظاته واقتراحاتـــه في تعديل نصوص الدستور .

٣ – لعضو مجلس النواب حق الصيانة البرلمانيـة اثناء انعقاد المجلس إلا بقرار من المجلس أو في حال تلبسه بجرم مشهود .

– ٣ –

مذكرة معدلة قدمها الفريق العربي عن المذكرات

١) ان الذوات المذكورة اسماؤهم ادناه يقترحون ادخال تعديلات في دستور فلسطين وفي الامر المعدل له الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص لاجل انشاء حكومةدستورية يشترك الاهالي في امورها التشريعة والتنفيذية وهذه هي اسماؤهم .

٢) فاشاروا في البدء الى أن الصعوبة الجوهرية هي موجودة في صك الانتداب المبني على تصريح بلفور ١٩١٧ وهم يعلمون ان صك الانتداب يفرض على الدولة المنتدبة مسؤوليات دولية قبلت بها . وانمـــا يرغبون في أن لا تتعارض هذه المسؤوليات مع حقوق العرب المدنية والقومية والسياسية والدينية وان يشترك الاهالي اشتراكاً فعلياً في سن القوانين وادارة البلاد .

٢) وهم راغبون في ان يدمجوا في الدستور نصاً صريحاً مفاده ان اهالي فلسطين لم يستشاروا فيما اتخذته حكومة صاحب الجلالة البريطانية في التعهدات الدولية بشأن بلادهم .

٤) أما فيما يختص بالفصل الثاني مـــن الدستور حول المجلس التنفيذي فهم يقترحون ان يكون فيه اعضاء وطنيون لتأمين الاستفادة من اشتراك الاهالي في الامور التنفيذية .

٥) ان الفصل الثاني من الدستور في صيغته الحاضرة لايفي برغبات اهالي البلاد وقـــد اقترحوا أن يكون لفلسطين برلمان يتألف من مجلس اعيان ومجلس نواب والمندوب السامي يظل محافظاً على هذه الصيغة الى ان يتم انتخاب حاكم وطني عام لفلسطين .

٦) واذا كان لايمكن ان يؤلف مجلس اعيان من الاهالي فقط فهم لايعترضون على تأليفه من اعضاء موظفين واعضاء غير موظفين يختارهم المندوب السامي من بين

اصحاب الكفاءات من اهـــل البلاد على ان تراعى النسبة العددية بين الطوائف وسكان الالوية في الاعضاء المعينين وعلى أن يكون هـــؤلاء الاعضاء ثلثي اعضاء المجلس . ويبقى الاعضاء غير الموظفين في مناصبهم في مـــدة انعقاد البرلمان التي يقترحون ان تكون لاربع سنوات .

٧) يشكل مجلس النواب من اعضاء ينتخبون انتخاباً بنسبة عضو واحد لكل عشرين الف مـــن السكان الفلسطينيين على أن يكون الناخب قد اكمل الخمسة والعشرين والنائب قد اكمل الثلاثين من عمره وعلى ان تراعى الشروط الدستورية المعتادة في كل من الناخب والنائب .

٨) وقد اقترحوا ان يكون لكل من المجلسين الحق في اقتراح القوانين . على انهم لايعترضون على ان يكون للحكومة وحدها حق وضع مشروع الميزانية ومشاريع القوانين الخاصة بما على حكومة جلالة الملك البريطانية من المسئوليات الدولية . اما مشاريع القوانين الاخرى فيجوز وضعها وتقديمها مـــن قبل الاعضاء في كلا المجلسين

٩) لمجلس الاعيان ان يعدل او يرفض اي مشروع قانون يرفعه الى مجلس النواب فاذا رفض مشروع ما فلا يجب اعادته في دورة الانعقاد نفسها فان رفض ثلاث مرات متوالية في دورات ثلاث فيجب عندئذ سحبه .

١٠) والمعاملة ذاتها المذكورة في البند السابق تسري في مجلس النواب عـــلى مشروع قانون يرفعه مجلس الاعيان .

١١) مشروع الميزانية او كل قانون خاص بتعهدات حكومة جلالة الملك الدولية ما تضمه حكومة فلسطين يرسل الى مجلس الاعيان فاذا أقره وجب ارساله الى مجلس النواب للبحث فيه واسداء المشورة بشأنه ثم يعاد الى الحكومة مصحوباً بأراء وملاحظات المجلس التي تقرر بالاكثرية وحين حصول خلاف عـــلى مشروع الميزانية تحكم لجنة مؤلفة من ستة عشر عضواً نصفها من الاعيان والنصف الثاني من النواب وقرار هذه اللجنة الذي يتخذ بالاكثرية الفصل .

١٢) وعـلى هذا النحو يرسل الى مجلس النواب كل مشروع قانون تقدمه الحكومة غير مشروع الميزانية والمشاريع الخاصة بالمسئوليات الدولية ويكون من حق مجلس النواب البحث في هذه القوانين وابداء ملاحظات تتخذ بالاكثرية فاذا قبلت الحكومة بما ابداه المجلس من المشورة والملاحظات وجب ان يعرض القانون

بصيغته المعدلة ثانية على مجلس الاعيان ومجلس النواب لاقراره . أما اذا لم تقبل الحكومة بمشورة مجلس النواب او اذا اشار هذا المجلس الى ان مشروع القانون غير مقبول بأجمعه فيسحب فوراً ولا يعرض ثانية على المجلس الا في دورة ثانية وتتبع الاصول نفسها في الدورات التالية فاذا اتخذ المجلس نفس القرار بشأن ذلك القانون في ثلاث دورات من دوراته فلا يعرض ثانية على البرلمان في مدة انعقاده .

١٣) وقد اقترحوا ان لا يبقى حق حل المجلس بدون قيد وشرط . وفي حال حله ينبغي اجراء انتخابات المجلس الجديد وانعقاده في خلال ثلاثة اشهر من تاريخ حله . وينبغي ان لا يحل المجلس الجديد بنفس السبب الذي حل لاجله المجلس السابق

١٤) ينتخب اعضاء مجلس النواب بانتخاب مباشر او على درجتين من قبل الفلسطينيين الذين تعين جنسيتهم بقانون وعلى اساس نائب واحد لكل عشرين الفاً من السكان الفلسطينيين ويكون من المرغوب فيه جعل فلسطين بأجمعها دائرة انتخابية واحدة للمسيحيين وكذلك لليهود . اما المسلمون فتعتبر فلسطين كذلك منطقة واحدة لتعيين عدد نوابهم في المجلس بنسبة عددهم العام . وبعد ذلك يوزع عدد النواب بين الاقضية بنسبة سكانها المسلمين واعتبار ان كل قضاء دائرة انتخابية ويجب ان يوضع قانون للانتخابات تبين فيه الاجراءات الانتخابية .

١٥) ومن المرغوب فيه ان يكون مدة انعقاد البرلمان اربع سنوات وان يعقد مرة واحدة كل سنة تستغرق اربعة أشهر بحيث تبتدىء دورته قبل اربعة اشهر من دخول السنة المالية ليتمكن من بحث مشروع الميزانية وتدقيقه . والبرلمان يجتمع في الوقت المعين القانوني من نفسه بحكم القانون على ان يكون انعقاد المجلسين وانفصالها في وقت واحد .

١٦) ويقترحون ان يكون لمجلس النواب حق استجواب الحكومة في ما يتعلق باعمال دوائرها وحق وضع اقتراحات في تعديل الدستور وان لا يعقد قرض باسم فلسطين الا بعد موافقة المجلس النيابي .

١٧) ويقترحون ان توضح حكومة جلالة الملك البريطانية بفصل خاص جميع المسؤوليات الدولية التي تعهدت بها بشأن فلسطين والتي لا تتعارض مع حقوق الاهالي العرب المدنية والدينية والقومية والسياسية والاقتصادية .

١٨) ويقترحون ان يكون للبرلمان الحق في النظر في القوانين التي وضعت او جرى العمل بها قبل تأسيس الحكومة الدستورية .

١٩) ويقترحون ان يوضع نص في الدستور مفاده ان لا تجتمع عضوية مجلس النواب او عضوية الاعيان المعينين مع وظيفة حكومية اخرى وان يكون لكل من اعضاء مجلس النواب والاعيان المعينين مكافأة سنوية .

٢٠) ويوافقون على ابقاء المادة (٣٤) من الدستور القديم المختصة بامتيازات وسلطات المجلس واعضائه .

٢١) ويقترحون ان يستعمل المندوب السامي صلاحياته المذكورة في الدستور بسلطات يستمدها من قوانين توضع بحسب ما هو وارد في كل من الفقرتين (١٢-١٣) من هذه المذكرة .

٢٢) ويقترحون ان يكون امر تنظيم الهجرة الى فلسطين بموجب قرار خاص يوافق عليه البرلمان تراعى فيه مصالح الاهالي العرب والبلاد الاجتماعية والصحية والاقتصادية والاخلاقية والسياسية والدينية .

٢٣) ويقترحون ان يتخذ ترتيب خاص توضح فيه كيفية استعمال اللغات الرسمية في فلسطين .

- ٣ -

«صورة الجواب المرسل للمفاوضين من المستر ملز في ١١ أغستوس ١٩٢٦»

حضرات الافاضل المحترمين

١) أوعز الى ان اشير الى المذكرة التي قدمتموها متضمنة اقتراحات ترمي الى اشتراك اهالي فلسطين في شؤون الحكومة التشريعية والتنفيذية .

٢) وقد رفعت هذه المذكرة الى فخامة المندوب السامي فنالت لديه الاعتبار التام. وقد سر فخامته ان يرى ان هذه المذكره تكشف القناع عن ميل بين العرب لان يعدلوا عن السياسة السلبية المحضة التي اتبعوهـــا بشأن مصالحهم الخاصة وان يتبعوا بـــدلاً منها خطة يتمكنون بواسطتها من وضع اقتراحات قيمة لتشكيل حكومة دستورية .

٣) وأود أن اذكر لكم أن حكومة جلالة الملك قد تعهدت بان ترقي وتشجع مؤسسات الحكم الذاتي في هذه البلاد وبالطبع ان المرغوب فيه تحقيق جميع الاماني الصحيحة التي ترمي الى هذه الغاية بما لا يتعارض مع القيام بالتعهدات الاخرى التي على جلالته .

٤) وبناء على هذه الخطة تقصد الحكومة ان توجد في أواخر الخريف المقبل مجالس بلدية ينتخبها الاهالي انتخابا .

٥) ان مدى التوسع في الحكم الذاتي وزمان اجراء هذا التوسع يتوقفان لدرجة كبرى على كيفية قيام منتخبي البلديات بالمسؤوليات الملقاة عليهم في المناطق البلدية وعلى كيفية قيام الاعضاء المنتخبين بواجباتهم في الادارة المحلية .

٦) وفي هذه الاثناء لا يرى فخامته ما يمنع من رفع اقتراحات اهالي البلاد للاشتراك في حكومة دستورية الى وزير المستعمرات غير ان فخامته قبل ان يخطو هذه الخطوة يجب ان يقنع ان الاقتراحات المقدمة تعبر عن اراء هيئة عامة من اهالي البلاد .

٧) اما بشأن الاقتراحات التي رفعتموها الآن فمن الواضح ان كثيراً منها يتعذر العمل به وقد أمرني فخامته ان اعلمكم بأن امر تعديل الدستور لسنة ١٩٢٢ والامر المعدل له الصادر عام ١٩٢٣ يعزز ولا يوهن اذا وضعت الاقتراحات ضمن حدود يمكن العمل بها ويرى ان المذكرة الاولى التي بنيت عليها مذكرتكم وإن كانت تحتوي على نقاط لا تقبل بها حكومة جلالة الملك الا انها تتضمن اساساً معقولاً للنظر فيها من قبل وزير المستعمرات اكثر مما تتضمنه مذكرتكم .

واقبلوا فائق الاحترام .

ملحق رقم (٤)

الكتاب الابيض الانكليزي لسنة ١٩٣٠

فلسطين

بيان الخطة السياسية لحكومة جلالته البريطانية

١ – قد كان تقرير اللجنة المخصوصة برئاسة السر ولتر شو الذي نشر في شهر نيسان مبعثاً لجدال عنيف ظهر في اثنائه ان هنالك سوء فهم كبير حول ما قامت به حكومة جلالته في الماضي من الاعمال في ادارة فلسطين وما تقصد القيام به في المستقبل واصبح من المؤكد أن الحالة تستدعي الاسراع في نشر بيان واضح شامل عن الخطة السياسية، يرمي الى إزالة سوء الفهم هذا وما نشأ عنه من التباس وتخوف. غير أن اعداد مثل هذا البيان اقتضى اتخاذ تدابير اولية ضرورية افضت حتما إلى تأخير اتمامه.

وقد لفت تقرير لجنة شو النظر الى بعض نواح من المشكلة رأت حكومة جلالته انها تستدعي اجراء تحقيق عاجل شامل بالنظر لما لها من صلة وثيقة بالسياسة المقبلة. ولذلك تقرر ان يوفد إلى فلسطين محقق كبير الاختبار (هو السر جون هوب سمبسن) للتداول مع المندوب السامي بشأن تسوية الاراضي، والمهاجرة، وترقية الشؤون الاقتصادية، وتقديم تقرير بذلك الى حكومة جلالته. وبالنظر لأهمية هذه المواضيع البارزة، ولتماسها بعضها ببعض، تأكد لحكومة جلالته بأن ليس في الاستطاعة وضع بيان عن الخطة السياسية قبل ان تأخذ بعين الاعتبار تقريراً وافياً مفصلاً عن الحالة في فلسطين فيما يتعلق بهذه الابواب الثلاثة الهامة، مما في استطاعة السر جون هوب سمبسون وضعه بجدارة. وقد ألح على حكومة جلالته بشدة أن يتقدم استلام تقرير السر جون هوب سمبسون إصدار تصريح عن السياسة المقبلة التي تود السير عليها. غير ان حكومة جلالته، رغماً عن تقريرها للحاجة الماسة التي تستدعي الاسراع في اصدار مثل هذا التصريح، رأت أنها ملزمه بالتمسك بقرارها

من حيث انتظار تقرير السر هوب سمبسون معتبرة في ذلك ، على الاخص ، ما تجمع لديها من الأدلة بشأن صعوبة المشكلة وتعقدها ، والحاجة إلى إجراء تحقيق واف في جميع الحقائق الواقعية قبل الوصول الى اية استنتاجات حاسمة .

وقد قدم الآن السر جون هوب سمبسون تقريره ، ووضع هـــذا البيان بعد امعان التدقيق في مضمون ذلك التقرير ، وفي غيره من المعلومات التي تيسرت في المدة الاخيرة عن حالة فلسطين .

٢ ــ وفي بـلاد كفلسطين ، حيث تتغاير في الوقت الحاضر ، بل تصطدم من بعض الوجوه ، اماني فريقي السكان ، ليس من المنتظر أن يأتي أي بيـــان عن السياسة ، مهما كانت صيغته ، موافقاً كل الموافقة لأماني أي فريق . غير ان حكومة جلالته تود ان تأمل بأنه سيكون لازالة سوء الفهم السائد الآن ، ولتفسير مقاصدها تفسيراً أتم وأوفى ، الاثر الطيب في إزالة القلق واعادة الطمأنينة لكلا الفريقين . وستبذل حكومة جلالته جهدها ، ليس عن طريق هذا البيان الحالي فحسب ، بل بما يليه من الأعمـال الادارية ، لاقناع العرب واليهود بتصميمها على ترقية مصالح الشعبين الاساسية ، بكل ما اوتيت من قوة ، وعلى العمل بكل ثبات حتى تتوصل إلى تكوين شعب ميسور الحـال في فلسطين ، يعيش في امان واطمئنان تحت لواء ادارة غير متحيزة راقية . ومع ذلك فمن الضروري ، في هذا الصدد ، ايضاح نقطة واحدة هي من الاهمية بمكان كبير ، ذلك انه في الظروف الخاصة المحيقة بفلسطين لا يمكن لأية سياسة ، مهما كانت نيرة جلية ، او مهما بذل من جهد في سبيل تنفيذها ، ان يقيض لها النجاح ما لم تنل التأييد من جميع الطوائف التي وضعت لمنفعتها وخيرها ليس بقبولها فحسب بل بتعاونها عن طيبة خاطر .

ليس من حاجة ، في هذا المقام ، للبحث في الحوادث المشؤومة التي وقعت في العام الماضي ، وفي الاحوال المؤسفة التي نشأت عنها . غير ان حكومة جلالته ترى نفسها مضطرة لأن تلاحظ أنها لم تنل من كلا الجانبين سوى مساعـــدة طفيفة في سبيل ازالة التنابذ الذي ساد بينهما في اثناء الأشهر التي توترت فيها العلاقات وزاد فيها القلق بعد اضطرابات آب سنة ١٩٢٩ وبأن هنالك عقبة اخرى خطرة اضيفت إلى الصعوبات التي نشأت عن الريب والخصومة المتبادلـــة بين الشعبين ، ألا وهي

خطة عـدم الثقة بحكومة جلالته التي غذتها حملة صحافية ساعدت على طمس حقائق الحالة وتشويهها . ولا حاجة إلى التأكيد بأن توطيد السلام والرفاهية في البلاد في المستقبل اللذين يتوق اليهما كلا الشعبين يتوقف على تحسين العلاقات بين العـــرب واليهود تلك هي الغاية التي ما فتئت تصبو اليها حكومة جلالته ، وهي تشعر أن في الامكان الوصول اليها إن تعاون كلا الفريقين ، عن طيبة خاطر ، مع الحكومة ومع إدارة فلسطين ، وتأكداً من ان حكومة جلالته يمكن الاعتماد عليها عند قيامها بالالتزامات المترتبة عليها في صك الانتداب ، بل في جميع صلاتها بفلسطين ، بالمحافظة على مصالح كلا الشعبين والعمل على ترقيتها .

٣ – ويلوح ان كثيراً من سوء الفهم الذي اخذ يساور ، لسوء الحظ ، كلا الفريقين نشأ عن العجز عن فهم كنه الواجب الملقى على عاتق حكومة جلالتـــه بموجب احكام صك الانتداب ولذلك فان النقطة الثانية التي تشعر حكومة جلالته بوجوب تأكيدها ، بأقوى حجة مستطاعة ، هي ان هنالك ، على حـد البيان الذي أدلى به رئيس الوزارة في مجلس العموم البريطاني في اليوم الثالث من شهر نيسان سنة ١٩٣٠ ، « تصريح يتضمن تعهداً ذا شقين ، الشق الواحد منهما للشعب اليهودي والشق الآخر الاهالي غير اليهود في فلسطين » ويظهر ان كثيراً من القلق الذي ساور النفوس في السنة الماضية نشأ عن عدم التأكد من أهمية هذه الحقيقة الاساسية تمام التأكيد . وقـــد وجه كلا العرب واليهود الى الحكومة سيلاً من المطالب والملامة المستندة على الظن الفاسد بأن من واجب حكومة جلالته أن تنفذ خططاً سياسية يحظر عليها ، في الواقع تنفيذها بموجب احكام صك الانتداب الجلية .

وقـد اعلن رئيس الوزراء في البيان المشار اليه اعلاه بعبارة غاية في الوضوح والجلاء بأن حكومة جلالته قـــد استقر قرارها على الاستمرار في إدارة فلسطين وفقاً لاحكام صك الانتداب كما اقره مجلس جمعية الامم ؛ إذ أن ذلك الصك ، على حد قول المستر رمسي مكدونالد « تعهد دولي لا يمكن العدول عنه » . ويلوح أنه رغماً عن هـــذا البيان الصريح خامر البعض آمال انه في الاستطاعة ، بطريقة من الطرق ، اجتناب الحدود التي تفرضها بكل وضوح وجلاء احكام صك الانتداب . فيجب والحالة هذه ان يتأكد الجميع ، بصورة باتة نهائية ، بأن من العبث للزعماء

اليهود ، من الجهة الواحدة ، ان يلجوا على حكومة جلالته لان تسير في سياستها ، فيما يتعلق بالهجرة والاراضي مثلا ، حسب اماني طبقات الرأي العـــام الصهيوني الاكثر تصلباً ، إذ أن قيامها بذلك ليس سوى تجاهل منها للواجب الملقى على الدولة المنتدبة إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين ، ذلك الواجب الذي لا يقل عنه اهمية . كما انه من العبث ايضاً ، من الجهة الاخرى للزعماء العرب ان يصروا على مطالبهم لوضع نوع من الدستور يجعل قيام حكومة جلالته ، اوفى قيـــام ، بالتعهد ذي الشقين المشار اليه اعـــلاه في حكم المستحيل . ان لدى حكومة جلالته ما يدعوها للظن بأن من الاسباب التي آلت الى بقاء التوتر في العلاقـــات والقلق بين كلا الفريقين ، ذلك الامل الفاسد الذي اوجده المستشارون المضللون ، بأن في بذل المجهودات لتخويف حكومة جلالته والضغط عليها ما ينجم عنه في النهاية أجبارها على اتباع سياسة تكون في صالح الفريقين الواحد أو الآخر .

ولذلك اصبح من الضروري أن توضح حكومة جلالته ، بادىء ذي بدء ، بأنها لن تحيد ، بالضغط أو بالتهديد ، عن النهج المبينة حدوده في صك الانتداب كما انها لن تنحرف عن اتباع سياسة ترمي الى ترقية مصالح اهالي فلسطين ، العرب واليهود ، بكيفية تتفق مع الالتزامات المفروضة عليها في صك الانتداب .

٤ — ليست هذه بالمرة الاولى التي بذلت فيها حكومة جلالته جهدها لايضاح سياستها في فلسطين . ففي سنة ١٩٢٢ نشرت بياناً وافياً بلغته للوفـــد العربي الفلسطيني ، الذي كان عندئذ في لندن وللجمعية الصهيونية . أما الوفد العربي فقد قابل ذلك البيان بالرفض بينما اتخذت اللجنة التنفيذية للجمعيه الصهيونية قراراً اكدت فيه لحكومة جلالته بأن اعمال الجمعية الصهيونية ستسير طبقاً للخطة السياسية التي يتضمنها البيان . وفضلاً عن ذلك فقد ذكر الدكتور وايزمن في الكتاب الذي ارفق به هذا القرار لحكومة جلالته ما يلي :

« لقد كانت الجمعية الصهيونية ترغب باخلاص ، على الدوام ، في ان تسير في اعمالها بالتعاون الودي مع جميع طبقات الاهالي في فلسطين . وقد اوضحت مراراً وتكراراً ، قولا وفعلا ، بأنه لن يخطر لها ببال الاجحاف ، بأقل درجة ، بحقوق غير الاهالي اليهود ، المدنية او الدينية او بمصالحهم المادية » .

وكان من نتيجة الاختبار الذي اكتسب في هذه السنوات التي مرت منذ ذلك الحين ان كشف القناع حتماً عن بعض نقائص ادارية ومشاكل اقتصادية خاصة يجب اخذها بعين الاعتبار عند النظر في مصالح جميع طبقات الاهالي . ومع ذلك فان بيان الخطة السياسية الذي صدر في سنة ١٩٢٢ ، بعد امعان النظر والتدقيق المطول ، يعتبر الاساس الـــذي يجب ان تبنى عليه السياسة البريطانية المقبلة في فلسطين .

٥ – وفضلا عن الاقتراحات لوضع نظام حكم دستوري في فلسطين التي يتناولها البحث في الفقرات التالية ، توجد ثلاث نقاط هامة بحث فيها هذا البيان وهي:

(١) المعنى الذي تعلقه حكومة جلالته على عبـــارة « الوطن القومي لليهود » الواردة في صك الانتداب .

اما بشأن هـــذه النقطة ففي الاستطاعة اقتباس الفقرة التالية من بيان الخطة السياسية الواردة سنة ١٩٢٢ :

« وقد اعاد اليهود في الجيلين او الثلاثة اجيال الاخيرة انشاء طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ، ربعهم تقريباً مزارعون او عملة في الأرض . ولهذه الطائفة ادارات سياسية خاصة ، منها مجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ، ومجالس منتخبة في المدن، ورئاسة حاخامين ، ومجلس رباني لادارة شؤونها الدينية . وتدار اعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلغتها الوطنية ولها صحف عبرية تفي بحاجاتها وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها عن سواها وتبدي نشاطاً كبيراً في الحركة الاقتصادية. فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيآتها السياسية، والدينية، والاجتماعية، ولغتها الخاصة ، وعوائدها ، وطرق معيشتها الخاصة، لها في الحقيقة مميزات قومية . ومتى سأل سائل ما هو معنى ترقية الوطن القومي اليهودي في فلسطين يمكن ان يجاب على ذلك بأنه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالا ، بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخـــر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية امل وطيد في تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودي مجالٌ وافٍ كي يظهر فيه مقدرته كان من الضروري ان يعلم بأن

وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنـــة . ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي لليهود ضماناً دولياً والاعتراف رسمياً بأنـــه يستند إلى صلة تاريخية قديمة .

« إذن هذا هو التفسير الذي تفسر به حكومة جلالته تصريح سنة ١٩١٧ ، ويرى وزير المستعمرات ان هذا التصريح ، ان فهم على هـــذا الوجه ، لا يتضمن صراحة او ضمناً ، شيئاً من شأنـه ان يثير مخاوف عرب فلسطين او يسبب استياء اليهود » .

(ب) المبادىء التي يجب ان تسير المهاجرة بموجبها .

وقد ورد في ذلك البيان بشأن هذه النقطة ما يلي :

« ومن الضروري ، لأجل تطبيق هـــذه السياسة ، تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة ، ولكن هذه المهاجرة لا يمكن ان تكون كبيرة إلى حد يزيد في اي ظروف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية إذ ذاك على استيعاب مهاجرين جدد ومن الضروري ضمان عدم صيرورة المهاجرين عالة على اهالي فلسطين عموماً وعدم حرمانهم اية فئة من السكان الحاليين من اشغالها . وقد جرت المهاجرة حتى الآن على هذه الشروط وبلغ عدد المهاجرين منذ الاحتلال البريطاني ٢٥ الف مهاجر .

« ومن الضروري ايضاً ، ضمان عـــدم ادخال الاشخاص غير المرغوب فيهم سياسياً الى فلسطين ، وقد اتخذت الادارة وستتخذ جميع الاحتياطات لهذه الغاية » .

يلاحظ ان المبادىء المبينة اعلاه تجعل من الضروري ، عند تقرير مقدرة البلاد على استيعاب مهاجرين جدد في اي وقت كان ، ان يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين من العـــرب واليهود لتقرير نسبة المهاجرة التي يجب السماح بها وفي نية حكومة جلالته ان تتخذ التدابير التي من شأنها ان تضمن بصورة او في تطبيق هذه المبادىء تطبيقاً تاماً في المستقبل .

(ج) مركز الوكالة اليهودية .

قـد حول في الفقرة المقتبسة ادناه ، الدلالة على القيود الواردة ضمناً في صك الانتداب والمقيدة بحكم الضرورة ، لواجبات الوكالة اليهودية التي ورد النص عليها في المادة الرابعة من صك الانتداب :

« وهنالك امر آخر لا بـــد من لفت النظر اليه وهو ان اللجنة الصهيونية في فلسطين ، المعروفة الآن باللجنة التنفيذية الصهيونية ، لا ترغب في ان يكون لها ، كما انها لا تملك ، اي قسط في إدارة البلاد العامة . كما ان المركز الذي تتمتع به الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب لا يخولها صلاحية تولي هذه الوظيفة وانما ينحصر مركزها الخاص في التدابير التي تتعلق باليهود ومساعدة البلاد على تقدمها دون ان يخولهـــا ذلك حق الاشتراك في حكومتها في اي حال من الاحوال » .

٦ – ترغب حكومة جلالته في ان تؤيد بوجه عام السياسة المتضمنة في البيان الصادر سنة ١٩٢٢ ، وعلى الاخص الفقرات الثلاث التي اقتبست منه اعلاه . ويظن بأن كل محاولة لتوسيع المعنى المفهوم من هـــذه النقاط الثلاث الهامة لن يكون نصيبها سوى جدال عقيم الفائدة . ومع ذلك فان من المعترف به ، في نور الاختبار السابق ، انـه لا يزال هنالك متسع للعمل على تحسين كيفية تطبيق المبادىء المعلنة في الفقرات السابقة تطبيقاً فعلياً .

وفي نية حكومة جلالته ، بالاستشارة مع ادارة فلسطين ، ان تتخذ التدابير الفعالة لايجاد وسائل إدارية وافية لأجل تلافي احتياجات العرب واليهود من جهة هذه النقاط الثلاث . ومن المعترف به ، بوجه خاص ، ان الضرورة تستدعي زيادة مجهودات المندوب السامي في سبيل ايجاد طريقة للتعاون والاستشارة، اوثق واكثر امتزاجاً ، بين إدارة فلسطين والوكالة اليهودية ، على ان يكون ذلك متفقاً على الدوام مع المبدأ الذي يجب اعتباره اساساً وهو ان مركز الوكالة اليهودية الخاص الذي يخولها تقديم النصح والمعونة لا يخولها ، بصفتها هـــذه ، الاشتراك في إدارة حكومة البلاد . وعلى نفس المنوال يجب ايجاد الوسائل الادارية التي تكفل ، في الوقت ذاته ، صيانة المصالح الاساسية للطبقات الاخرى من السكان غير اليهود تمام الصيانة ، وان يتاح لتلك الطبقات فرصة وافية للاستشارة مع ادارة فلسطين حول الامور المتعلقة بتلك المصالح .

٧ – ومن المرغوب فيه في هذا الصدد إزالة أي سبب لسوء الفهم مما يكون قد علق بالاذهان من جراء الفقرات الواردة في صك الانتداب التي تبحث في ضمان

حقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين . اما الاحكام التي تتناول هـــذه النقطة بوجه خاص فهي واردة في مواد صك الانتداب الثانية والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة .

(وقد سرد البيان المواد المذكورة عيناً وهي موجودة في ملحق صك الانتداب فلم نر ضرورة لسردها هنا)

هذا ، وقـد اشير اشارة خاصة الى الوطن القومي اليهودي والمصالح اليهودية في المادة الرابعة هذه (وقد سردت فلم نر ضرورة لسردها لانها موجودة في الملحق المذكور)

٨ – ومما يلاحظ من الجهة الاولى ان المادة الثامنة تجعل الدولة المنتدبة مسؤولة عن ضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع أهالي فلسطين بقطع النظر عن الاجناس والاديان ، ومن الجهة الثانية ان التعهد الوارد في المادة السادسة الذي يقضي بتسهيل الهجرة اليهودية واستقرار اليهود بكثرة مشترط فيه وجوب ضمان عدم الحاق اي حيف وضرر بحقوق ومركز سائر طبقات الاهالي. وفضلاً عن ذلك فان المادة الحادية عشرة تقتضي ان تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في كل ما له علاقة بترقية البلاد .

ويتضح من نص هذه المادة ان سكان فلسطين على الاطلاق، لافئة منهم فحسب، هم الذين يجب ان يكونوا موضعاً لعناية الحكومة. ومما يلاحظ بهذا الشأن ان النص القائل باتخاذ التدابير مع الوكالة اليهودية لاقامة او ادارة الاعمال والمصالح والمنافع العمومية هو نص اختياري فقط لا اجباري وليس من الجـــائز ان يتعارض مع مصلحة الاهالي المطلقة . وقد اوردت هذه النقاط بالنظر للادعاءات التي وجهت ، بالنيابة عن الوكالة اليهودية ، بأن لهذه الوكالة مركزاً يخولها الاشتراك في إدارة البلاد العمومية ، تلك الادعاءات التي لا تستطيع حكومة جلالته إلا ان تعتبرها قـــد تجاوزت كل التجاوز مقاصد صك الانتداب الصريحة . وفضلا عن ذلك فقد حاول البعض ان يجادل، تأييداً للادعاءات الصهيونية، بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي الاساس الرئيسي لصك الانتداب وبأن الفقرات التي ترمي الى صيانة مصالح غير اليهود انما هي اعتبارات ثانوية تقيد، نوعاً ما، ما يدعى بأنه القصد

الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من اجله . ان حكومة جلالته ما فتئت تعتبر ان من الخطأ الكلي فهم هذه الاحكام على هذا الوجه وهي ترى ان من المستحيل ان تحاول حل المشكلة باعتبار ان اي هذين الالتزامين هو اقل اهمية من الآخر ، حلاً يتفق مع مقاصد صك الانتداب الصريحة مهما كانت الصعوبة التي تعترضها في هذا السبيل . وقد حاول المندوب البريطاني المفوض في البيان الذي ادلى به امام لجنة الانتدابات الدائمة في اليوم التاسع من شهر حزيران الماضي ان يوضح موقف حكومة جلالته إزاء الصعوبات المستقرة في صك الانتداب. وفي التقرير الذي رفعته لجنة الانتدابات الدائمة لجمعية الامم المتضمن مطالعاتها على هذا البيان وردت العبارة التالية ، وهي من الاهمية بمكان :

« ومن جميع هذه البيانات يظهر لنا امران يجب ذكرهما هنا وهما :

(١) ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن فريقي السكان هي من درجة متساوية .

(٢) ان الالتزامين المفروضين على الدولة المنتدبة ليسا مما لا يمكن التوفيق بينهما من اي وجه من الوجوه .

وليس لدى لجنة الانتدابات مما تعترض به على هذين التأكيدين اللذين يعربان ، في رأيها ، تمام الاعراب عما تدركه من روح صك الانتداب على فلسطين وضماناً لمستقبلها » .

ان حكومة جلالة الملك لعلى تمام الاتفاق مع روح هذا البيان وانه لمن دواعي اغتباطها ان يكون هذا البيان قد اكتسب الصيغة النهائية باقترانه بموافقة مجلس جمعية الامم .

انه لواجب شاق دقيق ذلك الواجب المفروض على حكومة جلالته الذي يقضي عليها باستنباط الوسائل لاعطاء نفس الاعتبار ، في جميع الاحيان ، عند تنفيذ سياستها في فلسطين الكلا الالتزامين اللذين يفرضهما عليها صك الانتداب بشأن فريقي السكان ، والتوفيق بين هذين الالتزامين حيثما تتعارض حتما مصلحة الفريقين .

ومن المأمول ان يؤول ايضاح الواجب المفروض على عاتق حكومة جلالته على هذا الوجه الى بيان ضرورة تعاون زعماء العرب واليهود ، عن طيبة خاطر ،

مع إدارة فلسطين وحكومة جلالته ، تلك الضرورة التي اعرب عنها فيما تقدم .

٩ - ان الفقرات المتقدمة توضح المبادىء التي يجب اعتبارها السياسة الشاملة في فلسطين والشروط المقيدة التي يجب ان تسير تلك السياسه بموجبها ولذلك وجب الآن البحث في المشاكل العملية التي تواجهها حكومة جلالته في فلسطين . وهذه المشاكل يمكن حصرها بوجه التقريب تحت الابواب الثلاثة التالية :

(١) الامن العام .

(٢) التطورات الدستورية .

(٣) التطورات الاقتصادية والاجتماعية .

(١) الامن العام

١٠ - ان من اولى واجبات الادارة توطيد اركان السلام والنظام وحسن انتظام الحكم في فلسطين وقد اعلنت حكومة جلالته في مقام آخر بأنها لن تحيد عن القيام بواجبها بعامل الضغط او التهديد .

ان الاضطرابات التي وقعت فيما مضى قد اخمدت فوراً . واتخذت تدابير خاصة لمعالجة اية حالة اضطرارية قد تنشأ في المستقبل . ويجب ان يفهم تماما ان التحريض على الاضطراب او الشقاق مهما كان مصدره ، سينال أشد عقوبة . وستوسع سلطات الادارة بقدر ما تستوجبه الضرورة ، كي تتمكن بصورة اوفى واتم من معالجة مثل هذه المحاولات الخطرة ، التي لا مسوغ لها .

وقد قررت حكومة جلالته ان تحتفظ في فلسطين في الوقت الحاضر بفرقتين من المشاة وفضلاً عن ذلك سيكون سربان من الطيارات واربعة فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرقي الاردن . وكما هو معلوم ، كان المستر دوبجن ، مفتش البوليس العام في سيلان ، قد اوفد الى فلسطين للتحقيق في نظام قوة البوليس الفلسطيني وقد رفع تقريراً مفصلا فيما وهو الآن موضع النظر الدقيق . وقد وضع البعض من تواصيه موضع التنفيذ ومن ذلك زيادة فرقتي البوليس البريطاني والفلسطيني ووضع مشروع الدفاع عن المستعمرات اليهودية اشير اليه في الفقرة التاسعة من بيان خطة السياسة البريطانية في فلسطين الذي نشر بصيغة كتاب ابيض تحت رقم ٣٥٨٢ وهنالك تواصي كثيرة اخرى وردت في تقرير السر دوبجن لا تزال موضع

البحث والتدقيق بالاشتراك مع المندوب السامي لفلسطين وستجري تغييرات اخرى متى اتخذت قرارات بشأنها. وتغتنم حكومة جلالته هذه الفرصة لأن تؤيد تصميمها على اتخاذ جميع التدابير المستطاعة لقمع الجرائم وتوطيد النظام في فلسطين. وترغب في ان تؤكد في هذا الصدد، انها عند تقرير نوع وكيفية تأليف قوات الامن العام في فلسطين الضرورية لهذه الغاية، تسترشد برأي مستشاريها الاختصاصيين، وانها في كل ذلك سترمي الى تأمين كون القوات المستخدمة ملائمة للواجبات التي ستقوم بها بقطع النظر عن اية اعتبارات سياسية.

(٢) التطورات الدستورية

١١ – اشير فيما تقدم الى المطالب التي وجهها الزعماء العـــرب لايجاد شكل دستوري يتنافى مع الالتزامات المترتبة على حكومة جلالته، بصفتها الدولة المنتدبة. ومع ذلك فان حكومة جلالته ترى، بعد التبصر الدقيق، ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين درجة من الحكم الذاتي تلك المسألة الهامة، لمصلحة جميع السكان على الاطلاق، بدون اي تأخير آخر وقـد يكون من المناسب، في بادىء الأمر، ايراد خلاصة موجزة عن تاريخ هـذه المسألة منذ تشكيل الادارة المدنية.

ففي شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٠ شكل في فلسطين مجلس استشاري ألف من عدد متساو من الاعضاء الموظفين وغير الموظفين. وقد كان من العشرة الاعضاء غير الموظفين اربعة من المسلمين وثلاثة من المسيحيين وثلاثة من اليهود.

وفي اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٢٢ صدر دستور فلسطين وهو يقضي بتأليف حكومة في فلسطين توفيقاً لاحكام قانون الاختصاص الاجنبي. وقـد قضى الفصل الثالث من هذا الدستور بتشكيل مجلس تشريعي يؤلف من المندوب السامي رئيساً، ومن عشرة اعضاء من الموظفين واثني عشر عضواً منتخباً من غير الموظفين. وقد وضعت اصول انتخاب الاعضاء غير الموظفين في الامر الصادر في المجلس الخاص بشأن تأليف المجلس التشريعي لسنة ١٩٢٢ وفي شهري شباط وآذار من سنة ١٩٢٣ حاولت الحكومة اجراء انتخابات توفيقاً لتلك الاصول فاخفقت تلك المحاولة بسبب رفض الاهالي العرب اجمـالا التعاون مع الحكومة (يراجع في هذا الصدد التقرير المفصل الذي صدر عن هذه الانتخابات المتضمن في الكتاب الابيض رقم ١٨٨٩

بشأن انتخابات المجلس التشريعي سنة ١٩٢٣) . وعندئذ اوقف المندوب السامي تأليف المجلس التشريعي المقترح واستمر على تسيير الادارة باستشارة المجلس الاستشاري كالسابق .

وقد سنحت فرصتان اخريان لزعماء العرب في فلسطين للتعاون مع الادارة على حكم البلاد ، اولا : باعادة تأليف مجلس استشاري يعين تعييناً على ان يكون عدد اعضائه مساوياً لعدد أعضاء المجلس التشريعي الذي كان في النية تشكيله . وثانياً : بالاقتراح الذي عُرض عليهم لتأليف وكالة عربية ، وكان المقصود ان يناط بهذه الوكالة نفس الواجبات المناطة بالوكالة اليهودية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب .

غير ان زعماء العرب رفضوا قبول كلا هاتين الفرصتين . وبناء على رفضهم هذا، تألف في شهر كانون الأول سنة ١٩٢٣ مجلس استشاري من اعضاء موظفين فقط . ولا تزال الحالة كذلك حتى الآن وكل ما طرأ عليها من تغيير هو ان عدد اعضاء المجلس الاستشاري قد زيد باضافة اعضاء موظفين آخرين اقتضى تقدم الادارة اضافتهم الى المجلس .

ومما يذكر في هذا الصدد ان حكومة جلالته مسؤولة بموجب احكام المادة الثانية من صك الانتداب عن جعل البلاد في احوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، وترقية انظمة الحكم الذاتي ، والمحافظة على الحقوق المدنية والدينية لجميع الاهالي. وقد اوضحت فيما تقدم المجهودات التي بذلت في السنين الاولى من الادارة المدنية بشأن التطور الدستوري. ورغبة في تمكين اهالي فلسطين من الحصول على اختبار فعلي في الطرق الادارية ونظم الحكومة والتدرب على حسن التمييز في اختيار ممثليهم ادخل اللورد بلومر، الذي اشغل منصب المندوب السامي في فلسطين من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٢٨ درجة من الحكم الذاتي المحلي اوسع مما كانت عليه الحال في عهد الادارة البريطانية فيما مضى .

وعندما تسلم السر جون تشانسلور زمام منصب المندوب السامي في شهر كانون الأول سنة ١٩٢٨ نظر في مسألة التطور الدستوري واخذ رأي ممثلي مختلف طبقات الأهالي . وبعد انعام النظر في الحالة رفع بعض اقتراحات في شهر حزيران سنة

١٩٢٩ غير انه تأجل النظر في هـذه المسألة بسبب الاضطرابات التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ .

١٢ – وقد امعنت الآن حكومة جلالته النظر في هذه المسألة ، في نور درجة التقدم والرقي الحالي ، معتبرة على الأخص الالـتزام الملقى على عاتقها الذي يقضي عليها بجعل البلاد في احوال سياسية وإدارية واقتصادية ، تكفل ترقية انظمة الحكم الذاتي . وقررت ان الوقت قـــد حان للتقدم خطوة اخرى في سبيل منح اهالي فلسطين درجة من الحكم الذاتي تتلاءم مع احكام صك الانتداب .

وبناء على ذلك تنوي حكومة جلالته ان تشكل مجلساً تشريعياً ينطبق عموماً على الاصول المبينة في بيان الخطة السياسية الذي اصدره المستر تشرشل في شهر حزيران سنة ١٩٢٢ ونشر كذيل خامس لتقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ .

وتأمل حكومة جلالته انها ستنال، في هذه المرة ، معاونة جميع طبقات السكان في فلسطين وترغب في ان تعلن بكل وضوح وجلاء بانها ، بينما تأسف كل الاسف لأية محاولة قـد يقوم بها اي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها ، لتتخذ جميع التدابير المستطاعة لقمع كل محاولة كهذه ان وقعت ، إذ أنها ترى ان من مصلحة اهالي البـــلاد على الاطلاق ان لا تؤجل قط الخطوة التي تنوي الآن ان تخطوها .

وتود حكومة جلالته ان تبين بأنه لو تم تشكيل هـذا المجلس التشريعي عندما عقدت النية على تشكيله في المرة الاولى لكان اهالي فلسطين قـد نالوا الآن درجة أوفر من الاختبار في كيفية تسيير النظم الدستورية . ذلك ان مثل هذا الاختبار لا مفر منه لنجاح التطور الدستوري ، فكلما اسرع جميع طبقات الاهالي في ابداء رغبتهم في المعاونة مع حكومة جلالته في هذا الصدد كلما كان في الامكان اجراء هذا التطور الدستوري الذي تتوق حكومة جلالته لمشاهدته في فلسطين .

ان هنالك فوائد جلية يجتنيها جميع طبقات السكان من جراء تشكيل مثل هذا المجلس ذلك انه قد يأتي بفائدة مخصوصة للاهالي العـــرب الذين ليس لديهم الآن وسائل دستورية تمكنهم من وضع آرائهم حول الامور الاجتماعية والاقتصادية امام

الحكومة . وبالطبع ان ممثليهم في المجلس الذي يراد تشكيله سيتمكنون ، ليس من ابداء آراء الاهالي العرب في شأن هـــذه الامور وخلافها فحسب ، بل من الاشتراك ايضاً في البحث والتداول فيها . وهنالك فائدة اخرى تجتنيها البلاد على الاطلاق من تشكيل المجلس التشريعي ، إذ أن اشتراك ممثلي كلا الفريقـــين من الاهـــالي ، بصفتهم اعضاء في المجلس التشريعي ، سيؤول إلى تحسين العلاقات بين اليهود والعرب .

١٣ – ان المجلس التشريعي الجديد سيؤلف ، كما ذكر فيما تقدم ، على النحو المعين في بيان الخطة السياسية الذي صدر سنة ١٩٢٢ . وسيشكل من المندوب السامي ومن اثنين وعشرين عضواً ، منهم عشرة اعضاء موظفين واثنا عشر عضواً من غير الموظفين وسينتخب الاعضاء غير الموظفين بطريق الانتخاب الاولي والثانوي. ومع ذلك ترى حكومة جلالته ان من الاهميـــة بمكان ، لاجتناب اعادة حبوط الانتخابات ، كما حدث في سنة ١٩٢٣ ، استنباط تدابير تؤمن تعيين العدد المطلوب من الأعضاء غـــير الموظفين للمجلس فيما إذا لم يتمكن عضو واحد او اكثر من الانتخاب بسبب موقف عدم التعاون الذي قد تقفه أية فئة من السكان ، او لاي سبب آخر . وسيبقى المندوب السامي متمتعاً بالصلاحية الضرورية التي تضمن تمكين الدولة المنتدبة من القيام بالالتزامات المترتبـــة عليها إزاء جمعية الامم ومن ذلك صلاحية وضع أي تشريع تقتضيه الحاجة الماسة ، وتوطيد النظام . ومتى نشأ خلاف حول قيام حكومة فلسطين باحكام صك الانتداب يستطاع تقديم عريضة بذلك الى جمعية الامم توفيقاً لاحكام المادة ٨٥ من دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ .

(٣) التطور الاقتصادي والاجتماعي

١٤ – ان المشاكل العملية التي يجدر البحث فيها في هـــذا الباب هي مسائل الاراضي والمهاجرة والبطالة على الاجمـال . فهذه المسائل الثلاث مرتبطة معاً كل الارتباط مع مالها من وجوه سياسية واقتصادية ، وعلى حلها يجب ان يتوقف كل تقدم يرتجى فيما يتعلق بتوطيد السلم واستقرار اليسر والرخاء في فلسطين .

ان هذه الامور ما زالت ، منذ ان لفت النظر اليها في تقرير لجنة شو ، موضع تحقيق دقيق محلي من قبل لجنة عينها المندوب السامي في شهر نيسان الماضي للتحقيق

في احوال المزارعين الاقتصادية ، وطريقة استيفاء الضرائب منهم ، ومن قبل السر جون هوب سمبسون الذي توجه الى فلسطين في شهر ايار الماضي بناء على تكليف وزير المستعمرات للبحث في مسائل الهجرة وتسوية الاراضي واقتصاديات البلاد .

١٥ – وكان من نتيجة هـــذه التحقيقات الواسعة المطوّلة ان كونت بعض استنتاجات وكشف القناع عن بعض حقائق ذكرت فيما يلي بايجاز :

(١) الاراضي

في الاستطاعة الآن القول بكل حزم انه لا يوجد في فلسطين في الوقت الحاضر، نظراً للطرق الزراعية الحالية التي يتبعها العـــرب ، اية اراض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ، إذا استثنيت الاراضي التي تملكها الوكالات اليهودية المختلفة على سبيل الاحتياط .

وقـــد وجه فيما مضى انتقاد شديد بشأن الاراضي الاميرية القليلة المساحة التي وضعت تحت تصرف المزارعين اليهود . إلا انه من الخطأ ان يتبادر إلى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحات شاسعة من الاراضي المحلولة التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود لاستعمارها . ذلك ان مساحة الاراضي المحلولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها . فالحكومة تدعي بمساحات كبيرة من الاراضي التي يتصرف العرب فيها ، في الواقع، ويفلحونها. غير انه حتى ولو سلم بملكية الحكومة لهذه الاراضي ، وملكيتها مختلف فيها في كثير من الاحوال ، فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها بالنظر لوجودها في ايدى المزارعـــين العرب ، ولضرورة ايجاد اراضي اضافية اخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين اصبحوا الآن بلا ارض .

ان ايجاد اراضي يمكن وضعها تحت تصرف المستعمرين اليهود يتوقف على ما يتم من التقدم في زيادة قوة انتاج الاراضي المشغولة الآن .

١٦ – ويتراءى الآن ، في نور افضل التقديرات الميسورة، ان مساحة الاراضي القابلة للزراعـة في فلسطين (إذا استثنيت منطقة بئر السبع) تبلغ ٦،٥٤٤،٠٠٠ دونماً . وهـذه المساحة هي أقل بكثير من التقديرات التي اجريت فيما مضى إذ أنها تبلغ حسب التقديرات الرسمية ، بين عشرة واحدى عشر مليون دونم .

ويلوح ايضا انه بينما تحتاج عائلة الفلاح الى ١٣٠ دونماً من الاراضي على الاقل للقيام بأود معيشتها معيشة لائقة، في الاراضي البعل (غير المسقية) نجد انه لو قسمت الاراضي الزراعية الميسورة في البلاد، إذا استثنيت الاراضي التي في ايدي اليهود، بين المزارعين العرب الحاليين لنال العائلة الواحدة ٩٠ دونماً. وكي يتسنى اعطاء العائلة الواحدة من جميع المزارعين العرب ١٣٠ دونماً من الارض، وهو المعدل، يحتاج إلى ثمانية ملايين دونم اخرى من الاراضي الزراعية ويظهر أيضاً أنه من بين العائلات العربية القروية التي يبلغ عددها ٨٦٩٨٠ عائلة، يوجد ٢٩٫٤ في المائة بلا اراضي. وليس بمعلوم عدد العائلات التي كانت تزرع ارضاً فيما مضى ثم فقدتها إذ ان هذه النقطة هي من جملة النقاط التي ليس في الاستطاعة الآن حصرها بتأكيد بل يؤمل التثبت منها في اثناء الاحصاء الذي سيجري في السنة القادمة.

١٧ — ان حالة الفلاح العربي تحتاج إلى كثير من العناية ومن المقتضى وضع سياسة خاصة بالاراضي ان كان يراد تحسين أحوال معيشته.

وقد كانت الهيئات الاستعمارية اليهودية، العمومية منها والخصوصية الوكالات الوحيدة التي اتبعت لغاية الآن سياسة ثابتة في تحسين الاراضي.

وكان لأهالي المستعمرات اليهود كل فائدة يمكنهم اجتناؤها مما تيسر لهم من رأس المال والعلم والتنظيم. فالى ذلك، وإلى نشاط أهالي المستعمرات أنفسهم يرجع الفضل في هذا النجاح الفائق. ومن الجهة الاخرى فان الاهالي العرب، بينما تعوزهم هذه الفوائد التي يتمتع بها اهالي المستعمرات اليهود، قد زاد عددهم بسرعة فائقة من جراء زيادة المواليد على الوفيات في الوقت الذي نقصت فيه الأراضي الميسورة لاعاشتهم بنحو مليون دونم، انتقلت إلى أيدي اليهود.

١٨ — قد سبقت الاشارة فيما تقدم إلى النشاط والنجاح الفائقين اللذين تما في ميدان استعمار اليهود للاراضي. وليس من العدل في شيء ان يقبل الادعاء الذي أدلي به في معرض الخلاف الناشيء بشأن العلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين بأن نتيجة استعمار اليهود على السكان العرب كانت في جميع الأحوال مضرة بمصالح العرب فهذا الادعاء لا يمكن التسليم به إجمالاً. لكنه من الضروري، عند البحث في هذه الناحية من المشكلة، ان يميز بين الاستعمار الذي تقوم به جمعية الاستعمار

اليهودي في فلسطين (المعروفة عموماً بالبيكا) وبين الاستعمار الجاري تحت رعاية الجمعية الصهيونية .

فبقدر ما يتعلق الامر بالسياسة الماضية التي اتبعتها جمعية (البيكا) لا ريب ان العرب قد استفادوا كثيراً من انشاء المستعمرات اليهودية . وقد كانت العلاقات حسنة فيما مضى بين اهالي المستعمرات وجيرانهم العرب والحالات التي تستند عليها المراجع اليهودية في تأييد ادعائها بأن نتيجة استعمار اليهود كانت مفيدة لمجاوريهم العرب هي فيما يختص بالمستعمرات التي أنشأتها جمعيه (البيكا) قبل ان يشرع في الاستعمار من صندوق رأس المال الفلسطيني الذي هو الآن المصدر المالي الرئيسي للوكالة اليهودية .

اما المحاولات التي اجريت لاثبات ان الاستعمار الصهيوني لم ينتج عنه انضمام مستأجري الأراضي التي باعها أصحابها إلى الطبقة التي لا أرض لها فقد ثبت بالتحقيق انها غير مقنعة ، ان لم تكن مضللة .

١٩ - وفضلاً عن ذلك فان نتيجة الاستعمار اليهودي على الأهالي الحاليين تتأثر تأثراً كلياً بالشروط التي تمتلك الهيئات اليهودية المختلفة بموجبها الاراضي وتستغلها وتؤجرها . فقد نص دستور الوكالة اليهودية الموسعة الموقع في زوريخ في اليوم الرابع عشر من آب سنة ١٩٢٩ (الفقرتان « د » و « هـ » من المادة الثالثة) على ان الأراضي التي تمتلك « تعتبر ملك الشعب اليهودي وملكيتها غير قابلة الانتقال » وعلى وجوب « مراعاة مبدأ تشغيل العمال اليهود في جميع الاشغال والمشاريع » وفضلاً عن ذلك فقد ورد في المادة ٢٣ من عقد الايجار الذي في النية تنظيمه بشأن الأراضي التي تمنحها جمعية رأس المال القومي اليهودي تعهد يقضي على المستأجر بان يقوم بجميع الأشغال المتعلقة بزراعة الأرض بواسطة العمال اليهود فقط ، وفرضت شروط شديدة لتأمين مراعاة هذا التعهد .

وهنالك تعهد يرتبط به أهالي المستعمرات الواقعة في السهل الساحلي يقضي عليهم باستئجار العمال اليهود فقط ، كلما اضطروا إلى استئجار عمال . وهذا التعهد يدرج في الاتفاقات التي تعقد بين صندوق رأس المال الفلسطيني والذين يستلفون أموالا منه . وورد نفس هذا الحكم في الاتفاقات المستعملة في مستعمرات مرج ابن عامر .

ان من الصعب ان تتفق هـذه الاحكام المشددة مع التصريح الذي ادلي به في المؤتمر الصهيوني المنعقد سنة ١٩٢١ بأن « الشعب اليهودي يرغب في ان يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقـة واحترام متبادلين وان يعمل بالاشتراك مع الشعب العربي على ترقية البلاد المشتركة بينهما بحيث تؤمن رفاهية كلا الشعبين » .

٢٠ – وقد كان الزعماء اليهود صريحين كل الصراحة في تبرير سياستهم هـذه . فقد ادعت اللجنة التنفيذية لجمعية العمال اليهود ، التي لهـا نفوذ كبير في تكييف السياسة الصهيونية ، بأن هذه القيود ضرورية لتأمين ادخال اكبر عدد مستطاع من المهاجرين اليهود ، والمحافظة على اسلوب معيشة العمال اليهود خشية ان ينحط الى اسلوب معيشة العمال العرب .

ومهما كانت هـذه الحجج منطقية ، من وجهة الحركة الوطنية الصرفة ، فيجب القول بأنها لم تراع فيها احكام المادة السادسة من صك الانتداب التي تشترط صراحة على حكومة فلسطين ، عند تسهيلها الهجـرة اليهودية واستقرار اليهود بكثرة في اراضي البـلاد ، ان تكفل « عدم الحاق اي حيف او ضرر بحقوق ومركز سائر طوائف الأهالي الاخرى » .

(٢) التحسين الزراعي

٢١ – ان من واجب الادارة بموجب صك الانتداب ، عـلى نحو ما ورد في الفقرة السابقة ، ان تكفل عدم الحاق اي حيف او ضرر بمركز « سائر طوائف الاهالي الاخرى » من جراء المهاجرة . كما انـه من واجبها ايضاً ، بموجب صك الانتداب ان تشجع استقرار اليهود بكثرة في اراضي البلاد ، مراعية في ذلك على الدوام الشرط المتقدم ذكره .

٢٢ – وقد اقتنعت حكومة جلالته ، من نتيجة التحقيقات الاخيرة ، بأن الضرورة تقضي رغبة في الوصول إلى هاتين الغايتين ، باجراء تحسين فعلي في اساليب الزراعة المتبعة الآن بقصد تأمين زيادة الاستفادة من الارض .

٢٣ – فباتباع مثل هـذه السياسة فقط يستطاع استقرار مزارعين آخرين من اليهود في الاراضي بصورة تتفق مع الشروط المقررة في المـادة السادسة من صك الانتداب . والنتيجة المنوخاة لا يمكن نيلها إلا بعد مرور سنوات من الجد والعمل .

ولذا فمن حسن الحظ ان يكون لدى الهيئات اليهودية أراض واسعة احتياطية لم يستقر فيها المستعمرون بعد ولم تعمر. وعلى ذلك يمكنهم الاستمرار في عملهم بدون توقف ريثما توضع تدابير عمومية اخرى لتحسين الاراضي يستطيع الاستفادة منها كلا العرب واليهود. ومع ذلك فمن الواجب بحكم الضرورة، ان تناط مراقبة التصرف بالاراضي بالمرجع القائم بهذا التحسين فلا يسمح بانتقال الاراضي إلا متى كان ذلك الانتقال لا يتعارض مع خطط ومشاريع ذلك المرجع. وإذا اعتبرت المسؤوليات المترتبة على عاتق الدولة المنتدبة اتضح بأن هذا المرجع يجب ان يكون حكومة فلسطين.

٢٤ – ومن جملة المشاكل التي تستوجب النظر، مسائل الري، وجعل هذا التحسين منسقاً مع أعمال دائرة الزراعة وغيرها من دوائر الحكومة وتقرير مجال العمل لكل منها رغبة في اجتناب الاحتكاك والاختلاف والتجاوز في العمل، وبغية الحصول على اعظم فائدة مما يبذل من مجهود مشترك.

ويجب انعام النظر أيضاً في حماية المستأجرين بمنحهم حقاً من حقوق الاجارة، أو بأية وسائل اخرى، لتأمين عدم اخراجهم من الارض او تعريضهم لاجارات فاحشة.

ثم ان هنالك مسألة ذات صلة وثيقة بمثل هذا التحسين، هي الاسراع في أعمال التسوية والتثبت من الملكية وتسجيل عقود الاجار. وهنا تخرج إلى حيز الوجود مشكلة هامة بسبب وجود مساحات واسعة من الاراضي في القرى العربية مملوكة بطريق المشاع ذلك ان نصف القرى العربية بوجه التقريب مملوك بطريق المشاع، وهنالك اتفاق في الرأي ان مثل هذا النظام هو عقبة كبرى في سبيل ترقية الزراعة في البلاد.

ويلوح ان تأليف جمعيات تعاون بين الفلاحين هو من الامور الأولية المهمة في سبيل تقدمهم ورقيهم. وقد قام مؤخراً خبير ذو اختبار واسع باجراء تحقيق في هذه المسألة برمتها بالنيابة عن حكومة فلسطين.

٢٥ – وقد وقع على كاهل مالية فلسطين عبء ثقيل من جراء الضرورة التي دعت إلى زيادة قوات الامن العام زيادة كبرى. إلا أن هذه الزيادة اعتبرت

ضرورية في نور الحوادث التي وقعت في خريف سنة ١٩٢٩ ، وليس في الاستطاعة التنبؤ الآن بالزمن الذي يصح فيه تخفيض النفقات في هذا الباب تخفيضاً محسوساً. إذ أن ذلك التخفيض يجب ان يتوقف ، لدرجة كبرى ، على ما يطرأ من التحسين في العلاقات المتبادلة بين العرب واليهود ذلك التحسين الذي تأمل حكومة جلالته بأن يكون من احدى نتائجه .

ان السياسة العمومية التي تتبعها حكومة جلالته ترمي، فيما ترمي اليه ، إلى جعل فلسطين قـــادرة على سد نفقاتها بنفسها ، فالتحسين المنوي اجراؤه في الطرق والاساليب الزراعيـــة ، ليس انه يستغرق وقتاً فحسب بل يستلزم نفقات باهظة أيضاً ، مع أنه يؤمل ان يكون بعض النفقات التي تصرف في هـــذا السبيل قابلة الاسترداد . وحكومة جلالته تنظر بكل تدقيق في المركز المالي الذي ينبلج عن هذه الحالة وتبحث الآن في اتخاذ التدابير الضرورية لوضع سياستها هـــذه موضع التنفيذ .

(٣) المهاجرة

٢٦ - قد وضع مؤخراً النظام الذي تتبعه حكومة فلسطين في مراقبة المهاجرة إلى فلسطين على بساط البحث والتدقيق من جميع وجوهه . وفي شهر أيار الماضي رأت حكومة جلالته ان من الضروري توقيف اصدار شهادات لادخال المهاجرين بموجب جدول العمال ، أي الاشخاص الذين يشتغلون عند الغير (زيادة على الـ ٩٥٠ شخصاً الذين سبقت الموافقة على ادخالهم) في الستة الاشهر التي تنتهي في ٣٠ أيلول سنة ١٩٣٠ دون ان تتعرض لاصناف المهاجرين الآخرين ، وذلك ريثما تظهر نتيجة هذا التحقيق وتقرر الخطة السياسية المقبلة . وقـــد اسفر هذا التحقيق عن اظهار بعض العجز في النظام الحالي ، وثبت انه بموجب هـــذا النظام ادخل كثير من الاشخاص ممن لم يكن في استطاعتهم ان يحصلوا على التأشير على جوازاتهم (فيزا) لو كانت جميع الحقائق عنهم معلومة . والحكومة لا تباشر مراقبة فعالة فيما يتعلق باختيـــار المهاجرين من الخارج إلى فلسطـــين ، يستند على ايجاد مستعمرات مشتركة وعلى مبدأ « اشتغال العامل بنفسه » (أي ان كل انسان يجب ان يشتغل بنفسه ويجتنب تشغيل العمال المستأجرين) وان لم يكن في استطاعة العامل

« الاشتغال بنفسه » فهي تحتم عليه استخدام وتشغيل العمال اليهود دون غيرهم .

ونظراً للمسؤولية المترتبة على الدولة المنتدبة من الضروري ان تكون حكومة فلسطين بصفتها وكيلة عنها ، المرجع الذي يفصل في جميع الامور السياسية المتعلقة بالمهاجرة وتتضح ضرورة ذلك على الاخص متى اخذت بعين الاعتبار درجة صلة المهاجرة بالبطالة وسياسة تحسين الأراضي . غير انه لا يمكن استنباط أية تحسينات وافية في الادارة الحالية إلا إذا حصلت مواثقة بين الحكومة من جهة والوكالة اليهودية من جهة اخرى فيما يتعلق بواجبات كل منهما ، واخذ بعين الاعتبار التام ذلك النفوذ الذي تصرفه نقابة العمال اليهود العمومية في تكييف سياسة الوكالة .

٢٧ – اما فيما يتعلق بصلة المهاجرة بالبطالة فهنالك صعوبات جمة في الوقت الحاضر بسبب عدم وجود وسيلة وافية يمكن بواسطتها تقدير درجة البطالة في اي وقت ما . ويصدق ذلك على الاخص فيما يتعلق بالاهالي العرب . ورغماً عن عدم وجود احصاءات يصح الاعتماد عليها فقد ابديت بيانات كافية تحمل على الاعتقاد بأن درجة البطالة بين الاهالي العرب قد وصلت حداً خطراً وان البطالة بين اليهود قد ادت إلى نواح غير مرضية بالمرة وفي الاستطاعة القول بأنه قد ثبت بصراحة ان تحضير جدول العمال يجب ان يبنى على التثبت من مجموع عدد العمال العاطلين في فلسطين ويلي ذلك وجوب التأكد تمام التأكيد من مقدار عدد العمال العاطلين وستنظر حكومة جلالته بكل امعان وتدقيق في ايجاد وسيلة لهذا الغرض ولذلك يجب الحكم على مقدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد بالاستناد إلى مركز فلسطين اجمالاً فيما يتعلق بالبطالة ويجب بذل كل عناية عند التأكد من مقدرة البلاد الاقتصادية بحيث يؤخذ بعين الاعتبار اي طلب على العمال يمكن اعتباره موقتاً بسبب زيادة التداول في السوق المالية الناشئة عن الاموال المنفقة على التعمير والتحسين ، او عن اية أسباب اخرى .

٢٨ – تفرض المادة السادسة من صك الانتداب عدم الحاق أي حيف او ضرر بحقوق ومركز سائر طوائف الاهالي من جراء الهجرة اليهودية . فمن الواضح أنه إذا كانت مهاجرة اليهود تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الاشغال الضرورية لمعيشتهم ، او إذا كانت حالة البطالة بين اليهود تؤثر في مركز العمال

على العموم تحتم على الدولة المنتدبة ، توفيقاً لأحكام صك الانتداب ، اما ان تخفض المهاجرة او توقفها ، إذا استدعت الضرورة ذلك ، ريثما يتسنى للعاطلين من (الطبقات الاخرى) ايجاد عمل لهم . ومما يلاحظ بهذا الصدد ، ان حكومة جلالته في نور التحقيق الذي جرى في مشكلتي المهاجرة والبطالة ، تعتبر بأن توقيفها المهاجرة بموجب جدول العمال في شهر أيار الماضي كان مبرراً تماماً .

وقد ادعي بأن موافقة المندوب السامي على إصدار شهادات المهاجرة بموجب جدول العمال يفيد ضمناً وجود مجال لادخال مهاجرين من طبقة العمال وبأن حكومة جلالته بالتالي كانت مدفوعة بعوامل سياسية عندما اوقفت اصدار هذه الشهادات . غير ان الحال ليست كذلك . ذلك ان حكومة جلالته ، عندما قررت توقيف اصدار هذه الشهادات اخذت بعين الاعتبار الآراء التي أُعرب عنها في تقرير لجنة شو من جهة عدم وجود اراضي كافية ومن جهة ضرورة تشديد المراقبة على المهاجرة . وقد ثبت ان هذه الامور تستوجب تحقيقاً بواسطة خبير غير ان حكومة جلالته شعرت انه ، ريثما يتم التحقيق فيها على هذا الوجه ، لا يجوز اتخاذ اية تدابير من شأنها ان تزيد في سوء الحالة الاقتصادية التي كانت مدعاة للقلق في رأي اكثرية لجنة شو .

وكل قرار يتخذ لادخال المهاجرين اليهود ، دون اعتبار هذه القيود ، يجب استنكاره ليس فقط بالنظر إلى مصالح سكان فلسطين عموماً وانما بالنظر الى مصالح الطائفة اليهودية المخصوصة ايضاً . وما زال الريب يساور الاهالي العرب – وهذا مما لا شك فيه – من ان الضائقة الاقتصادية اسفرت عن عدم وجود احتياطات تحول دون وقوع الاختلال في اصدار شهادات المهاجرين ، ودون ادخال المهاجرين غير المرغوب فيهم . وهنالك ناحية اخرى غير مرضية هي ان عدداً كبيراً من المسافرين الذين يدخلون البلاد بالاستناد على إذن يخولهم الاقامة مدة محدودة يبقون في البلاد بدون موافقة . ويقدر عدد الذين دخلوا من هذا الصنف في الثلاث السنوات الاخيرة بنحو ٧٨٠٠ شخصاً ثم يلي ذلك ناحية خطرة اخرى هي عدد الذين يدخلون البلاد مجتنبين أماكن المراقبة على الحدود .

وفي كل محاولة تجري لاستنباط وسيلة حكومية وافية لمراقبة المهاجرة يجب ان

يؤخذ بعين الاعتبار الدور المهم الذي تلعبه في الوقت الحاضر نقابة العمال اليهود العمومية فيما يتعلق بهجرة اليهود . ان نفوذ هذه النقابة واسع المدى واعمالها مضاعفة . فهي تكوّن عاملاً هاماً ضمن الحركة الصهيونية في العالم . وفي مؤتمر زوريخ الاخير كان اكثر من ربع الاعضاء الذين نابوا عن الدوائر الصهيونية، سواء في فلسطين او الخارج ، ممن ينتسبون لهذه النقابة . ويظهر النفوذ الذي تستطيع هذه النقابة ان تبذله ازاء المهاجرين بتحريمها على اي عضو من أعضائها الرجوع الى المحاكم للفصل في أي خلاف يقع بينه وبين عضو آخر، ذلك ان لها محاكمها الخصوصة من الدرجتين الابتدائية والثانوية ومحكمة عليا للعمال تستأنف اليها الاحكام التي تصدرها المحاكم الابتدائية . وقد اتبعت هذه النقابة سياسة ترمي الى ادخال نظام اجتماعي للحالة التي يقاسونها الآن هي بلاشك ناشئة بالاكثر عن مهاجرة اليهود الزائدة وما زالت هنالك اسباب يمكن ان يظهر منها بوضوح من ان هذا الريب متأصل تماماً فلا يبقى هنالك سوى امل ضعيف لاي تحسين في العلاقات المتبادلة بين الشعبين. غير انه على مثل هذا التحسين في العلاقات يتوقف بالاكثر ايجاد الطمأنينة والرفاهية في فلسطين .

ومن المأمول ان يجري تعديل في طريقة تحضير جداول العمال يؤول الى انماء العلاقات الودية بين المراجع اليهودية في فلسطين ودائرة المهاجرة . ومن الجلي ان من المرغوب فيه توثيق التعاون بين المراجع اليهودية والحكومة إذ كلما كان التعاون وثيقاً ووديا كلما سهل وضع جدول بالاتفاق مبني على أساس حسن ادراك احتياجات البلاد الاقتصادية من كلا الجانبين .

٢٩ – وقد سبق القول في الفقرات السابقة ان مشاكل تحسين الاراضي والمهاجرة والبطالة متصلة بعضها ببعض وبأن مستقبل فلسطين يجب ان يتوقف على ايجاد سياسة تؤخذ فيها بعين الاعتبار التام جميع هذه العوامل الثلاثة . ولا يمكن تحقيق تصورات الوطن القومي اليهودي بأي وجه من الوجوه إلا متى كانت فلسطين متمتعة بالطمأنينة والسلام والرخاء . فبالتعاون الودي بين العرب واليهود والحكومة يمكن ان يخيم الرخاء في البلاد .

ويظهر من الحالة التي كشف القناع عنها التحقيق الدقيق في العوامل الاقتصادية

والسياسية والاجتماعية السائدة ، ان فلسطين تواجه دوراً عصيباً في رقيها وتقدمها . ويمكن القول ان الحكومة فيما مضى تركت القوى الاقتصادية والاجتماعية تعمل عملها بأقل تداخل أو رقابة منها . غير انه قـــد اتضح كل الاتضاح انه لا يمكن الاستمرار في هذه السياسة. فبالتعاون الوثيق بين الحكومة وزعماء العرب واليهود قد يستطاع الحيلولة دون سقوط فلسطين الى حالة قد تقضي ، من الجهة الواحدة ، على العمل المجيد الذي قام به اولئك الذين وضعوا نصب اعينهم بناء الوطن القومي اليهودي ، ومن الجهة الاخرى على مصالح اكثرية الأهالي الذين يملكون في الوقت الحاضر موارد طفيفة تمكنهم من الكفاح لحفظ كيانهم . والامر الذي تدعو الحاجة اليه هو ان يتفق كلا الشعبين على العيش معاً وان يحترم كل شعب منهما احتياجات ومطالب الشعب الآخر .

لذلك فان حكومة جلالته تدعو العرب إلى الاعتراف بحقائق الحالة ، وإلى بذل الجهد المستمر في التعاون على الوصول بالبلاد على الاطلاق الى حالة من الرخاء واليسر تشمل فائدتها الجميع . كما ان حكومة جلالته تطلب من الزعماء اليهود ان يعترفوا بضرورة اجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلاليـــة الانفصالية التي اخذت تنشأ في بعض الدوائر فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي وان يعتبروا ان من العوامل الفعالة في تكييف سياستهم ان يتم رقي البـــلاد بكيفية تضمن نوال مصالح العرب واليهود الاعتبار الوافي بقصد انماء الرفاهية في كافة انحاء البلاد وذلك في احوال لا تبعث الى ايجاد اسباب للاتهام بالتحيز لفريق دون آخر بل تمكن كلا الشعبين العربي واليهودي من الرقي والتقدم بوفاق وقناعة .

ملحق رقم (٥)

نص البَيان المذاع عن المؤتمر العربي القومي في القدس في ١٣ كانون الاول ١٩٣١

بيانه الى العالم العربي

يعرف كل من اشتغل في الحركة العربية او تتبع سيرها على اختلاف ادوارها ما كان من الجهود النبيلة التي شرع رجالات العرب ومفكروهم وشبانهم يقومون بها من عهد طويل ولا سيما بعد اعلان الدستور العثماني لتكوين قضية عربية عامة غايتها تحقيق كيان عربي مستقل يشمل الاقطار العربية المختلفة ويوصل الامة العربية الى الاستقلال الذي تتمتع به امم العالم الحرة . وقد اتخذ العرب لجهادهم السياسي هدفاً مقدساً ظهرت آثاره في اعمال الجمعيات والاندية والمؤتمرات التي عقدوها . ثم كانت الثورة العربية الكبرى وقطعت للعرب عهوداً املوا من ورائها الوصول الى غايتهم الشريفة . وقد أُريقت في سبيل هذه الغاية الاستقلالية المقدسة اثناء الحرب العالمية الكبرى الدماء الذكية وبذلت الضحايا الغالية . ولكن ما كادت تنكشف الحرب حتى اخذ العرب يلقون من المطامع الاستعمارية غمطاً لحقوقهم وجهادهم وجحوداً لضحاياهم ، ويرون حلفاءهم ينصبون لهم شر العراقيل الحائلة بينهم وبين درك استقلالهم . وكانت نهاية ذلك أن الحلفاء ظهروا بمؤامراتهم علناً بعد ان تواطئوا عليها سراً لتجزئة بلاد العرب والكيد للقضية العربية وهي من كبريات القضايا القومية في العالم وبها تتعلق حياة امة عظيمة من اعرق امم العالم في المجد والحضارة والتاريخ وهي اليوم بنفوسها التي لا تقل عن سبعين مليوناً تشغل خير بقاع الأرض في آسيا وافريقيا .

ولقد كان احد مظاهر هذه المؤامرة المنكرة ووسائل انجاحها اشغال اهل كل قطر من الاقطار العربية عن اخوانهم في الاقطار الاخرى بقضايا اقليمية مصطنعة واوضاع محلية متقلصة ، ونكبات متنوعة حصراً للجهود في دوائر ضيقة ومناطق

مجهودة ، وصرفاً لها عن الامتداد الى افق اعلى تتلاقى في مستواه العام القضية العربية مترابطة الاجزاء متضافرة الاقسام جرياً مع السنن الكونية في نهضات الامم وارتقاء الشعوب . وقد استغرقت هذه الشواغل المدسوسة اوقات ابناء كل قطر بل انغمر كل فريق من العرب في بحرانها حتى كاد المستعمرون يدركون مأربهم من مؤامراتهم من جعل العرب اشتاتاً لا قضية كبيرة لهم وهي القضية التي عمل لها رجالاتهم وجمعياتهم وذهبت في سبيلها ضحاياهم وارواح شهدائهم والتي غاية غاياتها الكيان العربي موحداً مستقلا يستأنفون فيه ما كان لهم في سالف الايام من حضارة مزدهرة اتسق عمرانها خير اتساق عرفه التاريخ وطأطأ لها العالم رأسه وملأت جنبات الدنيا علماً وخيراً ونوراً .

وذلك ما دعا فريقاً من رجالات العرب الذين سبقت لهم في الحركة العربية في ماضي ادوارها جهود معروفة الى دعوة جمهور من مندوبي البلاد العربية الذين حضروا المؤتمر الاسلامي العام المنعقد في بيت المقدس الى مؤتمر عقدوه في هذه المدينة مساء الاحد ٤ شعبان ١٣٥٠ وفق ١٣ كانون الاول ١٩٣١ بحثوا فيه ما يجب عمله لدرء النازلات الاستعمارية التي نزلت ببلادهم والقضايا الاقليمية التي غرسها المستعمرون واقروا المواد الآتية ميثاقاً مقدساً يكون للعرب هدفاً ولمجهودهم مقصداً وغاية في مختلف اقطارهم فيستأنفون جهادهم في سبيل الاستقلال المنشود على نوره ويجرون على سننه حتى يأذن الله بادراك المحجة والاماني كاملة محققة . وهذا نص الميثاق :

المادة الاولى : ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليها من انواع التجزئة لا تقره الامة ولا تعترف به .

المادة الثانية : توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية إلى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية .

المادة الثالثة : لما كان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية وغايتها العظمى فان الامة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها .

ثم رأى المجتمعون ضرورة عقد مؤتمر عربي عام في احدى العواصم العربية للبحث في الوسائل المؤدية الى نشر الميثاق ورعايته والخطط التي ينبغي السير عليها لتحقيقه. وقد انتدبنا نحن الموقعين على هذا البيان كلجنة تنفيذية تنشر هـذا الميثاق في العالم العربي وتهيء الوسائل لعقد المؤتمر وتكون صلة المراسلة بين الاقطار العربيـــة في الشؤون المتعلقة بهذا الامر.

وقـد بدأنا العمل مستعينين بالله عز وجل تشد ازرنا الروح النامية الفياضة التي تجلت في ذلك الاجتماع الخطير والتي تظهر حيناً بعد حين في مختلف الاقطار متذمرة بعنف وقوة من هذا الطاغوت الاستعماري الذي ارهق العـــرب سيطرة وتسلطاً ومزق مجموعهم بالقضايا المحلية المولدة وعطل سير جهودهم الكبرى التي يرمي اليها هذا الميثاق المقدس لانجاح هذه القضية على مقتضى هذا العهد والله من وراء القصد.»

وقد وقع البيان اعضاء اللجنة التنفيذية عوني عبد الهادي وخير الدين الزركلي وصبحي الخضراء وعجاج نويهض واسعد داغر وعـــزة دروزه. اما الذين وقعوا الميثاق فهم:

رشيد رضا – محمـد بهجة الاثري – ابراهيم الواعظ – خـير الدين الزركلي – صبحي الخضراء – ابراهيم الخطيب – علي عبيد – محمـــد اسحق درويش – علي ناصر الدين – صلاح عثمان بيهم – محمد العفيفي – رياض الصلح – شكري القوتلي – راغب ابو السعود الدجاني – احمد حلمي – سالم الهنداوي – محمد عزة دروزه – عوني عبدالهادي – محمد طاهر الجفة – عمر الطبي – محمد علي بيهم – معين الماضي – نبيه العظمه – صالح العوران – مصطفى الغلاييني – حسين الطراونه – احمـــد الامام – محمد علي الطاهر – عوني الكعكي – عجاج نويهض – عبد الله الداود – محمد طارق – خليل التلهوني – سامي السراج – محمد بنونه – سعيد ثابت – بشير السعداوي – سليمان السودي – محمد حسين الدباغ المكي – كامل الدجاني.

ملحق رقم (٦)

بيان ٢ نوفمبر بمناسبة اجتماع نابلس المعقود لهذه الذكرى من سنة ١٩٣٢

ان حزب الاستقلال العربي في فلسطين الذي يقيم اليوم اجتماعه الوطني الكبير في مدينة نابلس بمناسبة ذكرى صدور وعد بلفور المشؤوم بتاريخ ٢ نوفمبر يتقدم ببيانه هذا ليجدد العهد على الكفاح والجهاد في سبيل حرية هذه البلاد العربية وانقاذها من مخالب الاستعمار والصهيونية التي جرها هذا الاستعمار وراءه واتخذها لعبة يستعين بها على استمرار بقائه فيها بحكمها بالاساليب الاستعمارية الفظيعة .

لقد سلخت هذه البلاد اربعة عشر عاماً وهي تحت سلطة الاستعمار الانكليزي تتدهور عاماً بعد عام من حضيض الى حضيض وتبتعد يوماً بعد يوم عن الغاية المقدسة العليا التي رمى اليها العرب حينما اشتركوا ، ومنهم اهل هذا القطر ، في الحركة العربية والثورة العربية واراقوا دماءهم وقاسوا أنواع المظالم والارهاق وهي الاستقلال والوحدة العربية التي اخذت الاقطار الاخرى تقترب منها يوماً بعد يوم محطمة في سبيل الوصول اليها القيود واحداً بعد آخر. وانه على الرغم من الصرخات الداوية التي بعثتها الأمة ولا تزال تبعثها استنكاراً للسياسة الغاشمة المسلطة عليها واحتجاجاً على الظلم الفادح النازل بها بحرمانها من حقها الصريح في الحرية والاستقلال وباستهدافها للاخطار القومية والاجتماعية والاقتصادية المنبعثة عن سياسة الاستعمار والغزوة الصهيونية لارهاق البلاد تحت عبء هـذه السياسة ونتائجها الفظيعة ظل الانكليز يستمرون في سياستهم دون رادع من شرف او عهد او ضمير .

وإذا اردنا ان نستعرض نتائج هذه السياسة واخطارها رأينا منظراً من افظع المناظر وشهدنا رواية من اشد الروايات هولاً تمثل في هـذه البلاد ضد مصالح أصحابها العرب وقوميتهم وكيانهم لم يشهد التاريخ اشد فظاعة وهولا منها :

١ ان الموازنة المالية في هـذه البلاد جعلت لتشكيلات واسعة لا تتحملها طبيعة البلاد بوجه ؛ والمبالغ التي تنفق على هذه الموازنة هي اضعاف ما ينفق على

مثيلاتها من البلاد العربيـة الاخرى ، والموظفون الانكليز ثم الموظفون الغرباء ثم الموظفون اليهود يبتلعون جزءاً كبيراً من هذه الميزانية على غير ما حاجة فنية او علمية . وثلث هـذه الميزانية تقريباً ينفق على الحراب التي تحمي المشروع الصهيوني الذي يعتبر بحق افظع مشروع سجله التاريخ في اعظم حوادثه وظروفه .

٢ ــ وعلى الرغم من ان الخبراء الانكليز قد اثبتوا بالارقام التي لا تدحض ان الاراضي العربية لا تكفي الآن اهل البلاد العرب لمعيشتهم وحاجاتهم وعلى الرغم من زيادة التناسل العظيمة زيادة جعلت تتحول الى مشكلة خطيرة هائلة في المستقبل القريب بسبب عدم كفاية الارض للعرب وعلى الرغم من تعالي الصرخات بوجوب وضع تشريع يمنع انتقال اراضي العرب لليهود حماية للكيان العربي من الانهدام والفناء لا تزال السلطة الانكليزية لاهية عن ملافاة هـــذا الخطر ولا يزال اليهود يغتنمون فرصة الاملاق الذي اصيب به العـــرب من جراء سياسة الاستعمار فيقتطعون المساحات الواسعة من الاراضي العربية حتى احدق الخطر الهائل بكيان العرب احداقاً شديداً .

٣ ــ وانه فوق البطالة الضاربة اطنابها في البـلاد وانسداد الرزق امام آلاف العرب العاطلين لا تزال السلطة الانكليزية فاتحة باب الهجرة على مصراعيه لدخول شذاذ الآفاق اليهود ، مما ادى الى استفحال امر البطالة ودفع العرب عن كسب قوتهم ، هذا الى ما تسرب الى هذه البلاد من المبادىء الاجتماعية الخطرة كالشيوعية والاباحية والالحاد مما يحمله اولئك الشذاذ وبدت آثاره وظهرت شروره .

٤ ــ ولقد كان من جراء هذه السياسة الاستعمارية ان ارهق الأهلون بالضرائب الفادحة فأصبح يصيب النفس ضعف ما يصيب اختها في البلاد العربية الاخرى او اضعافه . وقد كان قانون ضريبة الويركو اسوأ مثل قدمته هذه السياسة بتطبيقه على ما قبله وبجعل الضريبة خمسة عشر بالمئة . وقد كانت ضرائب العشر وضرائب المواد الغذائية والحاجات الضرورية من اكبر الضربات التي رفعت اسعار المعيشة وجعلت الأهالي على حافة الافلاس وكانت عاملاً من عوامل الاضطرار للخروج عن الاراضي لليهود ، هذا الى الأزمات الاقتصادية الخانقة التي لم تتقدم هذه السلطات الى معالجتها وتفريجها بوسيلة من الوسائل الناجعة .

٥ – وها هي البـــلاد تقاسي اليوم ازمة شديدة في التعليم ، وها هم ابناؤها يتسكعون في الأزقـة محرومين من دور العلم بينما إدارة المعارف وغيرها مكتظة بذوي الرواتب الكبيرة الذين ليس للبلاد من حاجة اليهم إلا رغبتهم في استدرار الوظائف والمرتبات من الانكليز ومحسوبيهم ، وذلك من عرق جبـــين الأهالي البائسين . وقد كان من جراء هذا الاهمال ان حرم خمسة اسداس الأولاد الذين هم في سن الدراسة من المدارس الامر الذي يسجل به اكبر عار على السلطة الانكليزية القائمة في البلاد .

٦ – وقد عمدت هذه السلطة الى وضع مشروع لقانون المعارف تريد به ان يتشرب ابناء الامة روح الولاء لسلطة صبت على بلادهم انواع العذاب وحكمتهم بالحديد والنار وهيأت لهم اسباب الفناء والدمار .

٧ – وكذلك وضعت مشروع قـــانون للمطبوعات ارادت به كمّ الافواه وتحطيم الاقـــلام والتهديد بالجزاء الصارم لكل من تحدثه نفسه ان يرفع الصوت بالدفاع عن حقوق الامة والبلاد عن طريق الصحافة .

٨ – وقد سيطر على التشريع والادارة في هذه البلاد اناس غرباء عنها لايفهمون روحها ولا احتياجاتها وتقاليدها فامعنوا في سن القوانـــين الغريبة المتناقضة مع مصلحة الامة واحتياجاتها وروحها .

كل ذلك وهناك من ابناء الامة من لا يزال يتطوع لتوطئة مناكبها للاستعمار وترويضها على الاساليب الاستعمارية وبث روح الاستخذاء للسلطة واعتبارها ذات الصفة الشرعية في البلاد ، وهناك ايضاً من لايزال يتزلف الى السلطات الاستعمارية فيشترك في لجانها وينتعم بحفلاتها ومآدبها ويساعد على الجفاوة بممثليها . وهـذا إلى اولئك الابناء العاقين الآخرين الذين هم حرب على امتهم وبلادهم باجترامهم جرائم السمسرة والجاسوسية ومساعدة السياسة الاستعمارية والغزوة الصهيونية على بلوغ الوطر والتضييق على خناق الامة والقضاء الاخير عليها .

ان حزب الاستقلال العربي الذي يرى كل هـذا بعين تقطر دماً وقلب يتقطع أسى يبتغي ان تجدد الامة املها وألا تستسلم إلى القنوط ؛ لأنه يعتقد بقوة روح هذه الامة الجبارة وعقيدتها الاستقلاليـة ومقتها للاساليب الاستعمارية واعوانها . وانه

استمداداً من هـــذه الروح القوية الفياضة يعلن ان البلاد لم تعد تطيق هـــذه السياسة الاستعمارية الغاشمة التي فشلت فشلاً شائناً وافلست افلاساً يسجل به اكبر الاثم والعار على القائمين بها ، وان من حق هذه الامة العربيـــة ان تتمتع بحريتها واستقلالها في بلادها وانها لن ترضى عن ذلك بديلا .

وانه وهو مؤمن كل الايمان بهذا الحق ومعتقد كل الاعتقاد في اعتصام الامة بعقيدتها الاستقلالية يدعو كل عـــربي في هذه البلاد إلى تجديد العهد للكفاح ضد الاستعمار واساليبه وضد الصهيونية وغزوتها وضد الخائنين من ابنائها بكل قوة وثبات وعزم وايمان ويدعو كل عربي ليعلن معه ان هذه البلاد لن تطمئن على حياتها وكيانها إلا إذا منع بيع الاراضي لليهود منعاً باتاً وأقفل باب الهجرة اليهودية اقفالاً تاماً واستلم ابناء البلاد الحكم ونالت استقلالها التام متحدة مع البلاد العربيـــة الاخرى .

يا اهل فلسطين ! لقد جد الجد وسارت الركبان . فأين انتم من اخوانكم ابناء البلاد العربية . كنتم في المقدمة فما بالكم تأخرتم ؟ اين قضيتكم من قضاياها ؟ ارجعوا بها على الأعقاب فابدأوها قضية استقلاليـة لا لين فيها ولا هوادة . الوطن وطنكم وشرف الامة العربية بين ايديكم . فاحفظوا الامانة وصونوا الكرامة . وليستشر كل عربي قلبه وليعمل واجبه . أما الوطن فباق وأما الافراد فزائلون . فلنتعاهد على الجهاد في سبيل الحرية والوحدة العربية .

ان يوم ٢ نوفمبر عار أبدي . فيجب على كل عربي أن يجاهـد ليمحوه من سجل التاريخ والسنين . ولتحيي سورية الجنوبية عربية حرة مستقلة . »

ملحق رقم (٧)

بيان ٩ كانون الاول سنة ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع القدس لذكرى فتح القدس في مثل هذا اليوم من سنة ١٩١٧

أيها العرب !

اعتاد الانكليز ان يقيموا في مثل هـــذا اليوم من كل سنة احتفالا بذكرى احتلالهم القدس تأييداً لفكرة الفتح والاستعمار التي ستروها واخفوها طول الحرب الكبرى واعلنوا ما يناقضها للعالم اجمع .

وحزب الاستقلال العربي رأى من واجبه ان يقيم في هـذا اليوم وفي مثله من كل سنة مقبلة اجتماعاً وطنياً يندد فيه بفكرة الفتح والاستعمار التي يقيم المستعمرون في هذه البلاد حفلاتهم باحدى ذكرياتها، وهو يجدد العهد على مكافحة الاستعمار بأصله وفرعه واستنكار أساليبه الفاحشة وخططه المنافية لمصلحة العرب ، والمطالبة بحق العرب الطبيعي في الحرية والاستقلال والاتحاد مع الاقطار العربية الاخرى؛ ويعلن الحزب الملأ اجمع ان الانكليز قد نقضوا ما قطعوه للعـــرب من عهود ومواثيق وخالفوا ما نشروه في بـلاد العرب من مناشير وبيانات وانزلوا بالعرب الضربات الموجعات التي تهدم كيانهم القومي وتجعلهم لقمة سائغة لاستعمار الانكليز والذئب الصهيوني الذي سلطوه عليهم .

وهاهي بين ايديكم بعض هذه العهود والمواثيق والمناشير والبيانات (١) لتذكروا الى اي حد وصل الاستهتار عند الانكليز بعهودهم ومواثيقهم والى اي درجة بلغوا في نقضها وخرقها ، وكيف انهم يحكمونكم حكما استعماريـــاً مباشراً ويحاولون وضعكم تحت نير اليهود ، وكيف أنهم يسنون لكم القوانـــين الصارمة لاخفات

(١) نشر مع البيان صورتان شمسيتان للمنشور الذي القته الطيارات الانكليزية على الجيش العثماني في فلسطين والكتاب الذي ارسله المعتمد الانكليزي الى جلالة الملك حسين لمناسبة نشر المعاهدة السرية التي عقدها الانكليز والروس والافرنسيس اثناء الحرب باقتسام بلاد الدولة العثمانية ثم نص المنشور الذي اذاعه الجنرال اللنبي بتاريخ ١٨ تموز ١٩١٨ ونص التصريح الافرنسي البريطاني عن اهداف الحلفاء في بلاد العرب في ٨ نوفمبر ١٩١٨ .

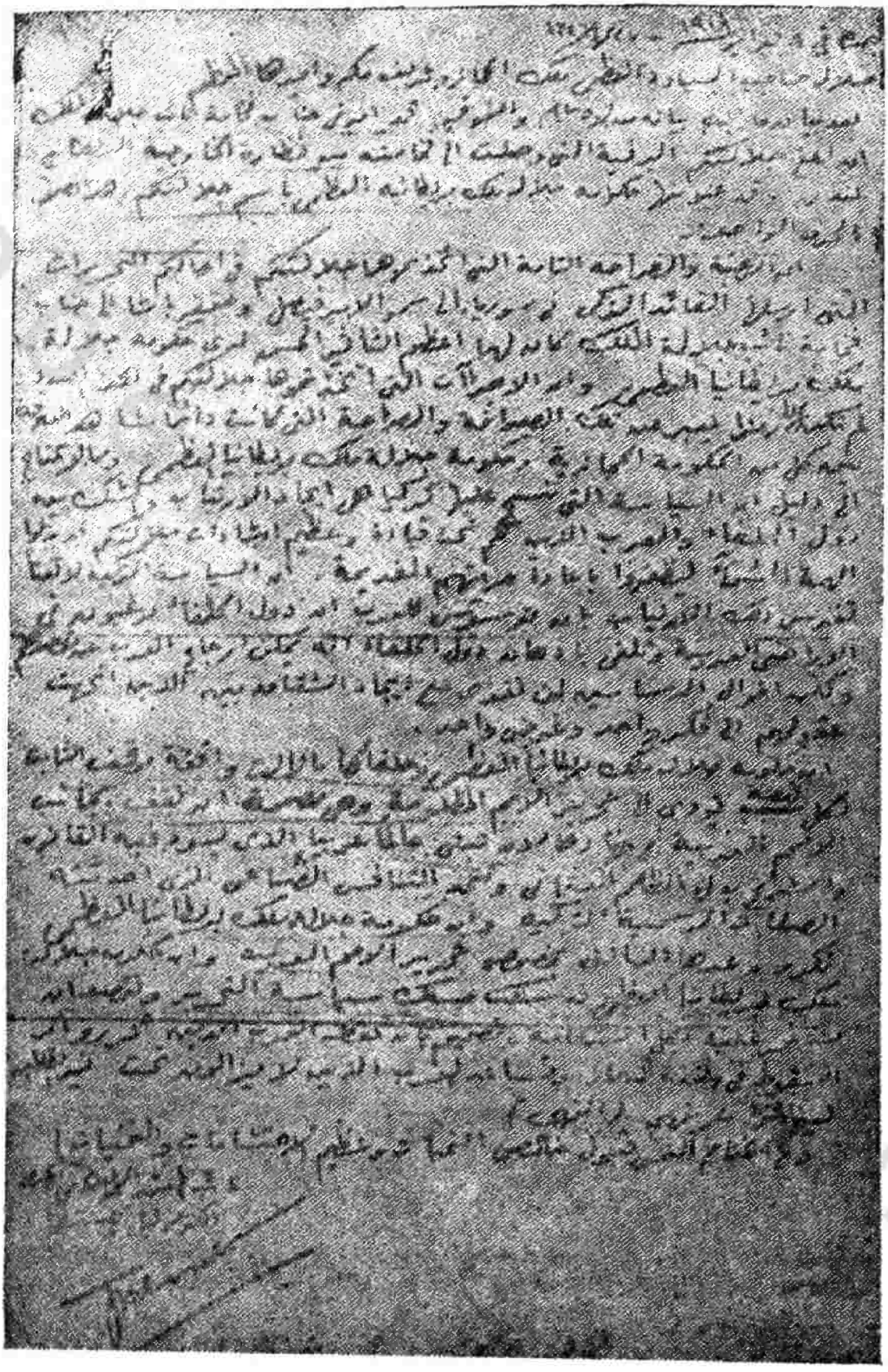

صورة عن كتاب المعتمد الأنكليزي للملك حسين رحمه الله

اصواتهم باستنكار الظلم الواقع عليكم بالتنديد بهذا الاستعمار الفظيع ونكباته القاتلة، وكيف انهم يرهقونكم بالضرائب الفادحة ليحموا بأموالكم المشروع الصهيوني. يفعلون كل هذا بعد ان وعدوكم بالاستقلال والحرية والوحدة واعترفوا بما بذلتموه من دماء وتضحيات في سبيل الحرية والاستقلال مما كان سبباً في النتائج الفاصلة المنصورة التي احرزوها في الحرب الكبرى. وقد اذاعوا انهم لا يقصدون فتحاً ولا استعماراً وإنما يرمون الى تحريركم ومساعدتكم في استقلالكم وحكم انفسكم بأنفسكم وفق رغباتكم ومطلق اختياركم.

ان حزب الاستقلال العربي يطلب من كل عربي ان يذكر هذا ولا ينساه ويهيب به الى مواصلة الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية والتوسل بكل وسيلة الى الخلاص منهما حتى ينخذل الباطل امام الحق وتحق الكلمة على الظالمين.

ايها العرب!

ان الميدان واسع امامكم والمجال رحب للعمل لاخذ حقوقكم فادخلوهما بقلوب ملؤها الايمان والاباء ولا تهنوا ولا تحزنوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون..

ايها الانكليز:

ليس مما يشرفكم ان تحتفلوا بذكرى الفتح والاستعمار. هذه عهودكم ومواثيقكم وبياناتكم ومنشوراتكم فاقرأوها. إنا لن نطمع في رجوعكم إذا قرأتموها عن أساليبكم المبيدة للعرب الهادمة لكيانهم القومي ولا عن المؤامرة التي بيتموها مع الصهيونيين. فقد انكشف عن نياتكم الستار وعرفكم العرب حق المعرفة. فلن يطمئنوا اليكم ولن ينخدعوا بكم وانتم الذين نكثوا عهودهم وخانوا وعودهم لم يردعهم عن اجتراح ما اجترحوه ضمير يحس ووجدان يتألم.

ألا ان هذا يوم يقسم العرب فيه جهد أيمانهم ان لا يغفلوا عنكم وان يناوئوكم ويساجلوكم الخصومة بالمشروع من السبل والواضح من الاساليب حتى تخرجوا من ديارهم وتنزحوا عن اوطانهم وتعود اليهم حريتهم ويخفق علمهم ويعلو لواؤهم وتتحقق وحدتهم والله بالنصر المبين كفيل.

ملحق رقم (٨)

نص البيان الموجه الى العرب في جميع الاقطار

بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣

[نداء الى كل عربي كريم وكل هيئة عربية وكل صحيفة عربية في انحاء الارض]

يبعث حزب الاستقلال العربي في فلسطين نداءه هذا وحالة العرب في فلسطين قد انتهت الى ما تهلع له القلوب وتضطرب النفوس وتهتز المشاعر ، إذ اخذ المستقبل المشؤوم يبدو كالحاً مظلماً والخطر الملاشي لكيان العرب يتجسم يوماً فيوماً، ويحدق بهم احداقـــاً مفزعاً منبعثاً من ناحيتين كبيرتين هما ناحية بيع الاراضي والهجرة اليهودية خاصة وناحية الحكم الاستعماري المباشر عامة . وكلتا الناحيتين تؤديان الى تلاشي العرب وانهيار بنيانهم القومي وانسلاخهم عن ارض آبائهم واجـدادهم بفعل السياسة البريطانية الصهيونية .

ومشكلة الأرض قد بلغت حدها الاكبر من الخطر إذ نشط اليهود في المدة الاخيرة لابتياع الأراضي نشاطاً عظيما وهي الأراضي العربية القليلة التي بقيت بأيدي العـــرب والتي إذا تسنى لليهود ابتياعها واكثرها واقع في السهول الساحلية ذات القيمة الزراعية الجيدة اصبح اليهود يملكون معظم الجهات الساحلية الخصبة في البلاد سلسلة متصلة الحلقات . وظاهر ما في هذا من خطر ينذر البلاد بسوء المصير . يضاف الى هـذا الخطر الآخر الذي يماشيه جنباً الى جنب وهو الهجرة الصهيونية وإغراق فلسطين بسيل عرم من المهاجرين اليهود يدخلون بجوازات سفر وبطرق غـــير مشروعة . كل هـــذا نتيجة استقتال اليهود لبناء المملكة اليهودية في فلسطين على انقاض الكيان العربي المتداعي الى السقوط والانهدام .

ولقد اصبح اكثر من ستة وثمانين عائلة عربية لا ارض لها ومن دون مأوى ولا كسب . وثبت هذا بشهادة التقارير الرسمية التي وضعها الخبراء الانكليز الذين كلفوا درس الحالة درساً دقيقاً . وكانت النتيجة الواقعة حتى اليوم ان انتقلت اجود الأراضي الى اليهود وانزوى العـــرب في المناطق الجبلية القاحلة . وباتت فلسطين

تشهد كل يوم مآسي انهدام كيانها بذهـــاب قرية بعد اخرى والاراضي قطعة بعد قطعة وتشرد المزارعين وهيامهم على وجوههم الى حيث الفناء والدمار هم وعيالهم واولادهم .

يجري كل هذا جرياً مطرداً سنة فسنة والسلطات الانكليزية في فلسطين بمعنة في حكم البلاد حكماً استعمارياً مباشراً ثقيل الوطأة مسلحاً بأقسى ما عرفه البشر من ضروب التقنين والتشريع والانظمة مما تـــدأب السلطات البريطانية في وضعه وتكبيل البلاد به وتمهيدها لانشاء الوطن القومي اليهودي . وقد بلغت الحال خلال الخمس عشرة سنة السابقة من الويل والارهاق مبلغاً يعزّ وصفه ويصعب تصويره ، فأصبح العرب وليس لهم من امر بلادهم ووسائل حمايتهم شيء ، ولم تلتفت السلطات البريطانية الى شيء من انين الشعب العـــربي وتظلمه وشكاته طالباً وضع حد لهذه الغزوة الصهيونية المجتاحة وسن قانون عاجل يمنع بيع الارض من العرب الى اليهود منعاً باتاً ويغلق باب الهجرة الصهيونية وطالباً ان يتسلم مقاليـد حكم نفسه بنفسه حفظاً لكيانـــه وهو العلاج الطبيعي الوحيد الذي بغيره تظل فلسطين تتردى في الهوة السحيقة حيث الفناء المنتظر فتمثل فاجعة الاندلس ثانية دون ان يفني فيها ندب او عويل .

ويسار بالوطن القومي اليهودي في قلب البلاد العربية وعلى كتف الجزء الشمالي من جزيرة العرب والاقطار العربيـــة المجاورة لم تقم بعمل بعد تشعر منه السياسة البريطانية بتضافر العرب على دفع الكارثة ودرء هذا الخطر الذي إذا استفحلت غزوته فسيشمل غير فلسطين لا محالة كما اخذت الدلائل في شرق الاردن تدل عليه في هذه الفترة الأخيرة . فحزب الاستقلال العـــربي في فلسطين وهو يرى كل هذا حافزاً ويقيس على الواقع المصير المتوقع مستقبلاً يناشد كل عربي كريم وكل هيئة عربية وكل صحيفة عربية في انحاء الارض ويناشد اهل البلاد العربية الشقيقة الى التضافر والتآزر مع اخوانهم عرب فلسطين في رد هذه النكبة التي كادت تأتي عليهم والى الوقوف في وجه السياسة الانكليزية موقف المدافع عن حياته وبقائه وكيانه ابتغاء وضع حد لهذه الحالة المروعة التي كادت تفتك بقطر عربي وتذهب به فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية . ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣

ملحق رقم (٩)

بيان الحكومة الانكليزية الصادر في ٧ تموز ١٩٣٧
عن توصيات اللجنة الملكية مع بلاغ رسمي عن هذه التواصي
وحدود التقسيم المقترحة

١ -- نظرت حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأمر من جلالته في تقرير لجنة فلسطين الملكية الاجماعي وهي تجد نفسها على اتفاق مع اللجنة بوجه العموم فيما اوردته من الاستدلالات وانتهت اليه من الآراء .

٢ ــ ان حكومة صاحب الجلالة واسلافها كانت منذ قبولها تعهدات الانتداب تعتبر كما اعترف اعضاء اللجنة في مطالعاتهم التاريخية تمام الاعتراف تعهداتها الى كل من العرب واليهود كما يستدل من فحوى صك الانتداب ليست مما لا يمكن التوفيق بينها وذلك بناء على ما افترضت من ان مع مرور الزمن سيعدل الشعبان امانيهما تعديلا يجعل من الممكن تأسيس دولة واحدة مشتركين تحت حكومة موحدة .

٣ ــ رغماً عن التجارب العديدة المثبطة للهمم في خلال السبعة عشر عاماً الخالية بنت حكومة صاحب الجلالة سياستها على هذا الامل وانتهزت كل فرصة لتشجيع التعاون بين العرب واليهود . إلا انها مسوقة بالنظر الى ما كان من الاختبار والى ما اوردته اللجنة من الاستدلالات الى الاستنتاج بأن هنالك تعارضاً غير قابل التوفيق بين اماني العرب واماني اليهود في فلسطين وان هذه الاماني لا يمكن تطمينها بموجب شروط الانتداب الراهن وان مشروع تقسيم اوصت به اللجنة مبينة اسسه العامة يمثل افضل حل لهذه المعضلة المستعصية وادعى الحلول الى الامل بالنجاح . وان حكومة صاحب الجلالة تنوي ان تشير على جلالته بذلك .

٤ ــ بناء على ما تقدم تنوي حكومة جلالته اتخاذ مايلزم ويليق من الاجراآت بالنظر الى تعهداتها الحالية بموجب عهد جمعية الامم وغير ذلك من الوثائق الدولية لأجل القيام بحرية بتنفيذ مشروع تقسيم تأمل جد الامل بأن سيكون في الاستطاعة الحصول على قسط فعال من الموافقة عليه من لدن الجماعات التي يخصها الأمر .

٥ - والى حين تحقيق هـــذا المشروع لا تنوي حكومة جلالته التنازل عن مسئوليتها عن السلام والنظام وحسن الحكم في جميع انحاء فلسطين وهي على اتفاق مع اللجنة بوجه الاجمال فيما يخص توصياتها بشأن الامن العام . واذا ما حدث مجدداً مشاغبات خطيرة مما يستدعي التدخل العسكري فان المعتمد السامي سيخول القائد العام للقوات العسكرية سلطات بموجب « الاوامر المجلسية (للدفـــاع) بشأن فلسطين » تتناول البلاد بأسرها .

٦ - وفي المستقبل القريب في أثناء تقرير تفاصيل مشروع التقسيم ترتئي حكومة صاحب الجلالة ان من الواجب كتدبير موقت اتخاذ اجراآت لمنع المعاملات في الأراضي التي قـد تمس المشروع بسوء . ثم لما كانت « لائحة العمال » الحالية ينتهي مفعولها في آخر تموز ومن الواجب القيام بترتيب ما فيما يعود للمـدة التي تلي ذلك ترتئي حكومة صاحب الجلالة ان يسمح بهجرة ما مجموعه ٨٠٠٠ شخص من اليهود من جميع الاصناف في خلال مدة ثمانية اشهر من آب إلى آذار ١٩٣٨ ؛ على شرط عدم تجاوز مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين .

٧ - ان حكومة صاحب الجلالة في تأييدها لحل معضلة فلسطين بواسطة التقسيم تفضل ذلك متأثرة إلى درجة كبيرة بالفوائد التي يأتي بهذا الحل للعرب واليهود معاً . فالعرب سينالون استقلالهم القومي وبذلك يتمكنون من التعاون على قدم المساواة مع عرب البلدان المجاورة في سبيل الوحدة العربية وتقدم العـــرب . وفي النهاية يتخلصون من كل خوف من السيطرة اليهودية ومن القلق الذي ابدوه لئلا تصبح أماكنهم المقدسة يوماً من الايام تحت سلطان اليهود . وستنال الدولة العربيـــة مساعدة مالية على مقياس واسع من كل من حكومة صاحب الجلالة والدولة اليهودية معاً . ومن الوجهة الاخرى ان التقسيم سيؤمن وطناً قومياً يهودياً ويجعله في نجوة من كل احتمال بأن يوضع في المستقبل تحت حكم العرب وهو يحول وطن اليهود القومي إلى دولة يهودية لها السيطرة الكاملة على الهجرة ويكتسب رعايا هذه الدولة وضعية مماثلة للوضعية التي يتمتع بها رعايا البلدان الاخرى وفي النهايـة ينتهي اليهود من الحياة « كأقلية » . وبذلك يتحقق هدف الصهيونية الاول . وستضمن ضماناً دقيقاً حقوق الأقليات في الدولتين بموجب المعاهدات المقترح عقدها . وفوق كل شيء سيحل

محل الخوف والشك شعور ثقة وامن ويحصل الشعبان على حـــد تعبير اللجنة على « نعمة السلام التي لا تثمن » .

بلاغ رسمي

١٠ — ٣٧

١٧ تموز سنة ١٩٣٧

ينقسم تقرير اللجنة الملكية لفلسطين الى قسمين . ففي القسم الاول تتناول اللجنة البحث على أساس الافتراض بأن الانتداب الحالي سيظل معمولا به ويتضمن ذلك القسم التواصي التي تتقدم بها اللجنة لتعديل نظام الحكم القائم الآن وتحسينه. غير ان اللجنة لا تعتقد ان في الامكان ايجاد حل حقيقي أو دائمي للمشكلة على هـذه الاسس ولذلك فهي تحبذ في القسم الثاني الغاء اجل الانتداب والسير على نظام جديد في فلسطين على أساس تقسيم البلاد بين العرب واليهود واقـامة دولتين مستقلتين ترتبط كل منهما بمعاهدة مع بريطانيا العظمى .

إن القسم الأول من التقرير يبحث بحثاً مستفيضاً في مختلف اعمال الحكومة غير ان مثل هـــذا البلاغ الموجز لا يتسع لأكثر من خلاصة مقتضبة للمقررات الرئيسية التي توصلت اليها اللجنة وفيما يلي التواصي الرئيسية التي تقدمت بها اللجنة :

فيما يتعلق ببيوع الأراضي، يجب ان يخول المندوب السامي ، إذا ظل الانتداب قائماً ، سلطة تمكنه من انتقال الاراضي في اية منطقة معينة ، من العرب إلى اليهود وإذا جرى البيع فينبغي أن يحافظ على حقوق المستأجرين والمزارعين العرب وأن لا يسمح بتسرب الأراضي إلا حيثما يكون في الامكان استبدال الزراعة الواسعة بالزراعة الكثيفة .

أما بخصوص المهاجرة فينبغي إذا ظل الانتداب معمولاً به ان يبقى مقدار الهجرة اليهودية مقيداً في الدرجة الاولى بقدرة فلسطين الاقتصادية على الاستيعاب على ان يكون خاضعاً ايضاً لما تسميه اللجنة « بالحد الأساسي الأعلى » على ان يكون للهجرة اليهودية من كافة الأصناف حد أعلى لا يجوز أن تتجاوزه وهـذا الحد الأعلى يجب ان يحدد باثني عشر الف مهاجر في السنة خلال السنوات الخمس المقبلة .

واللجنة لا توصي بالقيام بأية محاولة لبعث الاقـــتراح المتعلق بتشكيل مجلس تشريعي من جديد غير أنها ترحب بتوسيع المجلس الاستشاري باضافة أعضاء غـير موظفين اليه .

وقد اوصت اللجنة، لدى بحثها في الأمن العام، بوجوب التردد في تطبيق الأحكام العرفية فيما لو نشبت من جديـــد اضطرابات تتطلب تدخل السلطات العسكرية وبوجوب تجريد الأهـــالي من السلاح في مثل تلك الحالة وبوجوب تشكيل قوة كبيرة متحركة من الفرسان ، وقـد اشارت اللجنة ايضاً إلى ضرورة اصدار قانون جديد المطبوعات أشد صرامة من القانون الحالي .

وتعلق اللجنة اهمية كبرى على ضرورة تحسين التدابير المتخذة الآن لتعليم العرب ومن رأيها ان الادارة يجب ان تعتبر ان النصيب الذي يستحقه العرب من الخزينة العامة لتعليمهم هو الثاني في الاهمية بعد مخصصات الأمن العام .

ومن جملة مقترحات اللجنة التي تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية، نواصيها القائلة بوجوب توسيع اللامركزية في الادارة والاسراع في انجـــاز طريق يافا - حيفا وتعديل المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب التي تنكر على فلسطين حق العمل على حمايـــة تجارتها عن طريق فرض ضرائب جمركية متفاوتة واللجنة تجد ايضاً ضرورة الاسراع في عمليات تسويـة ملكية الاراضي واتباع خطة انجع من الخطة المتبعة للبحث والتحري عن مرافق المياه في البلاد .

وتوصي اللجنة أيضا باستقدام شخص خبير في مسائل البلديات للاستعانة بخبرته على وضع صيغة قانون جديـد للحكومات المحلية « أي البلديات » وتحسين واتساق العلاقات التي تربط بين الحكومة والبلديات ومن رأي اللجنة أن الضرورة تقضي بأن ينظر على الفور وبعين العطف في حاجة تل ابيب إلى قرض كبير .

تلك هي بالاختصار التواصي التي قدمتها اللجنة في حالة بقاء الانتداب غـير ان اللجنة، كما سبق بيانه آنفاً ، لا تعتقد أن قبول هذه التواصي يحل المشكلة فقد سلمت لدى بحثها في مسألة الهجرة ان الاقتراح الذي قدمته يمكن اعتباره بمثابة مسكن ليس إلا ، وتقول اللجنة ان منشأ الصعوبة هو أن الوطن القومي مهما كانت سعته يقف حائلا في سبيل بلوغ العـــرب في فلسطين ما بلغه سائر العرب في آسيا او كادوا

يبلغونه من السيادة القومية وانه إذا ظل الانتداب قائماً فستظل هذه الصعوبة ملازمة له وقد ابانت اللجنة ايضاً لدى بحثها في مسألة الامن العام بأنها لا تعتبر الاقتراحات التي ابدتها علاجاً دائماً بل هي بمثابة تدابير موقتة من شأنها ان تحول دون تكرر الثورات العلنية وان تيسر لليهود الحماية التي من حقهم ان ينالوها بموجب الانتداب ثم ان هذه المقترحات تستلزم أيضاً صرف نفقات باهظة قد لا تستطيع البلاد تحملها وقد يكون اثرها الفوري توسيع الهوة التي تفصل بين العرب واليهود .

ومن رأي اللجنة أنه ليس من السهل السير في طريق القمع المظلمة إذا لم يكن من المأمول مشاهدة نور النهار في آخر تلك الطريق .

وتختم اللجنة القسم الأول من تقريرهـا موضحة بأن التوصي الواردة في القسم المذكور هي افضل المسكنات التي تستطيع ان تصفها للداء الذي تعاني فلسطين آلامه وهي لا تخرج عن كونها مسكنات ليس إلا فقد تؤدي إلى تخفيض درجة الحرارة ولكنها لن تستأصل شأفة الداء إذ أن الـداء متأصل إلى درجة تحمل اللجنة على الجزم في الاعتقاد بأن الامل الوحيد بشفائه لا يأتي إلا عن طريق اجراء عملية جراحية .

وتقول اللجنة : انه من الواضح ان المشكلة لا يمكن حلها بمنح العرب او اليهود كل ما يصبون اليه وإذا سأل سائل مَنْ مِنَ الشعبين سيحكم فلسطين في النهاية ، فالجواب على هـذا السؤال يجب ان يكون حتما : « لا هذا ولا ذاك » ثم تستطرد اللجنة قائلة : « لسنا نعتقد ان سياسياً منصفاً يسعه بعد ان ثبت الآن ان الامل بامكان التوفيق بين الشعبين غير ممكن التحقيق ، ان يفكر بأن بريطانيا يمكنها ان تسلم إلى الحكم العربي الاربعمائة الف يهودي الذين سهلت الحكومة البريطانية دخولهم إلى فلسطين بموافقة عصبة الامم او أن تسلم مليوناً من العرب الى الحكم اليهودي » غير انها تخرج من هذا البحث بالنتيجة التالية وهي انه وإن كان ليس في مكنة اي هذين العنصرين ان يتولى حكم فلسطين بأسرها بانصاف فلسنا نرى مايمنع اي عنصر منهما من تولي الحكم في قسم منها ان كان ذلك ممكناً . فالتقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام في النهاية ، الامر الذي لا يتيحه اي مشروع آخر » .

وعلى ذلك توصي اللجنة في القسم الثاني من تقريرها بانهاء أجل الانتداب الحالي

على اساس التقسيم وتضع لهذا التقسيم مشروعاً نهائياً تعتبره عملياً وشريفاً وعادلا .

وفيمايلي تفاصيل هذا المشروع، الذي ورد في البلاغ الرسمي رقم ٣٧/١١ المؤرخ في ٧ تموز سنة ١٩٣٧ ان حكومة صاحب الجلالة قـــد وافقت على اسسه العامة « ينتهي اجل الانتداب المفروض على فلسطين ويستبدل بنظام معاهدات يتفق مع السابقة التي درج عليها في معاهدتي العراق وسوريا .

وبموجب المعاهدتين اللتين ستتفاوض الدولة المنتدبة على عقدهما مع حكومة شرق الاردن وممثلي عرب فلسطين من جهة، ومع الجمعية الصهيونية من جهة اخرى، يعلن عن تشكيل حكومتين مستقلتين ذواتي سيادة بعد أمد قريب ، احداهما دولة عربية تضم شرق الاردن مع ذلك القسم العربي من فلسطين المخصص للعـــرب ، والاخرى دولة يهودية تضم ذلك القسم من فلسطين المخصص لليهود ، وتتعهد الدولة المنتدبة ان تؤيد الطلب الذي قد تتقدم به أي الحكومتين العربيـــة واليهودية للانضمام الى عصبة الامم . وتضمن المعاهدتان ضمانات مشددة لحماية الاقليات في كل من الدولتين وتلحق بها مواثيق عسكرية .

ويكون تقسيم فلسطين خاضعاً للشرط الاساسي التالي وهو المحافظة على قداسة القدس وبيت لحم وتأمين الوصول الى هـذه الاماكن المقدسة بحرية وطمأنينة لمن شاء من كافة انحاء العالم .

ولذلك ينبغي وضع صك انتداب جديد غايته الرئيسية حسن اداء هذه الامانة، وتخطيط منطقة خاصة خاضعة لهذا الانتداب تمتد حدودها من نقطة شمال القدس الى نقطة جنوب بيت لحم . ويهيأ لهـذه المنطقة امر الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد من القدس الى يافا أما تصريح بلفور فلا يسري على منطقة الانتداب هذه .

ويعهد للدولة المنتدبة أيضاً بادارة الناصرة وتخول السلطة التامة للمحافظة على قداسة مياه وشواطىء بحيرة طبريا ويلقى على عاتقها ايضاً عبء المحافظة على الاوقاف الدينية وعلى الابنية والمقامات والاماكن الواقعة في اراضي كل من الدولتـــين والمقدسة لدى العرب او اليهود .

اما الحدود التي توصي بها اللجنة للفصل بين الدولتين العربيـــة واليهودية فهي كما يلي :

يبدأ الحد من رأس الناقورة ويسير محاذياً الحدود الشمالية والشرقية الحالية لفلسطين حتى يصل بحيرة طبريا ومن ثم يقطع البحيرة ويتصل بملتقى نهر الاردن بالبحيرة ويسير محاذياً مجرى النهر الى ان يبلغ نقطة تبعد قليلا عن بيسان من جهة الشمال ، ثم يخترق سهل بيسان ويسير محاذياً الحافة الجنوبية لوادي « جزرائيل » ثم يخترق مرج ابن عامر لغاية نقطة تقع بالقرب من مجدو (تل المتسلم) وبعد أن يتصل الحد بالسهل الساحلي على هذه الصورة يسير جنوباً محاذياً الحد الشرقي لذلك السهل ثم ينحرف غرباً مجتنباً طولكرم الى ان يتصل بممر (القدس – يافا) على مقربة من اللد . وفي جنوب الممر يستمر سيره محاذياً حد السهل الساحلي الى ان يبلغ نقطة تقع على بعد عشرة كيلومترات جنوبي رحوبوت ومن ثم ينحرف الى الغرب حتى البحر .

وتبقى مدن حيفا وطبريا وصفد وعكا تحت ادارة الدولة المنتدبة مدة من الزمن. اما يافا فتؤلف قسما من الدولة العربية وان كانت منعزلة عنها .

وبالنظر لاحتمال تقدم التجارة في المستقبل يحتفظ بمنطقة خاصة على ساحل خليج العقبة من الجهة الشمالية الغربية تحت ادارة الدولة المنتدبة .

ويشمل نظام المعاهدات المقترح على عقد ميثاق تجاري يرمي الى تقرير تعرفة جمركية مشتركة على اكبر عدد ممكن من اصناف البضائع وتسهيل حرية تبادل بين البضائع المناطق الثلاث بالقدر المستطاع .

وتنص المعاهدتان أيضاً على حرية مرور البضائع بالاستيداع بين الدولتين ومنطقة الانتداب من الجهة الواحدة وبين حيفا ورفح وخليج العقبة من الجهة الاخرى .

اما الاتفاقات المعقودة مع حكومة فلسطين لترقية الصناعة وحمايتها كالاتفاق المعقود مع شركة البوتاس مثلا فتستلمها حكومتا الدولتين العربيـــة واليهودية ويقومان بتنفيذها . ويجب ان تشتمل المعاهدات على الضمانات اللازمة بهذا الشأن وأن تضمن سلامة محطة توليد الكهرباء في جسر المجامع على هذا المنوال ايضاً .

وبما ان ذلك القسم من فلسطين الواقع في منطقة الدولة العربية لن يستفيد فيما بعد من قـدرة المنطقة اليهودية على دفع الضرائب وبما ان مساحة اليهودية أوسع من مساحة المنطقة الحاليـة التي تضم اراضي اليهود ومستعمراتهم فينبغي ان تدفع

الدولة اليهودية إعانة مالية للدولة العربية ويجب تعيين لجنة مالية لتقرير مقدار هذه الاعانة وبيان الطرق الواجب اتباعها في تقسيم دين فلسطين العام والفصل في المسائل المالية الاخرى .

ويجب تدارك الاموال اللازمة لتأمين جعل مستوى الادارة في شرق الاردن كما ينبغي ، وان يطلب الى البرلمان البريطاني أن يوافق على اعطاء الدولة العربية منحة قدرها مليونان من الجنيهات لهذه الغاية .

وينبغي ان تنص المعاهدتان على انه إذا أراد أحد أفراد العرب ممن يملكون أرضاً في الدولة اليهودية او احد افراد ممن يملكون ارضاً في الدولة العربية أن يبيع أرضه فتكون حكومة الدولة المختصة ملزمة بشراء تلك الارض بسعر عادل يعهد تقريره الى الحكومة المنتدبة إذا لزم الامر . وينبغي ان تقدم الضمانة لقرض بمبلغ معقول اذا استوجبت الضرورة ذلك بغية توفير الاموال اللازمة لاجراء هذه المشتريات .

وينبغي ان يشرع فوراً في اجراء البحوث لمعرفة مدى ما يمكن اجراؤه في شرق الاردن وبئر السبع ووادي الاردن (الغور) من مشاريع الري والعمران . فاذا اتضح بنتيجة هذه البحوث ان في الامكان توفر مساحات واسعة من الاراضي لاعادة اسكان العرب المقيمين في المنطقة اليهودية لدى القيام بمشاريع واسعة النطاق للري والعمران فمصلحة الفريقين تقضي بأن يبذل اقصى ما يمكن من الجهد للوصول الى اتفاق بشأن تبادل الاراضي والسكان . على ان نفقات تعمير المناطق المشار اليها قد يفوق ما ينتظر أن تستطيع الدولة العربية تحمله ولتسهيل الوصول الى ذلك الاتفاق يجب ان يطلب الى برلمان المملكة المتحدة الموافقة على منح اعانة لسد نفقات تلك المشاريع .

وينبغي أن تحفظ حقوق جميع موظفي الحكومة الحاليين بكاملها بما فيها حقهم في الحصول على التقاعد والمكافأة .

إن هذا النظام الجديد لا يمكن بالطبع أن يطبق فوراً . فالضرورة تقضي بأن تمضي فترة انتقال قبل أن يوضع الانتداب الجديد والمعاهدات موضع التنفيذ . وفي غضون فترة الانتقال هذه يظل الانتداب الحالي دستوراً تسير عليه إدارة فلسطين . وفيما يلي التواصي التي وضعتها اللجنة لدور الانتقال :

يمنع اليهود من شراء الاراضي في المنطقة العربية ويمنع العرب من شراء الاراضي في المنطقة اليهودية .

لا يسمح بهجرة اليهود الى المنطقة العربية ويقرر مقدار الهجرة اليهودية على اساس قدرة الاستيعاب الاقتصادي لفلسطين باستثناء المنطقة العربية منها .

يفتح باب المفاوضات بدون امهال بغية الوصول الى تعديل المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب ووضع تجارة فلسطين الخارجية على أساس أعدل من الاساس التي هي عليه الآن .

يوسع نطاق المجلس الاستشاري إذا أمكن بتعيين ممثلين للعرب واليهود فيه .

يعدل نظام البلديات على الأساس الموصى به بالاستنارة برأي رجل من أصحاب الخبرة .

يبذل مجهود جدي لزيادة عدد المدارس العربية .

واللجنة ترى أنه بالرغم من أن هذه المقترحات لا تحقق كل ما يتمناه العرب او اليهود فهل تسهل لكل فريق منهم نيل ما هو في أشد الحاجة اليه وهو الحرية والطمأنينة . ويمكن تلخيص الفوائد التي يجنيها عرب فلسطين من هذا المشروع بما يلي :

١) ينال العرب استقلالهم القومي ويصبح في وسعهم ان يتعاونوا على قدم المساواة مع عرب البلاد المجاورة لتحقيق وحدة العرب ورقيهم .

٢) يتخلصون نهائياً من الخوف باكتساح اليهود لهم واحتمال خضوعهم للحكم اليهودي .

٣) ان تقييد حدود الوطن القومي تقييداً نهائياً بتخوم معينة ووضع انتداب جديد لحماية الاماكن المقدسة بضمانة عصبة الامم يزيل بصورة خاصة كل قلق يساور الناس في امكان صيرورة الاماكن المقدسة يوماً من الأيام تحت هيمنة اليهود .

٤) ومقابل ما يخسره العرب من البلاد التي يعتبرونها بلادهم تتلقى الدولة العربية إعانة مالية من الدولة اليهودية وتنال أيضاً من الخزينة البريطانية بسبب أحوال شرق الاردن منحة قدرها مليونان من الجنيهات وإذا أمكن الوصول إلى اتفاق بشأن تبادل السكان والاراضي تعطى الدولة العربية منحة اخرى تستعين بها

على تحويل ما يستطاع تحويله من الاراضي غير القابلة للزراعـــة الى اراض منتجة يستفيد منها الزراع والدولة على السواء . أما فوائد التقسيم لليهود فهي :

(١) ان التقسيم يؤمن انشاء الوطن القومي اليهودي وينقذه من احتمال خضوعه في المستقبل للحكم العربي .

(٢) ان التقسيم يمكن اليهود من ان يعتبروا الوطن القومي وطنهم الخاص وذلك لأن التقسيم يحوله الى دولة يهودية ويصبح في وسع رعايا هـــذه الدولة ان يدخلوا من اليهود العدد الذي يعتقدون هم انفسهم بامكان استيعابه . وبذلك يحققون هدف الصهيونية الرئيسي ألا وهو وجود امة يهودية متمكنة في فلسطين تمنح رعاياها نفس الوضع الذي تمنحه سائر الامم في العالم لرعاياها وبذلك يتخلصون اخيراً من العيش عيشة « الأقلية » .

ملحق رقم (١٠)

الكتاب الابيض الانكليزي لسنة ١٩٣٩

الذي صدر عقب انفضاض مؤتمر لندن

كانت حكومة جلالته قد اعربت في البيان الذي أصدرته عن فلسطين في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ ، عن رغبتها في دعوة مندوبين عن عرب فلسطين وبعض البلاد العربية المجاورة ، وعن الوكالة اليهودية للتفاوض معهم في لندن بشأن السياسة المقبلة . وكانت تأمل باخلاص الوصول الى شيء من التفاهم بنتيجة اجراء مباحثات وافية مقرونة بمنتهى الحرية والصراحة . وقـــد عقدت في الآونة الاخيرة مؤتمرات بين العرب واليهود استغرقت بضعة أسابيع ، وكانت هذه المؤتمرات وسيلة لتبادل الآراء بين الوزراء البريطانيين ومندوبي العرب واليهود . وقد وضعت حكومة جلالته ، على ضوء المباحثات المشار اليها ، والحالة السائدة في فلسطين وتقرير اللجنة الملكية وتقرير لجنة التقسيم ، بعض المقترحـات . وعرضت تلك المقترحات على وفود اليهود والعرب كأساس لتسوية متفق عليها . غير أنه لم تر وفود العرب ولا وفود اليهود ان في استطاعتها قبول تلك المقترحات . ولذلك لم تسفر المؤتمرات عن اتفاق . وبناء على ذلك ترى حكومة جلالته نفسها حرة في وضع سياستها الخاصة . وقد قرّ رأيها بعد انعام النظر الدقيق على التمسك بصورة عامة بالمقترحات التي عرضت نهائياً على وفود العرب واليهود وبحثت معهم .

١ ــ لقد كان صك الانتداب على فلسطين ، الذي أقر نصوصه مجلس عصبة الامم في سنة ١٩٢٢ أساس السياسة التي اتبعتها الحكومات البريطانية المتعاقبة زهاء عشرين عاماً وهذا الصك ينطوي على تصريح «بلفور» ، ويفرض على الدولة المنتدبة أربع التزامات رئيسية . وقد بسطت هذه الالتزامات في المواد الثانية والسادسة والثالثة عشرة من صك الانتداب ، ومن بين هـذه الالتزامات التزام لم يقم اي خلاف حول تفسيره، وهو الالتزام الذي يبحث في حماية الاماكن المقدسة، والمباني، والمواقع الدينية ، وتسهيل الوصول اليها . اما الالتزامات الاخرى فهي كما يلي :

اولا – وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها ان تضمن انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وتسهيل هجرة اليهود في احوال ملائمة ، وتشجيع حشد اليهود في الاراضي ، بالتعاون مع الوكالة اليهودية .

ثانياً – صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين ، بقطع النظر عن العنصر والدين وضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالي الاخرى مع تسهيل الهجرة اليهودية واستيطان اليهود في الاراضي .

ثالثاً – وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها أن تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي .

٢ – وقد لفتت اللجنة الملكية ، ولجان التحقيق الاخرى ، التي سبقتها ، النظر الى الغموض المحيط ببعض العبارات الواردة في صك الانتداب كعبارة : « وطن قومي للشعب اليهودي » ووجدت في هذا الغموض ، وفي ما نشأ من الريبة حول الاهداف التي ترمي اليها الخطة السياسية ، سبباً اساسياً للقلق والشحناء بين العرب واليهود . ان حكومة جلالته مقتنعة ان مصلحة السلام ورفاه جميع اهالي فلسطين تتطلب وضع تعريف صريح للخطة السياسية ولاهدافها . ولقد كان من شأن اقتراح التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية ان يوفر مثل هذه الصراحة ، غير أنه وجد أن تشكيل دولتين مستقلتين في فلسطين احداهما عربية والاخرى يهودية يكون في استطاعتهما سد نفقاتهما بذاتهما ليس من الامور العمليـــة . ولذلك كان لزاما على حكومة جلالته ان تستنبط بدلا من التقسيم ، سياسة اخرى ، من شأنها ان تفي بما تتطلبه الحالة في فلسطين على وجـه يتفق مع الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب ونحو اليهود . وقد ادرجت آراء ومقترحات حكومة جلالته ادناه في ثلاثة ابواب ، هي : (١) الدستور . و (٢) المهاجرة . و (٣) الاراضي .

١ – الدستور

٣ – لقد قيل في معرض الجدل ان عبارة « وطن قومي للشعب اليهودي » تفسح المجـال لصيرورة فلسطين ، على مرور الزمن ، دولة ومملكة يهودية . ان حكومة جلالته لا تود ان تقارع الرأي الـــذي اعربت عنه اللجنة الملكية وهو أن الزعماء الصهيونيين كانوا يدركون حين صدور تصريح « بلفور » ان نصوص ذلك التصريح

لاتحول دون قيام دولة يهودية في النهاية. غير ان حكومة جلالته تشاطر اللجنة الملكية الاعتقاد بأن واضعي صيغة الانتداب الذي ادمج فيه تصريح « بلفور » لا يمكن ان يكونوا قد قصدوا تحويل فلسطين الى دولة يهودية خلافا لارادة العرب سكان البلاد. اما انه لم يكن المقصود تحويل فلسطين الى دولة يهودية فيمكن استنتاجه ضمنا من الفقرة التالية المقتبسة عن الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ :

« لقد قيلت اقوال غير مصرح بها مؤداها ان الغاية التي يرمي اليها هذا التصريح هي خلق فلسطين يهودية برمتها. واستعملت عبارات كمثل القول بأن فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية ، وحكومة جلالته تعتبر ان كل امل كهذا غير ممكن التحقيق ، وهي لا ترمي الى مثل هذا الهدف . كما انه لم يخطر في بالها في اي وقت من الاوقات . . . ان يزول الشعب العربي او اللغة او الثقافة العربية في فلسطين ، او ان تصبح مسيطراً عليها . وهي تود ان تلفت النظر الى ان التصريح المشار اليه (اي تصريح بلفور) لا يرمي الى تحويل فلسطين بكليتها الى وطن قومي يهودي بل الى ان وطناً كهذا سيؤسس في فلسطين » .

٤ – غير ان هذا البيان لم يزل الشكوك ، ولذلك فان حكومة جلالته تصرح الآن بعبارة لا لبس فيها ولا ابهام انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية وهي تعتبر في الواقع انه مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب ، والتأكيدات التي اعطيت للشعب العربي فيما مضى ان يجعل (بضم الياء) سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافاً لارادتهم .

٥ – وقد وصفت ماهية الوطن القومي اليهودي وصفاً اوفى في الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ على الوجه التالي :

« لقد اعاد اليهود في القرنين او الثلاثة قرون الاخيرة تكوين طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ، وربعهم تقريباً مزارعون او عملة في الارض. ولهذه الطائفة هيئاتها السياسية الخاصة ، ومجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ، ومجالس منتخبة في المدن ، وهيئة الاشراف على مدارسها ، ولها رئاسة ربانيين منتخبة ، ومجلس رباني منتخب لادارة شؤونها الدينية ، وتستعمل هذه الطائفة اللغة العبرية كلغة محلية ، ولها صحف عبرية تفي بحاجاتها ، وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها

عن سواها وتبدي نشاطا كبيراً في الحركة الاقتصادية. فهذه الطائفة، بسكان المستعمرات والمدن، وبتشكيلاتها السياسية والدينية والاجتماعية، ولغتها الخاصة، وعاداتها، ومعيشتها الخاصة، لها في الحقيقة ميزات قومية. ولو سأل سائل عن معنى تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين لأمكن الرد عليه بأنها لا تعني فرض الجنسية اليهودية على أهالي فلسطين اجمالا، بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم، حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينيه والعنصرية. ولكي يكون لهذه الطائفة خير أمل في التقدم الحر، ويفسح للشعب اليهودي مجال واف يظهر فيه كفاياته، كان من الضروري ان يعلم ان وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة. وذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان وجود وطن قومي لليهود في فلسطين ضماناً دولياً والاعتراف رسمياً بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة».

٦ – ان حكومة جلالته تتمسك بمبدأ التفسير لتصريح سنة ١٩١٧ وصفاً معتمداً وشاملاً لماهية الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وهذا التفسير ينطوي على اطراد نمو الطائفة اليهودية في البلاد بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم الاخرى. ومما يقيم الدليل على ان حكومة جلالته ما فتئت تقوم بالتزاماتها من هذه الناحية انه منذ صدور بيان الخطة السياسية سنة ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين ما يزيد على (٣٠٠٠٠٠) يهودي، وان عدد سكان الوطن القومي قد ارتفع حتى بلغ نحو (٤٥٠٠٠٠) نسمة، او ما يقرب من ثلث سكان البلاد برمتهم، هذا وان الطائفة اليهودية لم تقصر من جهتها في اغتنام الفرص التي اتيحت لها الى اقصى حد، فنمو الوطن القومي اليهودي، وما توصل الى اتيانه في كثير من الميادين، هو مجهود انشائي جدير بالاعتبار وحري بأن ينال اعجاب العالم، بأن يكون على الاخص مصدر فخر للشعب اليهودي.

٧ – لقد اوردت الوفود العربية في سياق المباحثات الاخيرة الحجة القائلة بأن فلسطين مشمولة في المنطقة التي تعهد السير هنري مكماهون بالنيابة عن الحكومة البريطانية في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ أن يعترف باستقلال العرب فيها ويؤيده. وقد بحث مندوبون من البريطانيين والعرب خلال المؤتمرات التي عقدت

مؤخراً في لندن في صحة هذا الادعاء الذي يستند الى المراسلات المتبادلة بين السير هنري مكماهون وشريف مكة بحثاً مقروناً بالدقة والعناية . ويقوم تقريرهم الذي تم نشره ان المندوبين العرب والبريطانيين بذلوا جهدهم ليفهم كل فريق منهما وجهة نظر الفريق الآخر ، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى اتفاق حول تفسير هذه المراسلات ، ولا حاجة هنا الى تلخيص الحجج التي اوردها كل من الفريقين ، ان حكومة جلالته تأسف لسوء الفهم الذي نشأ حول بعض العبارات المستعملة في تلك المراسلات، وهي من جهتها ، استناداً الى الاسباب التي يضعها مندوبوها في التقرير، لا يسعها إلا ان تتمسك بالرأي القائل ان جميع فلسطين الواقعة غربي الاردن كانت قد استثنيت من العهد الذي قطعه السير هنري مكماهون وهي لذلك لا تستطيع ان توافق على ان مراسلات مكماهون تشكل اساساً عادلا للادعاء بوجوب تحويل فلسطين الى دولة عربية مستقلة .

٨ – ان حكومة جلالته ملزمة بصفتها الدولة المنتدبة « ان تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي » في فلسطين . وهي عدا عن هذا الالتزام المعين ، تعتبر ان ابقاء سكان فلسطين تحت تدريب الدولة المنتدبة الى الابد يخالف روح نظام الانتداب من اساسه. فمن الصواب ان اهل البلاد بما امكن من السرعة ان يتمتعوا بحقوق الحكم الذاتي التي يمارسها اهالي البلاد المجاورة. ان حكومة جلالته لاتستطيع في الوقت الحاضر ان تتنبأ بشكل الحكم الدستوري الذي ستصطبغ به حكومة فلسطين في النهاية . ولكن الهدف الذي ترمي اليه هو اقامة الحكم الذاتي ، ولذا ترغب في ان ترى قيام دولة فلسطينية في النهاية .

وينبغي ان تكون تلك الدولة ، دولة يساهم فيها الشعبان المقيمان في فلسطين ، العرب واليهود ، بممارسة سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين .

٩ – ان تشكيل دولة مستقلة في فلسطين ، والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها ، يتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود من شأنها ان تجعل حكم البلاد حكماً صالحاً في حين الامكان ، اضف الى ذلك ان نمو مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين لا بد له ان يسير على قاعدة النشوء والارتقاء شأنه في البلاد الاخرى .

فقبل الوصول الى الاستقلال لا بـد من فترة انتقال تحتفظ خلالها حكومة جلالته بالمسؤولية النهائية ، بصفتها السلطة المنتدبة ، بينما يزداد في اثنائها نصيب اهالي البلاد من الاضطلاع بالحكم؛ وتنموفيهم روح التفاهم والتعاون، وستبذل حكومة جلالته جهودها المتواصلة لترويج نمو العلاقات الطيبة بين العرب واليهود .

١٠ - وعلى ضوء هذه الاعتبارات تصدر حكومة جلالته التصريح التالي معلنة فيه نواياها بشأن حكومة فلسطين المقبلة .

اولاً – ان الهدف الذي ترمي اليه حكومة جلالته هو ان تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين تطلباتها التجارية والحربية في المستقبل ضماناً مرضياً . وهذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه ان ينطوي على التشاور مع مجلس الامم بقصد انهاء الانتداب .

ثانياً – ان الدولة المستقلة يجب ان تكون دولة يساهم العـــرب واليهود في حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الاساسية لكل من الفريقين .

ثالثاً – يكون تشكيل الدولة المستقلة مسبوقاً بفترة انتقال تحتفظ حكومة جلالته خلالها بمسؤولية حكم البلاد . وفي اثناء فترة الانتقال يعطى اهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم وستتاح لكلا فريقي السكان فرصة للاشتراك في إدارة الحكومة ، وسيسار في هذه العملية سواء اغتنم كلا الفريقين هـــذه الفرصة ام لا .

رابعاً – حالما يتوطد الامن والنظام في فلسطين توطيداً كافياً تتخذ التدابير لتنفيذ هذه السياسة، ألا وهي سياسة إعطاء اهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم ، والهدف الذي يُرمى اليه هو تولية الفلسطينيين زمام جميع دوائر الحكومة بمساعدة مستشارين بريطانيين خاضعاً ذلك لرقابة المندوب السامي . وتحقيقاً لهـــذه الغاية ستكون حكومة جلالته مستعدة لاجراء الترتيبات اللازمة لتولية الفلسطينيين فوراً زمام بعض الدوائر مع مستشارين بريطانيين . ويكون رؤساء الـــدوائر الفلسطينيون اعضاء في المجلس التنفيذي الذي يزود المندوب السامي بالمشورة. ويدعى مندوبون عن العرب واليهود لتولي مناصب رؤساء الدوائر بنسبة عـدد السكان من كلا الفريقين على وجه التقريب . ويزداد عـــدد الفلسطينيين الذين يتولون زمام

الدوائر كلما سمحت الظروف بذلك الى ان يصبح رؤساء جميع الدوائر فلسطينيين يمارسون المهام الادارية والاستشارية التي يقوم بها الآن الموظفون البريطانيون . وعند بلوغ تلك المرحلة ينظر في امر تحويل المجلس التنفيذي الى مجلس وزراء مع اجراء ما يترتب على ذلك من التغيير في وضع ومهام رؤساء الدوائر الفلسطينيين .

خامساً -- ان حكومة جلالته لا تتقدم في هـــذه المرحلة بأية مقترحات حول تشكيل هيئة تشريعية منتخبة . ولكنها على الرغم من ذلك تعتبر هذا الأمر تطوراً دستورياً في محله، وإذا أعرب الرأي العام في فلسطين فيما بعد عن تحبيذه لكل هذا التطور تكون حكومة جلالته مستعدة لتشكيل الادارة اللازمة بشرط ان تسمح الاحوال بذلك .

سادساً ــ لدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الامن والنظام ، تشكل هيئة ملائمـــة من ممثلي اهل فلسطين وحكومة جلالته للنظر في كيفية سير الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال ، وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة وتقديم التواصي بهذا الشأن .

سابعاً ــ وستطلب حكومة جلالته ان تقتنع بأن المعاهدة المنتظر عقدها في البند (١) او الدستور المنتظر وضعه في البند (٦) أعلاه قد ضمن النصوص الوافية.

(أ) لحماية الاماكن المقدسة وتسهيل الوصول اليها ، وحمايـــة مصالح واملاك الهيئات المختلفة .

(ب) لحماية مختلف الطوائف في فلسطين وفقاً للالتزامات المترتبة على حكومة جلالته نحو العرب ونحو اليهود ، وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذي للوطن القومي اليهودي في فلسطين .

(ج) بشأن الامور المطلوبة لملافاة الحالة الحربية مما قد تعتبره حكومة جلالته ضرورياً على ضوء الظروف التي تكون سائدة في ذلك الحين .

وستطلب حكومة جلالته ايضاً ان تقتنع بأن المصالح التي لبعض البلاد الاجنبية في فلسطين والتي تضطلع حكومة جلالته الآن بمسؤولية المحافظة عليها ، هي مصونة صيانة وافية .

ثامناً ــ وستبذل حكومة جلالته كل ما في وسعها لايجاد ظروف تمكن الدولة

الفلسطينية المستقلة من الخروج الى حيز الوجود خلال عشر سنوات . وإذا ظهر لحكومة جلالته لدى انقضاء عشر سنوات ان الظروف تتطلب إرجـــاء تشكيل الـــدولة المستقلة ، خلافاً لما تأمله ، فانها تتشاور مع ممثلي اهالي فلسطين ، ومجلس عصبة الامم ، والدول العربية المجاورة قبل اتخاذ قرار بشأن هـذا الارجاء . فاذا قرّ رأي حكومة جلالته انه لا مناص من هذا الارجاء فانها تدعو هؤلاء الفرقاء للتعاون معها في وضع خطط للمستقبل بقصد الوصول الى الهدف المنشود في أقرب وقت ممكن .

١١ – وستتخذ التدابير اثناء فترة الانتقال لزيادة سلطات ومسؤوليات البلديات والمجالس المحلية .

٢ – المهاجرة

١٢ – ان ادارة فلسطين مكلفة بمقتضى المادة السادسة من صك الانتداب ، بتسهيل هجرة اليهود في احوال ملائمة ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الاهـــالي الاخرى ، وباستثناء ما تقدم لم يحدد مدى الهجرة اليهودية المسموح بها الى فلسطين في أي موضع آخر من صك الانتداب . ولكن ورد في الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ (١٧٠٠) انه تنفيذاً لسياسة انشاء وطن قومي يهودي :

« من الضروري ان تتمكن الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها عن طريق المهاجرة . وهذه المهاجرة لايمكن ان يكون مقدارها بحيث تتجاوز قدرة البلاد الاقتصادية في حينه على استيعاب القادمين الجدد . ومن المحتم ضمان عدم صيرورة المهاجرين عبئاً على اهالي فلسطين عموماً ، وان لا يحرموا اية فئة من السكان الحاليين من عملهم . »

ومن الوجهة العملية اعتبرت قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، منذ ذلك التاريخ فصاعداً ، حتى الآونة الاخيرة ، العامل الوحيد الذي تحدد الهجرة على اساسه . وورد في الكتاب الذي ارسله رمزي مكدونالد بصفته رئيساً للوزراء الى الدكتور « وايزمن » في شهر شباط سنة ١٩٣١ في معرض بسط الخطة السياسية : ان قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب هي الاساس الوحيد لتحديد الهجرة . ثم ايد هـذا

التفسير بقرارات اتخذتها لجنة الانتدابات الدائمة . لكن حكومة جلالته لا ترى في بيان الخطة السياسية الصادر سنة ١٩٣١ ، ولا في كتاب رئيس الوزراء الصادر سنة ١٩٣١ ، ما يمكن تفسيره بأن صك الانتداب يقضي عليها في جميع الاوقات والظروف ان تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين على اساس اعتبار قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب دون سواها كما انها لا تجد في صك الانتداب ولا في بيانات الخطط السياسية التي صدرت بعده ما يؤيد الرأي القائل بأن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لا يمكن تحقيقه إلا اذا سمح للهجرة بالاستمرار إلى ما لا نهاية له . فاذا كانت الهجرة تؤثر في وضع البلاد الاقتصادي تأثيراً سيئاً فمن الواضح انه يجب تقييدها . وكذلك الحال ، إذا كان للهجرة اثر يضر ضرراً خطيراً بوضع البلاد السياسي ، فان ذلك عامل يجب ان لا يغفل عنه . ومع انه ليس من الصعب ان يقال « في معرض الجدل » بأن ذلك العدد الكبير من المهاجرين اليهود الذين دخلوا البلاد حتى الآن قد استوعبتهم البلاد من الناحية الاقتصادية ، فان المخاوف التي تساور العرب من ان هذه الهجرة المتدفقة ستستمر الى ما لا نهاية له حتى يصبح السكان اليهود في وضع يمكنهم من السيطرة عليهم ، قد اسفرت عن نتائج عميمة الخطورة للعرب ولليهود على السواء ولسلام وفاه فلسطين . فما هذه الاضطرابات المفجعة التي وقعت خلال السنوات الثلاث الماضية إلا آخر واثبت مظهر برزت فيه تلك المخاوف العظيمة التي تساور العرب . ان الاساليب التي سلكها الارهابيون العرب ضد مواطنيهم من العرب وضد اليهود على السواء يجب ان تقابل بالاستنكار المطلق ، غير انه لا يمكن الانكار ان الخوف من استمرار الهجرة اليهودية استمراراً لا نهاية له ، منتشر انتشاراً واسعاً بين السكان العرب ، وان هذا الخوف هو الذي هيأ السبل لوقوع الاضطرابات التي صدمت تقدم البلاد الاقتصادي صدمة عنيفة ، واستنزفت خزينة فلسطين ، وجعلت الناس غير مطمئنين على ارواحهم واموالهم ، وخلقت بين السكان العرب واليهود مرارة يؤسف لحدوثها بين مواطني بلاد واحدة . ولو استمرت الهجرة في هذه الظروف الى الحد الاعلى الذي تسمح به قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، بقطع النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى ، لأدى ذلك الى تخليد عداوة قاتلة بين الشعبين ، ولامكن ان تصبح الحالة في فلسطين عندئذ مصدراً دائماً للاحتكاك بين جميع شعوب

الشرق الادنى والاوسط . وحكومة جلالته لا يسعها ان تأخذ بالرأي القائل أن الالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب ، او ان العقل الراجح والعدالة ، تقضي عليها بتجاهل هذه الظروف لدى وضع سياستها بشأن الهجرة .

١٣ - لقد كان من رأي اللجنة الملكية ان ادماج تصريح « بلفور » بنظام الانتداب ينطوي على الاعتقاد بامكان التغلب على موقف العرب العدائي من ذلك التصريح عاجلا ام آجلا ، وقد كانت الحكومة البريطانية منذ صدور تصريح « بلفور » تأمل ان يرضى السكان العرب مع مرور الزمن عن اطراد نمو الوطن القومي اليهودي بعد ان يدركوا الفوائد التي سيجنونها من الاستيطان والعمران في فلسطين . ولكن هذا الامل لم يتحقق ، واصبح على حكومة جلالته الآن ان تختار بين سياستين فهي : اولاً - اما ان تعمل على توسيع نطاق الوطن القومي توسيعاً لا نهاية له عن طريق الهجرة ضد رغبات سكان البلاد العرب التي أعربوا عنها بكل شدة ، او ثانياً - ان تسمح بزيادة توسيع الوطن القومي اليهودي عن طريق الهجرة اذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة، ولكن ليس بدون ذلك. اما السياسة الاولى فمؤداها الحكم بالقوة وهي بقطع النظر عن الاعتبارات الاخرى، تخالف رأي حكومة جلالته ، وروح المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم كل المخالفة، كما انها تناقض ايضاً الالتزامات الصريحة المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب على فلسطين . اضف الى هذا ان العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين لا بد لها من ان تبنى عاجلا ام آجلا على اساس التسامح والنية الطيبة . فسلام الوطن القومي اليهودي نفسه وسلامته وتقدمه تتطلب ذلك . ولذلك قررت حكومة جلالته بعد انعام النظر والتدقيق ، وبعد اعتبار المدى الذي سهل فيه نمو الوطن القومي اليهودي في خلال السنوات العشرين الماضية ، انه قد حان الوقت للأخذ ، من حيث المبدأ ، بالسياسة الثانية من السياستين المشار اليهما اعلاه .

١٤ - لقد طلب بالحاح وقف كل هجرة اخرى الى فلسطين في الحال . ان حكومة جلالته لا تستطيع ان تقبل باقتراح كهذا إذ ان من شأنه ان يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي والاقتصادي بأجمعه . وبذلك يؤثر تأثيراً سيئاً في مصالح العرب واليهود على السواء . ثم ان حكومة جلالته ترى انه ليس من الانصاف

للوطن القومي اليهودي وقف كل هجرة اخرى وقفاً فجائياً . غـــير ان حكومة جلالته ، فضلا عن هذا كله ، تلم بالمحنة القاسية التي يعانيها الآن عدد كبير من اليهود الذين يلتمسون ملجأ يلجأون اليه من بعض البلاد الاوروبية ، وهي تعتقد ان في استطاعة فلسطين ان تساهم في سبيل هذه المشكلة العالمية المسلحة ، وانه ينبغي لها ان تقوم بذلك. وفي جميع هذه الظروف تعتقد أنها باتخاذها المقترحات التالية بشأن الهجرة تكون قـد سارت وفقاً لالتزامات الانتداب الملقاة على عاتقها إزاء العرب واليهود معاً ، في خير طريق يؤدي الى خدمة مصالح سكان فلسطين بأسرهم. وهذه المقترحات هي كما يلي :

اولاً – تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه ان يزيد عـــدد السكان اليهود في فلسطين الى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد ، بشرط ان تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك . فاذا اخـذت بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولها في عدد السكان العرب واليهود ، وحسب حساب عـــدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الآن في البلاد فان ذلك يسمح بادخال نحو ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس التالية اعتباراً من اول نيسان من السنة الحالية ، وسينظم دخول هؤلاء المهاجرين مع مراعاة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب على اساس القاعدة التالية :

أ – يسمح في كل سنة من السنوات الخمس التالية بدخول حصة من المهاجرين اليهود لا يتجاوز مقدارها ١٠٠٠٠ شخص ، مع العلم ان كل نقص قـد يقع في اية سنة يمكن ان يضاف الى حصص السنين التالية خلال مدة الخمس سنوات ، بشرط ان تسمح بذلك قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب .

ب – بالاضافة الى ذلك ، ومن قبيل المساهمة في حل مشكلة اللاجئين اليهود ، يسمح بدخول ٢٥٠٠٠ لاجيء الى البلاد حالما يقتنع المندوب السامي بأن الوسائل الوافية لاعالتهم قـــد اصبحت مضمونة ويرجح من هؤلاء اللاجئون الاطفال والمعالون .

ثانياً – يحتفظ بالادارة الحالية لتقرير قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، ويضطلع المندوب السامي بالمسؤولية النهائية في تقرير حـــدود قدرة الاستيعاب

الاقتصادية ، ويستنير برأي مندوبين من اليهود والعرب قبل اتخاذ قرار بشأن كل فترة .

ثالثاً ـ لدى انقضاء السنوات الخمس المشار اليها لا يسمح بهجرة يهودية اخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها .

رابعاً ـ ان حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة ، وتتخذ الآن اجراءات اخرى للحيلولة دونها . واذا افلح عـــدد من المهاجرين اليهود غير الشرعيين في دخول البلاد على الرغم من تلك الاجراءات، وكان هؤلاء ممن لا يمكن ابعادهم ينزل عددهم من الحصص السنوية .

١٥ ـ ان حكومة جلالته مقتنعة انه متى تمت الهجرة التي يفكر فيها الآن على مدار الخمس سنوات المشار اليها لن يكون لها مبرر ، كما انها لن تكون تحت طائلة اي الـــتزام لتسهيل انشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بقطع النظر عن رغبات السكان العرب .

٣ ـ الاراضي

١٦ ـ ان المادة السادسة من صك الانتداب تقضي على ادارة فلسطين بتسهيل حشد اليهود في الاراضي ، مع ضمان عـدم الحاق الضرر بحقوق جميع فئات الاهالي الاخرى . ولم يفرض لغاية الآن اي قيد على انتقال الاراضي من العرب الى اليهود . وقد دلت التقارير التي وضعتها مختلف لجان الخبراء على انه بالنظر لنمو عدد السكان العرب الطبيعي واستمرار بيع الاراضي من العرب الى اليهود، في السنوات الاخيرة لا يوجد الآن في بعض المناطق اي مجال لانتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، في حين انه لا بـد من وضع القيود على انتقال الاراضي من العرب الى اليهود في بعض المناطق الاخرى إذا كان يراد احتفاظ المزارعين العرب بمستوى معيشتهم الحالي والحيلولة دون تكوين جماعة كبيرة من العرب ممن لا اراضي لهم . وبالنظر لهذه الظروف سيمنح المفوض السامي سلطات عامـــة تخوله منع وتنظيم انتقال الاراضي . وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان للخطة السياسية، والتي سيرسمها المفوض السامي خلال فترة الانتقال .

١٧ ـ وستنصرف سياسة الحكومة الى اعمـــار الاراضي وتحسين الاساليب

الزراعية حيثما يكون ذلك ممكناً . وعلى ضوء هذا العمران سيباح للمندوب السامي لدى اقتناعه بأن حقوق ووضع السكان العرب قد حفظت حفظاً تاماً ، بأن يعيد النظر في اية اوامر اصدرها بمنع انتقال الاراضي او تقييده او تعديل تلك الاوامر.

١٨ ـ لقد بذلت حكومة جلالته لدى وضعها هذه المقترحات جهدها باخلاص للتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب واليهود معاً . فان غموض العبارات التي استعملت في بعض الحالات لوصف هذه الالتزامات قد ادى الى المشادة وجعل مهمة تفسير تلك العبارات شاقة . ان حكومة جلالته لا يمكنها ان تأمل بارضاء الذين يتحيزون لهذا الفريق او ذاك في هذه المشادة التي نشأت عن صك الانتداب .

والغاية التي ترمي اليها هي ان تقف موقف الانصاف بين الشعبين المقيمين في فلسطين اللذين تناولت الحوادث العظمى التي وقعت في السنوات الاخيرة مقدراتها في تلك البلاد ، واللذين يتحتم عليهما ان يتدربا على تبادل التسامح والنية الحسنة والتعاون مادامتا سيعيشان جنباً الى جنب في فلسطين . وحكومة جلالته إذ تنظر الى المستقبل لا يغرب عن بالها ان بعض الحوادث التي وقعت في الماضي ستجعل انشاء هذه العلاقات مهمة شاقة غير انه مما يشجعها على الامل ان العرب واليهود كثيراً ما عاشوا معاً في السنوات الاخيرة بصفاء في اماكن عديدة في فلسطين . ان على كل طائفة من هاتين الطائفتين ان تساهم بنصيب وافر في سبيل رفاه بلادهما المشتركة ، ولا بد لكل منهما ان تجنح الى السلم بنية صادقة كي يتاح لها ان تساهم في العمل على اطراد رفاه اهل البلاد بأجمعهم . ومما يزيد في خطورة التبعة الملقاة على عاتقهم وعلى عاتق حكومة جلالته، من حيث التعاون معاً في سبيل تأمين السلام، ان البلاد يقدسها في كافة انحاء العالم ملايين عديدة من المسلمين واليهود والمسيحيين الذين يبتهلون الى الله تعالى ان يخيم السلام في ربوعها ، وان يوفر اسباب السعادة لأهليها .

تنبيه بالاخطاء المطبعية المهمة التي يحسن تصحيحها قبل قراءة الكتاب

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١٩	الضيّق	ضيق
٣١	١٨	بما	بل
٣٦	٢٢	بنية	بينة
٣٧	١٢	واندماجاً تاماً	واندماج فلسطين في سوريا اندماجاً تاماً
٣٨	١	واندفع	واندمغ
٦٠	٢	يمنع	لا يمنع
٦١	٢٤	والاساليب يزيد	والاساليب لا يزيد
٧٣	١٢	عهدي	مهدي
٨١	١٢	الطباطباني	الطباطبائي
٨٢	١٩	علويه	علويه
٨٤	٦	من اعضائها	من غير اعضائها
٩١	١	مومسسات	مؤسسات
٩٣	٢٢	وتحمل	وتمحل
٩٤	١٤	يقاتلون	يقتاتون
١١٠	٢١	الجوار	الجواد
١١٣	٣	حزب	ضرب
١١٨	٦	وفرغت	وفزعت
١١٨	٢٥	للنهضة الاستقلالية	للنهضة الاقتصادية
١١٩	٣	ووجيه فراج	ويعقوب فراج
١٢٧	١٤	البقية	التنبيه
١٢٧	٢٦	المؤتمرين	المؤثرين
١٢٨	١٣	وصلة	مرحلة
١٣٣	٢٣	التحذير	التخدير
١٤٧	١٧	الفيتو	الغيتو

الصحيفة	السطر	الخطا	الصواب
١٨٦	٢٥	مرفوعة بحال	مرفوعة في بحال
٢٠٢	٩	احياء	احيان
٢١٠	٨	العامون	العامين
٢١٠	٢٤	كأنه	لانه
٢١٢	١٠	وفرضت	وفرض
٢١٣	٧	خسائر الثوار	خسائر السلطات واليهود
٢٢٢	٢٣	وتنفذ	وتنقذ
٢٣١	١٢	اي	فأبى
٢٣٣	٢٦	احمد علي	احمد حلمي
٢٣٤	١٩	ايجاد	ايحاء
٢٤١	٢٢	ككل	كلكل
٢٤٦	١٩	والزعامات العربية	والزعامات العرب مسئولية ذلك وحدها بل وان مسئوليتها
٢٦٤	٢٦	بلغوا	خدعوا
٢٦٦	٧	محله	مجلسه
٢٧٣	٢٠	تضمه	تضعه
٢٨٢	٢٥	حول	حوول
٢٩٩	٢٣	تصورات	تطورات
٣١٠	٢١	وثمانين عائلة	وثمانين الف عائلة
٣١١	١٤	يقنى	يغنى
٣١٤	١٧	من انتقال	من منع انتقال
٣١٥	٤	بوجوب التردد	بوجوب عدم التردد